سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٢٢)

الخطب المنبرية

لمعالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

تحقيق وعناية
عادل بن محمد مرسي رفاعي
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

الخطب المنبرية

دار الكتب والوثائق القومية
الشئون الفنية
إدارة الإيداع القانوني

عنوان المصنف: الخطب المنبرية

تحقيق: عادل محمد مرسي رفاعي

رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٥٣٦٤

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٥٢٣٢-٤٥-٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢
جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - فاكس: ٠٠٢/٠٢٢٦٦٣٣٦٧٨
البريد الإلكتروني: dar_alhijaz@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، **أَمَّا بَعْدُ**:

فَإِنَّ اللهَ ﷻ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَخَصَّهُ بِبَدَائِعِ الْحِكَمِ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**»(١). قَالَ الزُّهْرِيُّ: جَوَامِعُ الْكَلِمِ - فِيمَا بَلَغَنَا - أَنَّ اللهَ يَجْمَعُ لَهُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وقال ﷺ: «**أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ**»(٢)، وفي حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَارًا**»(٣)، ومِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَاخْتُصِرَ لِيَ الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا**»(٤)؛ لهذا يرى الناظر في حديث المصطفى ﷺ أن في حديثه جوامع الكلم وجوامع المعاني، فهو ﷺ يوجز المعاني الكثيرة للمتأمل في الألفاظ

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).
(٢) أخرجه أحمد (١١/ ١٧٩).
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨، ٧/ ١٧١)، وعبد الرزاق (٦/ ١١٢).
(٤) أخرجه الدارقطني (٥/ ٢٥٤).

القليلة؛ وذلك لأنه رسول الله ﷺ، فأرشد إرشادات عامة بجوامع كلمه ﷺ في كل المناحي والمجالات التي تحتاجها الأمة، ويحتاجها المكلف في عبوديته لربه ﷻ، فقد أُوتي ﷺ البلاغة بحذافيرها، وجمع من لغة العرب ما لم يجمعه أحد سواه ﷺ، فقد أنزل عليه القرآن على سبعة أحرف، جمع مناحي كلام العرب ولهجتها بما أنزل في القرآن؛ لهذا كان ﷺ يرشدنا بكلمات وجيزة في إرشادات تحتاج منا إلى تأمل، وفيها من المنطوق والمفهوم ما يفتح لنا أبواب الإيمان ومصاريع الخير.

وعلى طريقة السلف الصالح رحمهم الله سار أئمة الهدى، والتزموا طريقة النبي ﷺ في خطبهم، وهو القائل ﷺ: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»(١).

وبين يديك أخي القارئ سلسلة الخطب المنبرية لفارس المنبر، شيخنا العلامة الحبر الجليل، سليل بيت العلم والشرف، خريج المدرسة السلفية بأعلامها، حفيد مفتي الديار السعودية، شيخي الجليل العلامة **صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي آل مشرف التميمي**، جزاه الله خيرًا، ورفع درجاته في عليين.

وزادت المنَّة من الله ﷻ بأن كنت المسجل لهذه الخطب، والتي بلغت المئات، إلا أنه للأسف الشديد ـ وقدر الله وما شاء فعل ـ، فقدت هذه الخطب، ولم ينج منها إلا هذه المجموعة التي بين يديك أيها القارئ الكريم.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٩).

فأسأل الله ﷻ أن يجزي شيخي العلامة المفضال:

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

المثوبة والمغفرة، وأن يجعله إمام هدى ورشاد، وأن يعز به ويصلح. كما أسأله ﷻ أن يقيه شر الحاسدين، وأن يغفر له ولوالديه ولذريته ولأهل بيته، وأن يجعل لي من الخير نصيبًا، وأن يعينني على إخراج شروحاته الباقية وتقريراته وسيرته قبل الممات؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا مزيدًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

✍ كتبه

عادل بن محمد مرسي رفاعي

الرياض ١/٩/١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: أثر تحقيق التوحيد

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الحمد في الأولى والأخرى، سبح كل شيء بحمده، ورجع كل شيء بتحميده، لا إلٰه إلا هو، هو الله في السماوات، وهو الله في الأرض، وهو الذي في السماء إلٰه، وفي الأرض إلٰه، خضع لجبروته وحكمه كل شيء، وسبح بتوحيده كل شيء، وخضع لملكه ونفوذ أمره ما في الخليقة، فسبحانه من إلٰه عظيم قادر، سبحانه من إلٰه خضعت له قلوب أوليائه، فتذللت له بتوحيده، وتقربت إليه بتمجيده، ورأت أن محبته غاية المطالب، وأن طاعته ﷻ هي أُس المآرب.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل طاعته ومن أهل توحيده، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله وسلم وبارك على محمد بن عبد الله، على الرحمة المهداة، وعلى النعمة المسداة، وعلى آله وصحبه ومن تولاه وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي ـ **أيها المؤمنون** ـ بتقوى الله في السر والعلن،

وتقوى الله أمر عظيم، جماعه وحقيقته أن تطيع أمر الله ﷻ في جميع أحوالك، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الرب ﷻ في جميع أحوالك، وجميع تقلباتك، تخشى عقاب الله، على علم وعلى نور من الله ﷻ.

أيها الإخوة المؤمنون، إن قلب المؤمن لا يصلح إلا بتعظيم الله ﷻ، لا يصلح ولا يثبت على الإيمان، ولا يستقيم على ذلك إلا بتحقيق التوحيد لله ﷻ، فكلما قوي العبد في الإخلاص لله وفي توحيده لربه، وفي تحقيق الشهادتين ـ شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ـ، كلما قوي في تحقيق ذلك، ثبت على الإيمان، وكلما نفى تسويل الشيطان، كان قيامه في عقد الإيمان قيامًا قويًا صحيحًا، أمر الله ﷻ عباده بتحقيق التوحيد له، وبإخلاص الدين له ﷻ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]؛ يعني: فاعبدوه مخلصين له الدين حنفاء[(١)]، وهذا الأصل العظيم عليه قامت السماوات، وعليه قامت الأرض، ومن أجله خلق الجن والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ يعني: إلا ليوحدون، إلا ليخلصوا العبادة لي وحدي[(٢)].

وهذا الأمر العظيم من أجله بعثت الرسل، ومن أجله خلقت النار، وخلقت الجنة، ومن أجله قام الجهاد، ورفعت ألويته، ومن أجله حاق بالذين كفروا سوء ما عملوا، ومن أجله نصر الله المؤمنين، ولهذا وجب على المؤمنين أن يسعوا سعيًا جادًا في تحقيق الإخلاص لله، في تحقيق التوحيد لله ﷻ، بأن يكون أمرهم، بأن تكون عبادتهم، بأن تكون

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٥)، وزاد المسير (٤/ ٧)، وابن كثير (٧/ ٨٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٥)، وتفسير البغوي (٧/ ٣٨٠).

طاعتهم لله ﷻ وحده دون ما سواه. فطاعة المصطفى ﷺ تبع لطاعة الرب ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

أيها المؤمنون، إن العبد المؤمن إذا حقق التوحيد، فإنه يحصل على فضل من الله في الدنيا وفي الآخرة، فمع أنه واجب، وواجب تحقيقه، لكن فضله في الدنيا عظيم، وفي الأخرى عظيم عظيم عظيم.

لهذا بين الله ﷻ لعباده المؤمنين فضل تحقيق التوحيد، وأنه يكفِّر الذنوب، وأن التوحيد أعظم ما يتقرب العبد به إلى ربه ﷻ.

اسمع - مثلًا - قول الحق ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال عبد الله رضي الله عنه: «لَمَّا نَزَلَتِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: **لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ**: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ **بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ**: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[1].

فهذه الآية فيها وعد من الله ﷻ - ووعده حق - أن المحققين للتوحيد المبتعدين عن الشرك بأنواعه لهم الأمن في الدنيا والآخرة، ولهم الهداية في الدنيا والآخرة؛ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢، ٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨)، ومسلم (١٢٤). ولأحمد بنحوه عن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ على النَّاسِ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: **إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ**: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] **إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ**». أخرجه أحمد (٦/ ٦٨، ٧/ ١٢٩، ٥٢٥).

وهذه من ثمرات التوحيد، **ومن فضل التوحيد** أنك بقدر تحقيقك للتوحيد وإخلاصك لله، وبعدك عن الشرك الظاهر والباطن، بقدر ذلك يكون لك الأمن، وتكون لك الهداية؛ لهذا ترى المؤمن الموحد أكثر الناس أمنًا في الدنيا، وأكثر الناس أمنًا يوم القيامة.

ألم تسمع - أخي - لقول الرب ﷻ في المؤمنين: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، نعم. المؤمن المسدد إذا خاف الناس في الدنيا، فإنه لا يخاف؛ لأن في قلبه من الإخلاص لله والتوحيد ما يجعله في أمن وأمان، وكذلك إذا خاف الناس يوم القيامة من النار - إذ برزت الجحيم -، فإنهم لا يخافون: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢].

نعم **أيها المؤمنون**، هذا الأمر العظيم يجب علينا أن نفقهه، وأن نسعى في تحقيقه، ألا وهو إخلاص الدين لله، وهذا بعض فضله.

ومن فضله في هذه الآية أن أهل التوحيد الخالص لهم الاهتداء. والهداية مراتب، وأهلها فيها درجات؛ ولهذا كان أكثر الناس هداية، وأعظمهم هداية الأنبياء والمرسلون؛ لأنهم حققوا الإخلاص والتوحيد لله ﷻ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

أيها المؤمن، كذلك إذا حققت الإخلاص في قولك وعملك، وابتعدت عن الشرك في أقوالك وأعمالك، فإن لك فضلًا عظيمًا، وهو **أن تغفر لك الذنوب، التي هي فيما بينك وبين الله** ﷻ. جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قالَ الله تعَالى: يا ابنَ آدمَ إِنّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى ما**

كانَ مِنكَ وَلَا أُبَالِي، يا ابنَ آدمَ لَوْ بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَك، يا ابنَ آدَمَ إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١).

فالموحد يغفر له ذنبه، ولا إلـه إلا الله تكون لك يوم القيامة بطاقة، إذا وضعت في كفة الحسنات، طاشت السيئات وسجلات السيئات؛ لثقل هذه الكلمة(٢)، لكن لمن حققها، وعلم معناها، وتيقن بذلك، وعمل بمقتضاها، وابتعد عن الشرك كله، فإن نور لا إلـه إلا الله لا يعدله شيء؛ يحرق الشهوات، ويحرق الشبهات في الدنيا، وكذلك يحرق أثر الشهوات، وأثر الشبهات في الآخرة حين توضع الموازين، وحين يلقى الناس حسابهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣١٥) من حديث أنس ﷺ، قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأخرجه من حديث أبي ذر ﷺ: أحمد في مسنده (٥/ ١٤٨)، والدارمي (٢٧٨٨)، والبزار (٩/ ٤٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٩)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) حديث البطاقة أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (١/ ٤٦)، والبيهقي في الشعب (١/ ٢٦٤)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»**.

كذلك أهل الإخلاص في الدنيا يمن الله عليهم بأنه يصرف عنهم السوء والفحشاء، ألم تسمع إلى قول الله في حق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]؟ يعني: الذين خلصوا لله عز وجل، وأخلصوا أعمالهم وأقوالهم له، وحققوا التوحيد له، فيصرف عنه السوء، ويصرف عنه الفحشاء.

وتأمل أول الآية: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]؛ يعني: همت به امرأة العزيز فعلًا، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾ [يوسف: ٢٤]؛ يعني: لولا أنه رأى برهان ربه، وهو إخلاصه وتوحيده وتعظيمه، وما في قلب الموحد من إجلال الله، لولا هذا البرهان لهمَّ بها(١).

ولا شك أن العبد المؤمن يصرف عنه السوء والفحشاء، فكم سمعنا من أناس أتاهم الشيطان فيما ذكروا، وأرادهم للفحشاء، ثم يأتي فضل الله عليهم، فتصرف عنهم الفحشاء، وينصرفون عنها، وكأنها ليست بشيء لهم، وذلك لأنهم حققوا وسعوا في تحقيق الإخلاص لله عز وجل.

كذلك من فضل التوحيد على أهله أن الناس إذا أصابتهم المصائب، وحلت بهم العقوبات، فإن أهل الإخلاص وأهل التوحيد هم أهل النجاة؛ قال عز وجل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٧ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝١٨﴾ [فصلت: ١٧، ١٨]، وهم أهل التوحيد.

فإذا أصاب الناس ما أصابهم، فإن أهل التوحيد هم أهل النجاة، ولو أصابهم من الهلاك، فإنهم ينجون فيما بعده؛ يعني: إذا صاروا

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٨٥)، وزاد المسير (٢/ ٤٢٩)، وابن كثير (٤/ ٣٨١).

إلى الله، فالذين يعذبون من أهل الظلم في الدنيا يعذبون في الآخرة، وأما أهل التوحيد، فيبعثون على ما في قلوبهم، وعلى ما في أعمالهم؛ لأن الله ﷻ لا يظلم الناس شيئًا: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ [النمل: ٥٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝١٨﴾ [فصلت: ١٨].

إذا علمت - **أيها المؤمن** - بعض فضل التوحيد، فاعلم أن الله ﷻ لا يغفر الشرك به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء: ١١٦]، وإذا لم يرضَ الله ﷻ إلا التوحيد، ولا يغفر الشرك، فإن عقاب أهل الشرك عظيم، بل عقابهم النار، وعقابهم الخزي في الدنيا والعذاب، وكذلك العذاب في الآخرة: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

أيها الإخوة المؤمنون، إذا تبين لنا أن حق الله هو توحيده، وأن فضل التوحيد عظيم، وأن عقاب الشرك عظيم، فإننا بحاجة دائمًا إلى تعلم التوحيد، وإلى الخوف من الشرك. فإن التوحيد والإخلاص لا يقر هكذا بدون علم، بل لا بد فيه من العلم، وإذا كان الله ﷻ أمر نبيه بالعلم بالتوحيد، فنحن مأمورون من باب أولى؛ لأننا أهل الجهل بهذا الأمر العظيم، اسمع قول الله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فالعلم بالتوحيد أمره عظيم، ولهذا لا يسوغ لنا أن يقول القائل منا: فهمنا التوحيد، وفهمنا أنواعه. دون أن يكرر ذلك، ودون أن يراجع ذلك بين الحين والآخر، وأن يطلع على كلام أهل العلم؛ لأن هذا ليس

من باب الترف العلمي، إنما هو باب حق الله ﷻ، فإذا تعلمناه وكررناه، فإن ذلك به صلاح القلب، وبه تحقيق حق الله ﷻ على العبيد، ألا وهو التوحيد، وكذلك إنما يعرف ذلك بضده، وهو الشرك. والشرك ـ كما هو معلوم ـ أقسام، وأعظمه دعوة غير الله معه، الشرك في الألوهية، والشرك في الربوبية، والشرك في الأسماء والصفات، وهذا إنما يعرف بالتعلم، وتعلمه على طريقين، تعلم التوحيد وتعلم أنواع الشرك على طريقين:

منها طريق مجمل: على وجه الإجمال، تتعلم حكمه، وتتعلم معناه، وتتعلم أنواع التوحيد وضده.

ثم الطريق المفصل: أن تعلم أنواع مسائل التوحيد: مسائل الرجاء، مسائل الخوف، مسائل التوكل، مسائل الإنابة لله ﷻ، الإخلاص بأنواعه، عمل القلب، عمل اللسان، عمل الجوارح، وكيف يخلص في ذلك لله ﷻ.

كذلك تفصيل ضده، وهو تفصيل الشرك: بأن تعلم الشرك الأكبر وأنواعه، والشرك الأصغر وأنواعه، والشرك الخفي وأنواعه، وما يحصل بين الناس من هذا وذاك، فتتعلم ذلك مطبقًا له على الواقع. لا يقولن قائل: هذه أمور معروفة. فإن إبراهيم الخليل عليه السلام دعا ربه قائلًا: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، إبراهيم التيمي رحمه الله ـ وهو من علماء التابعين ـ لما تلا هذه الآية قال: (مَنْ يَأْمَنُ مِنَ الْبَلَاءِ بَعْدَ خَلِيلِ اللهِ إِبْرَاهِيمَ)(١). فإذا خاف إبراهيم عليه السلام عبادة الأصنام على نفسه وعلى بنيه، فنحن أولى بالخوف، وإذا خفنا، هربنا مما نخاف منه، وإنما نهرب بالعلم والتعلم، ولهذا أوصي الجميع بأن نكون مطلعين على كلام

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٩).

أهل العلم في التوحيد والإخلاص؛ حتى نكون ممن حاز فضله، ورضي الله عمله وقوله، فمن فعل، كان له الأمن والهداية، وصرفت عنه الفحشاء، وصرف عنه السوء.

فالمسألة عظيمة، وحق الله عظيم، واسمعوا قول الله ﷻ، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، فهذه السورة ثلث القرآن[(١)]، وسورة الكافرون ربع القرآن[(٢)]: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]، اجتمعت السورتان في تحقيق التوحيد، وفي البراءة من الشرك؛ لهذا كان ﷺ يكررها.

أيها المؤمنون، إذا سمعتم هذه الوصية، فالمطلوب أن تسعوا في تحصيل كتب أهل العلم في هذه المسائل، وقراءتها وسماع كلام أهل العلم في شرحها؛ فإن ذلك به النجاة، وإن ذلك به تحقيق التوحيد، وتحقيق فضل الله ﷻ على عباده، «**يا عبادي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخركم**،

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (٨١١) بسنده عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ. قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، وروي بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عند البخاري (٥٠١٣، ٥٠١٥)، وأبي هريرة ﷺ عند مسلم (٨١٢).

(٢) أخرج أحمد في مسنده (١٩/ ٤٧٢)، عن أنس بن مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ رُبُعُ الْقُرْآنِ، وَإِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ رُبُعُ الْقُرْآنِ، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ رُبُعُ الْقُرْآنِ**». وأخرجه الترمذي (٢٨٩٤)، والطبراني في الصغير (١/ ١١٤)، وفي الأوسط (١/ ٦٦)، وفي الكبير (١/ ١١٤، ١٢/ ٤٠٥)، والبزار (١٢/ ٣٥٢، ١٣/ ٣٦١)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٢٨)، والحاكم (١/ ٧٥٤)، وقال: (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ).

وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتُهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»(١).

فتعلموا محبة الله، وتعلموا أفراد الربوبية، وأفراد توحيد الإلـٰهية، فالأول فيه المحبة، والثاني فيه الطاعة، وفيه الإخلاص، وفيه التوحيد بأنواعه.

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من الصالحين الذين رضي قولهم ورضي عملهم.

اللَّهُمَّ، هيئ لنا من أمرنا رشدًا، واجعلنا ممن حقق التوحيد، فدخل الجنة.

يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن خاف من الشرك، وهرب منه، وتخلص منه في لسانه، وفي أقواله، وفي قلبه، وفي أعماله.

اللَّهُمَّ، هيئ لنا قولًا حميدًا وعملًا سعيدًا.

اللَّهُمَّ، وهيئ لنا ومُنَّ علينا بعاقبة حميدة، يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر: ١ ـ ٣]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لمجده، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا كثيرًا مزيدًا، **أما بعد**:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة(١)، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتحقيق التوحيد والإخلاص له، وتعلم ذلك والاهتمام بما كتبه علماء الإسلام وأئمة السُّنَّة ـ أئمة هذه الدعوة ـ في هذه المسائل العظام؛ فإن مطالعة كتب التوحيد نور في الصدور، وإن مطالعة كتب أهل العلم في ذلك ـ في العقيدة، وفي التوحيد، وفي بيان الشرك وأسبابه ووسائله وأحكام ذلك وأدلته ـ، إن مطالعة ذلك وتعلمه نور وهداية في القلوب، وصلاح للفرد وصلاح للمجتمع، فلا تلهينكم الدنيا عن هذا الأصل العظيم الجامع، الذي بُعثت من أجله الأنبياء والمرسلون، ومن أجله خُلقت السماوات والأرض، ومن أجله خُلقت الجنة والنار.

فارعوا هذه المسألة على قدر عظم حقها وما يليق بها، وأقبلوا على تعلم ذلك ـ إجمالًا وتفصيلًا ـ من هذه الساعة إقبالًا فيه النية

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٨٦٧): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: **«صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»**، وَيَقُولُ: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: **«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**.

الصادقة؛ حتى لا تقعوا فيما وقع فيه الأكثرون من الجهل أو من ترك التوحيد، وعدم رفع الرأس به، والجهل بذلك.

أسأل الله ﷻ أن يصلح لنا نياتنا، وأن يصلح لنا ديننا، وأن يصلح لنا دنيانا؛ إنه جواد كريم.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة على نبيه ﷺ، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صلِّ، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم ـ اللَّهُمَّ ـ على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل الكفر والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، ومن غير المتعاونين على الإثم والعدوان، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا لا يغادر منا أحدًا.

اللَّهُمَّ، أبرم لنا أمر رشد، اللَّهُمَّ، أبرم لنا أمر رشد، يعز فيه أهل الطاعة، ويعافي فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، يا سميع الدعاء.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تباعد بيننا وبين سبل أهل الفتن، اللَّهُمَّ، باعد

بيننا وبين الفتن، وبين وسائلها، وأهلها، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تجعلنا في أمن وأمان، وطمأنينة وإيمان، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، هيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللَّهُمَّ، اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، اللَّهُمَّ اغفر لنا ذنوبنا صغيرها وكبيرها، دقها وجلها، وأنت أرحم الراحمين، وأنت أجود الأجودين، في هذه الساعة المباركة.

اللَّهُمَّ، مُنّ علينا بمغفرة ومحوٍ للذنوب والآثام، اللَّهُمَّ، في هذه الساعة المباركة، وأنت أرحم الراحمين، وأنت المتفضل على عبادك، وأنت المجيب لمن سألك.

اللَّهُمَّ، نتوسل إليك بما أخلصنا لك فيه من الدين، اللَّهُمَّ نتوسل إليك بذلك أن تغفر لنا ذنوبنا، اللَّهُمَّ، اغفر لنا ذنوبنا، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، واجعل عاقبتنا إلى خير، وعملنا في خير، ورؤيانا إلى خير، يا أرحم الراحمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: أحكام الرقية

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعل القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء، الحمد لله الذي بحكمته أنزل الداء، وبعدله وحكمته وفضله جعل لكل داء دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من يريد بها النجاة من عذاب الله يوم لقاه، ومن يريد بها الازدلاف إلى مرضاة الله. فأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له تأكيدًا بعد تأكيد؛ فهو الواحد القهار، لا إلـٰه إلا هو يحيي ويميت.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف علينا من الدين الغمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله عليه، وعلى آله، وعلى صحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، عظموا الله، عظموا أمر الله، عظموا نهي الله، لتكن الدنيا في قلوبكم حقيرة، ولتكن الآخرة في قلوبكم عظيمة؛ فإن حقارة الدنيا وعظم الآخرة في قلب العبد المؤمن سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون، قال الله ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال ﷻ في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. فإن الله ﷻ جعل هذا القرآن العظيم هدى للمؤمنين، وجعل فيه الشفاء.

قال العلماء: الشفاء في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الشفاء من أدواء الشبهات والشهوات، التي من تسلطت عليه أضلته، وصار ساعيًا في الظلمات. والله ﷻ جعل هذا القرآن هاديًا للتي هي أقوم؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فمن أراد السلامة من أمراض الشهوات ومن أمراض الشبهات، فعليه بالقرآن؛ فهو للذين آمنوا هدى، وهو للذين آمنوا شفاء.

النوع الثاني: أن القرآن شفاء لأمراض البدن بأنواعها.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ شِفَاءٌ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، وَقَالَ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وَ(مِنْ) هُنَا لِبَيَانِ الْجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ شِفَاءٌ؛ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَهُوَ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ دَاءِ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ، فَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ، وَلَا أَنْفَعَ، وَلَا أَعْظَمَ، وَلَا أَشْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ)(١).

وآيات القرآن عند أهل العلم فيها من عجائب الاستطباب ومن عجائب التداوي بها ما لا يعلمه كثير من الناس. فانظر مثلًا إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كيف تلا على الذي كان به داء الرعاف الذي استطال به. كان

(١) انظر: الجواب الكافي (ص٨).

طريقة دواء ذلك الداء عند ابن عباس ﵄ أنه كتب على جبينه آيات من القرآن، وهي قوله ﷻ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود: ٤٤]، فشفى الله ﷻ ذلك المريض(١).

انظر إلى ذلك الرجل الذي أصيب بسم من بعض ذوات السموم، فأتاه أحد الصحابة ﵃، فقرأ عليه القرآن، فأبطل الله ﷻ ذلك السم وأثره، وقام الرجل سليمًا يمشي في الناس(٢). وهكذا فالقرآن فيه شفاء للأمراض البدنية.

وقد عدّ العلماء من أنواع هجر القرآن التي تدخل في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠] عدّوا من أنواع الهجر أن يهجر القرآن، فلا يستشفى به.

النوع الثالث من أنواع الشفاء بالقرآن: أن في القرآن الشفاء من

---

(١) انظر: المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٦، ٥٧٤٩)، ومسلم (٢٢٠١) من حديث أبي سعيد ﵁: «أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: **وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ**»، وفي رواية: «**وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ**»، أخرجها البخاري (٥٧٣٦).

الأمراض النفسية، ومن العين، ومن عين الإنس وعين الجن، ومن السحر، ومن جميع تلك الأمراض التي قد لا تكون من جنس الأمراض البدنية، وقد أمر النبي ﷺ بأن يسترقى لآل جعفر؛ كما في حديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ، فَقَالَ: **اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ**»[١].

وكان النبي ﷺ يرقي نفسه[٢]، ورَقَى ﷺ ورُقِيَ أيضًا.

فالقرآن إذًا ـ **أيها المؤمنون** ـ شفاء، والرقية بالقرآن سُنَّة ماضية. فقد رقى جبريل عليه السلام نبينا محمدًا ﷺ[٣]، ورقى النبي ﷺ طائفة من الصحابة رضي الله عنهم[٤]. ورقى الصحابة رضي الله عنهم بعضهم بعضًا، وكان هذا امتثالًا لقول النبي ﷺ ـ لما سألوه عن رجل أصيب بلدغة عقرب أو حية، وسألوه عن الرقية ـ، فقال ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**»[٥].

فالرقية بالقرآن وبالأدعية النبوية الواردة فيها الشفاء بإذن الله؛ فهي سبب قد ينفع الله عز وجل به. والقرآن فيه الشفاء للمؤمنين، ولكن الظالمين لا يزيدهم إلا خسارًا.

أيها المؤمنون، لأجل هذا شاع في الناس بكثرة من يرقي الناس، ومن يتلو عليهم القرآن، وينفث عليهم؛ طلبًا لشفائهم، ورغبة في ذلك. وهؤلاء الذين يرقون الناس بالقرآن وبالأدعية النبوية هؤلاء محسنون، لكن جملة من يرقي الناس على ثلاثة أصناف:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٢١٩٧).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، و(٢١٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه مسلم (٢١٩٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

الصنف الأول: منهم من يرقيهم، وهو عالم بأمر الله، عالم بشرعه، عالم بمزالق الرقية وما تؤول إليه من الخير، أو ما قد تؤول إليه من الشر.

والصنف الثاني: صنف جاهل، لا يعلم أحكام الرقية، ولا ما يرقي به الناس، ولا ما تؤول إليه الرقية إذا رقى، فتجده يخوض غمرة ذلك بجهله وإعراض عن اتباع طريقة العلماء في ذلك.

والصنف الثالث: من هو مشعوذ، يتبع أساليب المشعوذين في القراءة، يُظهر أن قراءته بالقرآن وبالأدعية، وهو في الحقيقة يستخدم طرقًا غير مشروعة، منها أن يستخدم الجن في رقيته، في إعلامه بحال هذا المريض، وفي إخباره بما حصل له ونحو ذلك، فتجده يبذل للجن بعض ما يُسر به الجن ويستمتعون به؛ لقاء ما يخبره به الجن، وهذا الصنف من الناس من صنف المشعوذين، من صنف الذين يرقون برقية محرمة؛ لأنهم في ذلك قد استخدموا طرقًا ليس عليها الدليل من الكتاب والسُّنَّة.

وقد انتشر القراء في هذا الزمان، وكثروا جدًا، حيث إن الذين يرقون كانوا في الزمن الماضي ـ زمن العلم والتوحيد، زمن انتشار نور العلم والسُّنَّة ـ، كان القراء قليلين، ولا يرقي إلا الواحد بعد الواحد من قلَّتهم.

وفي هذا الزمان تجد الحدث من الشباب عهده بالفسق وعهده بالفجور قريب، فما تراه بعد سنة إلا وقد أصبح من القراء المشهورين، والناس إليه أسراب إثر أسراب، يطلبون رقيته بذلك، وليس ذلك على الله بعزيز؛ إذ التوبة تجب ما قبلها، لكن الرقية تحتاج إلى علم، وتفتقر إلى السُّنَّة، وليس ذلك الزمن القصير بكاف لتعلم ذلك؛ لهذا تسامع الناس من أولئك القراء بالعجب العجيب ـ من استغلال الناس، ومن الرقية غير

المشروعة ـ، فبعضهم يستخدم الجن، يزعم أنه يستخدم مسلمي الجن فيما زعم.

وهذه البلاد طهرها الله ﷻ بالتوحيد، طهرها الله ﷻ بأن لا يُرى فيها الشرك، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «النبوات»: (إن نور العلم والإيمان والتوحيد إذا انتشر في أرض، ضاق معه وجود الشياطين ووجود الجن الذين يستفيدون من الناس، ويستفيد الناس منهم. فإن الرقية السبيل إلى ذلك)[1]. ولهذا نور العلم والإيمان ـ نور التوحيد ـ إذا انتشر في بلاد الله، كان مغنيًا عن ذلك، والجن والشياطين إنما تنتشر في البلاد التي يضعف فيها نور القرآن والسُّنَّة. واعتبر ذلك، وانظر إليه في بلاد الله المختلفة، تجد ذلك جليًّا، وأكفر الناس فرعون كيف كانت أرضه؟ ينتشر فيها السحرة الذين يستخدمون الجن كأعظم ما يكون من الاستخدام.

وعندما ضعف أمر التوحيد في قلوب الناس، وضعفت حقيقة التوكل على الله، حتى غدا التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، والصبر على البلاء الذي أنزله، حتى غدا ذلك في الناس ضعيفًا، ظهر في الناس ما ظهر من أنواع الخروج عن العلم والسُّنَّة في باب الرقية.

انظر إلى حال كثير من البيوت، كيف إذا ظهر في البيت نوع من المس، ظن الناس أن هذا من الأمراض، فصارت النساء يذهب بعضهن إلى كل من سمعت المرأة بأنه قارئ يقرأ، سواء أكان من أهل العلم المشهود لهم، أو لم يكن، المهم أنه يذكر اسمه، وأنه قارئ. وبعض النساء يذهبن إلى كاهنات أو مشعوذات، وبعض النساء يذهبن إلى

(١) انظر: النبوات (١/ ١٦٦)، والصفدية (١/ ٢٣٣، ٢٣٦)، والرد على المنطقيين (ص١٨٧).

مشعوذين، وبعض أولئك القراء يرتكب مع النساء محرمات يتغيظ منها قلوب أهل الإيمان، والناس يظنون أن رقية ذلك تنفع، وهو يرتكب حين يرقي ـ من رؤية النساء، ومن الخلوة بهن، ومن مسهن، ومن إثارة الشهوة فيه بما يمس منهن ـ ما تسامع الناس به، وسبب ذلك ضعف التوحيد في قلوب الناس.

الرجل في بيته يتسامع بما تفعله زوجته بالذهاب إلى هؤلاء، وبما يفعله بعض أقاربه من ذلك، وبما سيفعله أهله بالصغار، وهو في ذلك ساكت، وكأن الرجال ليسوا على قوامتهم مع النساء. الرجل يعلم ما لا تعلمه النساء ـ خاصة في هذه الأمور ـ؛ لأنه يسمع القرآن كثيرًا في الخطب، وفي المحاضرات، وفي كلام أهل العلم، وفيما يُنشر من ذلك، فعليه أن يكون في ذلك ذا قوامة على أهله، فكيف يأذن بأن يسعى أهله في تلك المنكرات؟!

نعم، الأمراض ـ أمراض النفس ـ كثرت من العين، ومن أمراض القلب، ومن أمراض الصدر، من ضيق الصدر، ومن ما يفرق فيه بين المرء وزوجه، لكن علاج ذلك يكون بالقرآن.

وأيضًا انتشار تلك الأمراض له سبب، وسببه الشياطين التي خيمت في كثير من البيوت، قال ﷺ: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**»(١)، فانظر إلى ما شاع في الناس من انتشار الصور المحرمة في بيوتهن، ومن تعليق الصور على الجدران، وهو بإجماع العلماء من الكبائر، والملائكة الحفظة ـ ملائكة الرحمة ـ تفر من البيت الذي فيه الصورة، وإذا فرت الملائكة، دخلت الشياطين، فعاثت في الناس.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٦، ٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦) من حديث أبي طلحة ﷺ.

والله ﷻ حمى الإنسان - حمى المؤمن بالخصوص، والإنسان بعامة - بالملائكة الحفظة، قال ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]، يعني: الملائكة تحفظ ابن آدم مما قد يصيبه، حتى إذا أتى قدر الله، خلَّوا بينه وبين ذلك(١).

انتشر ذلك، فانتشرت الشياطين في البيوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قلَّت أو ضعفت أو انعدمت تلاوة القرآن في البيوت، والشيطان يفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة؛ لأنه لا مكان له في مكان تُقرأ فيه سورة البقرة، فكم تُقرأ سورة البقرة فينا من بيت؟ الشيطان يفر من المؤمن الذي يديم الاستعاذة بالله، يُديم الأوراد، يُديم الذكر؛ لأن القلب إذا خلا من ذكر الله، تسلط عليه الشيطان وكان بيتًا له، وأما إذا عمر بذكر الله، فرّت الشياطين، فإن الشيطان وسواس، ولكنه خناس، قال المفسرون: إذا ذُكر الله، خنس، وإذا غفل العبد، أقبل(٢). فكم منا من يتلو الأوراد ويستعيذ بالله من شر الشياطين عند إقبال الصباح وإقبال المساء، وهي فترات انتشار الشياطين؟

إن الرقى مشروعة، وأكمل الرقية أن يرقي العبد نفسه متوكلًا على الله، عالمًا أنها سبب، وأن الله ﷻ هو الذي أمر بهذا السبب، وأن القرآن شفاء، وإذا أذن الله بذلك.

فليكن كل منا متوكلًا على الله، راقيًا نفسه، راقيًا أهل بيته، ولا يجوز

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٩ - ٣٧٦)، والقرطبي (٩/ ٢٩١ - ٢٩٤)، وابن كثير (٤/ ٣٧٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٧٥٣ - ٧٥٤)، والقرطبي (٢٠/ ٢٦٢)، وابن كثير (٨/ ٥٣٩).

أن يتساهل الناس في هذا الأمر، بأن يأذنوا لمن يرعونهم بأن يذهبوا لكل من هب ودب ممن يرقون؛ لأن كثيرين منهم، بل لأن الأكثرين منهم يرقون على خلاف السُّنَّة، ويستخدمون ما جاءت السُّنَّة بإبطاله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النبوات»: (أولياء الله مع الجن مثلهم كمثل الأنبياء مع الجن؛ يأمرونهم بطاعة الله، وينهونهم عن معصية الله، ويأمرونهم بالتوحيد، وينهونهم عن الشرك، ويأمرونهم بطاعة الرسول، وينهونهم عن مخالفة ذلك، وأما ما عدا ذلك، فليس من صنيع أولياء الله)[١]، هذا معنى كلامه، فلتنتبه لهذا.

والانتفاع بالرقية أكثر ما يكون من جراء أن يرقي أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، وليحذر الناس في هذه البلاد أن ينتشر الأمر ذاك من الذين يرقون على خلاف السُّنَّة، ومن الذين يستخدمون الجن، ومن الكهنة والمشعوذين والعرافين الذين يخبرون بالأمر الغيبي الذي فات، وكذلك من السحرة وأمثالهم ممن أتوا إلى هذه البلاد، أو من أهل هذه البلاد الذين تعلموا على يد أولئك.

فحمى الله عَزَّ وَجَلَّ هذه البلاد من شر أولئك زمنًا طويلًا، والليلة نراها قد انتشر فيها، قد انتشرت فيها تلك الموبقات، وأولئك الذين مرقوا من الدين.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ لنا السلامة، وأن يحمي هذه البلاد بالتوحيد، وأن يحمي أهلها من مزالق الشرك ووسائله، وطريق المخرفين والمشعوذين، وأن يمن على الرجال بالقوامة الحقة التي منّ الله عليهم بها شرعًا؛ إنه ولي ذلك، وهو المسؤول، وعليه التكلان.

---

(١) انظر: النبوات (٢/ ١٠٠٣، ١٠١٢).

واسمعوا قول الله ﷻ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سركم وعلنكم؛ فإن بالتقوى رفعة مقامكم عند ربكم، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها المؤمن، استمع لقول نبيك ﷺ: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»**(١)، وقد قال ﷺ أيضًا: **«مَا مِنْ نَبِيّ بَعَثَهُ الله فِي أُمَّته قَبْلِي إِلَّا**

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّته حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَاب يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُف مِنْ بَعْدهمْ خُلُوف يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ. فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِن. وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِن، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِن، لَيْسَ وَرَاء ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَان حَبَّة خَرْدَل»[1].

إن انتشار الذين يقرؤون على خلاف السُّنَّة، إن انتشار المشعوذين، إن انتشار الكهنة والعرافين والسحرة منكر عظيم في بلاد المسلمين، فمن رأى شيئًا من ذلك، أو علمه وتيقن منه، فإنه يجب عليه أن يبلغ أهل المسؤولية بذلك، ولا ينفك من العهدة. وليحذر أن يُعاقب من جراء سكوته على تلك المنكرات، التي هي وسيلة إلى أن يظهر الشرك في بلاد التوحيد، في البلاد التي طهَّرها من مخالفة ومناقضة الشهادتين، شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فعلينا ـ **أيها المؤمنون** ـ القيام في ذلك الأمر بأن إذا سمعنا وتحققنا من خالف السُّنَّة في ذلك، أو كان مشعوذًا، أو كاهنًا، أو ساحرًا، لنبلغ عنه، وذلك على سبيل الوجوب على أقل الأحوال، إلا إن كان المؤمن لا يستطيع، فالإنكار بقلبه، الإنكار بقلبه ينجيه، ولكن في أحوالنا هذه ليس عذرًا في عدم التبليغ؛ لأن الحق أظهر من الباطل، ولأن الصولة في هذه البلاد ـ ولله الحمد ـ للحق، وأما الباطل، فهو ذليل حقير، وزاهق بإذن الله.

فقوموا ـ **أيها المؤمنون** ـ بهذا الواجب، وليحذر من لم يقم به العقوبة في نفسه أو في من يحب؛ لأن أولئك يضرون المسلمين بما ينشرون، فاتقوا الله، وخافوا يوم لقاه، وقوموا في هذا الأمر أتم قيام؛ لعلنا نكون من الممتثلين الناجين حقًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أثنى على الذين يتبعون أمره، وأمر أيضًا بالصلاة على نبيه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تعلي راية الإسلام وراية أهله، وأن تذل الكفر، وأن تذل أهله، يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين الذين يجاهدون لتحقيق كلمة التوحيد في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم، وأيدهم بتأييدك، وقوهم بقوتك؛ فإنك أنت القوي العزيز.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلَّهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المسلمين بعامة، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن توفقنا لتوبة نصوح قبل الممات.

اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد وفقتنا للتوبة، اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد وفقتنا للتوبة، نلقاك بها وأنت راض عنا، وأنت أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك صلاحًا في أنفسنا، وفي أهلينا، وفي أولادنا، وفي

علمائنا، وفي ولاتنا، وأنت أرحم الراحمين وأجود الأجودين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على النعم بأعمالكم وبألسنتكم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الإيمان بالقدر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، اللَّهُمَّ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، وصية الله لكم أن اتقوا الله، ووصيتي إليكم أن تمسكوا بتقوى الله ﷻ، وأن لا تلهينا الدنيا عن مقتضى تقواه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المؤمنون، إن الله ﷻ جعل الإيمان به وبهذا الدين مبنيًا على أركان ستة عظام، ألا وهي أركان الإيمان المعروفة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره

من الله تعالى[١]، فهذا الإيمان إذا اكتمل، جعل العبد مؤمنًا حقًّا، وإذا نقص من الإيمان ما نقص من جهة اليقين أو من جهة الأعمال، فإنه ينقص من الإيمان بحسبه. وإن من تلكم الأركان التي بها يراد اليقين، والتي بها اطمئنان المؤمن لكل ما يجري في هذه الحياة، إن من تلكم الأركان ركن الإيمان بقدر الله تعالى، خيره وشره منه ﷻ.

وهذا الركن الأعظم من أركان الإيمان به يحصل المؤمن على الطمأنينة وعلى إجابة كثير من الأسئلة؛ لأن العجز عن الإدراك إدراك[٢].

قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، وقال ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣]، وقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ١، ٢]، وقال ﷻ أيضًا في آخر سورة (الحج): ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠]، وقال أيضًا ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

والآيات في هذا المعنى عديدة، وثبت في «الصحيح» أن النبي ﷺ

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ: «.. **قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ...**».

(٢) انظر: التبصير في الدين للإسفراييني (١/ ١٦٠)، والمقصد الأسنى (١/ ٥٤)، والفروق مع هوامشه (٤/ ٢٦٣)، وروح المعاني (٩/ ١٢٤).

كان في أصحابه، فجاءه جبريل عليه السلام - يسأله عن الدين - في غير صورته، في صورة رجل من الناس، فسأله أسئلة، فقال منها: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...**»، إلى آخر الحديث، في آخره قال ﷺ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟** قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١)، فدل على أن تعلم هذه الأركان، وعلى أن تعلم ما اشتمل عليه هذا الحديث إنما هو من الدين.

وهل خطب الجمع، وهل وعظ الواعظ، وهل تعليم المعلم إلا لأمر الدين؟!

لهذا - **أيها المؤمنون** - إن من أعظم الأركان - كما ذكرنا - الإيمان بالقضاء والقدر.

وقد اختلف الناس في أمر القضاء والقدر، والذي دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة، وكان عليه صحابة رسول الله ﷺ أن القدر هو: علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها، علم الله السابق الأزلي بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته للأشياء مفصلة التي تقع قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعموم مشيئته النافذة في خلقه، وعموم خلقه عز وجل للأشياء كلها، فهذا هو القدر عند الصحابة رضي الله عنهم، وهو القدر عند أهل السُّنَّة والجماعة.

لهذا صار الإيمان بالقدر: أن تؤمن بعلم الله السابق الأزلي بالأشياء قبل وقوعها، فيؤمن المؤمن أن الله جل جلاله لا يقع في ملكه شيءٌ

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

استئنافًا لم يكن علمه، بل هو ﷻ علمه بالأشياء أزلي، أول لم يسبق ذلك جهل منه ﷻ بما يقع، أراد الأشياء وعلمها، فوقعت في ملكوته كما علم ﷻ، ويؤمن المؤمن بأن الله ﷻ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؛ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح(١)، وكما أخبر بذلك ربنا ﷻ في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠]، ويؤمن المؤمن بالقدر، يعني: يؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الناس لو اجتمعوا على أن ينفذوا أمرًا لم يشأه الله ﷻ في ملكوته، لم يقع؛ فما شاءه الله ﷻ هو ما أراده كونًا، فلا بد أن يقع، ومشيئة العبد تحت مشيئة الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ الآية [الإنسان: ٣٠، ٣١].

فما شاء الله كان، ما شاءه العباد لا يكون إلا إذا أذن الله به، فوقع كونًا لمشيئة الله ﷻ له.

ومن الإيمان بالقدر ـ وهو ركن من أركانه ـ أن يؤمن المؤمن بأن الله ﷻ خالق لكل شيء؛ كما قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فيؤمن المؤمن أنه لا يحصل شيء إلا والله خالقه، الحياة خلقها الله، والموت خلقه الله، والمرض خلقه الله ـ يعني: قدَّره ـ، والحياة بأنواعها وبما اشتملت عليه خلقها الله ﷻ، وقدر ذلك، وكذلك كل ما ترى من أفعال العباد ـ من الطاعات، ومن المعاصي ـ، فإنه ليس

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

شيء في الدنيا إلا والله ﷻ خالقه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾.

إذا علمت ذلك - **أيها المؤمن** -، وآمنت بذلك، تبين لك أن الإيمان بالقضاء والقدر هو إيمان على مرتبتين:

- إيمان بشيء سبق، وهو علم الله ﷻ للأشياء، وكتابته للأشياء في اللوح المحفوظ.
- وشيء حاضر تؤمن به، وهو أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

إذا أصابتك سراء، علمت أنها من الله، وإذا أصابتك ضراء، علمت أنها من الله؛ ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد: ٢٣]، وما يحصل إنما هو بمشيئة الله وبخلقه، ولهذا يسأل كثيرون: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

فيجيب أهل العلم بأن القضاء هو: ما قضي من القدر ووقع؛ لأن قضاء الشيء يعني: انتهاءه؛ كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [سبأ: ١٤]، وكما قال ﷻ: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ [طه: ٧٢]، ونحو ذلك من الآيات التي تدل على أن القضاء هو وقوع الشيء وانتهاؤه.

وأما القدر، فهو لما سبق في علم الله، ولما كتب، فإذا وقع القدر، صار قضاء، وهو قدر باعتبار الماضي، وهو قضاء باعتبار ما وقع وحل[1].

---

(١) قال الزهري: (القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه).اهـ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ٧٨)، ولسان العرب (١٥/ ١٨٦)، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (١/ ٧١).

إذا تبين لك هذا ـ **أيها المؤمن** ـ، فاعلم أنه لا مكان في الإسلام لعقيدة الجبر، لا الجبر الظاهر، ولا الجبر الباطن، بل الإنسان في الشريعة الإسلامية وفي عقيدة المسلم الإنسان مخيَّر، وليس مسيَّرًا في الأمر والنهي، بل يختار، إما أن يختار طريق الخير: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠]، وإما أن يختار طريق الشر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وعلم الله السابق وكتابته السابقة ليست جبرًا، وإنما هي لقيام الحجة على العباد، وأنه لا يحصل شيء إلا والله ﷻ عالم به؛ لكمال علمه ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

أيها المؤمن، المؤمن المسدد موفق، يوفقه الله ﷻ، والعاصي يخذله الله ﷻ، ولهذا يرى المؤمن الصالح أن كل خير عمله مع أنه اختاره، لكن الله وفقه إليه، ولكن الله أعانه عليه وسدده، ويسر له سبيله، فيرى العبد المؤمن أنه مختار، وأن الله أعانه ووفقه إلى عمل الصالحات، وأما غير المسدد، أما العاصي، وأما الفاجر، وأما المنافق، وأما الكافر، فكل بحسبه، فإن الله تركهم لأنفسهم، ولم يعنهم لحكمته، ولما اشتملت عليه أنفسهم من أمور، وما اشتملت عليه أعمالهم؛ كما قال ﷻ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

إذًا التوفيق جزاء للصالحات، والخذلان وترك المرء لنفسه، وعدم إعانته للخير جزاء السيئات، وما كان الله ليظلم العباد: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، سبحانه وتعالى.

إذا تبين هذا لنا، علمت أن عقيدة القضاء والقدر تجعل في قلوبنا

بردًا وطمأنينة، بحيث إن المؤمن لا يأسى على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه الله؛ كما قال لنا ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، يعني ذلك: العلم بأن الأمور سابقة بقدر، وأن المصائب بقدر، وأن الكتاب سابق، لِمَ نؤمن به؟ ولِمَ أوجب الله علينا الإيمان به؟ أولًا: لحق الله تعالى، وللإيمان بأسمائه وصفاته، ثم ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

فالذي يؤمن إيمانًا حقيقيًا بالقضاء وبالقدر لا يأسى على ما فاته من الدنيا، لا يأسى على موت الناس، لا يأسى على ذهاب المال، لا يأسى على ذهاب المنزلة، لا يأسى على الأذى؛ لأنه يعلم أن الأمور بقضاء وبقدر، وأن ما شاء الله كان، وأن ما لم يشأ لم يكن، وأن المؤمن إذا أصابته سراء، فشكر، كان خيرًا له، وإذا أصابته ضراء، فصبر، كان خيرًا له، ثم إنه لا يفرح بما آتاه؛ لأن الفرح بغير الحق ذلك من خصال غير المؤمنين.

فالمؤمن إذًا بقضاء الله وبقدره يثمر إيمانه بالقضاء والقدر أنه في هذه الدنيا ليس بذي أسى وحزن على ما فاته، وليس بذي فرح واختيال وفخر على ما آتاه الله تعالى، وتأمل ختام الآية حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]؛ لأن الفرح بغير الحق يوجب الاختيال، ويوجب الفخر، وكما ترى في حال كثيرين من الأغنياء، فإن غناهم أوجب لهم فخرًا واستطالة واستغناء، وهذا ـ والعياذ بالله ـ ليس من خصال المؤمنين حقًا.

أيها المؤمن، إيمانك بقضاء الله وبقدره يثمر لك أنك مخاطب

بالعمل: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[١]، وتأمل قول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]، فرتب التيسير للعمل الصالح على الإعطاء والتصديق، وكذلك رتب التعسير على التكذيب، وعلى الاستغناء، وعدم البذل، وهذا يعطيك أن إيمانك بقضاء الله وبقدره لا يجعلك لا تعمل، بل تعمل وتتوكل على الله ﷻ، ثم بعد ذلك أنت مؤمن بقضاء الله وبقدره.

ومن ثمرات إيمان المؤمن بقضاء الله وبقدره: أن يعلم المؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا يجعله في طمأنينة وبرد وسلام فيما يحدث له.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: أن يعلم المؤمن أن حكمة الله ماضية، وأن الأمور لا يجرها حرص الحريص، وأن عمل الناس لا يجر الأشياء، وإنما العمل سبب، وقضاء الله وقدره نافذ، وحكمته بالغة. فيجعل المؤمن يعمل كما أمره الله، ثم هو يرى الأمور بأن قضاء الله وقدره نافذ لا محالة. فمثلًا: ينظر الإنسان إلى ما فيه المسلمون ـ مثلًا ـ اليوم، بما هم فيه من نكبات، وما هم فيه من ضعف وعدم عزة، وما هم فيه من هوان، ينظر إلى ذلك بأنه يجب عليه أن يعمل لنصرة الإسلام، ولنصرة دين الله، ولإعلاء كلمة الله، لكنه لا يوجب له حال

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]».

المسلمين أن يكون يائسًا، وأن يكون متخاذلًا، أو أن يعمل أشياء لم يوجبها الشرع؛ لأن ذلك ليس مقتضى الإيمان الصحيح، وليس مقتضى الشريعة، وأيضًا ليس مقتضى الإيمان بحكمة الله تعالى.

فإذًا المؤمن إذا آمن، فهو متوازن، متوازن في عقيدته، متوازن في أعماله، متوازن في نظرته إلى الأمور، وهو مع ذلك كله يخاف ـ لإيمانه بالقضاء والقدر ـ، يخاف من الخواتيم، ويخاف من السوابق، فقد قال بعض السلف: (وَهَلْ أَبْكَي الْعُيُونَ بُكَاءً، إِلَّا الْكِتَابُ السَّابِقُ)[١].

ينظر المؤمن إلى ما سبق أن كتبه الله، فيبكي، لا يدري ماذا كتب له، هل هو من أهل السعادة أم من أهل الشقاوة؟ فينظر إلى ذاك، فتدمع عينه، ويسأل الله الثبات، ويجاهد نفسه على الصلاح.

وقال آخر من علماء السلف: (ما أبكى العيون، ما أبكاها سر الخواتيم).

وقال آخر: (قُلُوبُ الْأَبْرَارِ مُعَلَّقَةٌ بِالْخَوَاتِيمِ، وَقلوبُ الْمُقَرَّبِينَ مُعَلَّقَةٌ بِالسَّوَابِقِ، أُولَئِكَ يَقُولُونَ مَاذَا مِنَ اللهِ سَبَقَ لَنَا، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ بِمَا يُخْتَمُ لَنَا)[٢].

وهذا حال المؤمن، فإنه في قضاء الله وقدره بين مخافتين:

- بين أمر قد مضى، لا يدري ما الله صانع فيه.

---

(١) أخرج هذا الأثر أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣١٢) بسنده لأبي عمران عبد الملك بن حبيب الجوني الإمام الثقة التابعي الجليل، توفي سنة ثلاث وعشرين وقيل: ثمان وعشرين ومائة. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٥٥)، وانظر: جامع العلوم والحكم (ص٥٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٥٠٨)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ١٩١).

• وبين أجل قد بقي، لا يدري ما الله خالق فيه.

وهذا من عجائب إيمان المؤمن بقضاء الله وقدره.

أسأل الله ﷻ أن يجعل الإيمان في قلوبنا يقينًا، وأن يجعلنا مطمئنين بالإيمان، وأن يجعله في قلوبنا كأمثال الجبال الراسيات.

اللَّهُمَّ، نسألك صدقًا في الإيمان، وصدقًا في الأقوال، وصدقًا في الأعمال.

اللَّهُمَّ، هيئ لنا من أمرنا رشدًا، واجعلنا في أقوالنا وفي أعمالنا على ما تحب وترضى. واسمعوا قول الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له؛ تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، إن أحسن الحديث كتاب الله، فخذوا العلم من كتاب الله، وإن خير الهدي هدي محمد بن عبد الله، فاقتدوا

بالمصطفى ﷺ، وإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى أينما كنتم؛ فبالتقوى رفعتكم، وبالتقوى نجاتكم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

أيها المؤمنون كثيرة الأسئلة التي يطرحها المسلمون حول القضاء والقدر، والذي يجب على المؤمن أن يسلم لقضاء الله ولقدره؛ قال علي رضي الله عنه: (الْقَدَرُ سِرُّ اللهِ فَلَا تُفْشِه)[1]، يعني: لا تحاول كشفه؛ فإنك لن تصل إلى شيء، القدر سر من أسرار الله، ولا يمكن للمرء أن يصل إليه، ولهذا عليه أن يؤمن بما أوجب الله الإيمان به، عليه أن يؤمن بقضاء الله، وبقدره خيره وشره، وألا ينازع القدر بقيل وبقال وبسؤال؛ فإن كثرة السؤال منهي عنه، وإن الوساوس ـ إذا كانت وساوس ـ، فإنها ربما كانت من الشيطان، فليدفعها المؤمن بقوة؛ حتى يبقى له يقينه قويًا ثابتًا، وحتى لا يتردد، ولا يكون في ريب؛ لأن أمر القدر الأسئلة فيه كثيرة، وقد تردد أناس فيه فضلوا؛ لأنه لا يمكن أن يعلموا حقيقة قدر الله وحقيقة قضائه؛ فهذا سر الله ﷻ، والأمر لله من قبل ومن بعد.

ألا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة على نبيه، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) انظر: تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٣)، وفيض القدير (١/ ٣٤٨)، وتحفة الأحوذي (٦/ ٢٧٩).

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم اللَّهُمَّ على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنى وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ـ ما ظهر منها وما بطن ـ عن هذا البلد بخاصة، وعن سائر بلاد المسلمين بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن تصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن تصلح آخرتنا التي إليها معادنا، وأن تجعل الحياة ـ اللَّهُمَّ ـ زيادة لنا في كل خير؛ إنك أنت أكرم مسؤول، وأنت أكرم الأكرمين، وأنت أجود الأجودين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: احرص على ما ينفعك

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، هو البشير النذير؛ بشَّر بالجنة، وأنذر من النار، فصلى الله عليه دائمًا وأبدًا، كلما تعاقب الليل والنهار، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن الصلاة عليه الغافلون، كفاء ما أرشدنا، وكفاء ما بشَّر وأنذر، وكفاء ما هدى وعلم، وصلى الله على آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»**[1]، هذه الجملة من ذاك الحديث العظيم قاعدة من

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**.

القواعد التي يمشي عليها المسلم في حياته، الحرص على ما ينفعه.

«**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»؛ يعني: لتكن حريصًا، لتكن شغوفًا، لتكن مقبلًا على الذي ينفعك في آخرتك، على الذي ينفعك فيما ستؤول إليه حياتك، وما يتبع ذلك من أمر الدنيا؛ ذلك أيها المؤمنون لأن الحرص مركب في النفس البشرية، ركب الله ﷻ العباد وفطرهم على أن يكونوا حريصين، فالحرص موجود في النفس، ولهذا كان من توجيهات الشرع الحكيمة أن يوجه حتى ما هو من شؤون النفس؛ حتى تتوجه نفس العبد ـ قلبًا وقالبًا، صورةً وروحًا ـ، حتى تتوجه إلى الله، حتى تتوجه إلى ما يستقبلها بعد الممات.

إن الحرص مركب في الأنفس، كل امرئ تجد عنده حرصًا، فتجد الناس متنوعين:

- هذا يحرص على المال، هذا يحرص على جمعه من شتى ميادينه، وبشتى أنواع الجمع، وهذا حرص يجده في نفسه مركبًا.

- والثاني تجد أنه يحرص على تتبع شهواته، على تتبع ما فيه ملذاته، على تتبع ما فيه راحته في هذه الدنيا، تارة بحلال، وتارة بأنواع من الحرام.

- وآخر تجد أنه يحرص على تتبع أنواع من الأخبار، إما الأخبار السياسية، وإما الأخبار العلمية النظرية.

- وهكذا في أنواع من الناس، تجدهم يحرصون على أنواع من الثقافات؛ ليغذوا بذلك عقولهم ـ كما يقولون ـ، ولكي يتنوروا، تجد أنهم في حرص في ذلك يسعون إليه، وفي قلوبهم شغف له.

وإذا نظرت إلى الشباب، وجدت أن حرصهم وشغفهم على أنحاء متنوعة، فمنهم من حرصه على مجالس الزملاء وعلى مجالس الأصدقاء،

يقضون فيها ليلًا ونهارًا، يقضون فيها بعض ليل وبعض نهار، في حرص منهم على تلك اللقاءات وتلك الاجتماعات، وهذا لأجل أنه شيء يجدونه في أنفسهم، يترجم بتصرف منهم، تارة لا يكون موزونًا بميزان الشرع، ولا بميزان العقل الصريح.

وهكذا إذا نظرت إلى النساء، وجدت عندهن أنواعًا من الحرص بما ركب الله ﷻ في طبيعة النساء من أنواع الحرص، فهذه تحرص على ملابس، وتلك تحرص على قيل وقال، وتلك تحرص على أولاد، وتلك تحرص على أنواع من الأغذية. . .، وهكذا في أنواع من النساء.

كل يحرص على ما يواكب نفسه، كل يحرص على ما تميل إليه نفسه، وتجد عند تلك الأصناف جميعًا، تجد عندها من تتبع ما تشغف به وما تحرص عليه ما لو نظره الناظر المتجرد، لتعجب من الفعل، هذا الذي يلهث وراء المال ليلًا ونهارًا، تارة في هذا البلد، وتارة في ذلك البلد، إذا تأمل حاله من ينظر إلى الآخرة ومن ينظر إلى أنه ليس لامرئ إلا ما كتب له، تعجب من حاله ومن حرصه.

إذا نظر المرء إلى الذين يحرصون على مجالس اللهو ومجالس القيل والقال، نظر إليهم بتجرد، وجد أن حرصهم يتعجب منه، ولأجل هذا ـ لأجل أن الناس لا بد أن يكون عندهم حرص ـ وجّه المصطفى ﷺ هذه الأمة إلى أن هذا الحرص الذي ركب في الأنفس أنه لا بد أن يوجه التوجه الصحيح، وأن يجعل في المسار الصحيح، يقول ﷺ لهذه الأمة معلمًا ومرشدًا: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»**.

إذا نظرت إلى أولئك الناس ـ على اختلاف أصنافهم ـ، وجدت أنهم إذا حرصوا، فإنهم أبعد ما يكون، إنهم أبعد ما يكون عن الحرص على ما ينفعهم في دارهم الآخرة، فيما يأتيهم بعد الموت، فيما

سيستقبلونه من الحياة الباقية، التي لا تنقضي آمادها، ولا تنقطع آجالها، إنما هي حياة بلا موت، وبقاء بلا انقطاع، إن الحرص على تلك الحياة وعلى منزل المرء في تلك الحياة هو الحرص على ما ينفع، هو الحرص على ما ينفع المرء؛ لأن العاقل ينظر إلى ما ينفعه، هل سينفعه هذا الذي يلهيه في هذه الدنيا؟ لا، إنه لا ينفعه، إنما الذي ينفعه نفعًا حقيقيًا باقيًا إنما هو النفع الأخروي.

وإذا انتفع بشيء في هذه الحياة الدنيا، فهو إما أن يكون سببًا في إعراضه عن الآخرة، فهذا يكون مذمومًا. وإما أن يكون ليس بسبب جالب له الإعراض عن الدار الآخرة، فهذا له حكمه بحسبه.

وهكذا الذين يحرصون على أنواع العلوم والثقافات والأخبار التي تنشر هاهنا وهاهنا، يقرؤون كثيرًا، ويسمعون كثيرًا، إذا تأملت حرصهم هذا كيف سيكون لو وجه إلى الحرص على العلم النافع، إلى الحرص على ما به تصحح قلوبهم، ما به تصحح عقائدهم، ما به يقوى يقينهم بالله ﷷ، ما به تصحح صلواتهم؟ تجد أولئك الحريصين إذا رأيت منهم قصورًا في صلاتهم، قصورًا في معرفتهم بالدين، في معرفتهم بالشرع، سألتهم: لم هذا القصور؟ كيف تستغلون الأوقات الكثيرة في قراءة أخبار، في قراءة ثقافات متنوعة، إما بالعربية أو بغير العربية؟ تسألهم عن ذلك، فسيقولون: إنهم قد عرفوا دينهم.

وإذا ظن المرء أنه عالم، فقد تدرج في سلم الجهل؛ لأن العالم الحق لا يشبع من العلم، الذي يعلم معلومة، فإنه لا يشبع من أخرى، وهكذا الذي يحرص على ما ينفعه، تجد أنه يحرص على ما يكون به قلبه على يقين صحيح بالله، وعلى معرفة حقه بالذي خلق السماوات والأرض، وخلق ما بينهما، وخلق الثرى، تجد الذي عنده عقل صحيح،

تجد الذي عنده عقل صريح، تجد الذي عند بصيرة نافذة يحرص على أن تكون عبادته بعلم نافع.

إذا سألت كثيرين ممن يهتمون بالقراءة: لم لا تقرؤون في العلم؟ لم لا تقرؤون في الأحكام التي فيها تصحيح لأعمالكم الدينية؟ وجدت عندهم أجوبة مختلفة، لكن الجواب الحق أنهم لم يحرصوا على ما ينفعهم.

أيها المؤمنون، إن الشيطان يدخل على كل نفس بما ركب فيها، فيدخل على من يهتم ببعض أمور الحياة الدنيا بذلك البعض، ويجب على المرء أن يكون متذكرًا لقول النبي ﷺ: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»**، وإن أعظم ما ينفعك أن تكون في هذه الحياة الدنيا حريصًا على ما تكتب لك به الحسنات: في قول تقوله، وفي عمل تعمله.

إذا دخلت البيت، احرص على ما ينفعك بما تكسب به الحسنات، إذا خرجت من البيت، احرص على ما ينفعك بما تكسب به الأجر، وتكسب به الحسنات، وتكسب به القرب من الذي يحفظك بحفظه، الذي يكلؤك بالليل والنهار أينما توجهت، تذكر وصية المصطفى ﷺ: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»**.

أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعلنا من الذين يحرصون على ما ينفعهم، يحرصون على ما به إنارة قبورهم، يحرصون على ما به رفعة درجاتهم عند الله، يحرصون على أن يتباعدوا عن ما يقربهم من دار الهوان والجحيم، واسمعوا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا، واستغفر الله العظيم الجليل لي

ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله ﷻ؛ فإن بالتقوى سعادتكم وفوزكم في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة.

واحرصوا - رحمني الله وإياكم - على المحافظة على أداء الصلوات مع جماعة المسلمين في المساجد؛ فإن ذلكم شعار الإيمان، وقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ**»(١)، وهو وإن كان في سنده بعض الكلام، ولكن يشهد له قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٧)، وابن ماجه (٨٠٢)، والدارمي (١٢٥٩)، وأحمد (١٨/ ٢٥١)، وابن خزيمة (٢/ ٣٧٩)، وابن حبان (٥/ ٦)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٨١)، والحاكم (١/ ٣٣٢، ٢/ ٣٦٣)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٧)، والبيهقي في السنن (٣/ ٩٣)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

والعمارة هنا منها ما هو العمارة المعنوية، بأداء الصلوات فيها.

احرصوا - رحمني الله وإياكم - على أن تطيعوا رسول الله ﷺ في جليل أمركم وفي صغيره، قال ﷻ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

احرصوا على أن تجعلوا لأنفسكم المنزل الذي ترضونه في الدار الآخرة، المنزل الذي يحمد في جنة الخلد، وإياكم والتسويف؛ فإن التسويف تقطعت به آمال قوم حتى أوردهم المهالك.

هذا واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن. اللَّهُمَّ، ادفع عنا الفتن، اللَّهُمَّ، ادفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا

هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا، اللَّهُمَّ، أصلحنا جميعًا رجالًا ونساء، وكبارًا وصغارًا، علماء وولاة، يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم واشكروه على نعمه، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: أشراط الساعة

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الذي بيَّن في كتابه مصالح العباد في أعمالهم وفي عقيدتهم، وفيما يصلح دينهم ودنياهم، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف علينا من الدين الغمة، وجاهد في الله حق الجهاد، ونشهد أنه لا خير إلا دلنا عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق تقاته.

عباد الله، إن مما يجب الإيمان به ـ لإخبار الله ﷻ به، ولإخبار النبي ﷺ به ـ الإيمان بأشراط الساعة، فإن ليوم القيامة أشراطًا، والله ﷻ بيَّن في كتابه بعض تلك الأشراط ـ يعني: بعض علامات الساعة ـ، التي تؤذن بأن الساعة قريبة، وأن ميعادها قد قرب، وأن لقاء الله آت، وإن كان أكثر الناس في غفلاتهم سائرين.

إن الإيمان بأشراط الساعة فرض؛ لأن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ

ذِكْرَنهُمْ ﴿١٨﴾ [محمد: ١٨]، فقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾؛ يعني: قد جاءت علاماتها(١)، ومن علاماتها التي قد كانت جاءت في عهد المصطفى ﷺ انشقاق القمر(٢)، وكذلك من علاماتها بعثة النبي ﷺ، فقد قال ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى»(٣)؛ يعني: من شدة القرب بين بعثته ﷺ، وبين قيام الساعة.

والله ﷻ إذ أخبر بذلك، فإن للساعة علامات، منها علامات تكون قرب حصولها، تكون قريبة جدًّا منها، وهي التي يسميها العلماء أشراط الساعة الكبرى، ومنها علامات تتباعد من بعثته ﷺ إلى أن يكون أول أشراط الساعة الكبرى، وهذه يسميها العلماء أشراط الساعة الصغرى.

فأشراط الساعة ـ وهي علاماتها ـ منها صغرى، ومنها كبرى، وقد ثبت في «الصحيح» أن عوف بن مالك ﵁ قال له النبي ﷺ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلا دَخَلَتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**»(٤) إلى آخر ما ذكر ﷺ.

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٧/ ٣٢٩): (والشَّرَطُ بالتحريك العلامة والجمع أَشْراطٌ وأَشْراطُ الساعةِ أَعْلامُها وهو منه وفي التنزيل العزيز ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾). وانظر أيضًا: التعريفات للجرجاني (ص١٦٦)، وتاج العروس (١٩/ ٤٠٥).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٦٣٦، ٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٠)، واللفظ للبخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁؛ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ».

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٣٦، ٥٣٠١، ٦٥٠٤، ٦٥٠٥)، ومسلم (٨٦٧)، واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٧٦).

وهذا من أشراط الساعة الصغرى، فإن بعثته ﷺ مؤذنة بقرب الساعة، وإن تطاول الزمان، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، ثم بعد ذلك فتح بيت المقدس، ثم بعد ذلك أتى المرض العام ـ الطاعون ـ، فأصاب الناس؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ، ثم كذلك استفاض المال في الصحابة فمن بعدهم، حتى حصل ما قاله الرسول ﷺ.

ومن أشراط الساعة الصغرى ما أخبر به النبي ﷺ جبريل عليه السلام في حديث عمر رضي الله عنه المشهور، حيث سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ، فقال له: **«فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟** قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»**[(١)]، وهكذا في أنواع كثيرة من أشراط الساعة الصغرى، التي تتوالى مع الزمان، تحدث شيئًا فشيئًا، تحدث كما أخبر النبي ﷺ، وقد أخبر من ذلك ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى»**[(٢)]، وهي قرية قرب دمشق من الشام، فحصل ذلك في القرن السابع من الهجرة بعد سنة خمسين وستمائة، وعلم العلماء ذلك، وعلمه الناس، فكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ[(٣)].

وكان من أشراط الساعة أن النبي ﷺ أخبر أن منها أن تترك

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٤٨/ ٢١)، والبداية والنهاية (٢/ ٣٩٥).

القلص، فلا يسعى عليها[١]؛ يعني: أن تترك الجمال والرواحل التي اعتادها الناس، فلا يسعون عليها، ولا يتخذونها رواحل، وقد استعجب كثير من العلماء، هل يترك الناس أن يترحلوا على الإبل؟ فقال قائلون منهم: لعل ذلك أن تكون الإبل تكثر، تكثر جدًّا حتى تكون نسبة المركوب منها إلى ما لم يركب كلا شيء، فتكون القلص قد تركت، فلا يسعى عليها.

وقد رأينا في هذا الزمان صدق خبر الرسول ﷺ، إلى أخبار كثيرة فيها أشراط الساعة الصغرى، التي تحدث شيئًا فشيئًا، وإن الإيمان بذلك فرض لازم؛ إذ تصديق النبي ﷺ فرض لازم واجب على كل أحد، ومن كذب في خبره الصادق، فإنه مكذب برسالته ﷺ.

ثم أشراط الساعة الكبرى، وهي الأشراط والعلامات التي تكون تباعًا كعقدٍ كان فيه خرز، فانقطع، فتسلسل ذلك الواحدة تلو الأخرى، فيها عشر، هي عشر بينات، هي عشر أشراط للساعة الكبرى، إذا حصلت الأولى، فانتظر الأخرى، ثم الثانية، ثم الثالثة، إلى العاشرة، حتى تقوم الساعة، قال ﷺ: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»**[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَاللهِ، لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»**.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٠١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: **«مَا تَذَاكَرُونَ؟»** قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ** =

١ ـ وأول ذلك خروج الدجال، والدجال خارج في هذه الأمة، وما من نبي إلا وأنذر أمته المسيح الدجال[(١)]، وإن فتنة المسيح الدجال في الناس هي أعظم فتنة، إن فتنته هي أعظم فتنة أدركتهم، يدعي أنه الرب والإلـٰه، معه جنة ونار، يحي ويميت، ويرزق ويفقر، يعطي ويمنع، معه فتنة عظيمة، معه فتنة يكون الناس فيها منهم المؤمنون ومنهم الكفار، ولا يخرج حتى لا يذكر، وحتى لا يحذر منه، وقد كان كل الأنبياء يحذرون فتنته، ويأمرون أقوامهم بأن يحذروا فتنته، ونبينا ﷺ حذرنا فتنته، فقال: «... **إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**...»[(٢)]؛ يعني: كل أحد حجيج عن نفسه، فلا تغفلوا عن ذلك؛ لأن المسيح الدجال فتنته عظيمة، فتنته جد عظيمة، ومن أدركته الفتنة، وليس بذي علم فيها، فإنه سيكون من الذين يؤمنون بأن هذا الدجال الرب الإلـٰه الذي يعبد ويطاع.

٢ ـ وبعد ذلك في أثناء وجود المسيح الدجال على الأرض ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام؛ لأن عيسى ابن مريم عليه السلام توفاه الله، ولم يمت، توفاه الله بتوفي مدته على الأرض: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وبقي حيًا في السماء، ثم ينزله الله ﷻ إلى الأرض في آخر الزمان

= **بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**».

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠٧)، ومسلم (٢٩٣٣) قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: **إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه.

بعد خروج المسيح الدجال، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]، لما ذكر عيسى ابن مريم ﵇، قال الله ﷻ فيه في سورة (الزخرف): ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، وفي القراءة الأخرى: (وإنه لَعَلَمٌ للساعة)؛ يعني: لدليل، وشرط من أشراطها[١]. وقد أخبر بذلك ﷺ، وقال: «فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»[٢]، قبل أن تفتح دمشق، وقبل أن يكون ثم منارة بيضاء فيها، فينزل عيسى ﵇، فيؤمن به أهل الكتاب، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويأمر بالإسلام[٣]، ويأتم بالإمام من هذه الأمة من المسلمين، ويقول لهم: «إِمَامُكُمْ مِنْكُمْ» حين ينزل، والناس يصلون[٤]، قد قال ﷻ في عيسى ﵇: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩]، ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾؛ يعني: ليؤمنن بعيسى ﵇ قبل موت عيسى ﵇[٥]؛ لأنه لم يمت، فكل أحد من أهل الكتاب يرى نزول

---

(١) روي عن ابن عباس ﵄، وقتادة، والضحاك، وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٠٤، ٢٠٥)، وابن كثير (٤/ ١٦٧)، والبغوي (٧/ ٢١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) ضمن حديث طويل.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (٢٤١) (١٥٥) عن أبي هُرَيْرَةَ ﵁، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (٢٤٢) (١٥٥) عن أبي هُرَيْرَةَ ﵁، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟**». وأخرجه مسلم (٢٤٧) (١٥٦) جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﵄، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**».

(٥) انظر: تفسير الطبري (٦/ ١٨)، وتفسير البغوي (٢/ ٣٠٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٦٧)، وأضواء البيان للشنقيطي (٧/ ١٢٩)، والدر المنثور (٢/ ٧٣٥).

عيسى عليه السلام سيؤمن به؛ لأنه سيعلم أنه هو عيسى عليه السلام رسول الله، وسيبطل التثليث، وسيبطل الإشراك به، ويأمر عيسى عليه السلام بالإسلام، وينتشر الإسلام في الأرض، يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند باب لد من أرض فلسطين[1]، ويتبع الدجال قوم كثيرون من اليهود[2]، ثم يعيش عيسى عليه السلام في الناس زمنًا تفيض فيه الخيرات، ويكون فيه المال، ويكون فيه السعة في الأرزاق، حتى يكون من ذلك شيء عجيب عجيب؛ كما أخبر بذلك تفصيلًا النبي ﷺ[3].

٣ ـ ثم يكون خروج يأجوج ومأجوج، وهم من الناس، بشر من البشر؛ كما قال ﷻ في يأجوج ومأجوج: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧]، إلى آخر الآيات، فيخرج يأجوج ومأجوج، ومعهم بلاء عظيم عظيم في الناس، لا يمرون على ماء إلا شربوه، ولا على مأكل إلا أكلوه، فيدعو عليهم عيسى عليه السلام، فيقتلهم الله ﷻ، حتى تنتن الأرض بريحهم، فيبعث الله ريحًا، فتحمل أجسادهم، فتلقيها في البحر[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وفيه: «... إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٤) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) ضمن حديث طويل.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وهو حديث طويل فيه أشراط القيامة الكبرى ومنها خروج يأجوج ومأجوج ومرورهم ببحيرة طبرية وشربهم ماءها.

٤ ـ ثم بعد ذلك ـ وهو الرابع ـ يحدث خسف بالمشرق، خسف عظيم، لم يسبق له مثال.

٥ ـ ثم يحدث ـ وهو الأمر الخامس ـ خسف بالمغرب، لم يحدث له فيما سبق مثال.

٦ ـ ثم يحدث خسف بجزيرة العرب لم يسبق أن حدث مثله، وهذا من أمر الله العجيب، فهذه من أشراط الساعة الكبرى[(١)]، هذه تلي هذه.

٧ ـ ثم يكون ما يكون من خروج الدخان[(٢)].

٨ ـ ومن طلوع الشمس من مغربها[(٣)].

٩ ـ ومن خروج الدابة على الناس ضحى، تسم الناس.

فإذا خرجت الشمس من مغربها، لم يقبل من الناس توبة؛ كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، الذي لم يكن مؤمنًا لا ينفعه إيمانه بعد أن رأى طلوع الشمس من مغربها، تنقطع التوبة، ويبقى المؤمن ينتظر الريح التي تميت المؤمنين، ويبقى الناس كفارًا، لا يقال فيهم: الله الله؛ كما أخبر بذلك ﷺ؛ يعني: لا يقول أحد لأحد: اتق الله. كما جاء في الصحيح: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ اللهُ اللهُ**»[(٤)]؛ ليبقى الناس في ذلك يتهارجون كما تتهارج الحمر[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٥٨).

(٣) سبق تخريجه (ص٥٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وفيه: «.. **وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**».

١٠ ـ ثم يبعث الله النار تبدأ في جنوب الجزيرة من قعر عدن، ثم تنتشر في الأرض، تحشر الناس إلى أرض محشرهم يجتمعون، تبيت معهم يخافون منها، وهم يقبلون على أرض المحشر، يخافون ويهابون منها، وهي تبيت معهم إذا باتوا، وتسير معهم إذا ساروا، تكتنفهم من جوانبهم، والناس يتقدمون إلى محشرهم(١).

ثم يأذن الله، ويأمر إسرافيل عليه السلام بأن ينفخ في الصور نفخة الفزع، أو نفخة الصعق، فيصعق الناس، ويعود من كان على الأرض حيًّا يعود ميتًا؛ كما قال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

بعد هذه النفخة يبقى الناس موتى، فيغير الله الأرض، فإذا الأرض ليست هي الأرض، ويغير السماوات، فإذا السماوات ليست هي السماوات: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١]، وتتغير السماء: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: ١]، وتتغير الأرض: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ [الانشقاق: ٣]، فيستوي من دفن بين الجبال، كمن دفن في السهل، تبقى الأرض متغيرة، فالله عز وجل يغير معالم الأرض، ويغير معالم السماء، وإنه لأمر عجيب، فيبقى الناس موتى تحت الأرض، «**وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ من الْإِنْسَانِ إلا عَجْبَ ذَنَبِهِ فيه يُرَكَّبُ الْخَلْقُ**»(٢)، وهو آخر فقرة من فقار الظهر، يكون كالبذرة لهم، فيأمر الله السماء، فتنشئ سحابًا ثقالًا، فيحمل ماء كمني الرجال، فإذا حملت الماء أمر الله السماء، فتمطر على الأرض ذلك الماء، فينبت منه الأجساد، تنبت منه الأجساد بعد أن أمطرت على الأرض أربعين، أربعين لا ندري هل هي أربعون شهرًا؟ أم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠١).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

أربعون سنة؟ أم أربعون أسبوعًا؟ تمطر أربعين، فتنبت الأجساد مثل النبات كأجمل الريحان، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في جميل ما قال في وصف ما يحصل إذ ذاك[(١)]:

وإِذَا أَرَادَ اللَّـهُ إِخـرَاجَ الـوَرَى ... بَعدَ المَمَاتِ إِلى المَعَادِ الثَّانِي
أَلقَى عَلَى الأرضِ التي هُم تحتها ... واللَّـهُ مُـقـتَـدِرٌ وذُو سُـلـطَـانِ
مَطَرًا غَليظًا أبيضًا مُتَتَابِعًا ... عَشرًا وَعَشرًا بَعدَهَا عَشرَانِ
فَتَظَلُّ تَنبُتُ منهُ أجسَامُ الوَرَى ... وَلُحُومُهُم كَمَنَابِتِ الرَّيحَانِ
حَتَّـى إِذَا مـا الأُمُّ حَانَ وِلَادُهَـا ... وتـمـخَّـضَـت فَنِفَاسُهَا مُتَدَانِ
أوحَى لَهَا ربُّ السَّما فتَشقَّقَت ... فَبَدَا الجَنِينُ كَأكمَلِ الشُّبَّانِ

ثم يأمر الله عَزَّوَجَلَّ إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فينفخ في الصور نفخة ـ نفخة البعث ـ، فتعود الأرواح إلى الأجساد، فتهتز الأجساد، فيقول الكفار والمؤمنون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢]، ثم يجيب المؤمنون وغيرهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، فيساق الناس المؤمنون إلى الجنة، والكافرون إلى النار، وقبل ذلك أمور عظام من أمور المحشر.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يؤمننا يوم الفزع، وأن يجعلنا من المتفقهين في كتابه وفي سُنَّة رسوله، وأن يجعل قلوبنا مطمئنة بالإيمان، وأن يربط على قلوبنا، نعوذ به من الريب والشك، نعوذ به من الريب والشك، ونسأله أن نكون مطمئنين بالإيمان، مصدقين بما أخبر، مصدقين بما أخبر به رسوله ﷺ، وأسأل الله لي ولكم ولكل المسلمين، نسأله النجاة يوم الفزع، نسأله النجاة يوم الخوف، نسأله أن يخفف علينا الحساب، وأن يعفو عنا، وأن يجعلنا من الذين يتوفاهم وهو راضٍ عنهم؛ إنه ولي

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ١٠٧).

الغفران، ونحن أصحاب المعصية، والله ولي الغفران، اللَّهُمَّ فاغفر جمًا، اللَّهُمَّ فاغفر جمًا، اللَّهُمَّ فاغفر جمًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق تقاته، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى فخاركم، إن بالتقوى جاهكم عند ربكم، إن بالتقوى رفعتكم عند الله، فاتقوا الله حق تقاته،

وعظموا الله في السر والعلن، واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، ذلك اليوم العصيب اتقوه، واتقوا الله الذي خلقكم، واتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الله الذي عنده الجنة والنار.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمركم بالصلاة على نبيه، فقال ﷻ، قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك، وأنت القوي العزيز، وأنت ناصر عبادك المتقين، نسألك أن تنصر المؤمنين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم من اليهود والنصارى والمشركين والملحدين وسائر أصناف المرتدين، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تثبتهم، وأن تربط على قلوبهم، وأن تكون وليًّا لهم.

اللَّهُمَّ، أقم بهم دينك وتوحيدك.

اللَّهُمَّ، اهدهم إلى الرشاد، وأعزهم. اللَّهُمَّ، أعزهم.

اللَّهُمَّ، أعز المجاهدين، وانصرهم، واجعل في إعزازهم وفي نصرهم عزًّا للإسلام وللتوحيد وأهله، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تؤمننا في أوطاننا، وأن تصلح أئمتنا وولاة أمورنا.

اللَّهُمَّ، أصلح أئمتنا، وأصلح ولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل الكفر والبغي والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تمن عليهم بالمستشار الصالح الذي يدلهم على الخير، ويهديهم إليه، ويبغض إليهم الشر والمنكر، وأنت أرحم الراحمين، وأجود الأجودين.

اللَّهُمَّ، يسر لهم من يقول لهم كلمة الحق، اللَّهُمَّ، يسر لهم من يشير عليهم بالحق والهدى.

اللَّهُمَّ، وباعد بينهم وبين المنافقين والمضلين، وأنت أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تؤمننا يوم تفزع الخلائق، اللَّهُمَّ، آمنا يوم تفزع الخلائق، اللَّهُمَّ، آمنا يوم البعث والنشور.

اللَّهُمَّ، نسألك صلاحًا في قلوبنا قبل الممات.

اللَّهُمَّ، أنت ولي السائلين، أنت المجيب للدعوات، نسألك أن تربط على قلوبنا، اللَّهُمَّ، اربط على قلوبنا، ومُنّ علينا بتوبة نصوح قبل الممات، ربنا، لا تدخلنا القبور إلا وقد رضيت عنا، وقد وفقتنا لتوبة نصوح، وأنت أرحم الراحمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: إصلاح المجتمع مسؤولية الجميع

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الذي جعل هذه الأمة عزيزة بإيمانها، قوية بإسلامها، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس، ندعو إلى الخير، ونأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعين على الحق، ونبطل الباطل.

الحمد لله الذي جعلنا كما يحب ربنا ويرضى، والحمد له أن شرفنا بذلك، والحمد له أولًا وآخرًا أن هدانا إلى الإسلام، وجعلنا من أتباع محمد ﷺ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد بأنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد كفاء ما أرشد وعلم وجاهد، وكفاء ما تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعده ﷺ عنها إلا هالك.

اللَّهُمَّ، صل، وسلم على عبدك ورسولك محمد ما تتابع الليل والنهار، وما جاهد المسلمون الكفار، اللَّهُمَّ، صل على محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واعبدوه وحده،

ولا تشركوا به شيئًا، واقرؤوا سُنَّته، واقرؤوا حديثه ﷺ، أقيموا سُنَّة نبيكم، واقرؤوا حديثه، واجتهدوا ما استطعتم في أن تمتثلوا ذلك؛ فإن في ذلكم الخير العظيم المؤكد لكم في الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٧].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

ويقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

ويقول ﷻ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: ٣٨]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في محكم التنزيل، التي يبين الله ﷻ بها أن من أخذ بآياته ـ وهي آياته المتلوة كتاب الله ﷻ وسُنَّة نبيه ﷺ ـ، فإن الله ﷻ وعده بالعيشة الهنيئة المستمرة في هذه الدنيا، وبالسعادة التامة في الآخرة.

فإن العبد إذا كان من المؤمنين المتقين، وأتته الآيات، فاستجاب لذلك، ولم يصد عنها، بل أخذها بقوة وحزم على نفسه بالامتثال لها، فإنه بذلك يكون من الذين وعدهم الله ﷻ بما وعد به أولياءه الصالحين.

وأما إذا آتاه الله ﷻ الآيات، فسمعها، وسمع بلاغ النبي ﷺ، ثم لم يرفع بذلك رأسًا، وآثر شهوته، وأخلد إلى الأرض، واتبع هواه، فإنه متوعد بسلب النعم عليه، وبأن يكون قلبه قاسيًا لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، ثم بعد ذلك يبدل في أرضه بعد الأمن خوفًا، وبعد النعمة ضيقًا وضنكًا، ويبدل بعد الصحة مرضًا، ويبدل بعد الاطمئنان سوءًا في نفسه وفي من حوله، ولهذا حثنا الله ﷻ، حث الأمة بأكملها، حث أفرادها، حث جماعاتها، حث حكامها، حث المحكومين على أن يكونوا من أهل الإيمان والتقوى، وإذا كانوا كذلك، فإنه تحل لهم مشاكلهم، وإنهم إذا كانوا كذلك، فإن الله يفتح لهم أبواب الخيرات؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، لو كانوا مؤمنين حقًا، لكانوا من أهل تلك الصفة، فإذا كان الإيمان متبعضًا، وكانت التقوى متبعضة، نتج من ذلك أن من كان على شيء من الإيمان، فإنه يؤتى من البركات من السماء، ومن بركات الأرض بقدر ما امتثل من الإيمان في حالة العامة منا، غير حالتي الابتلاء والعقوبة.

أيها المؤمن، لا شك أن الإيمان يزيد وينقص، لا شك أن الإيمان في الأفراد يتبعض؛ فمن الناس من إيمانه عظيم، ومن الناس من إيمانه متوثق، ومن الناس من إيمانه ضعيف، وكذلك التقوى؛ فإن من الناس من هو متق لله ﷻ، معظم لله، مراقب لله، ومنهم من هو متوسط في ذلك، تغلبه نفسه وشيطانه، وتارة يرجع إلى ربه منيبًا إليه تائبًا إليه، ومنهم من تقواه ضعيفة، غلبة الشيطان له أكثر من يقظته، وهكذا حال الأقوام وحال المجتمعات على ذلك النحو، والله ﷻ وعد من كمل الإيمان بأن يبدله من بعد خوفه أمنًا، قال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

أيها المؤمن، إن ذلك الاستخلاف من أساسياته أن يكون المسلمون مؤمنين في بلادهم، ولهذا قال النبي ﷺ مبينًا خير الإيمان: **«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ»**[1]؛ يعني: المرأة في هودجها تسير من كذا إلى مكة، لا تخشى إلا الله من شدة الأمن الذي كان من أسبابه إتمام الإيمان، وإتمام التقوى، تأمل قول الله ﷻ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: ٣٨]، إنهم قد زين لهم الشيطان أعمالهم، فصدهم عن سبيل الله: عن الصراط المستقيم، عن الحق.

﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ كانوا أهل بصيرة، لم يكونوا أهل جهل وأهل عدم علم بالحق، بل كانوا مستبصرين.

قد تبين لهم ما جاءت به الرسل، وقد تبين لهم ما في كتب الله، ولكن آثروا طاعة الشيطان على طاعة الله، فزين لهم الشيطان أعمالهم، فصدهم عن السبيل، وكانوا مستبصرين.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣٠/ ١٩٧)، وأبو داود (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٨٧)، وقد أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٩٥) من طريق سعد الطائي، عن محل بن خليفة، عن عدي بن حاتم ﷺ مرفوعًا بلفظ: «قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: **يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟** قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: **فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ**. - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلَادَ -».

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٨ - ٥١٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٤٣)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٣٥)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٦٣).

وتأمل قول الله ﷻ في الذي آتاه الله ﷻ آياه، فانسلخ منها، قال بعد ذلك ربنا: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، إنه ليس مثلًا لواحد من الناس، بل هو مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، وينتج من ذلك أنه مثل أيضًا لتبعض صفات أولئك، مثل لمن كان فيه خصلة من ذلك، فإن الله ﷻ يرضى عن العباد إذا أخذوا بشرعه كاملًا، ويرضى عنهم إذا جاهدوا أنفسهم بذلك؛ لهذا جعلهم خير أمة أخرجت للناس بقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إن الله ﷻ من سُنَّته في الأمم أنهم إذا أطاعوه، بارك لهم في أنفسهم، بارك لهم في أولادهم، وفي الأثر الإلـٰهي: «**إِنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ فِي بَعْضِ مَا يَعْتِبُ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنِّي إِذَا أُطِعْتُ رَضِيتُ، وَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَايَةٌ، وَإِذَا عُصِيْتُ غَضِبْتُ، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَبْلُغُ مِنِّي الْوَلَدَ السَّابِعَ**»(١).

أيها المؤمنون، إن علينا أن ننظر إلى واقع المسلمين اليوم ـ وواقعنا بخاصة، وواقع المسلمين بعامة ـ، وننظر بعين المتأكد غير الشاك أن ما أصاب الناس من خلل في أنفسهم، من خلل في أمنهم، من خلل في أموالهم، من خلل في اقتصادهم، من خلل في أحوالهم، إنما هو بسبب إعراضهم عن بعض ما أنزل الله ﷻ إن لم يكن ذلك من الابتلاء الذي ابتلى الله به عباده، ولكن الله بيَّن لنا في كتابه أنه يعطي المؤمنين الذين

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤١)، وأحمد في الزهد (ص٤٧).

آمنوا وعملوا الصالحات الاستخلاف في الأرض، ويبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، وإن أعلى ما تكون به طاعة الله في المجتمعات أن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذه سمة أهل الإيمان؛ لأنه قال: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ﴾ [النور: ٥٥]. فسمة المجتمع المسلم الذي وعده الله بإحلال الخيرات عليه وبدفع النقم عنه أنه يعبد الله وحده لا شريك له، يعبده ولا يشرك به، يعبده ويأمر بعبادته، ويأمر بذلك، وينهى عن ضده من الشرك بالله، فما في بعض المجتمعات من الشرك بالله، ومن منابذة أهل التوحيد، ومن السماح بالشرك بالله، إن ذلك من أسباب حصول الويلات، ومن أسباب حصول التفرق والاختلاف، ومن أسباب حلول الخوف: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ﴾.

إن من أسباب حلول الخيرات أن يسعى الناس في الامتثال للكتاب والسُّنَّة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦].

أيها المؤمن، إن صلاح المجتمعات نعم يكون بصلاح الدول، ويكون بامتثال الدول لأمر الله ﷻ، لكن كما تكونوا يول عليكم، فإن بناء المجتمعات يكون من بناء خلاياها، وإن خلايا المجتمع إنما هي الأسر، إنما هي البيوت، فلو أصلح الناس بيوتهم - كل في شأنه -، لو أصلحنا بيوتنا، وسعينا بالنصيحة الشرعية الموافقة للكتاب والسُّنَّة فيما بيننا شيئًا فشيئًا، لعم الخير، ولقل الشر، وليس وعد الله ﷻ فيما ذكرنا في الآيات يكون لمجتمع ليس فيه مخالفة وليس فيه معصية، وإنما هو لمجتمع الخير فيه غالب؛ لأن الله ﷻ وصف الإنسان بأنه ظلوم جهول،

فلا بد أن تبقى هذه الصفة، ولا بد أن يبقى العصيان؛ ليغفر الله ﷻ للمستغفرين، ولكي يتوب الله على التائبين، وتظهر آثار اسمي الله (الغفور، والرحيم) في عباده، لكن وعد الله يكون للمجتمع الذي خيره غالب على شره، وصلاح ذلك نبدؤه نحن، وإن من سمة بعض الناس أن يلقي باللائمة على من تولى الأمر، على الدول والحكومات، وينسى أن أولئك لم يجبروا الناس على شر، وإنما الناس الذين أقبلوا على الشر فيما رُغبوا به فيه، نعم اللوم على الطائفتين، ولكن الإجبار لم يحصل، وصلاح البيوت ممكن.

وجهاد الشيطان وعد الله أهله بالخير العظيم، فإذا أخطأ غيرنا، فهل يسوغ شرعًا أو عقلًا أن يلقى باللائمة على ذلك الغير، وننسى أخطاءنا؟ إننا نرى أن في البيوت من الأخطاء ما نعلمه من تفريط في الواجبات. المساجد إذا رأيتها، رأيت المصلين فيها من أبناء البلد قليل، وأكثرهم من غيرهم، إذا نظرت إلى أحوال الناس في امتثال أمر الله، وجدت الغفلة سيطرت على القلوب، وتحكمت إلا فيما شاء الله، حتى يرى المرء نفسه إذا أذنب، كأنه لم يذنب، وإذا فرط في واجب، كأنه لم يفرط في واجب، والله مطلع على العباد، والعبد إذا فعل غير الخير، فعل الشر، ولم يحس بفعله للشر، وبفعله لغير ما يرضي الله، فإنه متوعد، متوعد بأن يسلب عنه ما أعطى إياه من الخيرات: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]، فإن الناس في أسرهم وفي قبائلهم وفي مجتمعاتهم إذا أصلحوا شيئًا فشيئًا، فإن الخير يعم، ونري الله ﷻ من أنفسنا خيرًا في الصلاح والإصلاح، نصلح فيما بيننا، ونصلح فيما قد يظهر من الأخطاء في مجتمعاتنا بالطرق الشرعية المرعية، أما الرضى بغير ما يرضي الله، فإن ذلك سبب لسلب الخيرات.

والله عَجَّلَ ضرب لنا مثلًا، ضرب لنا مثلًا عظيمًا في الذي أوتي الآيات، فانسلخ منها، وجعله مثلًا للقوم لا للأفراد، ثم قال: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦، ١٧٧].

إن علينا أن نشعر - **أيها المؤمنون** - بمهمة الصلاح والإصلاح، وما من أسرة إلا وفيهم قدوة يقتدى به، فإذا كانت القدوة غير صالحة، أو كانت القدوة قدوة في غير تمام الخير، أو في غير الخير من الشر، فأنى يرام الإصلاح؟! كذلك الأسر بعضها يقتدي ببعض.

ولحفظ النعمة التي بأيدينا ينبغي أن نتوجه إلى الله، نتضرع إليه أولًا في حفظها وفي ثباتها، ثم أن نسعى جاهدين في طاعة الله، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.

إن من أعظم أسباب الفرقة والاختلاف التي ينتج عنها دخول المبادئ الهدامة ودخول الشهوات ودخول الشبهات تفريط بعض الناس، بل تفريط الناس فيما أنزل الله عَجَّلَ، وهم يعلمون ذلك، قال عَجَّلَ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة: ١٤]، نسوا حظًا مما ذكروا به، فعاقبهم الله بماذا؟ عاقبهم الله بما وصف في قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤]؛ لأنهم فرطوا، ولم يأخذوا بكتابهم، ولم يطيعوا رسولهم، وتتابعت عليهم الأزمنة دون صلاح وإصلاح، ودون توبة وإنابة، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وجعل لهم بعد الأمن خوفًا، وتفرقوا في البلاد شذر مذر، نسأل الله العفو والعافية.

أيها المؤمنون، إن من الناس من يحلو له أن يلقي باللائمة دائمًا

ـ في أخطاء الناس، وفيما يحصل من الشر في المجتمعات الإسلامية ـ يلقي باللائمة دائمًا على الحكومات والدول وعلى من ولي الأمور، وهذا ليس بصحيح مطلقًا؛ فإن عليهم من اللوم ما عليهم، وإن عليهم من الواجب ما عليهم، وقد فرطوا وعصوا في كثير، ولكن الناس هم الذين قبلوا ذلك، وأقبلوا عليه.

فالإصلاح عند المصلحين يكون بالتوجه في إصلاح الناس بالدعوة؛ حتى يرفضوا الشر، ويقبلوا الخير، ثم يتوجهوا إلى من بيده الأمر في نصيحة شرعية صحيحة، يقتفى فيها أثر السلف الصالح في ذلك؛ لأنه لن يصلح الله آخر هذه الأمة إلا بالذي أصلح الله به أولها.

أسأل الله الكريم أن يجعلنا من المنيبين حقًّا، ومن الصادقين مع ربهم ﷻ، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإعراضنا، وأن يعفو عن من يذنب منا. اللَّهُمَّ، اغفر للمذنبين منا. اللَّهُمَّ، اغفر لنا جميعًا؛ فإنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك، إنك أنت الغفور الرحيم. واسمعوا قول الله ﷻ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف علينا من الدين الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، ونشهد أنه لا خير إلا ما دلنا عليه، ولا شر لنا إلا ما حذرنا منه، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق تقاته، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله، فإن بالتقوى، إن بتعظيم الله، وبخوف مقام الله، إن بذلك السعادة في الدنيا والأخرى، فاتقوا الله حق التقوى، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، هذا واعلموا أن من أسباب حفظ الله للنعم، ومن أسباب حفظ الله للأمن، ومن أسباب إغداق الأرزاق والأموال على الناس ـ كما وعد الله ﷻ ـ، من أسباب ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]، فالأمر والنهي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن فرطت به أمة، إن فرطت به دولة، إن فرط به مجتمع، إن فرط به الناس، فإن الله ﷻ يلعن بعض هؤلاء، ويضرب قلوب بعضهم ببعض؛ كما فعل ببني إسرائيل، فقد قال ﷺ: «**وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي**

إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[(١)].

فاتقوا الله، واتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على هذه الأمة على الكفاية؛ فلا بد أن نقوم به كما يجب لله ﷻ، ويجب على من ولّاه الله ﷻ الأمر حماية الأمر والنهي؛ لأنه من خصائص الممكنين في الأرض: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١]؛ يعني: أمروا بإقامتها، ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١]: أمروا بأدائها، وجبايتها من الأموال الظاهرة، ﴿وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١]: أمروا به، وساعدوا على الأمر به، ونهوا عن المنكر، وساعدوا على النهي عنه.

وأعلى المعروف التوحيد، وأعلى وأشنع المنكر الشرك، ثم يلي ذلك المعاصي، ثم يلي المعروف ـ الذي أعلاه التوحيد ـ الطاعات، فواجب علينا السعي في ذلك.

وإن المؤمن الحصين، إن المؤمن الخائف ليخشى أن يسلب الله ﷻ نعمه على من أنعم عليه بالنعم.

وإننا إذا رأينا ما في الأمة الإسلامية بعامة من التخبطات، ومن الضيق والضنك، ومن الأحوال الاقتصادية المريرة، ومن ضعف الأحوال، ومن...، ومن....، فإن المسلم، وإن العاقل يرجع ذلك

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

إلى أسبابه الشرعية؛ لأن القرآن فيه خبر من قبلنا، وفيه نبأ من بعدنا، فيه الدواء، وفيه الداء، بيَّن الله ذلك كله، وإذا أخذنا به، أفلحنا، وإذا تركناه، خسرنا وخسرنا. نعوذ بالله من حال الهالكين!

اعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين الذين يجاهدون في سبيلك لرفع راية التوحيد ولإحقاق الكتاب والسُّنَّة، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، اصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفقهم ـ يا رب ـ إلى الخيرات، اللَّهُمَّ، وفقهم إلى الخير، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل الكفر والبغي والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تمن عليهم بالمستشار الصالح، الذي يدلهم، ويهديهم، ويبغض إليهم الشر والمنكرات، وأنت أرحم الراحمين، وأنت أجود الأجودين.

اللَّهُمَّ، يسر لهم من يقول لهم كلمة الحق، اللَّهُمَّ، يسر لهم من يشير عليهم بالحق والهدى، اللَّهُمَّ، وباعد بينهم وبين المنافقين والمضلين، وأنت أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تؤمننا يوم تفزع الخلائق، اللَّهُمَّ، أمنا يوم تفزع الخلائق، اللَّهُمَّ، أمنا يوم البعث والنشور.

نسألك اللَّهُمَّ صلاحًا في قلوبنا قبل الممات.

اللَّهُمَّ، أنت ولي السائلين، أنت المجيب للدعوات، نسألك أن تربط على قلوبنا، اللَّهُمَّ، اربط على قلوبنا، ومنَّ علينا بتوبة نصوح قبل الممات، ربنا، لا تدخلنا القبور إلا وقد رضيت عنا، وقد وفقتنا لتوبة نصوح، وأنت أرحم الراحمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الاستجابة لله وللرسول

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي دعا عباده إلى دار السلام، وهدى من شاء إلى صراط مستقيم، الحمد لله الذي أثنى عليه ما في ملكوته كله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، الحمد لله الذي ما من شيء إلا وهو موحد له، الذي ما من شيء إلا وهو قائم ساجد له، الذي ما من شيء إلا وهو قانت له، إلا بعض الناس، الحمد لله الذي بنعمته هدى، وبنعمته أرشد، وبرحمته أنعم، والحمد لله الذي له المحامد كلها، هو أهل الحمد وأهل التسبيح، وأهل التقوى وأهل المغفرة، سبح له كل شيء، وخضع له كل شيء، وتوجه إليه بالعبادة كل شيء، لا شيء إلا وهو مقر بعظمته، خاضع لجبروته، سائر على مراده، وأمره وتصرفه، لا شيء إلا وهو مقر له بالوحدانية، منيب إليه طائع، حاشا الكفار من الناس.

فالحمد لله الذي حمده الأولون، وحمده الآخرون، ويحمده المصطفى ﷺ يوم جمع الأولين والآخرين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، قال الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

الله ﷻ ينادي عباده المؤمنين بهذا الاسم المحبوب لديهم، المحبوب له، وهو اسم الإيمان؛ إذ بالإيمان شرف ابن آدم، إذ بالإيمان شرف أهل الإيمان، إذ بالإيمان بالله ارتفعت درجات أهل الإيمان بالله، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: (**إِذَا سَمِعْتَ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤]، **فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ**)(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]: يأمركم ربكم ﷻ، يأمر الله أهل الإيمان أن يستجيبوا لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا، وكل أمر من أوامر الله، وكل أمر من أوامر المصطفى ﷺ حقيقته أنه دعوة إلى ما يحيينا الحياة السعيدة الحقة في هذه الدنيا، وإلى ما يحيينا الحياة السعيدة في الدار الباقية، التي لا فناء فيها، ولا زوال منها، ولا انتقال منها إلى مكان آخر.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ دعا الله ﷻ في كتابه، ودعا الرسول ﷺ في سُنَّته، دعا الذين آمنوا، ودعا الناس جميعًا

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/٤٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٩٦)، والزهد لأبي دواد (ص١٦٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٠)، والزهد لأحمد (ص١٣٠).

إلى أشياء كثيرة، ومن أعظمها الدعوة إلى تقوى الله ﷻ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، دعا الله إلى التقوى، ودعا إليها نبينا ﷺ، فقال: «**اِتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ**»(١).

وتقوى الله ـ **أيها المؤمن** ـ هي: أن تعمل بهذا التنزيل، وأن تخاف من الله ﷻ الجليل، وأن تستعد ليوم الرحيل(٢)، ويوم لقاء الله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء: ٨٨]، لا ينفعك إلا إن كنت ممن استجاب لله ﷻ وللرسول، فهذه أول دعوة، وبها الحياة وكل الحياة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، إذا اتقيت الله، فإنك على خير، وعلى عظيم أمر في هذه الدنيا، وسوف ترى ما يسرك في آخرتك.

والتقوى هي: أن تعظم الله في سرك وفي علنك، في اجتماعك بالخلق، وفي خلوتك بنفسك. من الناس من يظهر التقوى أمام الناس، ولكن الله أعلم بحاله عند خلوته.

من الناس من يكون متقيًا فيما يظهره لمن حوله، ولكن قلبه منطو على حب الدنيا، وعلى بغض الآخرة، على حب الجاه، على حب

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) عن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنادةَ، وأبي عبدِ الرحمٰنِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**اِتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**».

(٢) انظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٤٢١).

السمعة، على حب الظهور بين الخلق، ولكن رغبته في الآخرة قليلة، أو قلبه منصرف عن الآخرة، مقبل إلى الدنيا.

إن من التقوى أن تعظم أمر الله في كل أحوالك، وهذه وصية لو اتبعناها، لكانت دعوة حقة إلى ما يحيينا في الآخرة وفي هذه الدنيا الحياة الطيبة الهنيئة؛ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

أيها المؤمن، دعاك الله ﷻ في كتابه إلى جنة الخلد: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، دعاك إلى دار السلام بما أمر ونهى، دعاك إلى دار السلام، التي هي دار الحبور، ودار السرور، ودار الغبطة، ودار النعيم، الدار التي لا نصب فيها، ولا وجع، ولا مرض، ليس فيها إلا الأنس، ليس فيها إلا النعيم. دعا الله إليها، وبيَّن أسباب دخول الجنة، وهي الحياة لمن أراد الحياة. استجب لله فيما دعاك إليه؛ فإنه ﷻ أرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومن رحمته لك أن دعاك إلى جنته، إلى دار السلام، والله يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أيها المؤمن، استجب لله ﷻ وللرسول ﷺ فيما دعاك إليه من اتباع المصطفى ﷺ؛ فإن اتباع السُّنَّة قد دعا الله إليه في كتابه، وبها الحياة، بها الحياة، الحياة التي هي أعظم الحياة، وأسعدها في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، هذه دعوة الله إلى اتباع رسوله، ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، والآيات في طاعة الله وفي طاعة رسوله كثيرة.

وبها الحياة ـ الحياة الحقة ـ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، فهي دعوة لما يحيينا، ويقتضي ذلك أن من لم يستجب لله

وللرسول، فهو قد ترك ما به حياته، وقد أقبل على ما به هلاكه، وهذه حقيقة؛ فإن الغفلة عن الله ورسوله، وإن الغفلة عن الآخرة والإقبال على الدنيا فيها الهلاك، فالدنيا حلوة خضرة، وإن الله ﷻ يحب من عباده من يكون ناظرًا إلى الآخرة، ولكن لا ينسى نصيبه من الدنيا.

أيها المؤمن، دعاك الله ﷻ، ودعاك رسوله ﷺ إلى الاعتصام بحبل الله جميعًا، وقال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام بحبل الله أن تعتصم بالقرآن، أن تعتصم بالإسلام، أن تعتصم بالجماعة، أن تعتصم بالسُّنَّة، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، وفي هذه الدعوة ما يحيي المؤمنين.

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، فإن الاعتصام بحبل الله والبعد عن التفرق إنه دعوة لما يحيينا؛ لأن الفتن إذا وقعت بالتفرق عن كتاب الله، وبتفريق جماعة المسلمين، لم يعرف العابد كيف يتعبد، ولم يعرف العالم كيف يخلص، ويخلص الأمة من الإشكال. فإن الفتن إذا وقعت، معها العذاب، فقد قال نبينا ﷺ: «**الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»(١)، صح ذلك عنه ﷺ، فهي دعوة من الله ومن رسوله ﷺ لما به حياتنا.

ومن الناس من يظن أن الحياة وأن السعادة تكون بالآراء، وبالإفهام، وبالاقتراحات، وبتغير الأحوال، وهذا مخالف لما أمر الله به. وما خالف ما أمر الله به، فإنه دعوة لغير الحياة؛ ولهذا لما قال الله ﷻ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، قال بعدها: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٩٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٣)، وذكره الديلمي في الفردوس (٣/ ٦٢٨)، وابن عبد البر في الاستذكار (٨/ ٥٧٨).

إن الحق قد بان، إن أمر الله واضح، إن أمر رسوله ﷺ ظاهر، ولكن الشأن فيمن حال الله بينه وبين قلبه، فإنه لسوء صنيعه، ولسوء اعتقاده، ولسوء عدم متابعته لنبينا ﷺ، حال الله بينه وبين قلبه جزاءً وفاقًا. وأعظم أعظم العقوبات أن يكون القلب لا يعرف السُّنَّة، ولا يعرف الخير، يرى الشيء، فيتبعه، ويرى الشيء الآخر، فلا يعجبه، فينتهي عنه، دون نظر في ما أحل الله وفي ما حرم الله، وهذه قضية عظيمة ومسألة مهمة، وهو أن من ترك الاستجابة لله وللرسول، فإنه يُخشى عليه أن يعاقب، بأن يعاقب في قلبه، بأن يعاقب بألا يعرف المعروف، ولا ينكر المنكر، فيكون قلبه في مهاوي الوديان، لا يدرك الخير، ولا يدرك الشر، وإن عرفهما، فإنه لا يوفق إليهما لصنيعه ولبعده عن الاستجابة.

واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وإذا ختم للعبد بأن كان ممن حال الله بينه وبين قلبه، فأي خير يرجو بعد ذلك؟! إذا كان قلبه، قد قَلَبَهُ، وصرفه إلى غير الخير مقلب القلوب، فأي خير يرجو؟! والمسألة هذه الحياة، مسألة جهاد مع النفس، وجهاد في الاستجابة لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا. قال الله ﷻ بعدها: ﴿...وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥]، إن التفرق عن أوامر الله، وإن التفرق عن أوامر رسول الله ﷺ يُحدث الفتنة، وإذا حدثت الفتنة، فإن الظالم ليس مخصوصًا بها، بل إنها تعم الظالم، وتعم الصالح، وتعم الخيِّر، وتعم الفاسد.

قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾، فإنها تصيب الجميع؛ لهذا وجب على الجميع أن يعتصموا بحبل الله جميعًا ـ بالقرآن، بالإسلام، بالسُّنَّة ـ، ولا يتفرقوا.

قال العلماء: التفرق يكون في الدين، ويكون في الأبدان[١].

أما التفرق في الدين: فأن يكون الناس يحدثون من الآراء، ويحدثون من الأقوال، ويحدثون من الأفعال ما ليس عليه الجماعة الأولى صحابة رسول الله ﷺ.

والتفرق في الأبدان: أن يتفرقوا عن من ولاه الله أمرهم، ولا يلتزموا بجماعة المسلمين.

فإن نوعي التفرق إذا حصلا، حصلت الفتنة، وإذا وقعت الفتنة، فإنها لا تعرف الظالم وحده، لا تخص الظالم وحده، وإنما تعم الجميع، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً﴾، وهذه وصية وأمر، ودعوة من الحق تبارك وتعالى فيها ما يحيينا، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾.

أيها المؤمن، إن الاستجابة لله وللرسول هي قصدك من الحياة ـ إن عقلت ـ؛ فإنك إن استجبت، فأنت ذو الحياة الطيبة، وإن مت، فعلى رجاء الخير، وعلى وعد الله لك بالنعيم وغفران الذنوب، أما إن لم تستجب، واتبعت نفسك هواها، فلا تلومن إلا نفسك.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا جميعًا من المستجبين لله وللرسول، المتابعين كتاب الله، المتابعين سُنَّة رسول الله ﷺ، الذين اعتصموا بحبل الله جميعًا، ولم يتفرقوا.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن اعتصم بحبلك.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن جعلت أنسه بالقرآن، واتباعه لسُنَّة العدنان، يا أرحم الراحمين.

---

(١) انظر: العزلة للخطابي (ص٥، ٦).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًّا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، هو الداعي إلى رضوانه، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ عنها، شذ في النار.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ حثكم وأمركم بالصلاة على نبيه، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]،

اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام وأهله، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك، اللَّهُمَّ، أمدهم بمدد من عندك، وقوِّهم بقوتك، وأعزهم بعزتك؛ فإنك أنت القوي العزيز.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، واحفظ وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، اللَّهُمَّ، أرهم الحق حقًّا، ومُنَّ عليهم باتباعه، وأرهم الباطل باطلًا، ومُنَّ عليهم بتركه واجتنابه.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تصلحنا جميعًا.

اللَّهُمَّ، ارفع عنا الربا والزنا وأسبابه، اللَّهُمَّ، ارفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك صلاحًا فينا جميعًا، لا يغادر منا أحدًا.

اللَّهُمَّ، ألن قلوبنا لطاعتك، وجلودنا لكتابك وسُنَّة نبيك.

اللَّهُمَّ، اجعل ألسنتنا لاهجة بذكرك، اللَّهُمَّ، اجعل أعمالنا موافقة لرضاك، اللَّهُمَّ، اجعل عقولنا مفكرة فيما تحب وترضى.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن هديته إلى الحق، وثبته عليه؛ حتى يلقاك وأنت راض عنه، يا أكرم الأكرمين، ويا أجود الأجودين.

اللَّهُمَّ، نسألك ـ ومنك الإجابة، لا حول ولا قوة إلا بك ـ، نعوذ بك من شرور أنفسنا ومما فعل السفهاء منا، اللَّهُمَّ، إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا، ومن فعل السفهاء منا، ونبرأ إليك من كل ما لا يرضيك، فتقبل ـ اللَّهُمَّ ـ براءتنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا يا أرحم الراحمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الإنابة والرجوع إلى الله

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي شرَّف المؤمنين بطاعته، ورفع رؤوسهم بحمل دينهم والاستجابة لأمره ونهيه، الحمد لله الذي هدانا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد ألا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، هو البشير النذير الذي لم يتركنا ﷺ، لم يتركنا إلا وقد بيَّن لنا مهاوي الردى؛ كي نجتنبها، ومسالك الهداية ومسالك التقوى ومسالك وسبل جنات عدن؛ حتى نُقبل عليها، ونسلكها، فصلى الله عليه كفاء ما أرشد وعلَّم وبيَّن، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ، وتقدست أسماؤه، يحب المنيبين من عباده، يحب الذين إذا فعلوا أمرًا فيه مخالفة أو فيه تفريط وتضييع للواجب أنهم يرجعون إليه سريعًا، وأنهم يقبلون على ربهم بتوبة وإنابة صالحة؛ فإن الله ﷻ يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونبيكم ﷺ بيَّن أن كل ابن آدم خطاء، فقال فيما صح عنه ﷺ: **«كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**(١)؛

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والدارمي (٢٧٦٩)، وأحمد =

وذلك أن ابن آدم يغلبه ظلمه لنفسه، وربما غلبته شهوته وحبه للدنيا، حتى ينصرف عن الآخرة، ويقبل على دنياه دون نظر إلى ما ينفعه، وإلى ما يصلح حاله، وإلى ما يصلح حاله في المآل وفي العاجل وفي الآجل، وهذا من ضعف البشر.

أيها المؤمنون، ما منا إلا وكل منا عنده غلط، وعنده خطأ، وعنده ربما تضييع للواجبات، وربما انتهاك للمحرمات، كل منا فيه تقصير بحسبه، كل منا تعرض له الغفلة بحسب حاله، كل منا له من التقصير ما له، يعرف ذلك من نفسه، وهل يجوز لنا أن نبقى على أخطائنا وعلى تقصيرنا وعلى إعراض كثير منا دون إصلاح للأنفس، ودون إصلاح لما حولنا، ودون أن يوطن المرء المسلم نفسه على طاعة الله، فكلنا خطَّاء، ولكن خير الخطائين التوابون، ولهذا قال أهل العلم: إن علاج الغلط، إن علاج التفريط في الأوامر، وإن علاج ارتكاب المنهيات يكون بأمور، منها أن يتعلم المرء ما يجب عليه، وأن يعلم حق الله ﷻ عليه، فإذا علم حق الله عليه، وعلم ما يجب عليه تجاه ربه، فإنه لن يعصي الله، ولن يفرط في أمره؛ إذ معرفة الله بأسمائه وصفاته تلين القلب، وتحمل المرء على أن يجل الله ﷻ، ثم يلزم العمل الصالح، فإذا لزم العمل الصالح، فإنه ييسر له أن يتجنب المحرمات، وييسر ويوفق إلى الإقبال على الطاعات.

ولا شك أنه لا يجوز أن يسترسل المرء مع هوى نفسه، وأن لا يجتنب الطاعات، وهو مأمور بإتيانها، وأن يقبل على المناهي، وهو

= (٢٠/ ٣٤٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ٦٢)، وعبد بن حميد (١/ ٣٦٠)، وأبو يعلى (٥/ ٣٠١)، والحاكم (٤/ ٢٧٢)، والبغوي في شرح السُّنَّة (٥/ ٩٢).

مأمور بتركها، وهو مأمور بترك المنهيات، والإقبال على الواجبات؛ إذ حق الله ﷿ أعظم وأجل وأرفع من حق النفس، ولذلك كان واجبًا علينا أن نسعى في إصلاح أنفسنا، وأن نقبل على أن يتعرف كل منا على خطأ نفسه، وعلى ما فيه من العيوب؛ كي يصلحها، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيب الناس!

ثم إن من أسباب العلاج النافع ومن أسباب الإقبال على الله أن يرى المؤمن ما يقربه من جنات عدن، فيأتيه، وهو محق؛ لأننا إذا علمنا الثواب والعقاب، حملنا ذلك على الإقبال على الطاعة، وعلى الابتعاد عن كل منهي عنه، وإن لكل إعراض سببًا.

وحق على المسلم أن يباعد نفسه عن أسباب الردى، وعن أسباب الإعراض، وعن أسباب ترك الإقبال على ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة.

عباد الله، منا المفرط في الصلاة، منا المفرط في ذلك الركن الأعظم، بل أعظم الأركان العملية في دين الإسلام ألا وهو الصلاة، فربما أخرجها عن أوقاتها، وربما بعض منا لم يؤدها في المساجد مع الجماعة؛ كما أمر الله ﷿، وأمر به رسوله ﷺ، وهذا يجب عليه أن يتفطن لأسباب ذلك، فإن كان لا يعلم فضل الصلاة، وفضل أدائها في الجماعة، فليتعرف إلى أحاديث النبي ﷺ التي منها قوله ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»(١)، ثم ليتعرف على قول النبي ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ**

(١) أخرجه مسلم (١٦) (٢٢٣).

لَاسْتَهَمُوا»(١)؛ يعني: لو يعلم الناس ما في التبكير إلى الصف الأول، والتبكير إلى الصلاة بعد سماع النداء من الأجر العظيم، ثم لم يجدوا إلا أن يعملوا شركة، ويتشاركوا فيما بينهم في ذلك الأجر، ويزدحموا على الصف الأول، لفعلوا.

فإذا كان منا من يفرط في الصلاة، فليراعِ نفسه بما جاء من فضل الصلاة، وبأنها حق الله، وبأنها واجب من واجبات الإسلام، وركن من أركان الإسلام، ثم ليبتعد عن أسباب ترك الصلاة، أو عن أسباب التهاون بها من عدم أدائها مع الجماعة في المساجد؛ فإن المرء إذا ترك الأسباب المفضية إلى غير الحق والهدى، فإنه ييسر له أن يقبل على الخير والهدى وما فيه صلاحه.

كذلك المرء إذا كان صاحب مال، وترك أداء الزكاة، وترك حق الله ﷻ في المال، فإنه يجب عليه أن يتعرف إلى ما أوجب الله من حق المال، فإذا عرف ذلك، وعرف الوعيد العظيم في تارك الزكاة ومن لم يؤدها، وعرف أن الزكاة قرينة الصلاة، وما أعد الله ﷻ للمتصدقين، وأن الصدقات طهرة تزكي المال، وتزكي صاحب المال، وهي طهرة للقلب، وطهرة للمال، وطهرة للنفس؛ كما قال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، إذا علم ذلك، ثم تخلص من شح النفس، وعلم الأسباب التي تصرفه عن أداء حق الله في الزكاة، أتى مطيعًا سريعًا، فأدى حق الله في المال طيبة بذلك نفسه، مقبلًا غير مدبر، محبًا للإنفاق لا مبغضًا للإنفاق؛ لأنه يعلم قول الله ﷻ: ﴿...وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٥، ٦٥٣، ٦٥٤، ٧٢٠، ٢٦٨٩)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، نعم، إن وعيد مانع الزكاة لشديد.

كذلك من رأى المال، وأنه كل شيء في حياته، يقبل على المال وعلى اكتسابه، سواء كان من غش في البيوعات، أو كان من أكل الربا، الذي توعد الله فاعله بحرب من عنده، أو كان بأكل للرشوة، وغش للأمانة، أو كان بغير ذلك من أكل مال اليتيم، أو أكل الأموال ظلمًا، أو التعدي على حقوق الناس بالغصب، وبأكل أموالهم، إذا زينت له نفسه حب المال، وغشى قلبه حب المال وحب الدنيا، فليعلم أنه مسؤول عن ماله، وأن المال الحرام إذا نبت منه جسده، ونبت منه جسد أولاده من رجال ومن بنات، وأطعمه أهله، فإن ذلك وبال عليه، وعلى من بعده؛ لأن المال الحرام يرفع صاحبه يديه إلى الله، فلا يستجاب له دعوة، ويخذل في أيام حاجته من مرض أو فاقة، وإن عاقبة المال الحرام إلى قلة، إلى قلة في عدده وفي صنفه.

إذا تبين للمرء ما أوجب الله ﷻ من اكتساب المال في المباحات ومن المباحات، وأنه يجب عليه أن يبتعد عن المحرمات، وأن المال الحرام يعذب به صاحبه يوم القيامة أمام الناس، وأنه لا ينفع فيه، فليحذر ذلك؛ فإنه مع العلم بذلك، ومع ترك أسباب محبة المال الباطلة - التي تحمل صاحبها على كسب المال الحرام - يرجى أن يصلح غلطه، وأن يتوب من ذنبه، وأن يقبل على اكتساب المال المباح، فإن المال إنما هو في بركته، لا في عدده، فكم من أناس بلغت أموالهم كذا وكذا، فلم تنفعهم، وربما كانت وبالًا عليهم.

كذلك إذا رأى المرء في نفسه تقصيرًا في حقوق أهله، وفي حقوق ولده، وفي رعايته لأمانته ببيته، إذا رأى ذلك، فليسرع إلى تصحيح

ذلك، وليسرع إلى مجانبة الأسباب التي تحمله على أن يضيع بيته، وأن يضيع تربية أهله وتربية ولده. وليتذكر قوله ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١)، وأنه لا يجوز لنا أن نرى تقصير أنفسنا وأخطاءنا، ثم لا نتبع ذلك بإصلاح.

من كان شحيحًا في بيته، فليعلم أنه مسؤول، وأن الله أوجب عليه الإنفاق، فليسارع بالإنفاق بما أوجب الله عليه.

ومن كان مبذرًا في بيته، فليتذكر قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، فنهى ﷻ عن الطرفين: طرف التفريط والإفراط، طرف الإسراف وطرف الشح. فلنحمل أنفسنا، ولنعتبر بأخطائنا، ولنتدبر حالنا؛ فإننا إذا كنا راغبين في دار الخلد وراغبين في رضا الله، فإننا سنسرع حتمًا في إصلاح أخطائنا، وفي إصلاح ما يجعلنا نفرط في أوامر الله، أو نقبل على محرمات الله.

كذلك إذا رأى المرء من نفسه مسرعة في اغتياب الناس، ولا يراعي المرء لسانه، ولا يراعي للسانه إحصانًا، فإنه إذا كان كذلك، يجب عليه أن يتفكر في لسانه، وأن اللسان صغير حجمه، ولكن جرمه كبير، نعم، إن اللسان يوقع المرء في المهالك، ويوقع في الموبقات، فقد سأل الصحابي الجليل معاذ رضي الله عنه نبينا ﷺ، فقال: «يا نَبِيَّ الله؛ وإِنّا لَمُؤاخَذون بما نَتَكَلَّم بِهِ؟ فَقالَ: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(٢)، فليتذكر كل

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٣٤٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة =

منا ممن أطلق لسانه في غيبة الناس، وجعل مجالسه مع أصحابه في غيبة ونميمة، بل جعل مجالسه في إظهار النفس واحتقار الآخرين، يحتقر عباد الله المؤمنين، ويحتقر الناس، ويغتاب هذا، ويقذف هذا، ويشتم ذاك، ويطعن ذاك، ويعتقد أن هذا فيه سلوى للنفس، وإنما ذلك مكتوب عليه، يكتب عليه كل ما تلفظ به من خير أو شر، فيأتي يوم القيامة بحسنات، ولكن يعطى منها من اغتابه، أو من شتمه، أو من تعرض له بقذف، ونحو ذلك، فيبقى يوم القيامة فقيرًا مسكينًا، واللسان هو أحق ما يكون بطول صمت إلا فيما ينفع: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

نعم - أيها المؤمنون -، منا من يجعل مجالسه في غيبة ونميمة، وربما كان في أمور أعظم، وهذا مما يجب أن نتوب منه، وأن نحصن أنفسنا، وأن نجعل لساننا وألسنتنا تنطلق في خير، تنطلق فيما يعود علينا نفعه: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝٧ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٧، ٨].

من كان منا يرسل نظره، ويرسل طرفه برؤية النساء، ويتبع النظرة، ولا يرعى لنساء المسلمين حرمة، ولا يرعى ذلك، ويعرف ذلك من نفسه، ويعرف أن ذلك النظر يجلب عليه موبقات، ويجلب عليه أمورًا منكرة، ليعلم أن ذلك سهم مسموم من سهام إبليس، فإنه إن لم يحصن نفسه، وإن لم يردع نفسه عن ذلك، فإنه لا شك سيقع فيما بعد في أمور حرمها الله عز وجل.

ولهذا قال ﷺ: «**لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ**

= في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩).

لَكَ الْآخِرَةُ»[١]، وسأل جرير رضي الله عنه النبي ﷺ عن نظر الفجأة، فقال: «**سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي**»[٢]؛ لأن النظرة لا يستهان بها، فمن كان مريضًا بالنظر بتتبع النساء، وينظر إلى هذه وإلى تلك، فليعلم أن ذلك مرض في النفس، فليبادر بعلاجه، فهو أحق بالعلاج، أحق بالعلاج من أمراض البدن.

وكذلك النظر إلى النساء في الأجهزة المختلفة؛ فإنها تزين للقلب الفواحش، وتزين للقلب المنكرات. يعلم ذلك من علمه.

أيها المؤمنون، إن كُلًّا منا ـ ولا شك ـ عنده قصور، وعنده تقصير، وعنده غلط، وعندنا جميعًا غفلة، نسأل الله عز وجل أن يجنبنا ذلك، وأن يقيمنا على الحق والهدى، ولكن لا يجوز أبدًا، لا يجوز أبدًا أن نسترسل مع أخطائنا دون أن نحدث توبة، وأن نحدث استغفارًا؛ فهذا نبينا ﷺ يأمر الناس بقوله: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[٣]، وهو المعصوم ﷺ، الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فمن هو مسترسل مع إعراضه، يفرط في الواجبات، ويغشى المحرمات، ولا يحدث نفسه بتوبة نصوح، بتوبة ونزاهة وقرب إلى ربه، وأن يتأمل ما أعد الله للمؤمنين في جنات الخلد، فهل نعرض عما أعد الله؟! وهلا نستجيب لما أمر الله، هلا نجعل الله عز وجل أحب إلينا من

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، والدارمي (٢٧٥١)، وأحمد (٣٨/ ٧٤)، وابن أبي شيبة (٤/ ٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٥)، وفي شرح مشكل الآثار (٥/ ١٢٣)، والحاكم (٢/ ٢١٢)، والبيهقي في السنن (٧/ ١٤٤)، وفي الشعب (٧/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أنفسنا، ونجعل أمره مقدمًا عندنا من أوامر النفس وشهوات النفس.

اللَّهُمَّ، هيئ لنا من أمرنا رشدًا، ودلنا على الخير والهدى، يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًّا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد ألا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى الفخر لنا، والسعادة لنا، والرفعة في هذه الدنيا والآخرة، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الله، إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بالملائكة؛ تعظيمًا لما أمر، وتشريفًا لمن أمر بالصلاة عليه، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

[الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تنصر المؤمنين في كل مكان، اللَّهُمَّ، انصر المستضعفين من المؤمنين، اللَّهُمَّ، انصر المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللَّهُمَّ، واجعلهم حاملين لشرعك، رافعين لراية توحيدك - يا رب العالمين -، داعين إلى دينك؛ كما دعا إليه محمد ﷺ.

اللَّهُمَّ، وألهمهم رشدهم، وقهم شرور أنفسهم، اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللَّهُمَّ، أصلحنا جميعًا، رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، علماء وولاة، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تلين قلوبنا لطاعتك، وأن تجعلنا من المحافظين على صلواتك، ومن المحافظين على أوامرك، ومن المجتنبين لكل ما نهيت عنه، يا رب العالمين، قلوبنا بين إصبعين من أصابعك، فصرف قلوبنا إلى طاعتك؛ فإنك أنت نعم الوكيل، توكلنا عليك يا مولانا في صلاح قلوبنا، وصلاح ذرياتنا، وأهالينا، وأنت نعم المسؤول، ونعم الوكيل.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، اذكروه بألسنتكم وأعمالكم، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الرؤى والمنامات

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فجزاه الله ﷻ عنا خير ما جزى به نبيًا عن أمته، ونسأله ﷻ أن يحشرنا تحت لوائه المحمود، وأن يوردنا حوضه المورود.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

أيها المؤمنون، إن الرؤى والأحلام تشغل كثيرًا من الناس؛ لأنه ما من يوم إلا ويحصل لهم فيه رؤى أو أحلام، والشرع المطهر جاءنا بتفصيل أحكام الرؤى، وتفصيل أحكام الأحلام، وما يتصل بهذه وتلك، بل إن أصولها قد جاءت في القرآن العظيم، ألم تر سورة يوسف عليه السلام؛ حيث إنه ﷻ أخبرنا أن يوسف عليه السلام رأى رؤيا، ثم تحققت تلك الرؤيا بعد كثير من السنين: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، قال ﷻ في آخر السورة: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ

سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

نعم، إن أخوته كانوا هم الكواكب، وكان أبوه وأمه هما الشمس والقمر، كذلك في تلك السورة أخبر الله ﷻ عن الملك الكافر، حيث إنه رأى رؤيا، فجاءت رؤياه حقًا، قال ﷻ عن الملك: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: ٤٣، ٤٤].

ونبينا ﷺ - كما قالت عائشة ﵂ -: **«كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»**[(١)]؛ يعني: يراها كما هي عيانًا في الواقع كما رآها منامًا، ولهذا قال ﷺ: **«الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»**[(٢)]، قال كثير من العلماء: لعل معنى هذا: أن النبي ﷺ كان أول ما بدئ به الوحي أنه يرى الرؤيا، فتجيء مثل فلق الصبح، فاستمر ذلك معه قبل نزول جبريل ﵇ ستة أشهر، ثم إنه ﷺ استمرت نبوته ورسالته ثلاثًا وعشرين سنة، فكانت الرؤيا نصيبها جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة[(٣)].

والرؤى لها مقام عظيم، من أول البشرية كان الناس يعتنون بها؛ لأن أمرها غريب، ولأن شأنها عجيب؛ ولهذا قلَّ أن يكون زمن إلا وفيه معبِّرون يعتنون بتعبير الرؤيا، يهتمون بذلك؛ لأنها تشغل الناس، والله ﷻ بيَّن أصول الرؤى، وأنها تنقسم إلى:

---

(١) أخرجه البخاري (٣، ٤، ٣٣٩٢، ٤٩٥٥، ٤٩٥٦، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٦).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢١)، وفتح الباري (١٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٥).

رؤيا من المسلم المؤمن الكامل، وتلك تكون رؤيا حق.

كذلك قد تكون الرؤيا الحق من الكافر، الذي يشرك بالله ﷻ.

قال أهل العلم: الروح ـ روح الإنسان ـ ثلاثة أنفس؛ فإن الروح منقسمة إلى أنفس؛ كما قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، فالرؤى أنفس، والأنفس في حال المنام منها:

- نفس تكون مع النائم، يتردد بها نفسه، وتستقيم بها حياته.
- ونفس أخرى يقبضها الله ﷻ، ويتوفاها، فتكون عنده.
- والنفس الثالثة تسرح وتذهب هاهنا وهاهنا منفصلة عن البدن.

وكل هذه الأنفس قريبة من البدن، تعود إليه في أقرب من لمح البصر.

أما القسم الأول: النفس التي تتجول، فهذه النفس هي التي يحدث منها ومن تجوالها الرؤى والأحلام، فإذا مسكها ملكٌ، وضرب لها الأمثال ـ إما بالألفاظ، وإما بالإشكال، وإما بالوقائع والذوات والقصص ـ، فإن الرؤيا تكون حينئذ من برد الملك، فهذا القسم هو الرؤيا التي هي الحق.

والقسم الثاني: أن يأخذها الشيطان، فيتلاعب بها تلاعبًا، يُري الإنسان ما يغيظه، يرى الإنسان ما يكرهه، وينغص عليه منامه؛ كما في حديث جَابِرٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي حَلَمْتُ أَنَّ رَأْسِي قُطِعَ فَأَنَا أَتَّبِعُهُ، فَزَجَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «**لَا تُخْبِرْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي الْمَنَامِ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٦٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

كذلك قد تكون تلك النفس تتجول، ويؤثر عليها تعلقها بالبدن، فإذا شبع الإنسان ـ مثلًا ـ، أثَّر ذلك على نفسه، فرأى ما يشغل باله، أو رأى ما أثَّر عليه من بدنه.

لهذا ثبت في الصحيح «صحيح مسلم»؛ أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**»(١)، وهذه هي أقسام الرؤيا، ومنها ما يكون حقًّا يضربه الملك لك ـ **أيها المؤمن** ـ، بل يضربه الملك للمؤمن والكافر، فيكون بتلك الأمثال إشارات يعقلها العلماء؛ كما قال ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ومنها ما يكون من تلاعب الشيطان، يُري الشيطان الإنسان نفسه التي أخذها في المنام، وذهب بها إلى هاهنا وهناك، يريه أشياء مفزعة، يريه أشياء تحزنه، فيكون الإنسان في منامه محزونًا، وذلك من فعل الشيطان به، وربما لم يحزن في منامه، لكن يحزن إذا استيقظ، وهذا كله من الشيطان؛ لأن تلاعب الشيطان له دلالته، يستدل بها المعبِّرون على أن ذلك ليس من الرؤى الحقة، وإنما هو من تلاعب الشيطان.

والنبي ﷺ كان إذا صلى الفجر غالبًا من كل يوم، فإنه يقبل على أصحابه ﷺ، ويسألهم؛ كما في الحديث عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ﷺ،

(١) أخرجه مسلم (٢٢٦٣)، والبخاري عقب حديث (٧٠١٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: **مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟**»[١]، فيخبره من رأى منهم بما رأى، فربما عبرها لهم ﷺ؛ وذلك أن الرؤيا الصالحة مبشرة للمؤمن؛ كما ثبت في «الصحيح»؛ أنه ﷺ قال: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ**. قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: **الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**»[٢].

فإن الرؤيا الصالحة هذه مبشرات لأهل الإيمان، وربما كانت الرؤى الصالحة محذرة لأهل الإيمان، فكم من صالح رام أمرًا، فأتته الرؤيا تحذره من غشيان ذلك الأمر، تحذره إما بصريح أو بإشارة؛ ولهذا أهل العلم الذين يعبرون الرؤى يستدلون بما رآه المسلم، بما رآه الرائي، يستدلون على تأويل الرؤيا بما رأى، تارة يستدلون باللفظ، وتارة يستدلون بالأشباه، وتارة يستدلون بالأبدان وما بينها من التناسب، وتارة يستدلون في تفسير الرؤيا بما يحكيه الرائي. وكثيرًا منها يكون من العلم الذي علمه الله ﷻ من شاء من عباده: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف: ٢١].

والناس اليوم خرجوا عما أرشدوا إليه شرعًا في كثير من أمور الرؤى، فمنهم من إذا رأى رؤيا، أسرع في أن يسأل عنها كل من رأى، سواء علم منه أنه يعلم التأويل، أم لا يعلم، وهذا من الأمر الذي لا يسوغ؛ ذلك لأن تفسير الرؤى علم من العلوم، والكذب فيه كذب على الملك؛ لأن الله ﷻ جعل الملائكة تضرب الأمثال.

فإذا فسر المفسر الرؤيا، هي ليست برؤيا، بل بحدس وتخمين منه، وكأنه قال للذي رأى: هذا الذي رأيت رؤيا؛ يعني: إن الملك ضرب له المثل بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦)، ومسلم (٢٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٩٠)، ومسلم (٨)، واللفظ للبخاري.

وقد يكون ذلك من تسويل الشيطان، وقد يكون ذلك من حديث النفس، والمتعجلون في هذا الأمر كثير.

لذلك على المؤمن أن لا يسأل عن كل ما رأى، وعليه أن يتحرى الذين يعلمون الرؤى، عُرفوا بذلك، وليس كل من عُرف بتأويل الرؤيا وأصاب في كثير منها يلزم منه أن يصيب دائمًا؛ فقد قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه لما سأل عن تعبير رؤيا، فعبرها، قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: **«أَصَبْتَ بَعْضًا، وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»**(١).

وأبو بكر رضي الله عنه كان من المعروفين بتأويل الرؤى، فلا يلزم من المعبر للرؤيا إذا كان عنده علم بذلك، لا يلزم منه أن يصيب دائمًا، ولكن الناس يتعجلون في هذا الأمر.

والذي ينبغي على المؤمن أن لا يُحدث برؤيا؛ لأن ما يراه النائم في منامه على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: منها رؤيا حق، وهذه على قسمين:

الأول: إما أن تكون مفرحة، فإذا كانت مفرحة، فاحمد الله عليها، وإن شئت أن تسأل فسل، ولا يلزم من تلك الرؤيا أن تسأل عنها، فإن عاقبتها إلى خير، فقد قال ﷺ: **«الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ، مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ»**(٢).

الثاني: أن تكون الرؤيا الحق فيها ما يحزن المرء ـ إما بدلالة

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦/ ١٠٠)، وأبو داود (٥٠٢٠)، والترمذي (٢٢٧٨)، وابن ماجه (٣٩١٤)، والدارمي (٢١٩٤)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٤٢٥) وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ١٤٤)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٥، ٢٠٦)، وابن حبان (١٣/ ٤١٣، ٤١٤).

في الرؤيا، وإما بما يُعبرهُ المعبر ـ، وهذا إذا سأل عنه ربما أحزنه، والذي ينبغي إذا رأى المرء ما يحزنه، فليستعذ بالله من شرها، وأن يتفل عن يساره، ثم يتحول إلى الجنب الآخر. قال ﷺ مرشدًا من فعل ذلك: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ**»(١).

القسم الثاني: ألا وهو حديث النفس، فإن النفس لها أحاديث، فهذا راءٍ رأى في منامه أنه يشرب الماء الكثير جدًّا، يشرب البحر، أو يشرب النهر، أو يشرب عينًا غدقة كثيرة، فأفزعه ذلك، وإذا مرد ذلك إما إلى شبعه من طعام لم يشرب عليه ماء، وإما أن يكون مرد ذلك لعطشه إذ ذاك، أو تفكير من التفكيرات التي فكر بها، فليس كل ما يظنه الناس أنه رؤيا يكون في الحقيقة رؤيا، بل كثير من الناس يرى، ولا تكون رؤياه حقًّا، بل تكون من أحاديث النفس.

القسم الثالث: أن تكون من تسويلات الشيطان.

والرؤى تعتبر، يعتبرها أهل العلم باعتبارات مختلفة؛ لهذا مما يُنهى عنه أن يتعلق الناس ـ الرجال، وبالأخص النساء ـ بالكتب التي تفسر الأحلام، فكثير من الناس يحصل عنده كتبًا في تفسير الأحلام، فإذا رأى في منامه شيئًا، أسرع في صبيحته إلى ذلك الكتاب.

والرؤيا تعبيرها له شروط، وتحتاج إلى علم واسع، فأحيانًا سيكون تفسيره لا تعلق له بالرؤيا البتة، وإنما يكون في الرؤيا كلمة تدل المعبر على تفسير الرؤيا، كلمة واحدة سيكون معها قصص طويلة، ليس لها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٢)، ومسلم (٢٢٦١).

شأن في الرؤيا، وليس لتفسير الرؤيا بها تعلق، وإنما التعلق بتلك الكلمة، وما قبلها وما بعدها من الأحداث ليس له نصيب.

كذلك من الناس من يرى أشياء مفزعة، فيرى تفسيرها في الأمر القبيح، فينظر في نفسه، فإذا هو أصبح محزونًا، فصار كيد الشيطان عليه متحققًا إذا أحزنه.

والذي ينبغي أن لا يسعى في ذلك، وإذا أراد، فليسأل أهل العلم الذين يُعبرون الرؤى، ولا يسأل أهل الجهالة، ولا يسأل أهل التعجل؛ فإن كثيرًا من الرؤى لا يعلم تأويلها إلا بشيء من التأمل والنظر، ومنها ما يظهر تأويله، ومنها ما يخفى تأويله، والناس في هذا لهم مقامات.

مما شاع بين الناس ـ وهو غلط ـ أن الإنسان إذا رأى أن من أسنانه ما سقط أن ذلك يؤول بفقد أحد أحبته، بموت ابنه أو ابنته أو من يعز عليه، وهذا ليس بالصحيح؛ إذ إن الأسنان لها في الرؤى أحوال كثيرة، والأسنان العلوية غير السفلية، والمتقدمة غير المتأخرة، والأضراس غير الأسنان، هكذا في تفاصيل كثيرة.

المقصود ـ **أيها المؤمن** ـ أن تعبير الرؤى من العلم الذي حازه من حازه، والأنبياء يعبرون الرؤى بتعليم الله ﷻ لهم، فلا تكن متسرعًا في ذلك في قصِّها، ولا بأخذ الكلام فيها، ولا بتعبير الرؤى إذا سئلت؛ لأن ذلك من العلم: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف: ٢١]، فالتعجل في ذلك من الكذب إن لم يكن صاحبه على علم بذلك.

هذا واعلموا أن المرء إذا استعاذ بالله من شرها، فإنها لا تضره؛ فإن كيد الشيطان كان ضعيفًا، وليس من شرط الرؤيا أن تتحقق، فقد يرى رؤيا حق، ولا تتحقق إذا سأل الله ﷻ أن لا تكون، إذا كانت مما يحزنه، أو مما يرى أن فيه شرًا.

أيها المؤمنون، إن العلم واسع، والناس توسعوا وخاضوا غمرة جهل كبير في أمورهم التي لها تعلق بدينهم، ولها تعلق بكتاب ربهم وسُنَّة نبيهم ﷺ، فعليكم بالعلم في أموركم كلها، عليكم بالعلم واليقظة. أنتم تسألون إذا جهلتم، فإنما «**شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالَ**»؛ كما روي ذلك عن النبي ﷺ(١).

نسأل الله أن يبصرنا وإياكم بالحق، وأن يُلقننا إياه، وأن يعلمنا من لدنه علمًا، وأن يجعلنا ممن استعملهم في طاعته، وأن يجنبنا القول بالكذب والقول عليه بلا علم؛ إنه ولي ذلك، وهو نعم المولى ونعم النصير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ١ ـ ٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٦)، وابن ماجه (٥٧٢)، والدارمي (٧٧٩)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ١٩٤)، والحاكم (١/ ٢٨٥، ٢٨٦)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨)، وفي معرفة السنن والآثار (٢/ ٤١)، والدارقطني (١/ ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، اعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم في الدنيا والآخرة، فاتقوا الله حقًا، وتوبوا إليه صدقًا، اتقوا الله بتعظيم أمر الله واجتناب ما نهى الله عنه، فإن تقواكم عاقبتها لكم، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعن سائر الصحب والآل، وعن جميع زوجات نبيك يا أرحم الراحمين. اللَّهُمَّ، وارض عنهم أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين أهل الزيغ والفساد، يا أكرم الأكرمين. اللَّهُمَّ،

وهيئ لهم المستشار الصالح الذي يدلهم على الخير، ويذكرهم به، ويضيق عليهم سبل المنكرات والشرور، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تعز الإسلام وأهله، وأن تذل الكفر وأهله.

اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين من المؤمنين في كل مكان، اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين في فلسطين، اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين في البوسنة، وانصر المجاهدين في كل مكان.

اللَّهُمَّ، وعليك بكفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن دينك، ويقاتلون أولياءك، ويسعون في إطفاء نورك، وأنت المتم لنورك، ولو كره المشركون.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترينا فيهم عجائب قدرتك، وأن تنصرنا عليهم نصرًا مؤزرًا.

اللَّهُمَّ، عليك بالمشركين والملحدين، وباليهود والنصارى المعادين للإسلام وأهله، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أنت القوي، فقونا، وأنت المعز، فأعزنا، اللَّهُمَّ، نصرك الذي وعدت، اللَّهُمَّ، نصرك الذي وعدت، اللَّهُمَّ، نصرك الذي وعدت.

اللَّهُمَّ، ارحم المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللَّهُمَّ، ارحم النساء والأطفال، اللَّهُمَّ، ارحم النساء والأطفال، اللَّهُمَّ، ارحم النساء والأطفال، وأنزل عليهم سكينة، وانصر الرجال المؤمنين يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، باسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، نسألك أن تجعل الإسلام عزيزًا عن قريب، اللَّهُمَّ، اجعل الإسلام وأهله أعزاء على الجميع عن قريب يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، انصر المؤمنين، اللَّهُمَّ، انصر المؤمنين، اللَّهُمَّ، انصرهم، اللَّهُمَّ، لا تكن عليهم يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ، إنهم مذنبون، وفي عفوك سعة، وأنت العفو الغفور، نتوسل إليك أن تنصرهم بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تؤمننا في جميع ديارنا.

اللَّهُمَّ، نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ، من أراد بنا فتنة، فاشغله بنفسه، واجعل هذه البلاد آمنة مطمئنة، سائرة على الإيمان والتوحيد، محكمة لشرعك على ما تحب وترضى، يا أرحم الراحمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الطيب والخبيث

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لا يقبل إلا طيبًا، الحمد لله الذي جعل الجنة طيبة ودارًا للطيبين، وجعل النار خبيثة ودارًا للخبيثين، الحمد لله الذي جعل الطيبات للطيبين، وجعل الخبيثات للخبيثين.

أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بشَّر وأنذر، وأوصى بتقوى الله ﷻ، وأوصى حين احتضاره ﷺ بالصلاة، وعظم أمرها، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، يقول الله ﷻ، يقول الله تبارك وتعالى وتقدس وتعاظم: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة: ١٠٠]، فهذا بيان من الله ﷻ وحكم منه أنه لا يستوي عنده الخبيث والطيب، بل لا يستوي الطيب والخبيث مطلقًا؛ فالطيب مفضل، الطيب في أعلى الدرجات، والخبيث في أسفل سافلين، في أسفل الدرجات.

الخبيث من الأقوال يدنيه الله ﷻ في جهنم، والطيب من الأقوال

يرفعه الله ﷻ في الجنة في دار كرامته. الطيب من الأعمال يحبه الله ﷻ؛ فإن الله طيبًا لا يحب إلا طيبًا، إن الله ﷻ طيب يحب الطيب من القول، ويحب الطيب من العمل، ويضاعفه لأصحابه.

الله ﷻ يحب الطيبين من الناس، ويبغض الخبيثين من الناس، الله ﷻ يرفع الطيب من المال، ويبارك لأصحابه فيه، ويخفض الخبيث من المال، ويجعله وبالًا على أصحابه.

فهذه أنحاء أربعة يكون فيها الطيب والخُبث:

طيب في الأقوال، وطيب في الأعمال والأفعال، وطيب في الناس، وطيب في الأموال.

وما يقابلها:

خُبث في الأقوال، وخُبث في الأعمال والأفعال، وخُبث في الناس، وخُبث في الأموال.

وعلى هذا، فلنعلم أن قول الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]، نهي لنا أن نُعجب بالخبيث، نهي لنا أن نعجب بالكثير إذا لم يكن طيبًا، فالله ﷻ أمر ونهى بأن نكون طيبين في أقوالنا، وأعمالنا، وذواتنا، وأموالنا، ونهانا أن نكون من الخبيثين في أقوالنا، وفي أعمالنا، وفي ذواتنا، وفي أموالنا.

انظر - رحمك الله - هل يستوي الذي طاب لسانه وطاب قيله وقوله، فهو لا يقول إلا القول الطيب، إذا حضرت مجلسه، وجدته طيبًا مطيبًا، إنما يذكر القول الحسن الذي فيه إرشاد للخير، أو الذي فيه صلة، أو الذي فيه إصلاح بين الناس: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. من الناس من أقواله طيبة، طيب في لسانه، لا ينطق إلا بكلام طيب حسن،

يُسر به سامعه، ويقربه إلى مولاه، ويُباعده من نزغات الشياطين، فهل يستوي من طاب لسانه مع ذلك الرجل الآخر، أو مع تلك المرأة الأخرى؟ الذي إذا تكلم ـ أعني: الرجل إذا تكلم ـ، فإنما يتكلم بخبيث من القول، بغيبة أو بنميمة، أو بتفريق بين الناس، أو بنقل القالة فيما بينهم؛ ليوغر صدر فلان من إخوانه المسلمين على الآخر، إذا تكلم، فإنما يتكلم بالخبيث، يرشد إلى منكر، أو يحبب إلى خبيث: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

لا يستوي اللسان الطيب واللسان الخبيث، ولو قلَّ كلامه من لسانه طيب، فهو أزكى عند الله ﷻ، وإن ظنه الناس، إن ظنه الناس في عي من القول، وعدم إفصاح، فإنما ينطق بالحق، وبما يقربه إلى ربه ﷻ، قال ﷺ لمعاذ ﷺ في وصيته له: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فَقُلْتُ: يا نَبِيَّ الله؛ وإِنّا لَمُؤاخَذون بما نَتَكَلَّم بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

أيضًا ـ **أيها المؤمنون** ـ لا يستوي ذو الطيب من الأعمال، ذو الطيب من الأفعال وذاك ذو الخُبث في الأعمال، وذو الخُبث في الأفعال.

هذا الطيب في عمله إذا رأيته، رأيت عمله طيبًا، رأيت عمله حسنًا، رأيت عمله يحبب إلى الله، ويحبب إليه الناس، فهو لا يسعى إلا بعمل يسر به من رآه، طيب في عمله، مؤد لأمانته، مؤد لأمانته العظمى

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٣٤٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩).

في حق الله ﷻ بأداء فرائض الله، بأداء الواجبات التي أوجبها رب الأرض والسماوات، إذا عمل، فإنما يعمل على وفق الشرع، فهو طيب في أعماله، راع لأمانته في وظيفته، إذا استرعي على مال، حفظه، إذا استرعي على أيتام، حفظهم، وحفظ أموالهم، إذا استرعي على أولاده، حفظهم، وحفظ تربيتهم، فهو طيب في عمله، طيب في فعله، والله ﷻ طيب يحب الطيبين، والجنة دار للطيبين، فهل يستوي هذا وذاك الآخر الخبيث في عمله الخبيث في فعله. تراه لم يرع أمانة الله، ففرط في واجبات الله، لم يؤد الصلوات، وخان الأمانة، لم يؤد زكاة المال، إذا استرعي على عمل، خانه، إذا استرعي على مال، أكله، إذا استرعي على وظيفة، ارتشى، وغش، وخان، فهذا عمله خبيث، وعمله موبق له.

إذا رأيت هؤلاء كثيرين، والطيبين قليلين ـ الذين يرعون أمانتهم ـ، فتذكر قول الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾، بعض الناس إذا رأى الأكثرين تسارعوا في الخبيث من الأقوال والخبيث من الأعمال، ظن سوءًا في ثمرة الطيب من الأقوال وثمرة الطيب من الأعمال، يقول: الناس كلهم كذلك. فيحمله ذلك الظن على أن لا يكون طيبًا في قوله، وفي عمله، وفعله، وهذا من مداخل الشيطان على القلوب، وربك ﷻ يقول: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾، كذلك الطيب من الناس لا يستوي مع الخبيث من الناس.

المؤمن التقي الموحد لله، الذي أخلص قوله وعمله لله، فليس في قلبه عمل لغير الله، إنما هو مخبت لله، مخلص في قوله، مخلص في توجهاته لله، طاب ذاتًا وقلبًا، فليس في قلبه إلا محبة الله، ليس في قلبه إلا محبة رسول الله ﷺ، يُبغض الشرك وأهله، والبدع وأهلها، يبغض

ذلك متقربًا بذلك إلى الله، ويجاهد في ذلك، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. هل يستوي هو والآخر الذي لا يحب السُّنَّة وأهلها، الذي لا يرفع رأسًا بأعظم واجب، ألا وهو توحيد الله، يتساهل في ذلك، إما في نفسه، أو فيمن حوله، أو في دعوته؟ كل ذلك لا يستوي عند الله؛ ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾، إذا كثر أولئك، فلنعتز بقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال ﷻ في وصف من آمن مع نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، فالطيب هو الذي يباركه الله ﷻ، ويرفعه، وينميه، ويزكيه؛ لأن الله ﷻ طيب، لا يحب إلا طيبًا.

كذلك الطيب من المال والخبيث من المال لا يستويان؛ فالطيب في الأموال - وإن قلَّ -، فمآله إلى بركة، مآله إلى خير. بعض الناس تضيق عليه سبل الكسب، فلا يجد إلا قليلًا طيبًا، فليفرح بذلك الطيب القليل؛ لأن معه بركة الله ﷻ؛ لأن معه أن يكون نماء جسده ونماء دمه ونماء جسد أولاده من أموال طيبة يحبها الله، فإذا رفع ذلك الذي تحرى المال الطيب يديه إلى الله، كان حريًا بأن تقبل دعوته، كان حريًا بأن يجيبه الله ﷻ.

وكذلك لا يستوي هذا الرجل وذاك الآخر الذي ترى في عز وفي مال وفير، يتنوع في الملابس، ويتنوع في المراكب، وهي ليست من مال حلال، إنما هي إما من رشوة، وإما من ربا، وإما من غش، وإما من خيانة لأموال المسلمين، فلا يستوون عند الله، لا يستوون أبدًا، فذلك وإن كثر ماله، فإنما هو مال قبيح، ماله وبال عليه في هذه الدنيا وفي الآخرة، وإذا غُذي به جسده، فإنه متوعد بأن لا يجيب الله دعوته؛ ثبت في «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾** [المؤمنون: ٥١]، **وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»(١).

نعم، أيها المؤمنون ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾، لا في القول، ولا في العمل، ولا في الذوات، ولا في المال، ولكن الشأن كل الشأن من يروم ربه ﷻ، من يخلص لربه، من يروم جنة الله، من يروم دار الخلد ودار الكرامة ودار الطيبين، فيصبر على أن لا يقول إلا طيبًا، ولا يعمل إلا طيبًا، ولا يكسب إلا طيبًا؛ فإن ذلك يحتاج إلى صبر، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى أن يجعلني وإياكم من الذين طابت أقوالهم وأعمالهم، وطابوا ذاتًا ونفسًا، اللَّهُمَّ، اجعلنا وذرارينا ومن نحب من الطيبين المطيبين الذين رضيت أقوالهم، ورضيت أعمالهم. واسمع قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠٠﴾ [المائدة: ١٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، أُثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله ﷻ؛ فإن بالتقوى فخاركم وسعادتكم ورفعتكم في هذه الدنيا وفي الدار الأخرى.

أيها المؤمنون، لا يستوي الطيبون من الذرية، لا يستوي الطيبون من الأولاد وأولئك الخبثاء من الأولاد. تجد الطيب من الأولاد بارًا بوالديه، قريبًا من والديه، يسعى في خدمتهما، يسعى في إرضائهما، ممتثلًا في ذلك أمر الله ﷻ؛ حيث قال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤]، لا يذكر من القول إلا القول الكريم الذي هو أحسن الأقوال، لا يجابه والده، ولا أمه، وكل منهما له أعظم الحق، أعظم حق البشر للبشر.

فإذا كان كذلك، كان المؤمن الطيب ساعيًا في أحسن القول، ساعيًا في أحسن العمل، أولئك هم الطيبون من الأولاد، الطيبون من الذرية، الذين يرومون إرضاء والديهم بأنواع ما يرضونهم به مما هو في طاعة الله ﷻ، هل يستوون مع أولئك الذين خبثت ذواتهم، بأن وكلوا إلى أنفسهم، وتسلط الشيطان عليهم، ولم يتوبوا إلى الله، فتجدهم عاقين لوالديهم، عاقين لأمهاتهم، يدخلون البيوت ولا يقولون إلا أشر القول، ويخرجون وهم لا يعينون والديهم، لا في أمر صغير ولا كبير، تبعتهم على والديهم كبيرة، إذا تكلموا تكلموا بالخنا، يفرطون في واجبات الله، لا يؤدون الصلاة، وآباؤهم وأمهاتهم قلوبهم في حسرة على أولئك وعلى تلك الذرية؟ أولئك عليهم أن يتخلصوا من ذلك الخبث الذي جعله الشيطان في أنفسهم، وأن يكونوا طيبين مع آبائهم، طيبين مع أمهاتهم أعظم الطيب؛ ابتغاء لوجه الله ﷻ، ثم إرضاء لوالديهم؛ فكما تدين تدان.

كذلك بعض الآباء طيب في معاملته مع أولاده، إذا عملوا أمرًا يقره الشرع، ساعدهم على ذلك، وحبب إليهم ذلك، وآخرون ليسوا كذلك، بل هم في وجه المطيعين من أبنائهم، يصدونهم عن الطاعة، ويحببون إليهم ـ بطريق ظاهرة أو بطريق خفية ـ، يحببون إليهم أن يبتعدوا عن الطاعة، وأولئك عليهم أن يخافوا الله ﷻ من سوء الخاتمة، وبأن يحشروا مع الذين لا يُسر العبد أن يحشر معهم.

ذلك ـ **أيها المؤمنون** ـ أمر عظيم يجب علينا أن نتنبه له، وأن نكون ـ آباء كنا، أو أولادًا ـ أن نكون طيبين ساعين في ذلك بكل ما نستطيع.

اللَّهُمَّ، واجعلنا كذلك، وباعد بيننا وبين كل أمر لا تحبه ولا ترضاه.

عباد الله، إن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته؛ ليدلكم على عظم أمره، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، واصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد.

اللَّهُمَّ، واجعل ولايتنا في من خافك واتقاك، واتبع رضاك، وحكم بشرعك، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، اللَّهُمَّ، نسألك أمنًا وإيمانًا، اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا بخاصة، وعن سائر بلادنا بعامة، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا، لا يغادر منا أحدًا رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، علماء وولاةً يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: اليوم الآخر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف علينا من الدين الغمة، وجاهد في الله حق الجهاد، ونشهد أنه لا خير لنا إلا دلنا عليه، ولا شر لنا إلا حذرنا منه، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد كفاء ما أرشد وعلم، وكفاء ما هدى وألهم، وكفاء ما جاهد في الله حق الجهاد، اللَّهُمَّ، صل، وسلم على نبيك ورسولك محمد ما تتابع الليل والنهار.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، يقول الله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٦٨ ـ ٧٠]، في هذه الآيات ذكرى للإيمان بيوم الله الآخر،

للإيمان بيوم المعاد، الذي هو كائن لا محالة، فإن الإيمان بيوم الله الآخر ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد حتى يعلم ويتيقن ـ دون ريب ولا تردد ـ أن ثمَّ يومًا يرجع فيه الناس إلى الله، فيحاسب المحسن والمسيء، فيجازي المحسن بإحسانه، ويجازي المسيء بإساءته، والله ﷻ قال في هذه الآيات: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩]، حين تشرق الأرض بنور الله ﷻ، يضع الله ﷻ كتاب كل أحد، الذي فيه أعماله، الذي فيه ما عمله من صالح، واتبع فيه رسوله ﷺ، وما عمل فيه من طالح، خالف فيه أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ﴾؛ يعني: ما يطير عنه، وما ينفصل عنه من عمل صالح كان أو غير صالح، فإنه مع المرء يلازمه حتى يخرج له يوم القيامة، يُخرج له يوم القيامة كتاب يلقاه منشورًا أمامه، فيقرره الله ﷻ بما فيه من العمل: ألم تعمل ـ يا عبدي ـ يوم كذا، كذا وكذا؟ ألم تعمل يوم كذا، كذا وكذا؟ فيقرر الله ﷻ عباده بما عملوا من خير ومن سوء، فأما المؤمن، فإنه يقر بذلك، وهو يرجو عفو الله، وأما الكافر أو المنافق أو الفاسق، فربما جادل في ذلك، والله ﷻ يقيم عليهم الحجة، حتى يقول بعض أولئك المجادلين: يا ربنا، أنت الحكم العدل، لا نقبل علينا شهيدًا إلا من أنفسنا، فينطق الله ﷻ جلودهم، وينطق الله ﷻ سمعهم، وينطق الله ﷻ أبصارهم، وينطق الله ﷻ جوارحهم بما اكتسبوا: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا

يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ٢١ ـ ٢٤].

إنه في ذلك اليوم تنشر الكتب، ويعرف المرء عمله، فيكون المؤمن فرحًا مسرورًا، يأخذ كتابه بيمينه، ويكون الكافر أو الفاجر خائفًا وجلًا، لا يدري ما يُصنع به، وترفع النار، فيساق إليها الكفار وردًا، يساقون إليها، فيتهافتون فيها تهافت الجراد.

وأما أهل الإيمان، فإنهم يتأخرون، وكذلك الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا في أمر عصيب في ذلك اليوم، حتى تقام الظلمة دون الجسر، وينصب الصراط على النار، والأنبياء يقولون ـ وهم على الصراط: «**اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١)؛ من شدة ما يرون من الهول، فكلٌّ لا يهمه إلا نفسه، فإن المرء تهمه نفسه.

فيأتي أهل الإيمان يمشون على الصراط بقدر أعمالهم، ويرون الصراط، ودونه الظلمة؛ لأنهم يعطون نورًا، فيعبر بعض أهل الإيمان كالبرق سرعة، وبعضهم يعبر كالراكب بسرعة، وبعضهم يمشي مشيًا، وبعضهم يحبو حبوًا، والقلوب خائفة وجلة في أمر عصيب؛ لأن بعده عذاب سرمدي أو نعيم سرمدي.

والناس إذا عبروا على الصراط، فمنهم ناج مُسَلَّم، ومنهم مكردس في النار، قال ﷺ: «**ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ**

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢).

عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»(١).

فينقي الله أهل الإيمان في النار إذا لم يشأ أن يغفر لهم، ينقي ما في قلوبهم من الخبث؛ لأن العاصي في قلبه خبث لا بد أن يطهر إن لم يغفر الله له ذلك، ويطهره بمنِّه وكرمه.

فتكون النار للكفار، تكون طبقتها العليا لأهل التوحيد، يمكثون فيها زمانًا طويلًا وهم في عذاب شديد، عذاب شديد شديد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يشفع الشفعاء، وتبقى شفاعة رب العالمين...، إلى آخر ما يحصل من ذلك؛ كما في الحديث: **«فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»**(٢).

وإذا جاوز أهل الإيمان القنطرة، جاوزوا الصراط، اجتمعوا دون الجنة، فتأخر الأغنياء عن دخول الجنة بنصف يوم؛ يعني: بخمسمائة سنة، ويدخل الفقراء الجنة أول الأمر؛ كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ**»(٣)؛ لأن حقوق المال عظيمة،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٣/٣٢٨)، والترمذي (٢٣٥٣، ٢٣٥٤)، وابن ماجه (٤١٢٢)، والنسائي في الكبرى (١١٧٩٢)، وابن حبان (٢/ ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٦)، وأبو نعيم (١/ ٣٤٢، ٨/ ٣٠٦)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٤٦).

ولأن حقوق ما آتى الله عباده فيها أمر شديد، وفيها حساب، فيؤخر الأغنياء حتى يعطى الناس منهم حقوقهم، وعن ذلك يحصل بلوغ المنازل لهم. ثم يدخل أولئك الأغنياء، يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، ثم يدخل أهل الجنة الجنة، ودرجاتهم متفاوتة، وإن منهم لمن يتراءى درجة إخوانه؛ كما نرى اليوم الكوكب الدري الغابر في السماء، نرى بصيص نوره، ولا نرى ما فيه؛ لأجل شدة ارتفاعه، وإن من الناس من هم مع الأنبياء: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

أيها المؤمن، إن الإيمان باليوم الآخر لا بد أن نتيقنه، وما يحصل فيه يجب أن يكون في قلوبنا من غير شك ولا مرية، نرى الجنة أمامنا دائمًا، لا تغيب عنا، ونرى النار بهولها وعذابها وما فيها، نراها دائمًا لا تغيب عنا، وهذه العقيدة وهذا الإيمان يثمر في قلب المؤمن الرجاء في أن يكون من أهل الجنة، فيحمله رجاؤه على طاعة الله، وعلى خوف الله، وعلى أن يتنكب أن يأتي ما لم يأذن به الله ﷻ، فترى الذي يخاف الدار الآخرة تراه مراقبًا لنفسه، فيأتي الواجبات مسرعًا مطيعًا من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وكذلك ما أمر الله به من أداء الأمانة، وكذلك ما أمر الله به من العدل في الناس، وكذلك ما أمر الله ﷻ به من أنواع الأوامر في التعامل مع النفس، ومع الأهل، وفي البيت، ومع المسلمين، ومع غير المسلمين.

إن لله في ذلك كله أوامر، فيرى المؤمن الذي يرى أمامه الجنة والنار، ويرى أمامه تطاير الصحف، ويرى أمامه الميزان والصراط،

وذلك الهول بما سمع في القرآن والسُّنَّة، يرى نفسه لا بد أن يلزمها بتقوى الله.

والمؤمن الذي يعي ذلك يجد نفسه عظيمًا عليها أن يخالف أمر الله ﷻ، يرى نفسه عظيمًا عليها أن تخالف الحق، أو أن تأتي بالباطل، إن العقيدة هذه بالنار وبوجودها، وبأنه يدخلها الكفار، وبأنه يدخلها العصاة إن لم يغفر الله لهم، وذلك في حق غير التائبين إن لم يشأ الله مغفرته لهم، فإنهم يعذبون في ذلك، وعذاب النار من يصبر عليه؟! ويتذكر المؤمن أن من أولئك الذين يعذبون من يقول الكلمة لا يلقى لها بالًا، يهوي بها في النار سبعين خريفًا[١]، يلقي الرجل الكلمة، وتلقي المرأة الكلمة، لا تلقي لها بالًا، تظن أنها سهلة، وهي تهوي بها في النار سبعين خريفًا.

وقد جاء أن من الناس من يقرب من الجنة، فيلقي كلمة، يتكلم بكلمة لا يدري ما فيها، يتباعد؛ كما جاء في الأثر: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْنُو مِنَ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا قِيدُ ذِرَاعٍ، فَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، فَيَتَبَاعَدُ مِنْهَا أَبْعَدَ مِنْ صَنْعَاءَ**»[٢]، وهذا من شدة أثر الكلام؛ لأنه نوع من أنواع ما يحاسب به العبد.

كذلك أعمال القلوب من الصالحات؛ كالإيمان، والتوكل،

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (١٢/١٤٩)، والترمذي (٢٣١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**».

(٢) أخرجه أحمد (٢٧/١٥٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٤٥٨)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٤٢٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٩٧). وأخرجه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨)، وفيه: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

والرغب فيما عند الله، وخشية الله، والبكاء من خشية الله، وكتعليق القلب بالله وبأوامره، هذا يؤجر عليه، فيسعى المؤمن عليه. أعمال القلوب المحرمة يراها من الكبر وسوء الظن، ومن سوء الظن بالمسلمين من غير حجة، وكذلك من أنواع الإعجاب بالنفس وتزكية النفس، ونحو ذلك من أعمال القلوب المحرمة، يراها تعظم عليه.

وقد قال بعض أهل العلم: (إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب، فلا يزال نصب عينيه منه مشفقًا وجلًا باكيًا نادمًا مستحييًا من ربه تعالى، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة. ويفعل الحسنة، فلا يزال يمُنُّ بها على ربه، ويتكبر بها، ويرى نفسه، ويعجب بها، ويستطيل بها، ويقول: فعلت وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه. فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرًا، ابتلاه بأمر يكسره به، ويذل به عنقه، ويصغر به نفسه عنده، وإن أراد به غير ذلك، خلَّاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه)[1].

فالأمر ـ أيها المؤمن؛ لأنك مؤمن بالآخرة ـ الأمر خطير، والناس في غفلاتهم، وأعظم ما يعاقب به القلب أن يكون غافلًا لا يتذكر الجنة، ولا يتذكر النار، لا يتذكر اليوم الآخر. تذكر قول الله ﷻ: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩]، يشهد النبيون والشهداء أنه قد أقيمت

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٧)، والفوائد لابن القيم رحمه الله (ص١١٣).

الحجة على عباد الله؛ كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، يسأل الله ﷻ المرسلين: هل أديتم؟ هل بلغتم الأمانة؟ فيقولون: (يا رب اللَّهُمَّ بلغنا)، ويسأل الذين أرسل إليهم: هل بُلِغتم الأمانة؟ وهل أتتكم رسلي، فأعلمتكم بما أمرت ونهيت؟ فيقول الذين أرسل إليهم: (نعم يا رب بلغنا)، قال الله ﷻ بعد ذلك: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨][(١)].

فيا أيها المؤمنون، إن الذي تثقل موازينه هو المفلح، والذي تخف موازينه هو الخاسر، وأنت رقيب على نفسك، والدنيا لن تنفعنا، لن تنفعنا إلا إذا كانت ميدانًا للطاعة، وإن غدًا لناظره قريب، إن غدًا، إن يوم القيامة لناظره قريب، وسيقول الناس يوم القيامة: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]، سيرون ذلك حقًا حقًا.

والمؤمن يؤمن بذلك، ولكن عليه أن يكون إيمانه بذلك قويًا متيقنًا، وأن يستحضر ذلك الإيمان؛ فإن استحضاره دائمًا يقي المرء الهلكة، والهلكة ليست في الدنيا، وإنما الهلكة الصحيحة في الآخرة لمن خسر، وخفت موازينه، ودخل النار، قال ﷻ: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾ [الزمر: ٧٠]، وفيت كل نفس، كل الأنفس توفى ما عملت، ما عملت من خير، فستوفى، وما عملت من شر، فستوفى، وسترى ذلك أمامك، ويأتي المؤمن وينظر إلى ساعة من ساعات عمره قضاها في غير طاعة، قال ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، إِلَّا رَأَوْهُ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)]، على أن أمضى

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٦٤)، وابن كثير (٣/ ٣٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٦٦٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٢٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ساعات من عمره ليست في طاعة الله، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.

يوفى أهل الطاعة طاعاتهم، يوفى أهل الإيمان درجاتهم، يوفون أجورهم، وأما العصاة، فأيضًا يوفون أجورهم، ويعطون سيئاتهم، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، فيكون المؤمن يعلم أنه سيوفى عمله، فإذا كنت تقر بذلك ـ ولا شك في ذلك أبدًا ـ، فاعمل ليوم تريد أن ترى فيه ما يسرك، وحذارِ من شهوة تعقبك ندمًا دائمًا، حذارِ من شهوة مال، أو من شهوة جاه، أو من شهوة دنيا، أو من شهوة نساء، أو من شهوة طمع تذهب عنك لذة اليقين، وتذهب عنك الأجر في الآخرة، بل وتحمل عليك من الوزر ما لا تطيقه.

أيها المؤمن، تذكر في كل حياتك قول الله ﷻ: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾، يوفى كل أحد ما عمل، يوفى أهل السُّنَّة أعمالهم، ويوفى أهل البدع أعمالهم، ويوفى أهل الصلاح أعمالهم، ويوفى أهل السوء عملهم، والله ﷻ حكم عدل: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

أسأل الله ﷻ، بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يوقظنا من غفلتنا، وأن يجعلنا من أتباع نبيه، اللَّهُمَّ، اجعلنا من الذين يرون الحق حقًا، فيتبعونه، ومن الذين يرون الباطل باطلًا، فيجتنبونه.

اللَّهُمَّ، إنا ضعاف، فاحملنا على طاعتك، اللَّهُمَّ، إنا نعوذ بك من كيد الشياطين علينا، اللَّهُمَّ، نعوذ بك وأنت المستعاذ به، نعوذ بك من كيد الشياطين علينا، ومن شر أنفسنا، فلا تكلنا لأنفسنا ـ يا ربنا ـ طرفة عين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: ٧٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم يوم القيامة، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين،

وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا، اللَّهُمَّ، انصرهم، وأيدهم بتأييدك، وأمدهم بمدد من عندك؛ فإنك أنت القوي العزيز.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تؤمننا في دورنا، وأن تصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وأن تدلهم على الرشاد، وتباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أجود الأجودين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن لا تميتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح، اللَّهُمَّ، وفقنا لتوبة نصوح قبل الممات، اللَّهُمَّ، وفقنا لعمل صالح به ترضى عنا، وأنت أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين؛ فإنه لا غنى لنا عن عافية الله ورحمة الله، اللَّهُمَّ، فعافنا، نسألك العفو والعافية الدائمة في الدنيا والآخرة.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: تحقيق الأمن في دار الإسلام
انفجار الخبر

الخطبة الأولى:

الحمد لله، يحق الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته، ولا شريك له في ألوهيته، ولا شريك له في حكمه وأمره، لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، وتركنا بعده ﷺ على بيضاء من الطريق والسبيل ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك، فصلى الله وسلم على نبينا محمد كفاء ما أرشد وعلَّم، وكما أمرنا ربنا ﷻ، وعلى الآل والصحب أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ فرض على العباد توحيده، وفرض على العباد أن يوحدوه في الربوبية، وفي الألوهية، وفي الأسماء والصفات، وأن يجعلوا شريعته هي الحاكمة في كل ما يختلفون فيه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وبعث رسله عليهم صلوات الله

وسلامه؛ لتكون شريعته هي الحاكمة وحدها، ولتكون آياته المتلوة هي المنفذة وحدها، والله ﷻ وعد عباده الذين آمنوا به ربًا، وبنبيه محمد ﷺ رسولًا نبيًا، وبدين الإسلام دينًا، وعد من رضي ذلك بالأمن التام يوم القيامة، وبالأمن في الدنيا، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

وهؤلاء الذين آمنوا، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم هم الذين حققوا شريعة الله ﷻ بحسب ما في وسعهم من ذلك؛ إذ يقول ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، هم الذين امتثلوا قول الحق ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]، فجعل الله ﷻ هذه الأمة التي وعدهم بالتمكين في الأرض أنهم إن مكنوا، أقاموا الصلاة، وأمروا بذلك، وآتوا الزكاة، وجمعوها على وفق الشريعة، وأمروا بالمعروف، وأعلاه وأسه التوحيد، ونهوا عن المنكر، وأرذله وأقبحه الشرك. ولله عاقبة الأمور فيما يفعل وفيما يختار.

فالله ﷻ وعد الأمة التي آمنت وحققت توحيد الله بالأمن؛ إذ الأمن أنواع، فأعظمه أمن الدين أمن العقيدة أمن التوحيد، أن لا يُعبد في أرض الله إلا الله وحده لا شريك له، وألا يُحكم إلا بشريعة محمد ﷺ، فهذا هو أعلى أنواع الأمن ألا وهو الأمن العقدي، وهذا الأمن إن حققته أمة الإسلام، فإنها بتحقيقها لشريعة الإسلام وبتطبيق أحكامه، فإن لها الأمن النفسي في الأرواح وفي الأموال، إن لها الأمن في الذوات؛ ولهذا أمر الله ﷻ عباده أن يقيموا القصاص تامًا، وجعل إقامة القصاص حياة، جعل إقامة القصاص حياة للمؤمنين، بل للناس جميعًا، قال ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

قال العلماء: نَكَّر (حياة) هنا، فقال: حياة. ولم يقل: الحياة؛ لأنه بذلك تدخل جميع أنواع الحياة المستلذة، الحياة السعيدة[(١)]؛ ولهذا أيضًا جعل الله ﷻ من لم يحقق الأمن النفسي الذاتي في نفس واحدة، فكأنه لم يحقق الأمن في الناس جميعًا، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢]، فالذي يحيي النفس بترك إزهاقها، فكأنما أحيا الناس جميعًا، والذي يهلك النفس بغير حق وبغير فساد في الأرض، فإنه كأنما أهلك الناس جميعًا؛ لأن النفوس في المجتمع الذي يحكم بشريعة الإسلام نفس واحدة، ليست بمتعددة؛ إذ حمايتها فرض على الجميع. الحظ هذا مع قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، جعل لمز المسلم للمسلم، وجعل الاعتداء عليه في عرضه اعتداء على النفس ذاتها: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾.

إذًا كان إهلاك النفس الواحدة إهلاكا لجميع الأنفس، وكان إحياء النفس الواحدة إحياء للأنفس جميعًا.

قال المفسرون: هذا يشمل في دار الإسلام النفس المؤمنة الموحدة، ومن أعطته الأمان النفس المؤمنة الموحدة من النفوس التي هي غير مؤمنة؛ كأنفس الذميين، وأنفس المستأمنين والمعاهدين.

فصار الأمر - **أيها المؤمنون** - أنه في دار الإسلام التي تحكم بشريعة الإسلام أن إزهاق نفس واحدة كإزهاق الأنفس جميعًا، لا فرق في ذلك، وأن ترك ذلك - ترك إزهاق الأنفس بغير حق - إحياء للناس جميعًا.

---

(١) انظر: تفسير الزمخشري (١/ ٢٢٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢/ ١٤٤).

قال طائفة من المفسرين: معنى الآية: أن من أحيا نفسًا واحدة، فقد أحيا الناس جميعًا ـ يعني: في الأجر ـ، فله بترك التعدي أجر ذلك فضلًا من الله ونعمة، ومن أهلك نفسًا واحدة بغير حق، فإن عليه وزر إهلاك الأنفس جميعًا(١).

وتذكر هذا مع قول النبي ﷺ في وصف ولد آدم، الذي قتل أخاه بغير حق، قال: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ**»(٢).

أيها المؤمنون، إن المسلمين مطالبون بتحقيق أمر الله ﷻ في دار الإسلام، بأن يؤمنوا أنفسهم وإخوانهم المسلمين من أنواع الاعتداء على الأنفس، وعلى الأموال، وعلى الأعراض، وأن يؤمنوا من أعطاه المؤمنون الأمان أو العهد؛ إذ قد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في المؤمنين: «**الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ**»(٣)؛ يعني: من أعطى الأمان من المؤمنين لواحد ممن ليس من أهل الأمان من الكفار، فإنه يجب على الأمة أن تعطيه الأمان؛ لأجل أنه أُمِّن، يسعى بذمتهم أدناهم، وبهذا يتحقق الأمن في الأمة المسلمة، ويتحقق وعد الله، ويتحقق تطبيق شريعة الله ﷻ.

لهذا كان من لم يحقق هذا النوع من الأمن في بلاد الإسلام وفي دار الإسلام، التي تحكمها شريعة الإسلام، ويحكمها ولي الأمر

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٤٩)، وتفسير البغوي (٣/ ٤٦)، وزاد المسير (١/ ٥٣٩، ٥٤٠)، وابن كثير (٣/ ٩٢ ـ ٩٣)، والقرطبي (٦/ ١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٢٧) (١٦٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٣)، والنسائي في المجتبى (٤٧٣٥، ٤٧٤٥، ٤٧٤٦)، وفي الكبرى (٦٩١١، ٦٩٢١، ٦٩٢٢، ٨٦٢٨)، وأحمد (٢/ ٢٨٥، ١١/ ٥٥٥)، وأبو يعلى (١/ ٤٢٤).

المسلم، كان في ذلك عند الفقهاء الخروج عن شريعة الإسلام والمضادة لله ولرسوله؛ يعني: المحاربة لله ولرسوله. قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ الآية [المائدة: ٣٣]. قال هنا ﷻ: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، قال العلماء من السلف والخلف: أي: يضادون أمر الله وأمر رسوله في تحقيق الحياة للأنفس جميعًا من أنفس المؤمنين وأنفس المعاهدين والمستأمنين(١).

وجعل في ذلك الفقهاء حدّ الحرابة؛ يعني: حدّ المعارضين لأمر الله وأمر رسوله بتحقيق الأمن في مجتمع الإسلام وفي دولة الإسلام، التي تحكم بشريعة الإسلام؛ إذ المؤمن من سلم المؤمنون من لسانه ويده، إذ المؤمن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده(٢)، والمؤمن من أمنه الناس على أنفسهم ودمائهم وأموالهم؛ كما جاء في الحديث(٣).

أيها المؤمنون، نخلص من هذا أن من أزهق نفسًا واحدة ـ نفسًا مسلمة، أو نفسًا أعطاها الأمان المسلم، بأن تكون من الأنفس المعاهدة، أو المستأمنة، أو من الذميين في دار الإسلام ـ، فإن في إزهاق تلك الأنفس، أو في الاعتداء على أموالها، أو في الاعتداء على ما أُمِّنوا به، إن في ذلك إخلالًا بأمر الله وبأمر رسوله، ومعارضة لذلك، وأن يكون الفاعل في طرف يقابل ويعارض بذلك أمر الله وأمر رسوله،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٤٣، وما بعدها)، وزاد المسير (١/ ٥٤٠)، والقرطبي (٦/ ١٤٧، وما بعدها)، وابن كثير (٣/ ٨٣، وما بعدها).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٠، ٦٤٨٤)، ومسلم (٤٠): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٣٠)، والحاكم (١/ ٥٤).

ويعارض شريعة الإسلام، فيكون إذًا محاربًا لله، محاربًا لرسوله ﷺ؛ إذ معنى محاربة الله ومحاربة رسوله، التي جزاؤها القتل... إلى آخره، معنى ذلك أشياء، ويدخل فيه دخولًا أوليًا أن تكون المحاربة بمعارضة مراد الله ومراد رسوله ﷺ بتحقيق الأمن في الناس.

وقد ذكر أصحاب الصحاح من كتب الحديث، ذكروا قصة العرنيين الذين أتوا إلى رسول الله ﷺ، ولما أتوا إليه في المدينة مسلمين، كأنهم استوخموا المدينة، وأصابهم فيها نوع مرض لجوها الذي لم يعتادوه، فأمرهم النبي ﷺ أن يلحقوا بإبل الصدقة، وكانت خارج المدينة، وإذا لحقوا بها أمرهم ﷺ أن يشربوا من ألبانها ومن أبوالها، فلما شربوا من ذلك بعد لحوقهم بإبل الصدقة، قتلوا الراعي، لما استصحوا وتعافوا، قتلوا الراعي، وسملوا عينه، وساقوا الإبل. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأمر فئة من الأنصار أن تلحقهم، فلما لحقوهم، أتوا بهم، واقتادوهم إلى المدينة، فأمر بهم النبي ﷺ أن تقطع أيديهم وأرجلهم، وأن تسمل أعينهم بالحديد الساخن؛ يعني: أن تخرق أعينهم، وأن يُرموا في الحرة، ولم يحسموا من جراء القطع، تُركوا، فاستسقوا فلا يسقون، حتى هلكوا بعد مدة قضوها(١).

وقال أهل العلم: فيهم نزلت آية الحرابة هذه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٠٤)، ومسلم (١٦٧١) عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: «قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُكْلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، كَانُوا فِي الصُّفَّةِ، فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْغِنَا رِسْلًا، فَقَالَ: «**مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِإِبِلِ رَسُولِ اللهِ**»، فَأَتَوْهَا، فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ الصَّرِيخُ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أُتِيَ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَأُحْمِيَتْ، فَكَحَلَهُمْ، وَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَمَا حَسَمَهُمْ، ثُمَّ أُلْقُوا فِي الحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَمَا سُقُوا حَتَّى مَاتُوا». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: «سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَحَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ».

يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣][(١)].

قال العلماء: من قتل مؤمنًا أو مستأمنًا غيلة، من قتله غيلة ـ يعني: وهو آمن ـ، فإنه ليس لأحد أن يعفو عنه؛ إذ الغيلة لا عفو فيها، وإنما العفو أو جريان بعض الأحكام فيما إذا واجهه وقتله بعد نزاع، أما أن يأتيه بمأمن منه، ويقتله، فإن ذلك خروج عن أمر الله وأمر رسوله، وسعي في الأرض بالفساد، وإعلان لمحاربة الله ورسوله في المراد من الشريعة بأن يشيع الأمن في دار الإسلام.

إذا تحقق ذلك، وتأصل هذا من جهة الشرع، وفهمناه، وعلمنا ما جاء في ذلك من الأحكام، فنعود إلى ما حصل وعُلم، ورأيتم من تلك الفعلة القبيحة، التي شابهت الفعلة التي قبلها، فعلة التفجير الذي حصل في شرق هذه البلاد، وإنها لفعلة زادت في السوء ومخالفة الشريعة ومحاربة الله ورسوله عن الفعلة التي فُعلت قبلها، زادت في ذلك؛ لأنها مع أنها اشتركت مع الأولى في قتل مستأمنين ومعاهدين دخلوا لهذه الأرض بأمان، ولا بد أن نحقق فيهم قول النبي ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»**[(٢)]، وقال ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»**[(٣)]، تحقق ذلك،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٦٦)، وزاد المسير (١/ ٥٤٠)، وابن كثير (٣/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٦، ٦٩١٤).

(٣) أخرجه الترمذي (١٤٠٣)، وأحمد (١١/ ٣٥٦)، والنسائي في المجتبى (٨/ ٢٥)، وفي الكبرى (٨٧٤٢)، والبيهقي في السنن (٩/ ٢٠٥)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤٢٦)، وابن ماجه (٢٦٨٦)، والبزار (٦/ ٣٦١، ٣٦٨، ٩/ ١٢٩)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٣٧، ٢٠٦، ٣/ ٢٠١)، والحاكم (١/ ١٠٥).

وزاد عليه أنه حصل في ذلك اعتداء على نفوس مسلمة بقتل، أو بجرح، أو بإسالة دماء، أو بترويع، وهذا يظهر فيه بالإجماع أنه محاربة لله ولرسوله، وسعي في الأرض بالفساد.

وإن محاربة هذه الأفعال لواجب على كل مسلم يخشى الله، ولا يكون في صف الذين يحاربون الله ورسوله؛ إذ العلم الشرعي ونصوص الكتاب والسُّنَّة ليس فيها حتى الشبه التي تكون معها تلك الأفعال ليست محاربة لله ولا لرسوله، إلا أن يكون في ذلك من الشبه الشيطانية التي ليس لأصحابها عذر في الشريعة؛ لأن العلم ظاهر، ولأن الدلائل بينة، وقد ساق أهل العلم فيما بعد تنفيذ حكم الله ﷻ وحكم رسوله ﷺ في المجرمين الذين فعلوا ما فعلوا في التفجير الذي كان في (العُلَيَّا)[1] هنا، ساقوا من الأدلة والبراهين التي من اطلع عليها، انقطع عنه عذره، وانقطعت عنه الشبه فيما إذا فرض أن ثم شبه، والحقيقة أن كتاب الله ﷻ يتلى، وأن سنة النبي ﷺ في هذه البلاد لا تخفى، وأن كلام أهل العلم سار ترى، يتابع بعضه بعضًا، فأي شيء يبقى لهذا؟!

وجب أن نكون متبرئين ممن يعارض الله ورسوله في تحقيق الأمن والأمان في دار الإسلام، ومن كان في قلبه شيء من خلاف ذلك، فليحذر أن يموت وفي قلبه هذه المعارضة، فيكون من جملة الذين أخبر النبي ﷺ عنهم بقوله: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[2]، وفي رواية: «**أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ**

---

(١) حي من أحياء الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود ﷺ، ولفظ مسلم: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يا رَبِّ** =

يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ، أُنادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»[١].

إن التبرؤ من هذه الفعلة وممن فعلها واعتقاد جرمه فرض من الفرائض، لا يعذر من تركه أو من أبقى في قلبه شيئًا من التردد في قبح ذلك وفي محاربته لله ولرسوله ﷺ.

وإذا اجتمع هذا، وجب على المؤمنين أن يكونوا يدًا واحدةً مع ولاة أمرهم، حتى يتحقق أمن الله الذي وعد به المؤمنين، وعد به الذين يحققون الإيمان، وإنه لن يتم ذلك إلا عندما نكون يدًا واحدة، فالشريعة ظاهرة، ودارنا دار إسلام، والشريعة محكمة مهما عاب المعيبون، ومهما تردد الضالون، ومهما شكك المشككون، فالحق ظاهر، والشبهة أو التردد الذي يكون في بعض الأنفس ليس مرده إلى خفاء الحق، وإنما مرده إلى فتنة علقت ببعض القلوب.

والنبي ﷺ بيّن لنا أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، هذه شهادة المصطفى ﷺ، قال: **«لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، قِيلَ:** يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: **الْجَمَاعَةُ»**[٢]، وفي لفظ قال ﷺ: **«كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً،** قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **مَا أَنَا عَلَيْهِ**

= **أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»**.

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن، وله طرق، وورد عن عدد من الصحابة منهم: معاوية ﷺ عند أبي داود في السنن (٤٥٩٧)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٧). وعوف بن مالك ﷺ عند ابن ماجه (٣٩٩٢)، واللفظ له، والطبراني في الكبير (١٨/ ٧٠). وأنس ﷺ عند ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في المسند (٣/ ١٤٥)، وأبي يعلى في مسنده (٧/ ١٥٥). وانظر: تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤).

وَأَصْحَابِي»[(١)].

وإذا تأملت حال صحابة رسول الله ﷺ، وحال المتابعين لهم من سلف الأمة، وحال أئمة الإسلام، وجدتهم قد دونوا في عقائدهم، ورسخوا الحق، وبيَّنوه، حتى صار المخالف لهم ضالًا بإجماع أهل السُّنَّة؛ لأن من لم يكن مع أهل السُّنَّة، فهو مع أهل البدع والضلالة، وهو إذًا مع أهل الفرق الضالة، التي قال فيها ﷺ: «**كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**».

أيها المؤمنون، واجب علينا أن نكون مناصرين لله ولرسوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ [الصف: ١٤]، وأنصار الله هم الذين يناصرون عقيدة الإسلام الصحيحة، يناصرون عقيدة الإسلام التي أقرها أئمة سلف هذه الأمة وبيَّنوها، أنصار الله هم الذين يضادون الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا، ومن لم يكن على ذلك، فليس من أنصار الله؛ إذ نصر الله نصر لشريعته بجملتها، نصر لأحكام الله، نصر للمقاصد العظيمة لشريعة الإسلام.

ومن مقاصد الشريعة العظيمة أن يتحقق الأمن والأمان للناس في دار الإسلام، فيظهر بذلك حسن الإسلام وحسن مجتمع الإسلام، وأثر تطبيق الشريعة وتحقيق التوحيد في الأمن والأمان.

وإن المنافقين وإن المجرمين الذين يسعون في محاربة الله ورسوله،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٣٧)، والصغير (٢/ ٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه.
وروي نحوه من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، رضي الله عنهم أجمعين، انظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (١/ ٤٤٧).

وفي الإفساد في الأرض، إنهم في الحقيقة أعدى أعداء الشريعة؛ لأنهم يريدون بفعلهم أن يظهروا الإسلام ودار الإسلام أنها ليست على ما ينبغي من الأمن والأمان، فيشكك بعدئذ يشكك في ولاية المسلمين، ويشكك في حسن الشريعة، ويشكك في حسن العقيدة، ويشكك في أثر ذلك على النفس والأنفس.

أسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يدحر المجرمين أينما كانوا، اللَّهُمَّ، من أرادنا وأراد ولاة أمرنا وعلماءنا وسائر المسلمين من إخواننا بسوء ـ اللَّهُمَّ ـ، فاجعل كيده في نحره، اللَّهُمَّ، حقق به وعدك الذي قلت: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة: ٣٣]، اللَّهُمَّ، افضحهم يا كريم، اللَّهُمَّ، أسرع بإدراكهم؛ فإنك على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ، نتبرأ من كل معارض لحكم الله وحكم رسوله ممن يسعون في الأرض بالفساد، اللَّهُمَّ، إنا نبرأ إليك منهم، وندرأ بك في نحورهم، فأنت ولينا، لا حول لنا ولا قوة إلا بك.

اللَّهُمَّ، واجعلنا مع ولاة أمورنا من المتعاونين على البر والتقوى، ومن المحققين لمقاصد الشريعة الغراء، يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم عند مولاكم، فاتقوا الله حق تقاته، وعظموه في السر والعلن، وابتغوا إليه الوسيلة، واطلبوا حاجاتكم منه ﷻ، فتلكم هي حقيقة التقوى.

أيها المؤمنون، صلوا على نبيكم الكريم؛ إذ أمركم الله ﷻ بذلك، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، اللَّهُمَّ، اجعلنا في أمن وأمان وسلامة وإسلام، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، ووفق ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ دلهم على الرشاد، واجعلنا وإياهم من أهل الهدى والسداد، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، انصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر الهدى وأهله، اللَّهُمَّ، انصر الهدى وأهله في كل مكان، اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين الذين يجاهدون لتحقيق توحيدك وإقرار سُنَّة نبيك ﷺ، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ، ادفع عنا الفتن، اللَّهُمَّ، ادفع عنا الفتن، اللَّهُمَّ، ادفع عنا أنواع ما يخل بالأمن بأنواعه، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، اجعلنا آمنين في عقيدتنا وتوحيدنا وشريعتنا، آمنين على أنفسنا، آمنين على أعراضنا، آمنين على نسلنا، آمنين على عقولنا، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من المتعاونين على تحقيق ما تحب وترضى، يا أرحم الراحمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: حفظ اللسان والجوارح

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي حَمَده أهل السماوات وأهل الأرض طوعًا أو كرهًا، فهو المحمود في كل حال وعلى كل حال، وهو المحمود الذي بحمده تتفتح أبواب الخيرات، فالحمد لله ربِّ العالمين، ابتدأ ﷻ خلقه بحمده سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وأنهى الحياة بحمده سبحانه: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، ونحن ما بين هذين الحمدين - الحمد الأول والحمد الآخر - نحمد، ثم نحمد، ثم نحمد، فالحمد لله في الأولى والآخرة، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واعلموا أن حقيقة تقواكم لله ﷻ أن تمتثلوا أوامره.

الله ﷻ أمرنا بأوامر، ونهانا عن نواهٍ، فمن امتثل الأمر، وانتهى عما عنه نهى الله ﷻ، فهو من المتقين، فحقيقة التقوى أن تطيع الله ﷻ على نور من الله سبحانه، ترجو ثواب الله، وأن تترك ما نهى الله عنه،

على نور من الله، تخشى عقاب الله ﷻ[١]. فاتقوا الله حق تقاته، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

أيها المؤمنون، جاء في صحيح أبي عبد الله البخاري رحمه الله من حديث الشعبي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»[٢]، فالنبي ﷺ في هذا الحديث يبين حقيقة المسلم وحقيقة كمال الإسلام، ويبين حقيقة الهجرة التي لا تنقطع، ولا تكون في حال دون حال، فحقيقة المسلم أن يسلم المسلمون من لسانه ويده، وهذه السلامة تجعل المسلمين يسلمون من لسانه ويده؛ لأنه سلمهم من لسانه ويده لما بينهما من عقد الأخوة والمحبة في الله ﷻ، فإن الحبيب والمحب لا يسيء إلى حبيبه، والله ﷻ عقد الموالاة وعقد المحبة بين المسلمين جميعًا، بل بين المسلمين والمسلمات، فقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

فالمؤمن والمؤمنة والمسلم والمسلمة بعضهم أولياء بعض، يحب بعضهم بعضًا محبة دين ومحبة إيمان، ويحب بعضهم بعضًا في الله، فالإسلام هو الذي جمعهم، والإيمان هو الذي ألَّف بين قلوبهم: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

---

(١) كما قال طلق بن حبيب رحمه الله: «التَّقْوَى: الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ، رَجَاءَ رَحْمَةِ اللهِ، وَالتَّقْوَى: تَرْكُ مَعَاصِي اللهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ، مَخَافَةَ عَذَابِ اللهِ». أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٦٤)، وهناد في الزهد (١/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٤)، والبيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠).

إذًا ـ **أيها المؤمنون** ـ إن سلامة المسلمين من ألسنتنا ومن أيدينا مبناه على أننا نحب لإخواننا المسلمين ما نحب لأنفسنا؛ فكما أننا لا نحب أن نؤذى، ولا نحب أن يعتدى علينا ـ لا باللسان ولا باليد ـ، فكذلك نجعل المسلم سليمًا منا من ألسنتنا ومن أيدينا، وكذلك نجعل المسلمات مسَلَّمات من ألسنتنا ومن أيدينا.

فإذًا هذه الحقيقة بيَّنها النبي ﷺ، وهي من الحقائق الغالية، التي لو جعلها المسلم في قلبه وفي حركته، لتغير حالنا، ولتغير ما ترى في البيوت أو في المجتمعات: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

فإذًا الذي يؤذي المسلمين بلسانه، تجده إذا تصدر في المجالس، أو كان مع أصحابه، تراه يغتاب هذا، ويذم هذا، فهذا ممن لم يسلم المسلمون من لسانه، فهذا خالف حقيقة المسلم التي ينبغي عليه أن يتحلى بها، بل يجب عليه أن يكون عليها.

إن الغيبة نوع من أنواع هدر حق المسلم؛ لأن عرض المسلم حرام على أخيه؛ كما قال ﷺ في حديث أبي بكرة ﷺ: «**إنَّ دِماءَكُمْ وأموالَكم وأعْراضَكمْ بَيْنَكُم حَرَامٌ؛ كَحرْمَةِ يومِكُم هذا، في شَهرِكمْ هذا، في بَلَدِكمْ هذا**»[1]، فعرض المسلم حرام.

فغيبة المسلم كبيرة من كبائر الذنوب عند كثير من أهل العلم؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ**﴾ [الحجرات: ١٢]، قال العلماء: لما شبَّه الغيبة بأكل لحم الميت، كان حكم الغيبة حكم أكل لحم الميت، وأكل لحم الميت

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

كبيرة، فكذلك الغيبة؛ لأن الله ﷻ قرن بينهما، وشبه هذا بهذا(١).

كذلك النميمة، كذلك الطعن، كذلك السب، كذلك الشتم، كذلك الكذب، كذلك التشويه، كذلك أصناف كثيرة مما يعمله الناس بألسنتهم، فيؤذون عباد الله، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]، فكيف ترى ذاك المسلم الذي تراه يغتاب هذا ولا يتورع، بل يعلم أنه يكذب في حق فلان، وتجده يكذب الكذبة، فتطير في الآفاق، تنتشر بين الناس، ويبقى الناس يقولون: فلان فعل كذا. والكاذب هو الذي نشر السوء عليه؟ والله يعلم أن ذلك المسلم الضعيف بريء مما افتراه ذلك المسلم الذي لم يرع حق أخيه، وارتكب تلك الكبيرة الغيبة والنميمة والكذب.

أيها المؤمنون، إن حفظ اللسان من علامات الإسلام، والله ﷻ عظم أمر اللسان فيما تقول وفيما تذر، فيما بينك وما بين أقاربك، وفيما بينك وبين زملائك في العمل، وفيما بينك وبين كل مسلم تعرفه أو لا تعرفه. فإذًا انظر، واسمع قول الله ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]، لا تظنن أنك إذا اغتبت أحدًا، فإنها لن تصل إليه، بل تصل إليه، ثم يعمل الشيطان في البغضاء وفي التنافر فيما بين المسلمين، وحصل من ذلك كثير، فكم تفرق أقارب بسبب ذلك، وكم حصلت شحناء بسبب ذلك. وقد روى مسلم في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ**

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨١)، وزاد المسير (٤/ ١٥٢)، وابن كثير (٧/ ٣٨٠).

أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»(١).

«أَنْظِرُوا هَذَيْنِ»: يعني: أخروهما حتى يصطلحا. وما سبب الخلاف، وما سبب الفرقة، وما سبب الشحناء، إلا اللسان.

فإذًا فلنمتثل قوله ﷺ: **«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»**.

كذلك تعرض المسلم بلسانه للنساء، لنساء إخوانه المؤمنين، ألم تعلم أن المرأة التي ربما ألنت لها الكلام، وتعرضت لها بقيل أو قال، وخضعت لها بالقول، أو هي كذلك، ألم تعلم أن في ذلك انتهاكًا لحق أخيك المسلم؟ والمسلم من سلم المسلمون من لسانه، فما سلم زوج من مسلم تعرض لأهله، أو تعرض لابنته، أو تعرض لأخته، وكلكم لكم أهل، ولكم أخوات، ولكم نساء.

إذًا فالحقيقة أن الذين لم يرعوا ألسنتهم وتصرفاتهم مع الرجال والنساء أنهم اعتدوا على حق إخوانهم المسلمين.

أفيسوغ - **أيها المؤمنون** - أن نقول: إن الأكثرين منا يعتدون علينا؟ أفيسوغ أن نقول: إن الكثرة الكاثرة تعتدي على حق إخوانهم دون ورع، ودون تحقيق لمعنى الإسلام؟ **«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»**.

يدخل هذا على بيت ذاك عن طريق الهاتف، فيقول ما يقول، ثم يأتي الشيطان، فينفخ في صدر المرأة، ويجعلها تفكر في كذا وكذا، ومن الذي اعتدى؟ الذي اعتدى ذلك الرجل بقيله وقاله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كذلك الذين يمارسون البيع والشراء، أو كذلك المعلمون الذين ربما اتصلوا ببعض النساء، وكذلك كذا وكذا من الأحوال والمقامات. والجميع يجمعها أنه إذا لم يرع حق المسلم، فإن في ذلك أنواعًا من الاعتداءات يجب أن نجتنبها، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه؛ كما قال ﷺ.

وأنواع تعديات اللسان كثيرة، كثيرة، كثيرة، ثم يعظم الأمر إذا لم يسلم خاصة المؤمنين من لسان المسلم، إذا كان يقع في أهل العلم، ويقع في الصالحين، ويقع في الأتقياء، ويذم القضاة، ويذم هذا وهذا، فأي خير يبقى فينا إذا لم يحم بعضنا عرض بعض؟! إذا كان المسلم لا يحمي عرض أخيه المسلم، إذا كان المسلم لا يحمي عرض المسلمة، ولا شعر أنه بإسلامه وإسلامها كان عقد الأخوة الإيمانية بينهما، فأي خير يبقى فينا إذا لم يحم بعضنا بعضًا؟!

إن اللسان خطير خطير، فهيا إلى حفظه، وحذارِ أن يفرق الشيطان فيما بيننا، أو أن يغوينا بالمحرمات عن طريق هذا اللسان، فهو وسيلة لأنواع الخيرات، ووسيلة أيضًا لأنواع الشرور والمنكرات.

أيها المؤمنون، كذلك سلامة اليد؛ أن يسلم المسلمون من يدك، واليد لا يعنى بها فقط أن تبطش، أو أن تضرب، أو أن تعتدي بها مباشرة، بل إن اليد لها أنواع من التصرفات، يحدث بها أنواع من الاعتداء، ولهذا قال النبي ﷺ في وصف أولياء الله، وفي وصف خاصة الله الذين أحبوه فأحبهم، الذين يسَّر لهم أنواع الخيرات، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «.. **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا**

وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»(١).

فهذه حال خاصة ـ عباد الله ـ إنهم يوفقون في حركة أيديهم، فترى حركة أيديهم إنما هي في الخير، فيما يعود نفعه لهم، وفيما يعود نفعه إلى إخوانهم المسلمين. فكيف حال الذين لم يسلم المسلمون من أيديهم؟ تعرضوا لأعراض المسلمين بأيديهم، وتعرضوا لأولادهم بأيديهم، وتعرضوا لبيوتهم أيضًا بأيديهم، وتعرضوا أيضًا لأموال المسلمين بأيديهم، فغشوا، وارتشوا، وأخذوا، وفعلوا ما فعلوا، وكل ذلك من أنواع الاعتداء، ولم يسلم المسلمون من أيديهم، حتى في الأموال الخاصة اعتدوا، وحتى في الأموال العامة للمسلمين اعتدوا، فلم يرعوا لهذا حرمة، والسفهاء موجودون في كل زمان ومكان، ولكن على أهل الإيمان أن يأخذوا على أيدي السفهاء، وأن يأطروهم على الحق أطرًا؛ فإن في هذا بقاء خيرية هذه الأمة؛ كما وصف ذلك نبينا ﷺ: **«كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا»**(٢).

إن الاعتداءات المختلفة باليد إنها نوع من أنواع الإيذاء، ونوع من ترك سلامة المسلم من لسان المسلم ويده، وهذا مما يجب التناهي عنه، ومما يجب التواصي بأن يسلم المسلمون من ألسنة المسلمين وأيديهم. وفكر كثيرًا في سلامة المسلمين من يدك، تجد لها أنواعًا من الأحوال، تجد لها أحوالًا كثيرة، كثيرة، وأنواعًا إنما يفكر فيها الناس،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٣٠٤٧، ٣٠٤٨)، وابن ماجه (٤٠٠٦)، وأحمد (٦/ ٢٥١)، والبيهقي في الشعب (١٠/ ٤٣، ٤٤)، وفي الكبرى (١٠/ ١٥٩)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٦٦)، وفي الكبير (١٠/ ١٤٥، ١٤٦).

ويرعونها إذا اتقوا الله ﷻ، وعلموا أن لقاء الله قريب. وإلا فإذا كانت النظرة للدنيا، وإنما يكسب للدنيا، والحياة مقصودة لنفسها، فلا يرجى من مسلم هذا حاله وهذا تفكيره أن يرعى الله في حق إخوانه المسلمين.

لهذا يجب علينا ـ **أيها المؤمنون** ـ أن نكون يدًا واحدة، وأن نكون جسدًا واحدًا «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا**». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «**بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ، كُلّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(١)؛ كما قال المصطفى ﷺ.

فهل يكون من الإسلام الصحيح أن نظلم؟ هل يكون من الإسلام الصحيح أن نعتدي على الأعراض، أو أن نعتدي على من في البيوت؟ فكر في هذا الأمر كثيرًا، واعلم أن الحقوق مضاعفة، وحق المسلم على المسلم مبني على المشاحة بين يدي الله ﷻ، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللهِ ﷻ ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ يَقُولُ اللهُ ﷻ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] **وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُهُ اللهُ: ظُلْمُ الْعِبَادِ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقْتَصَّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَدِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ: ظُلْمُ الْعِبَادِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ، فَذَاكَ إِلَى اللهِ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ تَجَاوَزَ عَنْهُ**»(٢).

قال العلماء: الدواوين ثلاثة:

- فديوان لا يغفره الله ﷻ، وهو الشرك بالله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢/١٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٥٤٠)، والحاكم (٤/ ٥٧٥).

• وديوان قد يغفره الله ﷻ، وهو المعصية فيما بينك وبين الله ﷻ.

• وديوان لا يسامح الله فيه، بل أمره إلى الخلق، وهو حقوق الناس فيما بينهم.

فإذا اعتديت على أحد باللسان، فاعلم أنه إن لم يبحك، وإن لم يعف عنك، فالقصاص يوم القيامة من حسناتك يأخذها، أو من سيئاته تؤخذ وتطرح على سيئاتك، وذلك اليوم يوم عصيب، أنت بحاجة للحسنة، وبحاجة للبعد عن السيئة، وهكذا فلنسع لأن نسلم أنفسنا من الإثم، وأن نسلم إخواننا من المسلمين والمسلمات من النيل منهم باللسان أو باليد.

ثم قال ﷺ: **«وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»**، لا يظن أن الهجرة هي فقط ترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام؛ هذا نوع من الهجرة، وسببه أن بذلك يكون ترك لما نهى الله تعالى عنه؛ لأن بقاء المسلم بين أظهر المشركين، وهو لا يستطيع إظهار دينه، هذا نوع من ارتكاب ما نهى الله ﷻ عنه.

والهجرة الحقة أن يهجر المسلم ما نهى الله عنه، كل أنواع المنهيات إذا تركتها، فأنت مهاجر؛ لأن معنى هجر الشيء يعني: تركه إلى غير رجعة إليه، ولهذا قال المصطفى ﷺ: **«فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ»**(١).

قال العلماء: هذا الحديث يدل على أن الهجرة نوعان: هجرة إلى الله، وهجرة إلى رسوله ﷺ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

واجعَل لقلبِكَ هِجرتَينِ وَلَا تَنَم ... فهُمَا عَلَى كُلِّ امرِئٍ فَرضَانِ =

فالنوع الأول: وهو الهجرة إلى الله ﷻ: أن تهاجر إلى الله تاركًا غيره ﷻ، أن تهاجر إلى الله؛ طلبًا ما عند الرب ﷻ من أنواع الخيرات في الدنيا والآخرة، تاركًا تعلق القلب بما سوى الله ﷻ، مهاجرًا إلى الله وحده بإخلاصك العمل لله، وبرغبتك فيما عند الله. وإذا عظم ذلك في القلب، فلن يكون ارتكاب لمنهي نهى الله ﷻ عنه؛ لأن حقيقة الهجرة الهجرة إلى الله، ثم إلى رسوله ﷺ. فالهجرة إلى الله هجرة إليه بالإخلاص، وبتطبيق شرعه، وبامتثال كتابه، وبالرغبة في جنته، وبتعظيم محبته على كل محبوب.

ثم الثاني: الهجرة إلى الرسول ﷺ، وهي هجرة إلى سُنَّته، أن تترك الرأي، وأن تترك العقل، وأن تترك الاختيار، إلا اختيار المصطفى ﷺ فيما كان من أمر الدين، أما أن نقول: نحن مهاجرون إلى الرسول ﷺ متبعون له، ومع ذلك نقدم آراءنا على سُنَّة الحبيب المصطفى ﷺ. فذلك خلف من القول، وذلك ليس علامة على كمال إيمان من قال ذلك.

أما كمال الإيمان، فأن تهاجر إلى المصطفى ﷺ هجرة إلى سُنَّته، فإذا سمعت قوله، فعظم ذلك، ولم يكن قولك إذا سمعت سُنَّته إلا أن تمتثلها، وأن تترك الرأي.

= فالهجرةُ الأولَى إلى الرَّحمٰنِ بالـ إخلاصِ في سرٍ وفي إعلانِ
فالقصدُ وَجهُ اللَّه بالأقوالِ والـ أعمالِ والطَّاعاتِ والشُّكرانِ
فَبِذَاكَ يَنجُو العبدُ مِن إشراكِهِ وَيَصِيرُ حَقًّا عَابِدَ الرَّحمٰنِ
وَالهجرةُ الأخرَى إلى المبعوثِ بالـ حَقِّ المُبِينِ وَوَاضِحِ البرهَان
فَيَدُورُ مَع قَولِ الرَّسُولِ وَفِعلِهِ نَفيًا وإثبَاتًا بِلَا رَوَغَانِ
وَيُحكِّمُ الوَحيَ المُبينَ عَلى الذِي قَالَ الشُّيوخُ فَعِندَهُ حَكَمَانِ
لَا يَحكُمَانِ بِبَاطِلٍ أبدًا وكُلُّ العَدلِ قَد جَاءَت بِه الحَكَمَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ١٢٧)، وانظر: طريق الهجرتين (ص٢٠).

فالذين يقولون ـ مثلًا ـ إذا عرض عليهم حديث للمصطفى ﷺ: وهل هذا معقول؟ أو هل يعقل هذا؟ هؤلاء ما صح دينهم، وما صح إيمانهم، ولم يكمل؛ لأن علامة الإيمان أن تسلم للمصطفى ﷺ، أليس هو منبأ من الله ﷻ؟ أليس هو الوحي الذي أوحاه الله ﷻ؟ أليس هو النور الذي من تركه عاش في الظلمات؟

إذًا فعلامة أهل الأهواء الذين لم يهاجروا إلى النبي ﷺ علامتهم أن يعارضوا السُّنَّة بأقوالهم وآرائهم وأهوائهم. فالمسلم الحق يستسلم للسُّنَّة بقوله وعمله، وإن وقع في عصيان، فما يلبث أن يرجع إلى ربه سريعًا، طالبًا المغفرة، وسائلًا الله ﷻ أن يورده حوض المصطفى ﷺ.

«وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»، هذه حقيقة المهاجر؛ لأنه هاجر إلى الله وإلى رسوله ﷺ، فإذا قامت الهجرة إلى الله ورسوله، وهاتان الهجرتان تفتح باب السعادة إذا غشيت القلب، وعاش فيها القلب والصدر، تفتح أبواب النور والسعادة.

إذا تحقق ذلك في الصدر، رأيت المؤمن يهجر ما نهاه الله عنه، فلا يتخلف عن فريضة، ولا يغشى كبيرة، وهذا من علامات الهجرة الصحيحة؛ لهذا قال ﷺ: **«فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ»**؛ يعني: من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيَّة وقصدًا وإخلاصًا، فهجرته إلى الله ورسوله ثوابًا وأجرًا عند الرب ﷻ.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من المسلمين حقًا، وممن هاجروا إليك حقًا، اللَّهُمَّ، اجعل قلوبنا معلقة بك، معظمة لأمرك، معظمة لأمر رسولك ﷺ، اللَّهُمَّ، نسألك أن تجعل حبنا لك وحبنا لرسولك ﷺ فوق كل محبوب وفوق كل حب، اللَّهُمَّ، إذا عرض علينا الشيطان بعصيان ـ اللَّهُمَّ ـ، فعظم حبك في قلوبنا، وعظم أمرك ونهيك في قلوبنا؛ حتى تعيننا على

ترك كل وسيلة من وسائل الشيطان، اللَّهُمَّ، إنا مذنبون، فاغفر اللَّهُمَّ جمًّا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله في السر والعلن وفيما بينكم وبين الناس، وفيما بينكم وبين الله.

إذا خلوت، فلا تقل: خلوت. ولكن اعلم أن الله ﷻ معك بعلمه حيث كنت، لا تغيب عنه ﷻ غائبة في السماوات ولا في الأرض.

فعظموا الله ﷻ، وأجلوه؛ فالحياء شعبة من الإيمان، واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن ربكم ﷻ أمركم بالصلاة على نبيه ﷺ، فقال ﷻ

قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك ـ يا أرحم الراحمين ـ، وعن من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام وأهله، وأذل الشرك وجنده، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين.

اللَّهُمَّ، وانصر عبادك الموحدين، الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ، وانصرهم على عدوك وعدوهم من اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين في كل مكان، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، أنزل على المجاهدين الطمأنينة، وقوهم بقوتك، اللَّهُمَّ، وامددهم بمدد من عندك، ولا تكلهم لأنفسهم طرفة عين، يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ، ونسألك أن تؤمننا في دورنا، وأن تصلح وتحفظ ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، واحفظنا وإياهم بالإسلام والإيمان، نعوذ بك أن نخزى، أو أن نضل عن ديننا.

اللَّهُمَّ، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى أن تبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويعافى فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، يا سميع الدعاء.

اللَّهُمَّ، نسألك أن لا تميتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح، بها ترضى عنا، وبها نفرح إذا قدمنا عليك، يا أكرم الأكرمين.

ربنا، نعترف بذنوبنا، ونعترف بخطايانا، ونعترف بتقصيرنا، ونعترف بكل سوء فينا، اللَّهُمَّ، أنت الغفور، وهذه صفتك، ونحن أهل العصيان، وتلك شاكلتنا، اللَّهُمَّ، فاغفر؛ فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم بأعمالكم وألسنتكم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: العين حق

الخطبة الأولى:

الحمد لله، جعل لكل شيء قدْرًا وقدَرًا، مضى حكمه في خليقته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، سبحانه من إلـٰه قوي قادر، لا ينفذ شيء إلا وفق حكمته، ولا يمضي شيء إلا بإذنه وإرادته، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بشَّر وأنذر، وأقام الحجة على العباد، فهم إلى قيام الساعة محجوجون ببعثة محمد ﷺ، بشر بالجنة، وأنذر من النار، وعلَّم الأمة الخير، فلا خير يُقربهم إلى الله، إلا ودلهم عليه، ولا شر، إلا وحذرهم منه، فصلى الله وسلم على نبينا محمد كفاء ما أرشد وبيَّن وعلَّم، وصلى الله على آله وصحبه، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**الْعَيْنُ حَقٌّ**»(١)، وروى مسلم أيضًا في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٠، ٥٩٤٤)، ومسلم (٢١٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا**»(١).

فهذان الحديثان وغيرهما من الأحاديث يُبين النبي ﷺ فيهما للأمة أن العين حق؛ يعني: واقعة، وليست خيالًا، وليست كذبًا، بل هي واقعة في الناس، واقعة في الناس باختلاف الوقوع، تارة تكون عينًا من الجن، وتارة تكون عينًا من الإنس، فهي حق واقعة.

وأكد ذلك ﷺ مبينًا نفوذها في الناس، ومبينًا أثرها، فقال ﷺ: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ**»؛ يعني: إن وقوعها بمجرد رؤية العائن، أو بمجرد تعلق نفسه بمن أصابته نفسه، فإن ذلك يمضي، ولا يتأخر، فلو كان شيء سابق القدر، لسبقته العين.

فالعين ـ **عباد الله** ـ حق، والناس منهم طائفة مصابون بالعين، إما أن تكون عينًا من الإنس، وإما أن تكون عينًا من الجن.

والناس في هذا ثلاثة أصناف:

• منهم من يكذب بالعين رأسًا. ومنهم من لا يؤمن بوجود العين، وهؤلاء هم الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات، ولا يعقلون أثر النفوس وتعلقات الروح بالغير، ولا يوقنون بما أنزل الله على رسوله، وأخبر به ﷺ، هؤلاء ماديون، لا يرون أن العين حق، ولا يرون أنها واقعة في الناس. فإذا أصيب مصاب بشيء من الأمراض التي يسمونها نفسية، أو بشيء من الإصابات التي لا يعرفون سببها، قالوا: هي كذا وكذا، ولم يعزوها إلى العين ـ وربما كانت من العين ـ؛ تكذيبًا بالعين. وهؤلاء لم يؤمنوا بما أنزل الله ﷻ، وبما أخبر به نبينا ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٨).

• وطائفة أخرى من المسلمين تعلقت قلوبهم أكبر تعلق بأثر العين، فإذا أصابهم شيء - صغر أو كبر -، علقوه بالعين، فأصبحوا يخافون من العين خوفًا كبيرًا، وأصبحت قلوبهم وجلة من أثر العين، ومن حسد الحاسدين في أنفسهم، وفي أولادهم، وفي أموالهم، فرأوا أن كثيرًا من الأشياء معلقة الوقوع بالعين. وهذا فيه نوع مبالغة، وفيه غلو.

• والطائفة الثالثة: التي سارت على الحق، وأيقنت بما أخبر به ﷺ، فآمنت بأن العين حق، وأنها واقعة في الناس، وأن من الناس من نفسه تتعلق بما عند الآخرين، فتارة تحسدهم، وتارة تتمنى ما في أيديهم، فيؤثر ذلك إما بأثر العين مباشرة، أو بأثر تعلق النفس، فيؤثر ذلك في الغير تأثيرًا مباشرًا. وهذا واقع، ولكنه ليس كما يظنه كثيرون منتشرًا انتشارًا كبيرًا؛ لأن ذلك نوع من الغلو، وليس هذا مما أمرنا به.

فإن النبي ﷺ أخبر أن العين حق، وأخبر بما يرفعها، ولم يعلق الناس كثيرًا في أمراضهم بأمر العين، بل إنه حكم فيها بحكم عدل، وبحسب وقوعها في الناس.

ولهذا كان مما ينبغي على الناس أن يعرفوا حكم الله ﷻ، وحكم رسوله ﷺ، وما أنزله الله على رسوله ﷺ في الكتاب والسُّنَّة بما يتعلق بأمر العين.

فإن العين حق، ولكن كيف تُستدفع العين؟ أم كيف ترفع إذا وقعت؟ فإن الناس إذا وقعت عليهم بعض الأمراض، وظنوا أنها من العين، ربما سلكوا في مداواتها مسلكًا غير شرعي، بذهاب إلى بعض المشعوذين، الذين يتعدون، ويخبرون بأن هذه عين، وتارة يقولون: هي عين من كذا وكذا. فيصفونها بما هو من جنس علم الغيب.

والذي يجب علينا أن نعلم أن الشرع أمرنا أن نستدفع العين قبل

وقوعها بأنواع من الأدعية وأنواع من الأذكار ـ الأذكار اليومية، والأذكار الزمانية ـ؛ فإن هذا نافع بإذن الله. فقد كان ﷺ يقرأ في إقبال النهار وفي إدباره، يقرأ سورة (الإخلاص)، ويقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١][(١)]، وهذه نافعة ـ بإذن الله ـ من العين، فإنها تدفعها قبل وقوعها، فالعين كالسلاح وكالسهم الذي ينفذ إلى بدن المعين، فإذا وقى المعين نفسه بأنواع الوقايات الشرعية ـ والتي منها الأدعية والتعوذات ـ، فإنها ترتد تلك العين، ولا تؤثر في البدن؛ لأنه محصن نفسه.

كذلك قراءة (آية الكرسي) في إقبال النهار وفي إدباره، وقبل الذهاب إلى النوم[(٢)]، وبعد الصلوات المكتوبات؛ فإن النبي ﷺ ثبت عنه

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٥٠٨٢)، والنسائي (٥٤٢٨)، والترمذي (٣٥٧٥): عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما، قَالَ: «خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: **«قُلْ»**، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: **«قُلْ»**، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: **«قُلْ»**، فَقُلْتُ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **«قُلْ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَالمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٣١١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»**، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»**، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»**، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ =

أنه أمر بقراءة (آية الكرسي) دبر الصلوات المكتوبات[١].

وكذلك فإن أبا هريرة ﷺ عُلِّمَ أن يقول قبل أن يأخذ مضجعه أن يتلو (آية الكرسي)، وأنه لن يزال عليه من الله حافظ ما دام يقرؤها قبل المنام.

وهكذا من أنواع التعوذات التي أمر بها ﷺ، وأرشد إليها صحابته ﷺ، نعوذ بها أنفسنا، وأهلينا، وأولادنا؛ فإنها وقاية من أثر العين، ومن أثر حسد الحاسدين.

فمن ذلك أن تتعوذ صباحًا ومساء، بل وفي كل وقت. يقول النبي ﷺ: **«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»**[٢]، **«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ مِنْ**

= إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، إِنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **«مَا هِيَ»**، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»**، قَالَ: لَا، قَالَ: **«ذَاكَ شَيْطَانٌ»**.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه النسائي في الكبرى (٩/ ٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥٥)، والروياني في مسنده (٢/ ٣١١)، وابن السُّني في عمل اليوم والليلة (١/ ١١٠): عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ»**.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس ﷺ.

شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ»(١)، «**أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٢) ونحو ذلك من التعوذات التي تدفعها، والتي ترفعها إذا وقعت؛ فإنها مؤثرة جدًا، ونافعة كما يعرف ذلك المجربون.

أما إذا وقعت العين، وكان يُظن ظنًا راجحًا أنها عين، فإن النبي ﷺ أرشد إلى أنه إذا كان يُعرف العائن، الذي أصاب بالعين أو يُظن، فإنه يؤمر، فيتوضأ؛ كما ثبت في سنن أبي داود، عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: «**كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ**»(٣)؛ فإن هذا مؤثر.

وكذلك روى مالك في «الموطأ»: أَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: «رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: والله مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخْبَأَةٍ، فَلُبِطَ سَهْلٌ مكانه، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: **هَلْ تَتَّهِمُونَ بِهُ من أَحَدًا؟** فقَالُوا: نَتَّهِمُ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامِر بن ربيعة، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: **عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَّا بَرَّكْتَ اغْتَسِلْ لَهُ**، فَغَسَلَ له عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ عَلَيْهِ، فَرَاحَ سَهْلٌ بن حنيف مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤/ ٢٠٢)، ومالك في الموطأ (٢/ ١٢٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٧٢٦)، وفي عمل اليوم والليلة (ص٥٣٠)، والطبراني في الدعاء (ص٣٣١، ٣٣٢)، وفي الأوسط (١/ ١٨، ٥/ ٣١٥)، وفي الكبير (٤/ ١١٤)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣٩٠)، وأبو نعيم (٥/ ٣٧٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ٥٠، ٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٨٠).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ١١٧ برقم ١٩٧٣)، وأحمد (٢٥/ ٣٥٦)، وابن ماجه =

قوله: «وَلَا جِلْدَ مُخْبَأَةٍ»؛ يعني: امرأة صغيرة حسنة الجلد، لم تؤثر فيها الخدمة.

وقوله: «فَلُبِطَ سَهْلٌ»؛ يعني: مكث في مكانه من أثر العين. ثم أمره أن يغتسل فاغتسل، فصب ذلك على سهل، فقام سهل في الناس يمشي، وهذا مؤثر.

فإذا عرف من هو الذي أصاب بالعين، فإنه يؤمر بالوضوء، فإذا توضأ، صب على المعين، أو الذي يُظن أنه معين صب عليه، على رأسه من قفاه سريعًا بغتة؛ فإن ذلك مؤثر بإذن الله.

وقد ثبت عن النبي ﷺ في مصنف عبد الرازق وفي غيره؛ أنه قال: «وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا»(١).

يعني: إذا أمر العبد أخاه أن يغتسل له، فلا يتأثر من ذلك، ولا يقل: كيف تظن بي كذا وكذا؟ ولكن ليطاوع أخاه، وليغتسل لأخيه؛ لأن ذلك يُذهب ما في نفس أخيه، فإذا استغسل أحدنا، يُستحب له، بل يتأكد في حقه أن يستغسل لأخيه؛ يعني: يغتسل، ويعطيه الوضوء، ويعطيه الماء الذي اغتسل به، ثم يصبه ذاك على رأس من ظن أنه معين؛ فإن ذلك ينفعه ـ بإذن الله ـ إذا كان معينًا.

= (٣٥٠٩)، والنسائي في الكبرى (٧٥٧٠، ٧٥٧٢)، والطبراني في الكبير (٦/ ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢)، وعبد الرزاق (١٩٧٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٠٢)، وفي الشعب (١٣/ ٥١٦)، وابن أبي شيبة (٥/ ٥٠)، وابن حبان (١٣/ ٤٧٢٠)، والحاكم (٣/ ٤٦٤)، والبغوي في شرح السُّنَّة (١٢/ ١٦٤).

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢١٨٨)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢١٨٨)، والترمذي (٢٠٦٢)، والبزار (١١/ ١٤٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٣٢)، وابن حبان (١٣/ ٤٧٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٥٩١)، وفي الصغير (٤/ ٧٥).

كذلك من ظن من نفسه أنه يؤثر، وأن له عين نافذة، أو نفس متعلقة بما عند الناس أو بجمالهم، أو بمالهم، أو بما في أيديهم، فإنه يتأكد في حقه إذا رأى ما تتعلق به نفسه أن يقول إذا رأى ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩].

وقد أمر النبي ﷺ أن يبرك في ذلك الحال؛ قال ﷺ: «**عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ؟**»(١)، فإذا كان الرجل يحس من نفسه أو المرأة أنه متعلق، أن له نفسًا تتعلق بما عند الغير، أو أن له عينًا تتأثر، وتؤثر، فإنه يسن له أن يُبرك أيضًا؛ يعني: إذا رأى ما يعجبه أن يقول: اللَّهُمَّ بارك له وعليه. فإن ذلك يقي أثر العين التي تخرج منه، وكذلك إذا وقعت العين، ولم يعرف من العائن، فإن للشرع في ذلك دلالة يدل بها المؤمنين، فإذا كان ذلك، فإنه يعتصم المرء بالرقى الشرعية؛ فإن النبي ﷺ رخص بالرقية من العين، والحُمَةِ والنملة(٢)؛ فإن العين ترقى، فمن ذلك أن يقول الراقي للمرقي، أن يقول له: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن كل عين تؤذيك(٣). فإن ذلك ينفع بإذن الله.

كذلك سائر الآيات التي تُقال وتتلى، وينفث على المرقي نفثًا قويًا، تارة بنفس قوي، وتارة بنفس فيه شيء من البصاق؛ كما ثبت ذلك في السُّنَّة، فإن ذلك ينفع.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٩٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، فِي الرُّقَى قَالَ: «**رُخِّصَ فِي الْحُمَةِ وَالنَّمْلَةِ وَالْعَيْنِ**».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢١٨٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ: «**أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**».

وليحذر المسلمون مما شاع بينهم مما يُعد من التعديات ـ بل ومن الخرافات ـ من أنه يأخذ الرجل أو المرأة يأخذ في مسح باب بيته، أو مسح الطريق الذي من باب بيته إلى داخل البيت، يظن أن ذلك ينفع؛ لأنه تطأه أقدام الناس.

فإن هذا أمر ليس له أصل ـ لا في الكتاب، ولا في السُّنَّة ـ، وفيما شرع النبي ﷺ غنية عما لم يشرع.

كذلك القراءة في الماء، أو القراءة في زعفران ونحوه؛ فإن هذا نافع، وليس من الأمر الذي ليس له أصل في الشرع، فإنه قد ثبت عن بعض التابعين، بل وعن بعض الصحابة ﵃ ـ كابن عباس ﵄، وكمجاهد، وكأبي قلابة، وغيرهم ـ أنهم فعلوا ذلك[1].

فلا يُظن أن هذا ليس من الأمر المشروع[2]، وهذا مما يبين أن

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١/ ٥٧٦)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ١٩٨): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ: «إِذَا عَسِرَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَدُهَا، فَيَكْتُبُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَالْكَلِمَاتِ فِي صَحْفَةٍ ثُمَّ تُغْسَلُ فَتُسْقَى مِنْهَا: «**بِسْمِ اللهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**» ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤٤، ٦/ ١٠١)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٩٠)، والصغير (٢/ ٨٧)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٧٠)، عَنْ عَلِيٍّ ﵁ قَالَ: لَدَغَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَقْرَبٌ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الْعَقْرَبَ، لَا يَدَعُ مُصَلِّيًا، وَلَا غَيْرَهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا، وَيَقْرَأُ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**». كما قال ابن القيم في الطب النبوي (١/ ١٣٤)، وفي زاد المعاد (٤/ ١٦٦) تعقيبًا على هذا الحديث: (فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعِلَاجُ بِالدَّوَاءِ الْمُرَكَّبِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ: الطَّبِيعِيِّ وَالْإِلَهِيِّ).

على المؤمنين أن يسعوا في علاج تلك الأمور بالطريقة الشرعية، وليحذروا من المشعوذين، الذين يصفون حال من يأتيهم بأن فيه عينًا من كذا وكذا، ويصف ذلك رغبة في كثرة مجيء الناس إليه، فإن الرجل ـ الذي هو طالب علم، ويقرأ على الناس ـ لا يصف الحال، بل يقرأ، ويرجو النفع للمقروء عليه، ولا يتعدى ذلك، فإنه إذا تعدى، خرج عن الحد الشرعي.

أيها المؤمنون، إن هذا الأمر وغيره من أمور دينكم عليكم بالتأمل فيه، وسؤال أهل العلم عن ما أشكل عليكم؛ فإن الناس بين إفراط وتفريط في هذه الأمور، والوسط والعدل قليل سالكه، قليل من يأمر به، قليل من يعرفه.

أسأل الله الكريم أن يجعلني وإياكم من المتبعين لشرعه، المقتفين لسُنَّة نبيه ﷺ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًّا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق الحمد، وأجزله وأرفعه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله،

شهادة أرجو معها تحقيق أمرها، والوصول بها إلى ما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله ﷻ؛ فإن بالتقوى رفعتكم وفوزكم في الدنيا والآخرة، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم رحمة واسعة ـ أن الله ﷻ أمركم بالصلاة على نبيه، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين في سبيلك، الذين يجاهدون لتحقيق توحيدك، ولرفع راية لا إلـه إلا الله محمد رسول الله، اللَّهُمَّ، أيدهم بتأييدك، وانصرهم بنصرك، اللَّهُمَّ، انصرنا على من عادانا، اللَّهُمَّ، انصرنا على من عادانا، اللَّهُمَّ، انصرنا على من عادانا من سائر المعادين، ومن اليهود والمشركين والنصارى والملحدين، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وخذ بأيديهم إلى الحق، واجعلهم محكمين لشرعك ولكتابك ولسُنَّة نبيك ﷺ.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنها الزلازل والمحن، وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

اللَّهُمَّ، واحمنا جميعًا، اللَّهُمَّ، واحمنا جميعًا من كل سوء، واجعلنا مطمئنين.

اللَّهُمَّ، اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا رخاء رغدًا، واجعل أهله سائرين في طاعتك، مقبلين عليك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللَّهُمَّ، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللَّهُمَّ، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، نبرأ إليك - مولانا - من كل أمر يخالف أمرك، من كل أمر يُخالف هديك، يخالف ما أنزلته يا أكرم الأكرمين، تقبل اللَّهُمَّ براءتنا، واحمنا، اللَّهُمَّ، واحمنا من سوء العقوبات، يا أرحم الراحمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه بألسنتكم وأعمالكم على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: غيبة العلماء

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ! وَمَا أَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ! يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدْعَةِ، وَأَطْلَقُوا عِنَانَ الْفِتْنَةِ، فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ، مُجْمِعُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ، يَقُولُونَ عَلَى اللهِ وَفِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَخْدَعُونَ الْجُهَّالَ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنِ الْمُضِلِّينَ(١). فهدى الله الناس بالعلماء؛ لأن العلماء وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ(٢).

---

(١) انظر: خطبة الإمام أحمد في كتابه: (الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله) (ص٥٥).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ** =

الحمد لله الذي له الحمد كله، والذي جعل علماء هذه الأمة خير الناس؛ كما أنه جعل صحابة رسول الله ﷺ خير هذه الأمة، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه لا خير إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، فصلى الله على نبينا محمد كفاء ما أرشد، وكفاء ما بيَّن، وكفاء ما علَّم، وكفاء ما دل إلى الطريق المستقيم، وكفاء ما بين من طرق الضلالة والغواية، وصلى الله على آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، يحاسب المرء منا في ذلك اليوم العصيب على لسانه، وعلى جوارحه، وعلى فرجه، وعلى قلبه، يحاسب على كل ما عمل، وعلى كل ما نطق به، وعلى كل ما عقده قلبه، وكل شيء في ذلك اليوم سيعرض عليك من عمل، إن كان خيرًا، وإن كان شرًا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

أيها المؤمنون، إن الله ﷻ عظَّم في كتابه شأن العلماء ـ شأن علماء الدين ـ؛ لأنهم الذين حملوا في صدورهم كتاب الله ﷻ وسُنَّة رسوله ﷺ، ثم بيَّنوا ذلك للناس، فرفع الله المؤمنين بالله ورسوله، رفعهم درجات، وجعل أرفع المؤمنين درجات أهل العلم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

= وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ. وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَكُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ. وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فأهل العلم هم أرفع هذه الأمة درجات، فصحابة رسول الله ﷺ أيضًا هم درجات، وأرفعهم علماؤهم، والعشرة المبشرون بالجنة هم أرفع أولئك.

وصحابة رسول الله ﷺ جعلهم الله خير هذه الأمة؛ لأنه رضي عنهم، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، ومع ثناء الله ﷻ على صحابة رسوله الكريم ﷺ، وقوله في شأنهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ومع ما أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومع ما أثنى الله عليهم به في آيات كثيرة، فقد ظهرت أناس في زمن الصحابة ﵃ يضللون الصحابة ﵃، ويرون أن ما هم عليه ليس بحق، بل كفَّروا بعضًا منهم؛ لأنهم رأوا أنهم لم يحملوا دين الله، وأنهم فرطوا في الدين، وأنهم رضوا بالدنيا عن الآخرة، وأنهم حكَّموا الرجال في دين الله، ورضوا بغير كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ. فضلل في الأمة من وقع في الصحابة ﵃. ثم أجمع المسلمون من أهل السُّنَّة والجماعة على أن من ذكر الصحابة ﵃، أو ذكر علماء هذه الأمة بغير خير، فإنه على غير السبيل؛ يعني: على غير سبيل أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأن علماء هذه الأمة هم الذين ورثوا محمدًا ﷺ، وورثوا أقواله، وورثوا القرآن، وورثوا السُّنَّة، وورثوا أفعال النبي ﷺ، ونقلوها إلى الناس.

فمن طعن في الصحابة ﵃، فإنه يطعن في الدين؛ لأن الصحابة ﵃ هم الذين نقلوا الشريعة، وهم الذين بلغوها إلى الناس[1].

---

(١) يقول أبو زرعة الرازي: (إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَمَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، وَإِنَّمَا =

فإذا طُعِنَ فيهم، رجع الطعن إلى من نقل الشرع، وهذه من أكبر وسائل الملحدين في الطعن في الإسلام أنهم يقولون: إن الصحابة مطعون فيهم، وكيف يُرضى في نقل الشريعة بنقل من طُعن فيه، ومن قتل، ومن ارتكب بعض المعاصي، ومن قاتل لأجل الدنيا، ونحو ذلك من الأمور التي أجمع عليها العلماء؟!

وأجمعت الأمة على تضليل من قال بذلك. كذلك لما توالى الزمان طعن أناس كثيرون في أئمة أهل السُّنَّة، في أئمة أهل الحديث، طعنوا فيهم تارة بعدم معرفتهم بالدنيا، وتارة بأنهم يدخلون على الولاة، وتارة بأنهم لا يفقهون إلا النصوص، ولا يعلمون العقليات، وتارة وتارة.

والغرض من ذلك كله أن يطعنوا في العلماء، وإذا طُعِنَ في أهل العلم، طُعِنَ في الشريعة؛ لأن الشريعة إنما يبينها أهل العلم، يبينون كتاب الله ومعانيه، ويبينون السُّنَّة ومعانيها، فمن طعن في أهل العلم، رجع طعنه ـ إن كان مريدًا، أو غير قاصد ـ، رجع الطعن إلى الشريعة؛ لأن الشريعة إنما يبلغها هؤلاء العلماء، الذين ورثوا محمدًا ﷺ بشهادته ﷺ حين قال: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

العلماء ورثة الأنبياء، فالطعن فيهم حقيقته أنه راجع إلى الطعن في الشريعة، وإن الطعن في العلماء وتشويه سمعة العلماء ـ بحق، أو بغير حق ـ عند العامة، إن ذلك يورث الشك فيهم، وإذا أورث الشك في

= أَدَّى إِلَيْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ الصَّحَابَةُ، وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا؛ لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ. وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ). انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٤/ ٩٥)، والخطيب في الكفاية (ص٩٧). وانظر: تفصيل ممتع لشيخنا صالح آل الشيخ في شرحه على الطحاوية (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٨٣).

(١) سبق تخريجه (ص١٧٣).

أهل العلم، رجع ذلك إلى عدم الثقة بأقوالهم، وعدم الثقة بالعقيدة التي ينشرونها، وعدم الثقة ببيانهم للكتاب وبيانهم للسُّنَّة، وعدم الثقة ببيانهم للفتاوى المعاصرة، وللنوازل الحاضرة التي تجد في أحوال المسلمين، وما يجد في أحوالهم أفرادًا وجماعات، وإذا نُزعت الثقة، تسلط الجهال، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا.

أيها المؤمنون، إن الله ﷻ لما رفع منزلة العلماء، جعل غيبة كل المسلمين كبيرة من كبائر الذنوب، فإن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، فجعل الغيبة من جنس أكل الميتة كبيرة من الكبائر(١)، فهكذا الغيبة كبيرة من الكبائر، وتعظم الغيبة إذا كان المغتاب صحابة رسول الله ﷺ، وإذا كان المغتاب العلماء ـ الذين يعلمون الكتاب والسُّنَّة، ويُبصرون أهل العمى، ويُنصرون السُّنَّة في الاعتقاد والعمل ـ، تعظم الغيبة وتكبر الكبيرة.

وإذا كانت الغيبة تلك كبيرة؛ كمن ذكر العالم بغير ما يرضى، فإنه قد اغتابه، وإذا اغتابه، فإنه قد ارتكب تلك الكبيرة، والنبي ﷺ نهى عن الغيبة، ثم سُئل عنها: ما الغيبة؟ فقال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ**؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(٢)، والبهتان أعظم من الغيبة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

إن الغيبة إذا كانت كبيرة من كبائر الذنوب، فمن مارسها بين

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨١)، وزاد المسير (٤/ ١٥٢)، وابن كثير (٧/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصلوات، فإن الصلاة إلى الصلاة ليست مكفرة لما بينهما؛ لأن من شرط تكفير الذنوب أن تجتنب الكبائر، فمن أصر على هذه الكبيرة، ولم يستغفر، ولم يتب، ولم ينب إلى ربه، فإن كبيرته لا تكفرها الصلاة، ولا يكفرها الصيام، ولا تكفرها الجمعة، ولا تكفرها العمرة، ولا يكفرها الحج.

قال ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، فشرط تعالى لتكفير السيئات أن تُجتنب الكبائر، وكذلك قال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»(١)، وفي لفظ: «**الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ**»(٢).

فهذا الذي وقع في الغيبة في ذكره أخاه بما يكره، إن كان في أخيه ما يقول، وإن كان في أهل العلم ما يقول، فقد ارتكب تلك الكبيرة، وإن كان ما يذكر كذبًا وبهتانًا، إن كان ما يذكر زورًا وإفكًا، فإن مصيبته وكبيرته أعظم، وصلاته إلى صلاته ليست مكفرة لما يرتكبه من الذنوب، بل تجتمع عليه الذنوب، إن لم يشأ الله أن يغفر له في الآخرة، تجتمع عليه الذنوب؛ كما قال ﷺ في الحديث الصحيح الذي يصف فيه الذنوب، ويصف فيه صغارها، بل هي كبار، يقول: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**»، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ «**مَثَلًا كَرَجُلٍ كَانَ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَحَضَرَهُ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا مِنْ ذَلِكَ سَوَادًا،**

---

(١) أخرجه مسلم (١٦) (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٣) (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَجِّجُوا نَارًا فَأَنْضَجُوا مَا فِيهَا»[١]؛ يعني: ما بداخل القدر، وهكذا الذنوب تهلك صاحبها.

أيها المؤمن، إن الله رحمك بأن جعل صلاتك إلى صلاتك مكفرة لما بينهما، فإنك إذا ارتكبت تلك الكبيرة من الغيبة والبهتان، أو من الكذب على أهل العلم، فإنك على خطر عظيم، فالنجاة النجاة، النجاة النجاة، وإيانا وسبيل المبطلين، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ويرتكبون النهي مع علمهم بذلك، ويطعنون في أهل العلم، ويعلمون أنهم هم خيرة أهل الأرض بما يحملون في صدورهم من القرآن، من كلام الله، ومن كلام المصطفى ﷺ، إذا تحدثوا، تردد في أنفسهم كلام الملك العلي العظيم، وإذا تحدثوا، تردد في أنفسهم كلام المصطفى، تردد مع أنفاسهم كلام المصطفى ﷺ، كأنه حي حاضر يحدثنا. يفقهوننا، ويعلمون الجاهل، ويفتون، ويعلم الناس أثرهم إذا قام الأشهاد يوم القيامة، من أخذ من عالم كلمة، فاهتدى بها، فنفعته في دينه، فإنه سيعلم عظم أثرها يوم القيامة، فكيف يكذب المبطلون على أهل العلم؟ وكيف يبهت المبطلون أهل العلم؟ وكيف يغتاب الناس أهل العلم، وهم خيرة الله في أرضه، ومن ذكرهم بغير خير، فهو على غير السبيل؟!

إن الكذب على أهل العلم كبيرة من الكبائر، وقد قال ﷺ: **«مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ»**، وفي ضبطه، **«فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»**[٢]، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦٧)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٧٤)، وفي الكبير (١٠/ ٢١٢)، والطيالسي (١/ ٣١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٥٦)، وفي الكبرى (١٠/ ٣١٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ٨)، وأحمد (٢/ ٢٣٥)، وابن ماجه (٣٨)، والترمذي (٢٦٦٢)، والطيالسي (٢/ ٢١٧)، والطبراني في الكبير (٧/ ١٨٠، =

يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥]. فالكذب في هذا الزمان راج، ونتج عن الكذب الغيبة والبهتان، ونتج عن ذلك أمور كثيرة فشت في الناس.

أيها المؤمن، إن إيمانك يعصمك من ارتكاب الزنا، إن إيمانك يعصمك ـ بإذن الله وتوفيقه ـ من ارتكاب شرب الخمر، ومن أكل الربا، ومن السرقة، ومن الموبقات، ومن الشرك بالله، ومن السحر، ومن التولي يوم الزحف، ومن قذف المحصنات الغافلات، وهذه يجتمع المؤمنون على إنكارها وعلى بغضها، ولكن هل عصمك إيمانك من الغيبة؟ هل عصمك إيمانك من الكذب؟ هل عصمك إيمانك من البهتان؟

قال شيخ الإسلام: إنه يكثر في الصالحين أن يجتنبوا الزنا وشرب الخمر، ولكنهم يقعون في كبائر الذنوب باللسان من الغيبة ونحوها، ومن كبائر الذنوب في القلب من العجب والكبر ونحو ذلك.

وهذا الذي قاله صحيح؛ لأن الكبائر متنوعة، والله ﷻ جعل للسان كبيرة، وقد سأل معاذ رسول الله ﷺ حين قال له: «**كفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، قلت: يا نَبِيَّ الله؛ وإنّا لَمُؤاخَذون بما نَتَكَلَّم به؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ** ـ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ ـ **إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[1].

فماذا يقول أولئك الذين اجتمعوا في المجالس، فأخذوا يغتابون

= ٢٠/ ٤٢٢، ٤٢٣)، وابن حبان (١/ ٣١٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٧).

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦) (٢٠/ ٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩).

هذا العالم، ويغتابون ذاك، ويقذفون القاضي هذا، ويقذفون القاضي ذاك، ولا يرعون للشرع حرمة، ولا يرعون لما في صدور العلماء من كلام الله وسُنَّة رسوله ﷺ حرمة، ولا يرعون للعقيدة الصحيحة ـ التي يُبلغها أهل العلم وينشرونها ـ، لا يرعون لها حرمة، ويرتكبون هذه الكبيرة بذكرهم العلماء بما يكرهون، ومع ذلك يأنسون، وكأنهم على طاعة، وكأنهم في طواف، أو في تلاوة قرآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللَّهُمَّ، نسألك سؤال ملح يرجو الإجابة أن تجعل ألسنتنا عفيفة، اللَّهُمَّ، اجعل ألسنتنا عفيفة، وقلوبنا محبة للمؤمنين، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠]، ربنا، اجعلنا ممن يتكلم بالخير، اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن ينطق إذا نطق بالخير، ونعوذ بك من لسان يؤول بنا إلى النار، نعوذ بك ـ اللَّهُمَّ ـ من لسان يؤول بنا إلى النار. واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه من ذنوبكم حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق الحمد، وأسماه وأجلّه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق

الجهاد، اللَّهُمَّ، صلِّ على نبيك محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم لزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى الفخار والرفعة، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون؛ يعني: قد حققتم إسلامكم ظاهرًا وباطنًا.

هذا واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله ﷻ أمركم بالصلاة على نبيه، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر المؤمنين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ، أيدهم بتأييدك، وانصرهم بنصرك، وقوهم بقوتك، وأعزهم؛ فإنك أنت القوي العزيز.

اللَّهُمَّ، وارفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك سؤال ملح يُريد الإجابة، ويطمع فيها، ويخاف

ذنوبه، نسألك أن تغفر لنا أجمعين، اللَّهُمَّ، اغفر لنا أجمعين، اللَّهُمَّ لا تُمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح، بها ترضى عنا، وأنت أرحم الراحمين، وأجود الأجودين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على نعمه، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: عداوة أهل الشرك

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بشَّر وأنذر، بشر بالجنة، وأنذر من النار، بشر أهل اليقظة والعمل، وأنذر أهل الخدور والغفلة، بشر المتيقظين العاملين بدار الجنة بدار الخلد والنعيم، وبشر أهل الخدور والكسل والغفلة بأن لهم النار، بشر ﷺ، فطوبى لمن قبل بشارته! وأنذر، فخسرى لمن لم يأخذ بإنذاره، ولم يرفع به رأسًا! صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن المتأمل المتدبر الناظر في تاريخ الإسلام منذ بعثة النبي ﷺ إلى يومنا هذا ليجد أمامه حقيقة واضحة، لا مجادلة فيها، ولا ارتياب، وهي أن أهل الشرك ـ الذين هم حزب الشيطان وجنود الشيطان ـ يتواصون، ويتتابعون ـ أولهم وآخرهم ـ على السعي في إطفاء نور الله،

وعلى السعي في بسط اليد واللسان في رد هذا الدين، وفي إضعاف قناعة أهله به، تارة ببسط الحرب باليد، وتارة ببسط الحرب بالمال، وتارة باللسان بما يلقونه من تشويهات، وبما يشوهون به الإسلام؛ حتى لا يدخل فيه الداخلون، وحتى لا يثبت عليه من اقتنع به واعتنقه.

ففي الأمر الأول النبي ﷺ ووجه بأنواع من الحرب، فقيل: إنه شاعر، وقيل: إنه كاهن، وقيل: إنه صابئ ﷺ. وذلك من المشركين؛ لكي يبعدوا الناس عن الاقتناع بالإسلام، لكي يبعدوا الناس عن الدينونة لله بالإسلام بالتوحيد له، ونبذ الشرك والطواغيت والأوثان، كل ذلك منهم تتابعوا عليه - أولهم وآخرهم - من بعثة نوح عليه السلام إلى بعثة محمد ﷺ. وكذلك كل رسول يأتي قومه، فقومه يصدون، ويُصدون عن الدين برميهم له بالألقاب، ورميهم له ببعض ما يصد الناس عنه وبالتكذيب، وبأنواع الإيذاء، قال عز وجل: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات: ٥٣].

تنوعت الحرب على المؤمنين في مكة، تارة بتلك الشبهات، وتارة بالشهوات، فقد عرض على النبي ﷺ أن يكون ملكًا لو أراد، أن يكون غنيًا لو أراد، أن يكون مزوجًا بأحسن الحسناوات لو أراد، ولكن كل ذلك لم يقبل به النبي ﷺ؛ لأنه إنما أرسل بشيرًا ونذيرًا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فإنما أرسل بالجنة يبشر بها، أرسل بالنار ينذر ويخوف بها، ويصد الناس عن التساقط فيما يؤدي إليها.

لم يكن همّ المؤمنين، لم يكن همّ الرسل أن يتملكوا، ولا أن يغتنوا، ولا أن يسألوا الناس أجرًا: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [ص: ٨٦، ٨٧].

أوذي رسول الله ﷺ بالأذى الحسي، رمي بالحجارة[(١)]، وسكب على ظهره سلا الجزور، وهو يصلي ﷺ[(٢)].

أوذي المؤمنون من حوله أشد الإيذاء، حتى إن صحابة رسول الله ﷺ - وهم الصفوة الخلص - شكوا إلى رسول الله ﷺ ما يلقون من أذى المشركين، فبلغهم ﷺ بالسُّنَّة الماضية: أن من كان قبلهم كان يؤخذ أحدهم، فينشر بالمنشار ما بين جلده وعظمه، لا يصده ذلك عن دينه، فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: **قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ،**

---

(١) كما في رحلته ﷺ إلى الطائف. انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٨).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ** - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ -، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرْعَى، فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ».

وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

حارب المشركون المؤمنين في مكة بالحرب المالية، فحوصروا في شعب أبي طالب الحصار المعروف المشهور، حتى كان رسول الله ﷺ وصحبه يأكلون الجلود البالية، ويأكلون خبط الشجر، ويأكلون الورق؛ لأنهم لا يجدون شيئًا، حتى فرج الله لهم.

ولما كان من النبي ﷺ البحث عن ناصر له، وذهب إلى الطائف، أوذي أشد الإيذاء، حتى لحقه السفهاء والصبيان يرمونه بالحجارة، حتى أدميت قدما رسول الله ﷺ(٢)، والنبي ﷺ يخاطب ربه، ويسأل ربه داعيًا، يقول: «**اللَّهمّ إلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي ؟ أَمْ إلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ**

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢، ٦٩٤٣) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: (فَاشْتَدَّ أَذَاهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَصَرُوهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِي الشِّعْبِ شِعْبِ أبي طالب ثَلَاثَ سِنِينَ، وَقِيلَ: سَنَتَيْنِ، وَخَرَجَ مِنَ الْحَصْرِ وَلَهُ تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْهُرٍ مَاتَ عَمُّهُ أبو طالب وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَفِي الشِّعْبِ وُلِدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَنَالَ الْكُفَّارُ مِنْهُ أَذًى شَدِيدًا، ثُمَّ مَاتَتْ خديجة بَعْدَ ذَلِكَ بِيَسِيرٍ، فَاشْتَدَّ أَذَى الْكُفَّارِ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَدْعُو إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَقَامَ بِهِ أَيَّامًا فَلَمْ يُجِيبُوهُ، وَآذَوْهُ وَأَخْرَجُوهُ، وَقَامُوا لَهُ سِمَاطَيْنِ، فَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْا كَعْبَيْهِ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ). انظر: زاد المعاد (١/ ٩٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤٢٠)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٥٠). وأخرج قصة ذهابه ﷺ إلى الطائف البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»(١).

كذلك ـ **أيها المؤمنون** ـ لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ولقيه الأنصار من الأوس والخزرج، كانت هناك يهود، ونبتت هناك نابتة المنافقين في داخل الدولة المسلمة، وفي داخل المدينة المنورة نبتت تلك النابتة تعادي الإسلام وأهله من داخل الصف، تعادي الإسلام وأهله من داخل الدولة، وفيهم اليهود، وأولئك المنافقون يوالون اليهود، فاليهود أعداء ظاهرة عداوتهم، والمنافقون أعداء خفية عداوتهم، وبعضهم أولياء بعض: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

أنزل الله ﷻ القرآن يبيِّن للمؤمنين أعداءهم من ذلك الوقت إلى يومنا هذا، الأعداء هم الأعداء، فبين ﷻ أن المشركين لنا أعداء، قال ﷻ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة: ٢].

ويدخل في المشركين كل ملل الشرك، كل ملل الشرك التي كانت، والتي هي موجودة اليوم ممن يعبدون الأوثان والأصنام، ويعبدون غير الله ﷻ، كلهم أعداء للمؤمنين، أعداء للرسالة، أعداء للقرآن: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٥].

اليهود لنا أعداء، والنصارى لنا أعداء، ليس ذلك من استنتاج العلماء، ولكنه خبر من السماء، خبر من الله الذي يعلم السر وأخفى. فاليهود والنصارى لا يفتؤون في عداوتهم للمؤمنين أن يتربصوا بهم السوء، ويعملوا لهم كل غائلة ودائرة؛ حتى تحيط بهم من ورائهم ومن داخل

---

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (ص٣١٥)، وفي المعجم الكبير (١٣/ ٧٣).

صفهم، بيَّن الله ﷻ أنهم يظهرون لنا العداوة، وما تخفي صدورهم أكبر.

وهكذا لما توفي رسول الله ﷺ، تلخصت العداوة من أعداء الله للمؤمنين في أولئك الأصناف في تلك الفئات: المشركون، والمنافقون، واليهود، والنصارى أولئكم هم أعداء الإسلام أولئكم هم أعداء أمة الإسلام، أولئكم هم أعداء توحيد الله، أولئكم هم الذين يدعون إلى الشرك، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ هذا خبر الله ﷻ.

هذا الأصل - **أيها المؤمنون** - مهما اختلف الزمان، وتنوعت الأحوال، هذا أصل أصيل بيَّنه الله ﷻ في كتابه، ودلت عليه سيرة النبي ﷺ.

فهذا الأصل يسميه أهل العلم: الولاء والبراء؛ لأن أصل الإسلام الولاء للإيمان والبراء من الشرك، محبة الإيمان محبة التوحيد، وبغض الشرك وبغض الكفر، ومحبة المؤمنين، يتبع ذلك بغض المشركين، هذا مهما اختلف الزمان، فيبقى ما أخبر الله به هو الحق، قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ﴾، فلما كان القرآن قد انقضى تنزّله، انقضى تنزيله، بقي خبره محكمًا في ذلك إلى قيام الساعة.

الأعداء هم الأعداء، لا يمكن أن يكونوا أحبة في يوم ما؛ إذ الله ﷻ هو الذي أخبر بعداوة أولئك جميعًا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾؛ يعني: لا تتولوهم، ولا تتخذوهم أولياء، لا تتخذوهم أنصارًا، لا تتخذوهم أحبة، وإنما اتخذوا المؤمنين أحبة؛ لأن عقد الإيمان هو الذي جعل تلك الولاية بين المؤمنين أكمل ما تكون؛ لأنها في الله، ولله، وفي دين الله، ورابطة الإسلام أقوى من كل رابطة، ورابطة الإيمان فوق كل رابطة.

إذا تنوعت الحرب على المسلمين أو على الإسلام، فلنقل جميعًا:

إن ذلك أخبر الله ﷻ به في كتابه، وإذا كان الأمر كذلك، فليس مجالًا للاجتهاد، ليس مجالًا للتفكير، ليس مجالًا للعقليات، إنما هو خبر محكم أن كل مشرك بشركه عدو للإسلام، وعدو لأهل الإسلام، لكن الكفار على قسمين:

- منهم من يظهر عداوته للإسلام.
- ومنهم من لا يظهر عداوته، وإنما يخفيها.
- ومنهم فئة قليلة إنما يسعون لمصالحهم، ليسوا متحمسين لدينهم، ليسوا بمتحمسين لمللهم، ليسوا منافحين عن كفرهم ودياناتهم.

فإذًا هناك من يظهر العداء في أنحاء شتى، تارة بالنيل من المؤمنين - من المسلمين - بقتلهم أو تشريدهم في شتى البقاع التي يتسلط فيها أعداء الإسلام، وهذا ظاهر متمثل في ما حدث في الأسابيع الماضية، بل في السنوات الماضية، بل في القرون الماضية، وهذا ظاهر متمثل أيضًا في ما ترون وتسمعون كل حين في هذه الأيام، وفي ما تستقبلون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومنهم - وهم الأخطر والأشد - الذين تخفى عداوتهم، الذين هم إما منافقون، وإما من هم من جنس المنافقين في إخفاء العداوة، يخفونها، ويصلون إلى النيل من الإسلام وأهله، ومن التوحيد وأهله، يصلون إلى ذلك بأنواع شتى من الحيل والمكر والكيد، لا تظهر لكثيرين، يغطونها تارة بأنواع من الإعلام، لا يظهر للناس أن في طياتها وفي خلالها عداوة للإسلام وأهله، وهذا لأن بعض أولئك لهم من الذكاء والفطنة ما يعلمون أن إشعال الحرب على الإسلام بصراحة في هذه السنين لا يصلح، بل لا يصلح إلا التدسس في حرب الإسلام وأهله.

وهذا - **أيها المؤمنون** - يجب أن يكون واضحًا تمام الوضوح أمام

المؤمنين في أعينهم وقلوبهم؛ حتى لا نحتاج معه إذا حدث حدثٌ في كل أسبوع أو في كل شهر أو ما بعد ذلك، لا نحتاج إلى بيان ذلك تكرارًا ومرارًا، فننشغل عن بيان أصول من أصول الإسلام بأخرى، فإذا استمسكنا بهذا الأصل دائمًا، كان ذلك معنا كالميزان والقسطاس الذي لا يخفى، والذي لا يزول معه فهم، ولا يختلط معه عقل وفكر، ولا يضل معه قلب مؤمن.

أسأل الله ﷻ لي ولكم البصيرة في القلوب، أسأل الله لي ولكم أن يجعل في قلوبنا محبة للإيمان وأهله، محبة لله ولرسوله ﷺ، ولدينه فوق محبتنا لكل شيء، أسأل الله لي ولكم أن يقيننا بالإسلام، وأن يجعل يقيننا بما أخبر الله في القرآن لا يقبل شكًا، ولا يعرض له ريب؛ إنه الذي قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه[1]، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ [الممتحنة: ١، ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَخَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَاكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ﷻ يُقَلِّبُهَا**».

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بشَّر وأنذر، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يدَ الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى فوزكم وفلاحكم ورفعتكم في الدنيا والأخرى.

عباد الله، إن الكفار والمشركين الذين يعيشون في دار الإسلام لهم حكمان:

أما الأول: فهم إن أظهروا عداوتهم للإسلام، إن أظهروا عداوتهم للمسلمين، فهؤلاء يجب على المؤمنين أن يظهروا لهم العداوة، وأن يبارزوهم بمثل ما بارزوا به، وأن يسعوا في إخراجهم عن دار الإسلام؛ حتى لا يضلوا، وحتى لا تكون فتنة.

الصنف الآخر: فهم الذين لم تظهر منهم عداوة، وإنما حالهم ليست بظاهرة، حالهم في السعي في مصالحهم، حالهم أنهم لم يبارزوا المسلمين بإيذاء بقول أو بمال، حالهم أنهم لم يؤذوا المؤمنين، فهؤلاء حكمهم أنهم يعاملون بالعدل في الظاهر؛ لأن الله ﷻ قال في محكم التنزيل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

أخبر الله ﷻ أن من لم يظهر لنا العداوة، فإننا نعامله بالعدل، نعامله بالقسط، نعامله بما أمر الله ﷻ أن نعامله به، لم ينهنا الله ﷻ أن نقسط إليهم، فلا يجوز أن نبارزه بالعداوة ما دام لم يظهر لنا العداوة، لا يجوز أن نؤذيه ما دام أنه لم يؤذ المؤمنين، ولم يظهر عيبًا للإسلام، ولم يظهر قدحًا فيه، ولا في أهله، فهذا الأمر بالعدل أمر عظيم من أصول الإسلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

فالعدل للجميع ـ للمؤمن وغير المؤمن ـ أمر واجب، والبغي منهي عنه محرم، وسواء كان على المؤمنين، أم كان على غير المؤمنين ممن لم يظهروا عداوة للإسلام وأهله.

فبهذا يتبين الأمر، ويتكامل الحكم في ذهن كل واحد منا، يتبين حكم الشرع؛ لأن منا من يجفو، فيحسن إلى المشركين، ولا يبغضهم، ولا يظهر لهم العداوة، مع أنهم يظهرون لنا العداوة، وآخرون يغلون، فيعاملون من لم تظهر منه العداوة بالجفاء والغلظة، والله ﷻ بيَّن لنا حكم هؤلاء وحكم هؤلاء، والله يقص الحق، وهو خير الفاصلين.

واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ

حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك لتكون كلمة الله هي العليا، اللَّهُمَّ أمدهم بمدد من عندك، وانصرهم وقوّهم، وأعزهم يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلادنا بعامة يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا، لا يغادر منا أحدًا؛ رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، علماء وولاة، وأنت مجيب السائلين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: أسباب السعادة الزوجية

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف علينا من الدين الغمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ جعل بيت الزوجية سكنًا للعباد، جعله سكنًا للرجل، وجعله سكنًا للمرأة. وبيت الزوجية إنما يقوم على إسعاد كل من الزوجين للآخر، وعلى أن يكون ذلك البيت سعيدًا متوافقًا، أرواحه متوافقة غير مختلفة: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»؛ كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ[1].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولم يتزوج رجل، ولم تتزوج امرأة إلا وهي تطلب كمال سعادتها وكمال سعادته، وهو يطلب كمال راحته، وكمال سكنه وطمأنينته، فالرجل والمرأة متكاملان، خلق الله ﷻ كلًا منهما للآخر، فالرجل والمرأة يُسْعِدُ كل منهما الآخر، وإذا قام البيت على ذلك ـ على إسعاد كل من الزوجين للآخر ـ، كانت نفس المؤمن مطمئنة، كانت نفس الرجل مطمئنة سعيدة، يمكنها أن تقوم بالأعمال الواجبة التي أوجبها الله عليها من العمل وغيره مما هو من مقتضيات الرعاية للبيت. وإذا كان البيت مختلًا، فإنه يكون من ذلك الخلل ما يعكر صفو الحياة، وكل من الرجل والمرأة لم يتزوج إلا لأجل أن يكون سعيدًا في ذلك، ولكن كثيرًا من البيوت، كثيرًا من الأزواج والزوجات يحصل بينهم عدم توافق، يحصل بينهم اختلاف، يحصل بينهم اختلاف وعدم رضا، وتكبر المشاكل شيئًا فشيئًا، ثم يكثر السؤال، ويوسطون لحل المشاكل، ويكون البيت بدلًا من أن يكون بيتًا للسعادة، يكون بيتًا فيه كل يأس، أو فيه ما ينغص الحياة بجمع أنواع ذلك.

وأرى أن السبب في ذلك هو عدم رعاية ما جاء في النصوص مما تقوم به البيوت الزوجية، وما يكون به الإسعاد؛ لأن الشرع جاء لإسعاد الناس جميعًا، وإذا راعينا الشرع، وطبقناه، وامتثلناه، وسرنا به، فإننا نكون سعداء، وما يكون الناس في بعدٍ عن السعادة في أمورهم الخاصة ولا أمورهم العامة، إلا لأجل تفريطهم في أوامر الله ﷻ، أو ارتكابهم لما نهى الله ﷻ عنه.

فإن الوفاق وإن السعادة الزوجية إن ذلك مبني على أسباب، ذكرها الله ﷻ، وبيَّنها رسوله ﷺ فيما بيَّن من مجمل القرآن.

فإن الوفاق له أسباب، ومن أسبابه التي جاءت الإشارة إليها في الأحاديث النبوية:

الأول: ترك الغضب والتغاضب بين الزوجين؛ كما في الحديث: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: **لَا تَغْضَبْ**، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: **لَا تَغْضَبْ**»(١).

قال أهل العلم: معنى قوله: «**لَا تَغْضَبْ**»: لا تفعل الأسباب التي تجلب الغضب، ولا تأخذ بمقتضى الغضب بعد وقوعه؛ فإن امتلاك النفس عند الغضب من صفات العقلاء، ومن صفات المتقين. كما قال ﷻ في صفات المؤمنين: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، وكما قال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤](٢).

فالتغاضب بين الرجل والمرأة لأدنى الأسباب ولأتفهها كثيرًا ما يترتب عليه أشياء، وتتناكر النفوس شيئًا فشيئًا، ويومًا بعد يوم، حتى يكون بعد المحبة البغض والكراهة، والنبي ﷺ أوصى بعدم الغضب؛ يعني: بعدم الأخذ في أسباب الغضب.

فإن الغضب له أسباب تثيره، فإذا رعت المرأة ترك الأسباب التي تثير غضب الزوج، وترك الزوج الأسباب التي تثير غضب المرأة ـ يعني: في أمور الدنيا ـ، فإن ذلكم فيه ما يكون به أسباب الوفاق، وعماد ذلك أن يكون المرء متغافلًا؛ لأن إحقاق الأمور على آخرها، وأن يكون الرجل أو المرأة تريد أن يكون ما تتمناه تامًا، وأن لا تتسامح في شيء، وأن لا يتسامح الرجل في شيء، هذا فيه ترك للتغافل، وترك التغافل شر؛ كما أن **الْغَضَبَ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ**؛ كما قال جعفر بن محمد(٣)، وسُئل

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٩٦)، والاستذكار (٨/ ٢٨٦)، والتمهيد (٧/ ٢٤٥)، وشرح النووي على مسلم (١٦/ ١٦٣).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٣).

ابن المبارك عن حسن الخلق، فقال: (تَرْكُ الْغَضَبِ)[١].

وكذلك حسن الخلق وعماد السعادة في المعاملات في البيت وفي غيرها التغافل، وقد قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْكَيِّسُ الْعَاقِلُ هُوَ الْفَطِنُ الْمُتَغَافِلُ)[٢]، فلما قيل للإمام أحمد: إن فلانًا يقول: (الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي التَّغَافُلِ، قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَحْمَدَ ابْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ)[٣]، أخذ ذلك من الحديث؛ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»[٤]، وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[٥].

فإن الرجل قد يرى من المرأة على غفلة ما لا يسره من أمور دنياه، وقد ترى المرأة من الرجل ذلك، وإذا رأوا ذلك، فإن على هذا وهذه أن يتغافلوا، أن يغفل هذا ما رآه، وأن تغفل تلك ما رأت.

أما إذا أخذ الرجل زوجه بإحقاق كل ما رأى، وتقصي الأمور إلى آخرها، فإن ذلك بعد عن التغافل، والخير كله في التغافل؛ لأن استقصاء

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٣).
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٥٧٥).
(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (١٠/ ٥٧٥) عن عثمان بن زائدة.
(٤) أخرجه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).
(٥) أخرجه مسلم (٢٥٩٣).

الأمور، واستقصاء ما يتمنى المرء إلى أخره، هذا لا يمكن أن يكون إلا فيما ندر. وانظر إلى زوجات النبي ﷺ كيف طالبنه بالنفقة؛ حتى شق ذلك عليه، وحتى وقع ذلك في نفسه، فهجر رسول الله ﷺ بيته شهرًا كاملًا من جراء ما فعل به أزواجه ﷺ[١].

فإن المرء المتغافل يكسب خيرًا كثيرًا في بيته، فليتغافل عن كلمة سمعها لا تسره من امرأته، فإنه إذا كان كأنه لم يسمع، تعدته الكلمة، ولم تؤثر فيه، وكذلك المرأة لتتغافل عن الرجل؛ فإنها إذا تغافلت عن ذلك، كانت الحياة على قوامة صحيحة، والرجل نفس بشرية، والمرأة كذلك لها متطلباتها، تغضب وترضى، وتحن وتكون متكدرة بعض الأحيان، وهكذا. . . ، فإذا لم يرعَ كل واحد من الزوجين هذه الأمور النفسية، وقعت المشاكل، وبالعلم والعقل ومتابعة الشرع قبل ذلك يكون الخير كله.

ولهذا نرى أن من الناس من لا يرعَى حالات الغضب عند الرجل من المرأة، وحالات الغضب عند المرأة من الرجال، فإن المرأة فيها أحوال بدنية وتركيبات نفسية وعضوية تؤدي بها إلى أنها يكون في نفسها الغضب، وربما تكون نفسها متعكرة، فتغضب لكلمة، ولا تنفس، أو تكون متعكرة، فتقوم تعاكر الزوج، ولا تطلب رضاه، وهذا لأنه يأتيها بعض الحالات عند بعض النساء ما يكون من طروء الحيض على المرأة، أو بعض النفسيات المعروفة، وهذا ينبغي للرجل الذي يريد سعادته في بيته أن يعرف أحوال زوجه، ولكل امرأة أحوال، ولكل رجل أحوال، فإذا رأى ذلك، تجنب ما يسخطه، وتجنب ما يسبب إسخاطه، وتجنب ما يسبب تعكير حياته، والحياة حياتك، فإن أنت تمهلت وتغافلت،

---

(١) قصة إيلاء النبي ﷺ أخرجها البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

وعلمت حال المرأة، فإن ذلك يكون به السعادة، وكذلك المرأة لا بد أن ترعى حال الزوج؛ لأن الزوج ربما أتى من مخالطة الرجال في العمل، ونفسه غضوبة أو نفسه متعكرة، وهو يريد بيتًا هادئًا يكون فيه سعادته، ويكون فيه سكنه، فإذا لم ترع المرأة هذه الأحوال، وأرادت أن يكون الرجل لها في حال التعب كحال السرور والرخاء، فإن في ذلك حملًا له على غير طبيعته التي خلقه الله ﷻ عليها.

وهكذا ـ **أيها المؤمنون** ـ إن رعاية الحال النفسية فيما بين الرجل والمرأة يسبب خيرًا كثيرًا، فإذا رعى الرجل زوجه، وإذا رعت المرأة زوجها، كان ذلك من أسباب الخير في نفسية كل واحد منهم، وفي رعايته لحال رضاه، ولحال غضبه.

ومن أسباب الوفاق أن يكون المرء ناظرًا من جهة زوجته، ناظرًا إلى الأخلاق الحسنة التي فيها، ويعظم ذلك إذا رأى أنها أكثر من الأخلاق التي هي سيئة فيها، وكذلك المرأة تنظر في الرجل إلى أخلاقه الحسنة، وإلى ما فيه، وما تسبب لها من جهته من الخير، فتعظم ذلك في نفسها، وتغفر له الزلات؛ كما أن الرجل يغفر للمرأة الزلات، وقد ثبت في صحيح مسلم؛ أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ. أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ**»(١)؛ يعني: لا يبغض مؤمن مؤمنة في بيت الزوجية؛ فإنه إذا كره منها خلقًا، نظر إلى أخلاقها الأُخر التي ترضيه، ما دامت الأرواح متوافقة، فإنه يعجبه ذلك، ويسر به، وعماد ذلك أن يعظم الرجل الحسنات التي يراها، ويقلل السيئات، ويعظم الأخلاق الحسنة، ويقلل من شأن الأخلاق السيئة؛ حتى يقوم في قلبه حب زوجته ومودتها، وكذلك المرأة تعظم الأخلاق الحسنة في

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

زوجها، وتقلل من شأن الأخلاق السيئة، فيعظم في قلبها، يعظم في قلبها الرجل بما حببت إلى نفسها من شأنه، وهذا امتثال لنهي النبي ﷺ في قوله: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً**»، ومقتضى ذلك لا تفرك مؤمنة مؤمنًا؛ يعني: لا يبغض المؤمن المؤمنة، ولا المؤمنة المؤمن، بل إذا كره منها خلقًا، رضي منها خلقًا آخر، ولهذا قال بعض السلف: إذا سرتك الحسنة من زوجك، فعظم ذلك في نفسك؛ فإنه أجلب لسعادتك، وإذا نظرت إلى السيئة من زوجك، فقلل ذلك في نفسك؛ فإن تقليل ذلك أعظم لسعادتك.

وإذا رأينا كثيرًا من البيوت وكثيرًا من العلاقات الزوجية، وجدنا أن الرجل يرى من امرأته خلقًا، يرى منها ربما دمامة في الخلقة، ويرى ربما منها عدم قيام بشؤون البيت كما ينبغي، وربما رأى من النساء أو سمع من هن أحسن خلقة من زوجته، فيعظم ذلك في نفسه، ويعقبه ذلك كراهية لها، وذلك ليس مما أمر به النبي ﷺ، بل إذا كرهت منها خُلقًا أو خَلقًا، ربما رضيت منها خلقًا آخر، ما دامت الأرواح غير متنافرة، وغير مختلفة، والأرواح كما قال النبي ﷺ: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[1].

أيضًا من أسباب الوفاق عدم الشح من الرجل في النفقة على أهله، وكذلك عدم مطالبة المرأة من النفقات ما لا يقدر عليه الزوج، فإن في بيوت الزوجية ما يكون الرجال فيه شحيحين على النساء، فيعقب ذلك النساء بغضًا لأزواجهن وكراهية لأزواجهن، وإذا كرهت المرأة الزوج، ربما لم تقم بحق الله الذي أمرها به تجاه زوجها. كذلك المرأة عليها أن تكون في طلب نفقاتها غير مرهقة للرجل، وغير ناظرة إلى غيرها، وقد

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩٥).

قال ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»(١)، وقد قال ﷺ أيضًا ـ كما ثبت ذلك في الصحيح ـ عن النساء أنهن: «**يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»(٢)، ترى المرأة من الرجل يومًا واحدًا ما يسوؤها، وقد أسبغ عليها خيره في أيام وسنوات طوال، فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط، فيكون ذلك منها كفرًا للنعمة، يكون ذلك منها كفرًا للعشير وكفرًا للنعمة، فإن النعمة تستحق أن يُشكر من أسداها، والذي أسدى النعم هو الله ﷻ، ثم من أجرى النعم على يديه من الزوج فيما ينفق على زوجته، ومن الزوجة فيما تقوم به لزوجها، وقد مر النبي ﷺ على نسوة؛ كما قالت أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ ـ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ـ تَقُولُ: «مَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَقَالَ: **إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ الْمُنَعَّمِينَ**، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا كُفْرُ الْمُنَعَّمِينَ؟ قَالَ: **لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَطُولَ أَيْمَتُهَا بَيْنَ أَبَوَيْهَا، وَتَعْنُسَ فَيَرْزُقَهَا اللهُ ﷻ زَوْجًا، وَيَرْزُقَهَا مِنْهُ مَالًا، وَوَلَدًا فَتَغْضَبَ الْغَضْبَةَ فَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْهُ يَوْمًا خَيْرًا قَطُّ وَقَالَ مَرَّةً: خَيْرًا قَطُّ**»(٣)، فعلى المرأة أن ترعى شكر زوجها، وأن تعلم أن الرجل ربما لم ينشط للإنفاق، ولم ينشط

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «**أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ**. قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: **يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**». وأخرجه مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد (٤٥/ ٥٤٢)، وابن راهويه (٥/ ١٧٣، ١٨٢)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٥٨٤)، والبزار (١٢/ ٣١٨)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ١٦٤، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٤)، والبيهقي في الشعب (١١/ ١٢٦، ٣٨٢).

للإعطاء، أو ربما لم يكن عنده ذلك في كل أيامه، والرجل إذا كان كذلك، فإن المرأة تصبر عليه، وهو إذا صبر واحتسب ورام الفضل من الله، فإنه يوسع عليه، أما إذا كان في الجهة الأخرى، والله ﷻ أعطى، ويمنع أهله وزوجه الحق الذي فرضه الله لهن في قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ يعني: بما أنفقوا، وبما فضل الله بعضهم على بعض، وبما آتى الله الرجال من المال، فإن الرجل إذا شح وبخل بالحق الواجب، فإنه يكون مقصرًا، وقد تكون عقوبته في تعكير حياته التي في بيته، وفي اختلاف زوجه عليه، واختلاف العلاقة فيما بينهما.

كذلك ـ **أيها المؤمنون** ـ عماد الأسباب في قيام الحياة الزوجية سعيدة في البيوت أن تقام البيوت على تقوى من الله، أن تقام البيوت على رضوان من الله، أما إن قامت البيوت على تفريط في الواجبات، والرجل يسكت عن تفريط زوجه، والمرأة تسكت عن تفريط زوجها، فإن البيوت إذًا لم تقم على رضوان كامل من الله ﷻ، وإذا كان كذلك، ربما عوقب أهل البيت بالاختلاف فيما بينهم؛ لأن الله يحب المرأة التي تعين زوجها على الخير، ويحب الله الرجل الذي يأمر أهله بالخير، وقد قال ﷻ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه: ١٣٢]، فمن الخلل الذي يكون في البيوت أن تكون المرأة متساهلة مع زوجها، تراه ينام عن الصلوات، ولا يؤديها في أوقاتها، وتسكت عن ذلك، ولا تحثه، وكذلك الرجل يرى زوجته ترتكب بعض المنهيات من أنواع اللباس، أو من أنواع النظر، أو من أنواع المخالطة المحرمة، أو تترك بعض الواجبات؛ كأداء الصلاة في أوقاتها، أو كالطمأنينة فيها، ونحو ذلك، ولا يقوم بيت الزوجية بالمناصحة فيما بين الزوج والزوجة، فعند ذلك ربما يقع الاختلاف.

وعماد ما ذكرت جميعًا أن البيوت الزوجية إذا كانت على علم ـ علم من الرجل وتعليم، وعلم من المرأة وتعليم ـ، قامت البيوت على أحسن ما يكون، ولا يمكن أن يتصور بيت لا مشكلة فيه ولا اختلاف فيه، ولكن بحسن عقل الرجل، وقبل ذلك متابعته للشرع، وكذلك بعقل المرأة وعلمها بحقوق زوجها وحقوق بيت الزوجية، وأن الله ﷻ جعل للرجل على المرأة درجة، وأنه يجب عليها أن تطيعه، فإن ذلكم إذا رعي، قامت أسباب السعادة، وإذا ترك ذلك، قامت أسباب الاختلاف؛ ولهذا ينبغي أن يعلم الرجال النساء ما فرض الله عليهن، وأن تقوم البيوت على طاعة الله ﷻ.

ثم من أسباب الاختلاف أن تكون المرأة ناظرة إلى أنها مساوية للرجل في جميع شؤونها، فترى أن لها أن تخرج متى ما أرادت، وأن تزور من شاءت دون رضا الرجل، ويأتي الزوج إلى بيته، لا يدري أين ذهبت امرأته، وهذا من جراء التفريط فيما أمر الله ﷻ به، وأمر به رسوله، فإن النبي ﷺ أمر المرأة بطاعة زوجها، ونهاها عن أن تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، وتساهل الرجل في أول الأمر ربما نغص عليه الأمر بعد مضي سنوات من الزواج.

فالرفق الرفق، والحكمة الحكمة في معاشرة النساء، وفي أن يصلح الرجل زوجته بما يرضى منها، ويكون ذلك في مبتديات الحياة الزوجية، أما إذا تساهل، فربما استعصى العود عن أن يلان بعد ذلك، وهذا معروف، ونذكره؛ لكثرة ما سمع من المشاكل الزوجية، ومن كثرة وقوع الطلاق في الناس في هذه الأيام، والقضاة يشكون في هذه الأيام من كثرة وقوع الخلافات، وكثرة الطلاق بين الناس، وذلك راجع إلى عدم تفهم الشرع، وعدم تفهم الحقوق التي فرض الله ﷻ لكل من الزوجين

على الآخر، وكذلك ضعف العقل أو عدم الحكمة فيما بين الزوجين، أو ما ذكرت من الأسباب، والأسباب كثيرة.

ثم ـ **أيها المؤمنون** ـ كل واحد له في بيته أسباب، ربما لم تكن كأسباب الآخرين، فعليه أن يتحرى العلاج بالحكمة، وبما يوافق الشرع؛ فإن في ذلكم قيام البيوت على السعادة.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم وأزواجنا من الذين يتابعون الشرع، ويؤمنون بما انزل الله، ويعملون بذلك، ويطبقونه على أنفسهم، وأن يلزمنا كلمة التقوى في السر والعلن، وكلمة الحق في الغضب والرضا، وأن يلزمنا النصفة من أنفسنا؛ فإن في ذلكم الخير لنا.

نسأل الله أن يمن علينا بذلك، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في السر والعلن، في الخلوات وفي الإعلان، وفي الإسرار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

هذا، واعلموا أن الله ﷻ أمركم بالصلاة على نبيِّه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، اللَّهُمَّ، دلهم على الرشاد، وحبب إليهم الخير، وبغض إليهم الفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك، وأنت خير مسؤول، وأنت المجيب لمن سأل، المجيب لمن دعا، المعطي من سأل، اللَّهُمَّ، نسألك بأسمائك الحسنى

وصفاتك العلى أن توفقنا إلى ما تحب وترضى، اللَّهُمَّ، وفقنا قبل الممات إلى عمل نزدلف به إلى رضاك يا أكرم الأكرمين.

نعوذ بك اللَّهُمَّ من موت على عصيان، نعوذ بك اللَّهُمَّ من موت على عصيان، ومن موت قبل التوبة، فنسألك أن توفقنا قبل الممات إلى ما به ترضى عنا يا أكرم مسؤول، نحن الفقراء، وأنت الغني، نحن المذنبون، وأنت العفو، فاعف عنا يا أكرم الأكرمين، ووفقنا إلى توبة نصوح قبل الممات يا أجود الأجودين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: أنواع الظلم

الخطبة الأولى:

الحمد لله هو ولي المحامد، كل حمد مستحق له ﷻ، له الحمد كله، وله الثناء كله، حمده أهل الثناء، وحمده أهل الأرض بلسان قولهم وحالهم، فهو المحمود في الأرض، وهو المحمود في السماء، له الحمد في الأولى والآخرة، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة هي معيار التوحيد، شهادة فيها إخلاص القلب لله ﷻ، وفيها توجه النفس إلى الله ﷻ وحده لا إلـٰه إلا هو، هو الإلـٰه الحق في السماء، وهو الإلـٰه الحق في الأرض، عبده أهل السماء، وعبده أهل الأرض وحده لا شريك له، طواعيةً واختيارًا، أو جبرًا واضطرارًا، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، بشَّر وأنذر، وأقام لنا الحجة، وبيَّن لنا المحجة، وأوضح لنا البرهان، وبيَّن لنا الدليل، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ حكم عدل، أحد فرد صمد، أقام السماوات، وأقام الأرض، وأقام ما بينهما، وأقام ملكه وحكمه على العدل، فإن الله ﷻ جعل الظلم محرمًا على نفسه، وأقام ملكوته على

العدل، أقام ذلك الملكوت على العدل، وعلى العدل وحده، فلا ظلم في ملكوت الله، بل إنك ترى ملك الله ﷻ، وترى أفعاله، وترى حكمه قد وضع كل شيء في مكانه الذي يصلح له ـ وذلك هو العدل ـ، موافقًا للغايات المحمودة التي يعلمها الله ﷻ، وتلكم هي حكمة الله ﷻ في خلقه، ولعظم شأن العدل في حكم الله وعند الله ﷻ، ولعظم حرمة الظلم عند الله ﷻ حرَّم الله ﷻ الظلم على نفسه، فقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال فِيما يَرْوِيهِ عن رَبِّهِ ﷻ؛ أنّه قال: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»(١).

حرم الله ﷻ الظلم على نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، حرم الظلم على نفسه، وحرم الظلم بين العباد، ونهاهم عن الظلم بأنواعه، قال ﷻ في الحديث القدسي: «**حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا**».

ولعظم خطر الظلم فإن الله ﷻ وصف الظالمين، وعاقبهم بأنهم ليس لهم من ناصرين: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

فالظالم ليس له صاحب يوم القيامة ينجيه من عذاب الله، ليس له شفيع يشفع له بين يدي الله ﷻ. إن الظالم ـ سواء كان الظلم الأكبر، الذي هو الشرك، أو ما هو دونه ـ، فإن صاحبه ليس له من أنصار: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾؛ لبشاعة الظلم وعظم خطره، ولأنه مضاد لحكم الله ولما أمر به شرعًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

لهذا ـ **أيها المؤمنون** ـ كان من الأمور اللازمة على المؤمن أن يجتنب الظلم في نفسه وفيمن حوله، وأن يسير في حقوق الناس على أكمل العدل الذي يستطيعه؛ فإن عاقبة الظلم وخيمة، وقد ثبت في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]»[1].

وبيَّن عز وجل أنه يأخذ القرى إذا ظلمت أخذًا شديدًا شديدًا؛ وذلك لظلمها بأنواع الظلم.

وبيَّن عز وجل أن من آثار الظلم أن يترك القرى بعد غناها فقيرة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٨].

أيها المؤمنون، إن الظلم حرمه الله عز وجل، وحرمه رسوله ﷺ في جميع أنواعه، فمن أنواع الظلم المحرم:

● أن يظلم العبد نفسه التي من حقها عليه أن يسعدها. إن من حق أنفسنا علينا أن نسعدها، لا أن نظلمها، فإذا ظلم العبد نفسه بارتكابه محرمات الله، وبتعريضه نفسه العزيزة عليه لعقاب الله، كان ذلك ظلمًا منه لنفسه: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]، والظالم لنفسه سوف يلحقه عقاب الله عز وجل في الدنيا أو في الآخرة إن لم يرحمه عز وجل أو يمن عليه بتوبة نصوح. إن الظلم للنفس أمر عظيم، إن الناس يتصورون أنهم لا يظلمون غيرهم، وذلك ميسور، ولكن الأشد والأشد أن يتخلص المرء من ظلمه لنفسه؛ فإن النفس عسيرٌ عسيرٌ عسيرٌ أن يتداركها المسلم بعدل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

وحكمة وقوة في تعامله معها؛ لأن ﴿ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، فمن حق أنفسنا علينا أن لا نظلمها، بل أن نسعدها بحملها على أداء محاب الله، على أداء الواجبات جميعًا، وعلى الابتعاد عن المحرمات بأنواعها، وكل منا عليه حسيب من نفسه يعرف الواجب، ويعرف المحرم، ولكن الشأن في العاجز الذي أتبع نفسه هواها.

• إن من الظلم أن يظلم الرجل والديه، أن تظلم المرأة والديها، بأن لا تعطي الوالدين حقهما، فإذا منع الرجل أو منعت المرأة والديها أو والديهم حقوقهم بأن لم يبروا بهم، ولم يصلوهم بما أوجب الله ﷻ صلتهما به، فإنهما ظلماهما بأن يكونا لم يؤديا حق الوالدين الذي أوجبه الله ﷻ، فمنع الحق عن أهله نوع من الظلم، والله ﷻ أكد حق الوالدين، حتى قرنه بحقه ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] في آيات كثيرة، فما الذي يفعله أهل العقوق بوالديهم؟ لقد كان فرح الوالدين بالابن أو ببنتهم أعظم فرح، فكيف يكون الحال إذا كان الولد عاقًّا لوالديه؟ إنه ظلم للوالدين من الابن أو من البنت أن يظلما والديهما بأن لا يعطي الولد والده حقه الذي أوجبه الشرع عليه.

أيها المؤمن، إن من الظلم أن تظلم قرابتك، بأن لا تعطيهم حقوقهم التي فرض الله لهم عليك، فإنك إذا قطعت الرحم، ولم تصلها الصلة الشرعية، إن ذلك ـ ولا شك ـ نوع من الظلم، ولهذا لعن الله الظالمين، ولعن الله الذين قطعوا أرحامهم، قال ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن

تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

أيها المؤمن، إن من الظلم أن تظلم إخوانك المسلمين حقوقهم؛ فإن للمسلم على المسلم حقوقًا، فإذا كان ذلك الحق حقًا للمسلم متبينًا ـ كحق المال، أو حق الأرض ـ، أو حقًا من حقوقه الظاهرة، فأخذه المسلم غصبًا من أخيه المسلم ـ إما باعتدائه على ماله، أو اعتدائه على عرضه، أو اعتدائه على ما يستحقه ـ، كان ذلك نوعًا من أنواع الظلم البشع. فإن النبي ﷺ بيّن في خاتمة وصاياه في حجة الوداع للأمة، قال ﷺ: «**إنَّ دِماءَكمْ وأموالَكم وأعْراضَكمْ بَيْنَكُم حَرامٌ؛ كَحرْمةِ يومِكُم هذا، في شَهرِكمْ هذا، في بَلَدِكمْ هذا**»(١)، ومنا من يعيث في حقوق إخوانه، إما أن يظلمهم في أراضيهم بأن يغصب أرضًا ليست له، وقد ثبت في الصحيح؛ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(٢)، كذلك من ظلم المسلم في ماله بأن أخذ ماله، أو لم يعطه الحق الذي له في المال؛ كما يفعل ـ والعياذ بالله ـ أصحاب بعض المؤسسات، الذين يحرمون الذين يعملون عندهم من حقوقهم شهورًا طويلة، أما شعروا بأن ذلك ظلم، وأن وراء ذلك العامل ذرية أو أقارب ينتظرون المال؛ لينفقوا به على أنفسهم؟! فإن تأخير تلك الأموال عن أدائها لذوي حقوقها ـ من العمال، والموظفين، وأشباههم ـ، مع القدرة على أدائها، إن ذلك نوع من الظلم، إلا أن يتنازل أو يأذن الذي له الحق عن الذي عليه الحق بتأخيره.

أيها المؤمن، إن الظلم يكون في أنحاء شتى، وأعظم الظلم أن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

يُظلم في الأرض، بأن لا تستصلح بالدين وبالصلاح والإيمان، فإن الله ﷻ قال في كتابه العظيم: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦ و٨٥]، إن الله ﷻ أصلح الأرض ببعثة نبيه ﷺ(1)، أصلح الأرض بالقرآن، أصلح الأرض بانتشار التوحيد، وانتشار طاعة الله، وأبعد عنها الفساد بدحض الشرك وأهل الشرك، فإذا نشر في الناس الفساد من الشرك بالله وما دونه من المعاصي ـ والعياذ بالله ـ، فإن ذلك نوع من الظلم. القرى متوعدة إذا أقرت بذلك، ولم تأمر فيما بينها بالمعروف، ولم تنه عن المنكر: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، لا شك أننا إذا رأينا القرى من حولنا، فسنرى ما حل بها؛ وذلك لأنهم ظلموا أنفسهم، قال ﷻ: ﴿وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

أيها المؤمن، إن أنواع الظلم كثيرة، إن موارده متنوعة، فمن الحق عليك لنفسك ولله ﷻ أن تبتعد عن الظلم بأنواعه، أن تؤدي للمسلمين حقوقهم، بأن لا تظلمهم، أعط المشتري ـ أيها البائع ـ حقه، ولا تظلم منه شيئًا.

أيها المسلم، أعط المسلم حقه فيما يستحق، وإياك أن تظلم منه شيئًا؛ فإن الظالم ليس له من الله والٍ، إن الظالم ليس له أنصار: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، فما ظنك إذا كان الظالم متوعدًا بذلك كله؟ ماذا يفعل الذين يعلمون من أنفسهم أنهم ظلموا؟ كيف يفعلون إذا لقوا الله ﷻ، وليس لهم حجة، وقد بلغوا، وليس على

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٥٠١، ٥/ ١٥٢٠). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٧٦، ٤٧٧) لأبي الشيخ في التفسير.

وجوههم مزعة لحم؛ مما يعلوهم من الخوف والهلع من عقاب الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ حرم الظلم على نفسه، وحرمه على العباد؟ فلا يجوز لأحد أن يظلم نفسه، أو أن يظلم أهل الحقوق حقوقهم من الوالدين، أو الأقارب، أو المسلمين عمومًا، أو الأمة، أو المجتمع؛ فإن الظلم مرتعه وخيم، وعاقبة الظالمين أسوأ عاقبة، والعياذ بالله.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من الذين يعدلون فيما أتوا، اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن يبصرون الحق حقًا، ويتبعونه، اللَّهُمَّ، مُنَّ علينا بالاستجابة الصالحة لما أنزلت من الكتاب، ولما بلغنا رسولك من السُّنَّة، يا أكرم الأكرمين.

واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق الحمد، وأجزل الحمد، وأثناه، وأهناه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له؛ تعظيمًا لشأنه، ولأمره، ولنهيه، وحقه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله؛ إقرارًا وتوحيدًا، وعرفانًا بفضله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي

هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى إسعاد النفس وسرورها وراحتها وطمأنينتها وأمنها في الدنيا والآخرة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المؤمنون، إن الله ﷻ أمركم بأمر عظيم بدأ فيه بنفسه، وثنى فيه بملائكته، فقال ـ سبحانه ـ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعن الصحب والآل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ولطفك ورحمتك ورأفتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، اللَّهُمَّ انصر عبادك الموحدين في كل مكان، اللَّهُمَّ، اجعل راية المؤمنين فوق كل راية، اللَّهُمَّ، اجعل راية المؤمنين فوق كل راية، اللَّهُمَّ، اجعل راية المؤمنين فوق راية المشركين بأنواعهم، وفوق راية اليهود والنصارى وأعوانهم، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تؤمننا في ديارنا، وأن تصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، أصلح ولاة أمورنا، واجعلهم هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تريهم الحق حقًا، وتمن عليهم باتباعه، وأن

ترزقهم التوفيق، وتمن عليهم بالسداد في أقوالهم وأعمالهم؛ موافقة لكتابك ولسُنَّة نبيك، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى أن تجعل هذه الديار آمنة مطمئنة في رزق وأمن وأمان، وراحة وسلامة وسلام، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نبرأ إليك مما فعله السفهاء منا والظالمون منا، اللَّهُمَّ، فتقبل ذلك منا.

اللَّهُمَّ، لا تهلكنا بغضبك، اللَّهُمَّ، لا تهلكنا بغضبك، وعافنا، يا أرحم الراحمين، نسألك العافية، ونسألك العفو، فاعف عنا يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، وارفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنها الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا، اللَّهُمَّ أصلحنا جميعًا، رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا. اللَّهُمَّ، اشرح قلوبنا لطاعتك، وللالتزام بأمرك، يا أكرم مسؤول.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، اذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم بأعمالكم وألسنتكم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الأمراض

الخطبة الأولى:

الحمد لله، تفضَّل على عباده بأنواع النعم وأنواع الفضائل، أحمد الله، وأثني عليه الخير كله؛ بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأثني عليه بأنه ذو الربوبية، وذو الألوهية على خلقه أجمعين، فالحمد لله في الأولى والآخرة، حمدًا دائمًا لا ينفد، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، لقد بشَّر وأنذر، لقد أقام الحجة، وأوضح السبيل والمحجة، فطوبى لمن قبل بشارته، وقبل إنذاره، فتقرب من الجنة، وتباعد من النار، طوبى له، ثم يا بشرى له بما أعد الله ﷻ للقابلين لرسالة محمد ﷺ من التوفيق العظيم في الدنيا، والأجر الجزيل في الآخرة، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ كان رحيمًا بالمؤمنين؛ كما قال ﷻ في كتابه: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، الله ﷻ رحيم بعباده المؤمنين الذين أسلموا لله ﷻ، وانقادوا له، واستسلموا له بالتوحيد، وأطاعوا رسوله ﷺ، الذين عظموا الله بتوحيده، الذين أخلصوا الدين

له، فالله ﷻ رحيم بهم في الدنيا، فهم إنما يتقلبون في رحمته، إن أصابتهم سراء، فبرحمته ﷻ بهم أنالهم السراء، وإن أصابتهم الضراء، فبرحمته ﷻ بهم أصابهم بتلكم الضراء، فالله ﷻ أثار رحمته بخلقه ـ وخاصة المؤمنين ـ تراها في كل حركة من حركاتهم، سواء في ذلك الكفار والمؤمنون، ولكن رحمته بالمؤمنين أخص وأخص؛ لأنهم أهل طاعته.

من أنواع رحمة الله ﷻ بالمؤمنين تلكم الأمراض، وتلكم البلايا، وتلكم الأوصاب، التي تصيب أبدان أهل الإسلام، والمتأمل يرى أن تلكم الأمراض كان الأحق بها الكفار، الذين لم يوحدوا الله ﷻ، ولم يطيعوه، وتلكم نظرة ليس فيها من الحكمة شيء، والله ﷻ ذو الحكمة العالية، وذو الحكمة البالغة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩].

إن من رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين أن جعل الأمراض تصيبهم، وأن جعل البلايا تتناولهم ـ من مقل ومن مستكثر ـ، وتلكم علامة القرب من الله ﷻ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: **أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**. قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: **أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»، رواه البخاري وغيره(١). وفي السنن وغيرها؛ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٢) أخرجه أحمد (٤٥/ ١٠)، والنسائي (٧٤٤٠، ٧٤٥٤، ٧٥٦٧)، والبيهقي في الشعب =

ويدخل في أنواع الابتلاء الأمراض، فالمؤمن تصيبه البلايا، وتصيبه الهموم، وتصيبه الآفات والأمراض، وذلك من الخير له، فالأمراض كفارات لذنوب المؤمن، فالمؤمن في هذه الدنيا قلما يسلم من أنواع الذنوب من الصغائر المختلفة، فإذا كان ذلك، فإن الله ﷻ يرحمه برحمة معجلة إذا أصابه بأنواع الأمراض. من تلكم الأمراض الحُمى، قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ فَقَالَ: «**مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ تُزَفْزِفِينَ؟** قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: **لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»[1]، وقد جاء في الصحيحين؛ أن النبي ﷺ قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[2].

وهذا - ***أيها المؤمنون*** -، هذا - ولا شك - من البشرى؛ لأن المؤمن يرى ذنوبه، وقد أثقلته، يرى معاصيه - معاصي الله التي ارتكبها، وأقبل عليها، واقترفها - قد أثقلته، فإذا جاءته المكفرات - ومن تلكم الأمراض -، إذا جاءته، لقيها بقلب راضٍ بما قدر الله ﷻ عليه؛ لأنه يعلم أن ما أصابه الله ﷻ به، فإنما هو خير؛ كما جاء في الحديث الصحيح؛ أنه ﷺ قال: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ**

= (١٢/ ٢٣٠)، وابن راهويه (٥/ ٢٥٩)، والبزار (٣/ ٣٤٩)، وابن حبان (٧/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٤٥٦)، والحاكم (٣/ ٣٨٦، ٤/ ٤٤٨).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٢).

ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[(١)]، ولهذا كان من المتعين على أهل الإيمان أن لا يكثروا الشكوى إذا جاءتهم الأمراض، فالشكوى لغير الله ﷻ مكروهة أو محرمة، وإنما أباح أهل العلم الإخبار بما في المرء من أنواع الأمراض إخبارًا لا شكوى؛ لأنك إن اشتكيت، فمن من تشتكي؟ وإلى من تشتكي؟ أتشتكي الخالق إلى الخلق؟! فإن الله ﷻ هو الذي ابتلى، وهو الذي يعطي من صبر، وهو الذي يجزي من صبر، ويجزي من شكر، بيده الشفاء، وبيده الضر: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧].

الله ﷻ يحب الصابرين على البلاء، يحب الذين يتلقون ما ابتلاهم الله ﷻ به بالرضا بما أنزل وقدر، والرضا له مقامان:

- مقام واجب.
- ومقام مستحب.

أما المقام الواجب: فهو الرضا بما جاء من عند الله ﷻ، فإذا نظر المؤمن إلى المصيبة، أو نظر إلى المرض الذي أصابه، أو أصاب أحدًا من أحبابه، فعلم أن الذي أرسل ذلك، وأن الذي أمرض، وأن الذي ابتلى هو الله ﷻ، فلاحظ فعل الله ﷻ، رضي بذلك الفعل؛ لأنه واجب عليه أن يرضى، ولا يسخط لأفعال الله ﷻ.

والمقام الثاني، مقام الاستحباب: وهو أنه ينظر إلى ما أُبتلي به من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب ﷺ.

المصيبة من المرض، فينظر إلى المصيبة التي أصيب بها، وإلى المرض الذي مرض به، فحجزه أو أصابه من الآلام ما أصابه، فإذا نظر إلى تلكم المصيبة، فإن الرضا بالمصيبة مستحب.

فلذلك مقامان: الرضا بما جاء من عند الله واجب، لا يجوز أن يسخط، والثاني: الرضا بالمصيبة عينها، وبالمرض عينه، فإنه مستحب.

وقلَّ من عباد الله من يرضى بما جاء من عند الله وبالمصيبة نفسها؛ لأن الناس مقامات، هم درجات عند الله، والواجب الصبر؛ فإن الصبر على المصائب، فإن الصبر على الأمراض، إن الصبر على الآفات واجب على المؤمن، وعلامة الصبر أن يحجز العبد لسانه عن كثرة التشكي، وأن يحجز يده عن اللطم وعن ما يظهر عدم رضاه بفعل الله عز وجل وبقضاء الله عز وجل؛ لأن الرضا بالقضاء واجب، والرضا بالمقضي مستحب، قال الله عز وجل في سورة التغابن: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، قال علقمة ـ وهو أحد سلفنا الصالح، الذي نعرفه بالتفسير ـ، قال علقمة رحمه الله في تفسيره لهذه الآية، وتلا قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قَالَ عَلْقَمَةُ: **«هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبهُ المُصِيبةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»**(١).

قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾؛ يعني: من يعلم أن المصيبة من عند الله عز وجل، فيرضى بذلك، ويسلم لمحبته لله ورضائه بما جاء من عند ربه الذي يملك ناصيته، فإن الله عز وجل يهدي قلبه، يجعل قلبه مهديًا لكل خير، فترى لسانه ناطقًا حال البلاء بالثناء على الله، ترى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٢٣)، والبخاري معلقًا ـ كتاب التفسير، باب تفسير سورة التغابن ـ (ص٩٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٦٦)، وشعب الإيمان (٧/ ١٩٦)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٦).

لسانه حال البلاء وحال المرض في شكر الله، وفي حمد الله، وذلكم أيوب ﷺ ـ وهو من خاصة عباد الله المؤمنين، من المصطفين الذين اصطفاهم الله ﷻ: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] ـ، إنه لما ابتلي بالمرض الذي ابتلي به، وسُئل أن يدعو الله بأن يعجل له الشفاء، قال ما قال راضيًا بما قسم الله ﷻ له، ولما اشتد به الوجع، ودام أكثر من ثمانية عشر عامًا، رفع يده إلى الله ﷻ، وقال: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، فأجاب الله ﷻ دعاءه، وشفاه، لقد ذكر حاله دون طلب لما يطلبه أكثر المبتلين، والله ﷻ يعلم الحال، سؤال الشفاء إنما هو من الله ﷻ، طلب الشفاء من الله ﷻ. وما يفعله الأطباء، ما يفعله الذين يداوون، فإنما هم أسباب يسهلها الله ﷻ، إن أذن بالشفاء على أيديهم، ونفع بما وصفوا، وبارك في كشفهم وفي ما فعلوه، فإن الشفاء يناله المريض، وإلا فإن الله ﷻ هو الذي يشفي على الحقيقة: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠].

الواجب ـ **أيها المؤمنون** ـ أن نعلم أن الأمراض مكفرات لما نصيبه من البلايا، ومن الذنوب والمعاصي، وأن نعلم أنها رفعة لدرجاتنا إذا صبرنا واحتسبنا، فإن الله ﷻ له الحكمة البالغة، وله الفضل البالغ، وفضله ورحمته بالمؤمنين ظاهر أتم الظهور، يعرف ذلك من عرف.

اسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعل ما أصابنا كفارة لما قدمنا، ولما أسرفنا على أنفسنا، وأن يرفع به درجاتنا، وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يشفي مرضى المسلمين، وأن يرفع لهم بما أصابهم الدرجات، وأن يكفر عنهم بذلك السيئات؛ إنه أكرم مسؤول، إنه أكرم مسؤول، وأجدر من يجيب، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له شهادة من شكر، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، الذي بشَّر وأنذر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم، واهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله ﷻ؛ فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم، اتقوا الله حق التقوى، اتقوا الله في ألسنتكم، اتقوا الله في أعينكم، اتقوا الله في أيديكم، اتقوا الله في جميع أركانكم وجوارحكم، لا تتكلموا إلا بطيب، لا تنظروا إلا لما أحل الله ﷻ النظر إليه، لا تسمعوا إلا لما أحل الله سماعه، لا تكتبوا بأيديكم أو تعملوا بأيديكم إلا فيما يرضي الله، لا تمشوا إلا إلى

طاعات الله، أو إلا إلى ما أباحه الله، فتلكم حقيقة تقوى الله في الجوارح، فاتقوا الله حق التقوى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المؤمنون، لقد أمرنا الله ﷻ جميعًا بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى ﷻ بملائكته، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون ـ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ، وعن سائر الصحب والآل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعلِ راية المؤمنين فوق كل راية، اللَّهُمَّ، اجعل راية أهل الإسلام في جميع أرضك مرفوعة فوق كل راية، اللَّهُمَّ، ارفع أهل الإسلام على جميع من في الأرض يا رب العالمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام وأهله، وأذل الكفر وأهله، يا مجيب السائلين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تؤمننا في أوطاننا، وأن تصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، دلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، اللَّهُمَّ، وفقهم بتوفيقك، وسددهم بتسديدك، واجعل عملهم في رضاك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى، وباسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سُئلت به أعطيت، نسألك أن تجعل المؤمنين غالبين على اليهود والنصارى والمشركين والوثنيين في

جميع الأرض ـ يا رب العالمين ـ؛ فإنك وعدت بذلك، ووعدك حق، وقولك حق، وأنت الحق، اللَّهُمَّ فانصر عبادك، واجعلهم غالبين على اليهود المردة، وعلى النصارى، وعلى جميع المشركين يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ، وارفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابهما، وادفع عنها الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا، اللَّهُمَّ، أصلح قلوبنا جميعًا، رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، اللَّهُمَّ أصلحنا جميعًا، اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد رضيت عنا، اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح بها ترضى عنا، يا أكرم الأكرمين. نبوء إليك بذنوبنا، نعترف بخطايانا، نعترف بمعاصينا، لكن أنت الغفار الذي وسعت رحمته كل شيء، اللَّهُمَّ، فيا غفار، اغفر لنا، اللَّهُمَّ، يا رحمٰن، ارحم ضعفنا، اللَّهُمَّ، يا غفار، اغفر لنا، ويا رحمٰن، ارحم ضعفنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

عباد الرحمٰن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، اذكروه بألسنتكم وبأعمالكم، وفي كل أحوالكم يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الاستعمار الثقافي

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله ﷻ حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ جعل المؤمنين أعزة، جعل المؤمن عزيزًا بما يحمله في قلبه من توحيد الله ﷻ، ومن اتباع الرسالة التي رضيها الله ﷻ رسالة خاتمة، جعله عزيزًا بعزته، فالله ﷻ هو العزيز، ورسوله ﷺ عزيز، ولهذا كان المؤمنون أعزة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وإن من مظاهر عزة المسلم التي جعلها الله ﷻ له أن يكون متفردًا، أن يكون متفردًا في عقيدته، متفردًا في دينه عن كل أولئك الذين غووا وتركوا طريق الحق إلى غيره، تركوا طريق الأنبياء إلى طرق الضالين، فجعل الله المؤمن عزيزًا بإسلامه؛ لأن الإسلام يعلو

ولا يُعلى عليه، ولأن عقائده ولأن شريعته هي العالية، وهي المهيمنة على غيرها؛ فلهذا كان المسلم بما يحمل من دين، وبما يحمل من عقيدة، بما يحمل من كتاب، بما يحمل من اتباع للمصطفى ﷺ، كان في ذلك عزيزًا، وإذا كان كذلك، فإنه لا يرضى أن تسلب تلك العزة منه، ولا أن يسلب ذلك الفخر منه؛ لأنه في الحقيقة فخره في هذه الدنيا، وفخره في الآخرة.

إن هذه العزة ـ التي تكون في النفس ـ عزة بالإسلام وبمبادئه وأحكامه، وباتباع المصطفى ﷺ، وإن هذا الفخر بذلك الاتباع هو عنوان المسلم، الذي به يثبت على الحق والهدى، وبه يرد كيد الكائدين عن عقيدته، وكيد الكائدين عن ديانته، وكيد الكائدين عن خلقه، وعن أوامر الإسلام عليه؛ لهذا ينقص الناس في عزتهم إذا أقبلوا على غير الإسلام، فكلما كان استمساكهم بالحق الذي بعث الله به محمدًا ﷺ أعظم، كانت عزتهم أعظم. نعم، إن العزة لهم إن كانوا مؤمنين، والإيمان درجات، والعزة إذًا درجات، فيعظم المرء في عزته كلما عظم في إيمانه، ويعظم في إيمانه كلما عظم في عزته.

أيها المؤمن، لقد نهانا الله ﷻ في كتابه عن أن نتبع طريق الكافرين، أو أن نكون من الموالين للكفار والمشركين، قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١]، وقال ﷻ في وصف المنافقين: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]؛ يعني: يود

المنافقون أن تكونوا على هيئتهم في شهواتهم وأهوائهم، وفي تفكيرهم وآرائهم، فتكونون أنتم وهم سواء، ليس ثم فرق بينكم؛ لأن الكافر والمنافق يشتركان جميعًا في بغض الإسلام، يشتركان جميعًا في عدم المحبة والرضا لما أنزل الله ﷻ في كتابه على رسوله ﷺ.

نعم، إن من أهل الكتاب ومن المنافقين من يود إضلال المؤمنين، من يود أن يكون المؤمنون على هيئتهم في عقيدتهم، وفي أخلاقهم، وفي تصرفاتهم، وفي أفكارهم، وفي شهواتهم، فإذا كان المؤمنون وأولئك سواء، فإن العزة تسلب عن المؤمنين، وهذه حقيقة وعاها الكفرة من قديم، فسعوا إلى سلب المؤمن ما يحمل في قلبه من العزة التي يشعر بها، والرفعة على الكافر، وأنه يمشي على الأرض وهامته عليا؛ لأن الذي رفع هامته ورفع قلبه هو الله الذي خلق الخلق، فهو يحمل توحيد الله، وقلبه معلق بعرش الرحمٰن ﷻ، فكيف يكون مع أولئك الذين قلوبهم وأهواؤهم على الأرض وفي الأرض مع الشهوات والآراء؟

إن المؤمن يجب عليه أن يكون عزيزًا بدينه، وأن يكون مبتعدًا عن موالاة الكفار وعن مولاة المنافقين؛ أي: عن محبتهم، وعن موادتهم، وعن اتباعهم في هديهم الذي حرم الله ﷻ اتباعهم فيه. فمن شابه الكفار في هديهم الذي حرم الله ﷻ اتباعهم فيه، فقد اتخذهم أولياء، ومن تابعهم فيما يفكرون به، وفيما يهوون مما حرم الله، فإنه قد اتخذهم أولياء؛ لأنه ترك الحق إلى الضلال، وترك ملة الإسلام وأوامره إلى غير ذلك.

إن الكفار ـ **أيها المؤمنون** ـ سعوا في الحرب ضد الإسلام، وضد أهل الإسلام، سعوا في ذلك منذ القديم، في أصناف شتى من الحروب، حتى كان في القرون المتأخرة ما يعرف بالاستعمار، فاستعمر الكفار

بلادًا كثيرة من بلاد المسلمين، وغيروا عقائد كثير من أهلها، وغيروا أهواءهم، غيروا ما في قلوبهم، حتى نشأ ناشئون بعد ذلك، وهم على هدي المشركين، وعلى هدي الكفار، ونشأ المنافقون يملون لأولئك، ويزينون لهم طاعة الشيطان، ويحببون لهم التبعية للكفار، والله ﷻ جعل عندنا قاعدة عظيمة، قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ يعني: أنتم أيها المؤمنون، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]؛ ذلك أن المؤمن هو الذي جعله الله ﷻ حاميًا لرسالة الله، حاميًا لدين الله، حاميًا لكتاب الله، فإذا كان خاض تلك الغمرة، ووالى الكفار والمشركين وأحبهم، وصار في قلبه مودة لهم ولآرائهم ولحضارتهم مما حرم الله، ولكل الأمور التي يفعلونها، وقد جاء تحريمها في الشرع، فإنه يكون قد اتخذهم أولياء، وترك ولاية الله ورسوله والذين آمنوا؛ لأن المؤمن يحب ما أحب الله، ويكره ما كرهه الله ﷻ.

ظهر بعد ذلك الاستعمار ـ الذي غيَّر مجتمعات كثيرة من بلاد المسلمين ـ ما يسمى في هذا الزمن بالاستعمار الثقافي، الذي تولى كبره وسائل الإعلام المختلفة من مسموعة ومقروءة ومرئية على اختلاف ما يرى وما يقرأ وما يسمع، فظهر الإعلام بعد أن كان المسلمون يرفضون ذلك الاستعمار الذي تمده الجيوش، ظهر في المسلمين ذلك الاستعمار، ذلك التغيير، ذلك الذي يجعلهم أذلة بعد أن جعلهم الله أعزة، ذلك الاستعمار بالإعلام الذي يتبع الغرب في أفكاره، وفي شهواته، وفي برامجه، وفيما يجعله يبث على المسلمين، ويقرؤونه، ويسمعونه. نعم، هُوجِمَ الرجل في ذلك الإعلام زمانًا طويلًا حين هُوجِم من جهة الشهوات، فلانت نفسه إلى الشهوات، حتى صار بعد زمن يغشى الشهوات، وقلبه لا ينكر منكرًا، ولا يعرف معروفًا من أخلاق دين

الإسلام، فظهر بعد ذلك تساهله في أهله، تساهله في زوجه، تساهله في بناته، تساهله في أولاده، ظهر الإعلام يبث على المسلمين أنواعًا من الشرور التي تغير أفكارهم، وتجعل الغرب، وتجعل العلمانية، وتجعل حضارة أولئك هي المطلب الأسمى، وهي الغاية العليا، فكان كثير من المسلمين عنده بصيص من التمسك بالإسلام، لكن قلبه مع الكفار؛ أعني: مع الغرب في حياتهم، وتنظيماتهم، وفي تحريراتهم لشؤون حياتهم، وفي شهواتهم، يرى ما هم عليه، وأنه هو الأفضل، ويرى ما هم عليه، وأنه الأحسن، ويود لو أن مجتمعه تغير؛ حتى يكون كتلك المجتمعات، ويسير مجتمعه فيما حرم الله دون نظر فيما أوجب الله وحرم. هذه انبثت في صفوف المسلمين عن طريق الإعلام، وظهر الإعلام بمظاهر كثيرة مختلفة، وغايتها وإنها تغيير لعزة المسلم؛ حتى يكون أرضيًا ـ بعد أن جعله الله ﷻ أخرويًا، يرمق الجنة ويرمق النار ـ، حتى يكون محبًا للأرض، محبًّا لشهوته، محبًّا لدنياه، إذا مارس شهوته، فتلك هي السعادة، وإذا اكتسب الكسب من حلال أو حرام، فإن ذلكم هو الرفعة، فيكون ساعيًا فيما يملي عليه أولئك، دون نظر إلى الإسلام وإلى أوامر الإسلام.

إن الإعلام ـ **أيها المؤمن** ـ كان في نطاقات ضيقة، وكل يوم يتسع نطاقه، وتهاجم عقيدة الإسلام، ويهاجم الإسلام بالعمل، يهاجم أهل الإسلام بالانسلاخ عن دين الإسلام. نعم، إن الهجوم على الدين ليس بصريح، وعلى القرآن ليس بصريح، لكن الحقيقة هي أنه هجوم على الإسلام؛ لأن الإسلام بأهله، وإذا انسلخ أهله منه، ورأوا أن السعادة في الغرب، وأن السعادة في غير الدين، وفي غير أوامره، وفي غير مبادئه، فإنه يكون حينئذ انسلخ الإسلام من القلب، وإن بقي منه القليل، فإن أكثره قد ذهب من كثير من القلوب.

أيها المؤمنون، أيها الأعزة بالإسلام، إن واقع الإعلام واقع خطير مرير حقًّا، إنه في هذا الزمن إذا نظرت المجلة، وجدت ما فيها يمحو الغيرة من القلوب، ويحبب الشر للنفس، ويجعل المؤمن ذليلًا وليس بعزيز، يجعله أسيرًا لشهوته، يجعله أسيرًا لأولئك الذين يجعلون له الشهوات. إذا نظرت لما يرى، وجدت العجب العجاب، وجدت أنهم أغلقوا على نفس المسلم جميع المداخل، أغلقوا عليه ذكره، وأغلقوا عليه قلبه، وأغلقوا عليه تفكيره، يظل ساعات طوال يرى ويرى ويرى، وهو لا يناقش ما رأى، يرى ما يجعل عقله يفكر بغير العقل الشرعي، يرى ما يجعل شهوته تسير على ما حرم الله، يرى ما يجعل غيرته تذهب شيئًا فشيئًا، يرى ما يجعل شهوته تضمحل شيئًا فشيئًا، وهكذا وهو يحس أو لا يحس، ولكن الحقيقة أن ذلك يذهب من القلوب، فيتغير في بيته، تتغير غيرته، يتغير أمره، ويرى أن ما نشر وما رأى أنه أمر سهل ميسور، إن عقائد الناس وفطرتهم نعم في أصول الدين ربما بقيت سليمة، ولكن المرء إذا جعل في شهواته، وفي طريقة تفكيره، وفيما يحب ويكره، وفي تحليله للأمور، وفي تحليله للأحداث، يرى بغير الرؤية الشرعية الإسلامية، فإنه قد غُزي، وهو جالس على أريكته متكئًا، يظن أنه لم يُغزَ، وفي الحقيقة قد غزي قلبه، وإذا ذهب قلبه، فبأي شيء يحيا المسلم؟!

أيها المؤمنون، إن واقع الإعلام المقروء أيضًا يبث أشياء مما يجعل المسلمين يتركون الحقائق، يتركون أصول إسلامهم، يتركون محبة الدين إلى محبة غيره. نعم، يبقى مع كثيرين منهم ومع الأكثر يبقى معهم الإسلام، ولكن تبقى قلوبهم مع الغرب، وتبقى قلوبهم مع أولئك الذين ينشرون ما يحبب المسلمين في غير دين الإسلام عن طرق ملتوية، قل من يفقهها.

كذلك - *أيها المؤمنون* - كذلك إن الواجب عليك إذا رأيت هذا أو سمعته أن تسعى في أن تجعل نفسك عزيزًا، إن الله أعزك، فاجعل عزتك ملصقة بك دون فكاكٍ منك، وارفض ذلك أن ينفذ إلى قلبك، أو أن ينفذ إلى عقلك، أو أن يغير حياتك أو حياة أهلك ومن تحب، إنك إذا رفضت ذلك، فإنك عزيز حقًا، أما إذا قبلته، فقد سعيت في الذل، وإذا ذلَّ المؤمنون، تمكن الأعداء منهم. إنها نظرية وقضية خطيرة أن تغلق عليك المنافذ إلا ما تسمع من أحاديث شرعية، وأحاديث دينية بين التارة والأخرى، أو مع الخطيب في يوم الجمعة، أو مع كتاب ربما قرأه المرء في شهره، أو في سنته، أو أقل أو أكثر، ثم يكون معظم اليوم مأسورًا لأولئك الذين يريدون منه أن يكون ذليلًا مأسورًا للغرب ولحضارته، ولكي يكون المؤمن مواليًا لهم، وإذا كنت مواليًا لهم، فأي حق يرجى أن يستعاد؟! وأي مسلوب يرجى أن يعاد؟! وأي دين يرجى أن يقام به إذا لم يكن المؤمن عنده رغبة في آخرته أكثر من دنياه؟! فأي مرجو يكون إذا كانت حركته للدنيا في كل تصرفاته؟!

أيها المؤمنون، إن المسؤولية على رب البيت كبيرة في إصلاح نفسه وفي حمايتها مما يسلبها من دينها وحقيقة إسلامها واتباع محمد ﷺ.

ظهر في هذا الوقت أنواع من الإعلام والقنوات التي غزت الناس في بيوتهم، وجعلت الزوجة لها علاقة بغير زوجها، وجعلت للعذراء في خدرها، جعلت لها علاقات بغير أهلها، جعلت لها علاقات محرمة، وكم وكم خدش الحياء! وكم خدشت الأعراض! وكم خدش إسلام النساء - بل وإسلام الرجال - بأسباب تلك الوسائل التي ارتكب المنافقون منها! ارتكبوا كبرها بما غيروا وحببوا إلى نفوس المسلمين من غشيان المنكر، وعدم الغيرة على دين الله، وعدم الغيرة على المحرمات.

إن الواجب على رب الأسرة أن يكون حاميًا لأسرته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [التحريم: ٦]، إن الواجب عليه أن يوجه، وأن ينصح، وأن يراقب، وأن يسعى في إصلاح أهل بيته، وأن لا يكون هو الذي يهدم بيته بنفسه، فيكون ذليلًا داعيًا إلى الذلة، يكون غربيًا داعيًا إلى التغرب، يكون على غير الحق والهدى، ويدعو إلى الضلالة والردى، وهذا من أعجب العجب الذي نراه في هذا الزمان.

ثم إن من الواجب على ولاة الأمر أن يحموا عقيدة هذه الأمة، وأن يحموا على المسلمين دينهم وأعراضهم، وإن كل فتح باب للشر فيما يغير عقائد أهل الإسلام، ويغير أخلاقهم وأعراضهم، لهو إثم من الآثام، ومحرم من المحرمات، وإن الله ﷻ أوجب على كل من ولي أمرًا من أمور المسلمين ـ صغر أم كبر، سواء في ذلك الولاية العظمى، أم الولاية الصغرى ـ أوجب الله عليهم أن يؤدوا الأمانة، وأن لا يجعلوا المسلمين في شر، فإن هم أتوا بهذا الواجب، فقد أدوا حقيقة ما أوجب الله عليهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

فإن من واجبات ولي الأمر أن يحفظ الأعراض، وأن يحفظ الأخلاق، وأن يحفظ الأنفس، وأن يحفظ الدين، وأن يحفظ الأموال، وإن ما نرى من تسرب الإعلام الكافر والإعلام الغربي بأصناف من التسربات عن طريق مسموع أو مرئي أو مقروء، إن ذلك يسبب الخلل في الأخلاق والأعراض، وفي عقيدة الناس، وفي اتباعهم للإسلام.

لهذا كل منا ـ **أيها المؤمنون** ـ عليه واجب، وعلينا أن نشعر بهذا الخطر، وأن نتذكر مقامنا بين يدي الله ووقوفنا بين يديه، فالأمر جد

خطير، وليست المسألة شهوة ساعة، وإنما المسألة عمل ثم حساب، حساب عسير يوم القيامة لمن فرط وفرط.

أيها المؤمن، إن عليك أن تغار على حرماتك، وأن تغار على حرمات الله، وأن تكون راغبًا في الجنة، وأن تكون موجهًا لنفسك ولمن تحت يدك، فإن لذة ساعة إذا أعقبها ألم سنين، إنها لا خير فيها.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الأقوياء في الدين، أن يجعلنا من المقيمين للحق، والداعين إليه، وأن لا يجعلنا من الذين سُلبت منهم العزة والكرامة، فكانوا أذلة مأسورين لأعدائهم.

اللَّهُمَّ، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تصلح ولاة أمورنا، وأن تصلح الآباء، وأن تصلح الأمهات، وأن تصلح الأبناء، وأن تصلح البنات، وأن تجعلنا جميعًا على وفق ما تحب وترضى، وأنت أكرم مسؤول، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم، فاتقوا الله كما أمركم الله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

هذا وصلوا، وسلموا على الرحمة المهداة نبينا محمد؛ حيث أمرنا الله ﷻ بذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»(١)؛ يعني: من قال: اللَّهُمَّ صل على محمد، وسلم تسليمًا كثيرًا. مرة واحدة، أثنى الله على هذا المصلي بما صلى على محمد في الملأ الأعلى عشر مرار.

اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، اللَّهُمَّ، دلهم على الرشاد، وحبب إليهم الخير، وبغض إليهم الفساد، يا أكرم الأكرمين.

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة يا رب العالمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: العلم النافع

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله الذي شرَّف أهل العلم بالعلم به، ورفعهم على غيرهم درجات، أحمد الله وأثني عليه الخير كله، وهو للحمد أهلٌ، وللثناء أهلٌ، هو أهل الحمد وأهل الثناء، وأهل كل وصف ونعت كامل، ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً شهد له بها من في السماوات وكثير ممن في الأرض، فالشهادة لله بالوحدانية شهادة حق نعترف لله ﷻ بها، ونقر بها، ونزدلف بها إليه، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، لا شريك له في ربوبيته؛ كما أنه لا شريك له في ألوهيته، كما أنه لا شريك له في أسمائه وصفاته على وجه الكمال، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، لا خير إلا دلنا إليه وعليه، ولا شر إلا حذرنا منه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كفاء ما أرشد، وكفاء ما علَّم، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ في كتابه، وإن نبينا ﷺ في سُنَّته بيَّن أن العلم أعز ما يُطلب في هذه الدنيا، أن العلم النافع الذي هو العلم

بالله، العلم بشرعه، العلم بأحكامه، الأحكام الشرعية والأحكام القدرية، إن العلم بذلك إنه أعظم ما يُطلب في هذه الدنيا، فعظم الله شأن العلماء به أيما تعظيم؛ إذ قرنهم بنفسه الجليلة في الشهادة له بالوحدانية، قال ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: ١٨].

ولعظم شأن العلم عند الله ﷻ أمر الله نبيَّه أن يستزيد من العلم، ولم يأمره أن يدعو الله بالاستزادة من شيء إلا من العلم، قال ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، وهذا لأن مبنى النبوة على العلم بالله، وعلى اختيار الله ﷻ لذلك النبي، فيعطيه علمًا من علمه ﷻ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧﴾ [الجن: ٢٧].

الله ﷻ رفع الذين أوتوا العلم درجات، وعظَّم العلم تعظيمًا، فقال ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]، فأهل الإيمان منا مرفوعون، والذين أوتوا العلم من أهل الإيمان مرفوعون درجات على غيرهم فضلًا من الله؛ لأن قلوبهم حوت العلم بالله، الذي هو أشرف ما يعلم، الذي هو أعظم وأجل ما يُتعلم؛ فلهذا كان أهل العلم في الناس أحياء، وغيرهم ممن ليسوا من أهل العلم أمواتًا، حياة نسبية وموتًا نسبيًا.

لهذا - **أيها المؤمنون** - عظَّم الشرع العلم، ودعا إليه، وحثَّ الناس على التعلم والعلم، فقد جاء في بعض الآثار أنه قال: (اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَكُنِ الثَّالِثَةَ فَتَهْلِكَ)(١)، اغدُ عالمًا تعلم الناس، أو اغدُ متعلمًا تتعلم العلم، ولا تكن الثالثة؛ أي: لا تكن إمعة تتبع الناس في أحوالهم دون علم، فتهلك، فالذي لم يكن عالمًا، ولم يكن متعلمًا هو

---

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء عن الحسن (٣/ ٢٨، رقم ٩٨٣).

على سبيل هلاك، ومن كان عالمًا أو متعلمًا مع إخلاص القصد والنية، فإنه على سبيل نجاة.

أيها المؤمنون، إن العلم الذي حث عليه الشرع نوعان:

النوع الأول: هو علم الدين، العلم بالله، علم التوحيد، علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه؛ أي: علم الحلال والحرام. وما أحسن ما قال الإمام ابن القيم في نونيته(١):

وَالجَهلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ ... أمرَانِ فِي التَّركِيبِ مُتَّفِقَانِ
نَصٌّ مِنَ القُرآنِ أو مِن سُنَّةٍ ... وَطَبِيبُ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِي
وَالعِلمُ أقسَامُ ثَلاثٌ مَا لَهَا ... مِن رَابعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبيَانِ
عِلمٌ بِأوصَافِ الإلَهِ وَفِعلِهِ ... وَكَذَلِكَ الأسمَاءُ لِلرَّحمَنِ
وَالأمرُ وَالنَّهيُ الذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَومَ المَعَادِ الثَّانِي
وَالكُلُّ فِي القُرآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... جَاءَت عَنِ المَبعُوثِ بالفُرقَان
وَاللَّهِ مَا قَالَ امرُؤٌ مُتَحَذلِقٌ ... بِسِوَاهُمَا إلَّا مِنَ الهَذَيَانِ

فهذا القسم الأول العلم بدين الله، وذلك في أنحاء ثلاثة:

الأول: العلم بتوحيد الله.

الثاني: العلم بالفقه بالحلال والحرام.

الثالث: العلم بجزاء الله وما يكون يوم القيامة، ما يكون في جزاء الناس، وما يصحح أعمالهم وأخلاقهم، وذلك يدخل فيه عمومًا علم السلوك والأخلاق.

وهذه علوم نافعة للغاية، وأساسها ومصدرها كتاب الله ﷻ، وسُنَّة نبيه ﷺ، وكذلك ما قاله الصحب والسلف الصالح، رضي الله عن الجميع.

---

(١) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٨٣).

العلم بالشرع: هو الذي شرَّف الله ﷻ به أهل العلم، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، بعد أن ذكر صفة الخاشعين لله، الوجلين لله، الخائفين من الله، المتقربين إلى الله، قال ﷻ بعد ذكر صفتهم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، نعم، إن أهل العلم بالله، الذين علموا وعملوا، وخشعت قلوبهم لله، وخافوا ووجلوا من الله ﷻ، فاستقاموا على السُّنَّة وعلى الصراط المستقيم، إنهم أولو الألباب؛ لهذا شرفهم الله ﷻ أعظم تشريف، فهذا النوع من العلم به شرفت هذه الأمة، وعلماء هذه الأمة هم الذين ورثوا الأنبياء، قال ﷺ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

إن نتيجة هذا العلم من العالم والمتعلم أن يكون الناس، أن يكون الناس متبصرين بأمر الله، متبصرين بأعظم عزيز لديهم في الدنيا، ألا وهو الإسلام، ألا وهو دين الله، ألا وهو حق الله عليهم، فالعلماء يبصرون الناس بحق الله عليهم، وفي ذلك الأمن والأمان لهم في الدنيا

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي الدرداء ﵁: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَكُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

والآخرة، يبصرونهم بحقوق الله، وحقوق رسوله ﷺ، وحقوق من له الحق الذي أوجبه الله ﷻ؛ فيكون الناس على بينة، ويكون الناس عالمين بالله، عالمين بأحكامه، عالمين بحقه بأسمائه وصفاته، وعالمين بما سيكون إليه مآلهم في الدار الآخرة.

أيها المؤمنون، إن العلم بالشرع ـ ولا شك ـ أفضل العلوم؛ ولهذا كان من الواجب على الناس أن يساعدوا من يتعلم العلم الشرعي بالكلمة، بالتشجيع، بالمال ـ إن لم يكن عند طالب العلم مال ـ، وبكل ما يستطيعون. إن ذلك من المتعينات؛ لأن بالعلم تبقى الأمة عزيزة قوية، يرشد أهلها إلى ما يجب عليهم؛ لهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح: **«إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**(١)، وإذا ضلت الأمة، أو أُضلت، ستكون معرضة لعقوبة من الله ﷻ.

إن أهل العلم بالله ـ أعني: العلم الشرعي ـ من العلماء والمتعلمين من حقهم أن نساعدهم، وأن نحثهم، سواء من ذلكم الشباب الذين على طريق طلب العلم، أو العلماء الذين لهم الحق الأعظم، فهذا النوع من العلم نوع شريف عظيم، ولهذا لما سُئل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، قيل له: من أي سن نطلب العلم؟ وإلى أي سن ننتهي في طلب العلم؟ قال الإمام رَحِمَهُ اللهُ: (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)(٢)؛ يعني: اجعلوا أعماركم كلها في العلم، ولهذا أيضًا قال ﷺ: **«طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى**

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (١٣) (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٣٧).

كُلِّ مُسْلِمٍ»(١).

فإن العلم أمره عظيم، ولما سُئل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن سبب طلبه لعلم الشرع، قال: (نظرت في العلوم التي يتعلمها الناس، فوجدت أشرفها علمين: علم الأديان، وعلم الأبدان ـ يعني: علم الشرع، وعلم الطب ـ، ثم لما نظرت في علم الطب، وجدت أن مصلحته في الدنيا، ولما نظرت في علم الدين، وجدت أن مصلحته في الدنيا والآخرة، فآثرت علم الأديان على علم الأبدان)(٢).

هذا ـ **أيها المؤمنون** ـ هو **النوع الأول** من العلم المحمود في الشرع.

وأما **النوع الثاني**: فهو العلم الذي تُصلح به دنيا المسلمين؛ كأنواع العلوم النافعة، التي طلبها فرض كفاية على الأمة، لا بد أن يكون في الأمة من يقوم بتلك العلوم، ومن يحسنها، ويتقنها؛ فإن الشرع حثنا على تعلم العلم عمومًا، ومن ذلك العلم الذي به صلاح الأمة في دنياها، من تلكم العلوم علم الطب مثلًا، وعلم الهندسة، وجميع العلوم التي في تعلمها صلاح للإسلام وللمسلمين، وفي تعلمها قوة وشوكة لأهل الإيمان ولأمة الإسلام، فهذا العلم مطلوب شرعًا، لكن على سبيل الكفاية، إذا كان في المؤمنين من يقوم به على سبيل الكفاية، كفى ذلك، ونحن اليوم

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، وأبو يعلى (١/ ٢٥٧)، والطبراني في الأوسط (١/ ٧، ٢/ ٢٨٩، ٢٩٧، ٣/ ٥٧، ٦/ ٩٦، ٨/ ١٩٥، ٢٤٧، ٢٩٥)، وفي الصغير (١/ ٣٦، ٥٨)، وفي الكبير (١٠/ ١٩٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢)، والبيهقي في الشعب (٣/ ١٩٥)، وابن الأعرابي (١/ ١٨٠)، والبغوي في شرح السُّنَّة (١/ ٢٩٠).

(٢) انظر: الحلية لأبي نعيم (٩/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٥١)، والوافي بالوفيات (٢/ ١٢٢).

بحاجة إلى من يتعلم تلك العلوم بقصد صحيح سيأتي بيانه، بقصد صحيح لله، يتعلم تلك العلوم المختلفة من الطب والهندسة إلى آخره، يتعلمها لكي تستغني الأمة عن الكفار، ولكي تقوى الأمة، ولكي تأمن أمة الإسلام على الرأي والمشورة؛ فإنه إذا بذل الرأي والمشورة أهل الإسلام لأهل الإسلام لم يكن كما يكون لو بذل ذلك أهل الكفر لأهل الإسلام؛ لأن أهل الكفر لا يؤمنون على الإسلام، ولا على أهل الإسلام أبدًا.

إنه يجب علينا ـ **أيها المؤمنون** ـ أن ننظر إلى العلم بنظرة صحيحة جديدة، نصحح فيها مسار العلم والتعلم، الذي سار فيه الناس اليوم، فالناس اليوم ـ نسأل الله أن يهدينا جميعًا ـ ينظرون إلى العلم على أنه وسيلة للدنيا، وسيلة لنيل المرتبة، وسيلة للوظيفة، وسيلة للعيش، وسيلة لكسب المال، وهذا قصد غير نافع، بل قصد يأثم صاحبه عليه إن لم يكن قصده مع ذلك وجه الله والدار الآخرة؛ فإن الله ﷻ قال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥]؛ يعني: يوفى لمن قصد الدنيا في أموره يوفى إليه عمله في هذه الدنيا، وهم فيها لا يبخسون، قال ﷻ بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٦]، إننا نرى أن كثيرًا من الذين يطلبون العلم الشرعي، الذي هو أشرف العلوم، ربما ـ والعياذ بالله ـ قصدوا به أن يتخرجوا، ويأخذوا به شهادة، ثم بعد ذلك يأخذون بهذه الشهادة المال بعد أن يتوظفوا، وهذا قصد لا يسوغ شرعًا، بل إن تصحيح النية في طلب العلم والإخلاص في طلب العلم يكون بأن يقصد طالب العلم بتعلمه وبتعليمه أن يرفع الجهالة عن نفسه، وأن يكون عالمًا بالله الذي حقه عليه عظيم، وأن يكون قصده بذلك أن ينجو يوم لن ينجو إلا مَنْ مَنَّ الله عليه، يوم لن ينجو إلا من

أتى الله بقلب سليم من الشبهات، سليم من الشهوات، وهذه إنما تكون بالعلم.

يكون طالب العلم مخلصًا في علمه وتعلمه وفي تعليمه، سواء في ذلك المدرسون والمعلمون، أو سواء في ذلك المتعلمون، إذا كانوا يريدون في تعليمهم وفي تعلمهم، يريدون وجه الله مخلصين في ذلك لله؛ لأن طلب العلم عبادة، وشرط قبول العبادة أن يكون العبد مخلصًا لله فيها؛ لأنها من الدين، قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر: ١٤]، وأمر الله بالإخلاص في مواطن كثيرة من كتابه العظيم.

ثم - **أيها المؤمنون** - إن طلب العلم الآخر - الذي هو العلم الدنيوي، الذي هو فرض كفاية على الأمة - يكون صلاح القصد فيه بأن يكون المتعلم والمعلم يعلم لكي يكون في تعلمه وفي تعليمه يكون في ذلك رفع لراية الإسلام على الرايات الأخرى، ويكون في ذلك رفع لأهل الإسلام على أهل الأمم، فإننا في هذا الزمن يوصف هذا الزمن بأنه زمن العلم الدنيوي، وإنما نقوى إذا كان المعلمون يخلصون في تعليمهم، فيوصلون العلم الذي اكتسبوه من العلم الدنيوي إلى الطلاب المتعلمين على أكمل الأوجه التي يستطيعون بها إيصال العلم إلى المتعلمين، وهكذا في جميع العلوم من الطب والهندسة والعلوم الفيزيائية ونحوها، التي في تعلمها نفع ورفع لأهل الإسلام.

أيها المؤمنون، إننا نحتاج أن نغرس في قلوبنا جميعًا، في قلوب الآباء، في قلوب المعلمين، في قلوب المديرين للمدارس، في قلوب الطلاب للعلم، في قلوب الأبناء، في قلوب الفتيات، في قلوب الجميع، أن نغرس الإخلاص لله في كل أمر نزاوله في هذه الدنيا، وأعظم ذلك العلم.

إننا نرى مظاهر سيئة في العلم والتعلم عند إقبال الدراسة وعند الانتهاء منها، وإن تصحيح المقاصد وتصحيح النيات أمر مهم جدًا، وإن رؤية كل أمر نزاوله ونعانيه في حياتنا بالرؤية والنظرة الشرعية إن ذلك من الحق علينا؛ لأننا لم نخلق لكي نحكم الهوى على أنفسنا، وإنما خلقنا لعبادة الله ﷻ، ولتحكيم شرعه علينا.

أيها المؤمنون، انقلوا ذلك لأبنائكم وبناتكم، ينقله المعلمون إلى الطلاب، وينقله الطلاب إلى زملائهم؛ لكي نكون أمة صالحة في كل أنحائها، وفي كل متقلباتها وشؤونها، وإننا إذا كنا كذلك، أملنا أن نكون ممن رضي الله عنهم، فبارك لهم في علمهم، وفي تعليمهم، وفي أوقاتهم، وفي كلامهم، وفي عملهم.

اسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يجعلنا من الهداة المهتدين، الذين جعلهم في كل أمورهم مخلصين لله، طالبين وجهه، قاصدين ما عنده؛ إنه أكرم مسؤول، وهو بالإجابة جدير.

اسأل الله لي ولكم الهدى والسداد، والهدى والرشاد. اسأله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله، شهادة قامت بها السماوات والأرض، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، لقد بشَّر وأنذر، وعلَّم وأرشد، وهدى من الضلالة، فما بقي علينا إلا اتباع سُنَّته، فما بقي علينا إلا أن نتبع سُنَّته، وإلا أن نقتدي بهديه، وإلا أن نمتثل بأمره، صلى الله عليه كفاء ما علم وكفاء ما أرشد وبيَّن، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن أحسن الحديث كتاب الله، فأقبلوا عليه؛ فإنه خير حديث لكم، وإن خير الهدي هدي محمد بن عبد الله، من رام أن يكون سلوكه أحسن سلوك، وهديه أحسن هدي، وطريقته أحسن طريقه عند الله ﷻ وعند أولي الألباب من خلقه، فعليه بهدي النبي ﷺ؛ فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، واعلموا أن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، كل محدثة في الدين بدعة، كل محدثة مما أحدثه الخلوف بعد النبي ﷺ وبعد صحابته الكرام في أمر الدين، فهو بدعة. لا يقرب إلى الله ﷻ إلا ما كان أصله في كتاب الله، أو في سُنَّة رسوله ﷺ، عمله الرسول والصحابة ﵃، فهذا هو الهدي، إن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، لا تنزعوا يدًا من الجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وإن كل ضلالة في النار.

واعلموا ـ رحمني الله وإياكم رحمة واسعة ـ أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال الله ﷻ قولًا عظيمًا كريمًا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللَّهُمَّ، أذل الشرك والمشركين، وأذل اليهود يا رب العالمين، اللَّهُمَّ، أذل أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمنافقين ومن شايعهم يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا في قلوبنا.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، وفقهم بتوفيقك، اللَّهُمَّ، نسألك أن توفقهم بتوفيقك في كل قول وعمل يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، أصلحنا جميعًا، رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، علماءً وولاةً، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عن هذه الديار وعن جميع ديار المسلمين الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا جميع الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة يا رب العالمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: حال أعداء الإسلام

الخطبة الأولى:

الحمد لله، رفع المؤمنين فوق غيرهم مقامات عاليات، الحمد لله الذي فضَّل أهل الإيمان بالإيمان، وفضَّل أهل الإسلام ببعثة محمد ﷺ، فجعلهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله.

الحمد لله الذي له الحمد المستحق في السماوات وفي الأرض، وفي الأولى وفي الآخرة، له الثناء كله، وله الحمد والوصف الكامل كله، فهو ولي الحمد، وهو أهل لأن تلهج الألسنة بحمده، وبالثناء عليه، فطوبى لمن درب لسانه على حمد الله، وعلى الثناء عليه، وعلى مناجاته ﷻ في السر والعلن.

أحمد الله حمدًا كثيرًا، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، جاهد الكفار والمشركين على اختلاف أنواعهم، جاهد الوثنيين، وجاهد اليهود، وجاهد النصارى، وأعلى الدين، وأوضح الملة، حتى تركنا ﷺ بعده على نهج واضح بيِّن لا التباس ولا امتراء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ له العلم كله، يعلم ما كان، ويعلم ما سيكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فعلمه ﷻ بالأشياء علم كامل، لا نقص يلحقه بوجه من الوجوه، يعلم الغيب وما سيكون في ملكوته من الأمور فيما سبق، وفيما سيكون، وهذا النعت لله ﷻ كرر في القرآن كثيرًا، فوصف الله ﷻ نفسه بأنه يعلم غيب السماوات والأرض، ووصف الله ﷻ نفسه بأنه ذو العلم، وسمى نفسه بأنه العليم، وأنه علام الغيوب، ولهذا فإن الله ﷻ فيما قص علينا من أخبار الأمم، ومن أخبار الرسل، ومن أحوال الناس في كتابه العظيم هو حقٌّ كله؛ لأن الله هو الحق المبين، لا يصدر منه إلا حق، في حكمه وأمره، وفي شرعه، وفي قدره، فكل ما كان من الله، فهو حق؛ لأن الله ﷻ عليم بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، له الحكمة البالغة، شرعه كامل، وأمره كامل، والعباد مطالبون بأن يصدقوا بأخبار الله، وبأن يلتزموا بأحكام الله في كتاب الله، وفيما بيَّنه من القرآن رسول الله ﷺ، وإن مما بُيِّن في كتاب الله ﷻ أتم بيان وأعظم بيان حال اليهود، وحال النصارى، وحال المشركين، وحال المنافقين، هؤلاء الأربعة الذين هم أعداء الإسلام، وهم أعداء الملة، وهم أعداء أهل الإسلام إلى قيام الساعة ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢].

فاليهود والذين أشركوا هم أشد الناس عداوة للمؤمنين، ويشترك في عداوة المؤمنين، يشترك في ذلك اليهود والنصارى، فالله ﷻ بين في كتابه حال أعداء الإسلام، وحال أعداء المسلمين؛ لينتبه المؤمنون لهم،

لينتبه أهل الإسلام لهم، ولا يأتوهم على غرة، وإن رفعة الدين مناطة بأهل الإسلام، والله ﷻ بين في كتابه العظيم حال أعداء الإسلام، قال ﷻ في وصف المؤمنين مع أولئك الأعداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩].

بيَّن ﷻ أن طائفة من أهل الكتاب يتربصون بالمسلمين الدوائر، وهذه الأصول الشرعية يجب أن تقر في صدورنا ـ نحن المؤمنين ـ، مهما اختلفت الأوضاع السياسية أو تنوعت الأحوال، فإن الله ﷻ في كتابه أخبرنا بأخبار هي صدق، وحذرنا تحذيرات يجب علينا أن نأخذها، أن نأخذها أعظم مأخذ، وأن نتنبه لها؛ لأنها من الحكيم الخبير، الذي ما قاله حق، وما تكلم به حق، وما قصه علينا حق.

بيَّن ﷻ أن أولئك اليهود وأولئك المشركين وأولئك النصارى ومن شابههم في عداوة الإسلام، أنهم ليس لهم عهود تؤخذ، ولا عهود ترضى، وأنهم قد خالفوا عهود الله من قبل، الذي هو أحق أن يوفى بعهوده ﷻ، بيَّن ﷻ أن اليهود ـ مثلًا ـ لم يأخذوا ميثاق الله ﷻ بالحفظ والصيانة، بل نقضوه، قال ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا...﴾ [المائدة: ١٣]، إلى آخر ما قال ﷻ، فبيَّن ﷻ أن اليهود نقضوا عهد الله، الذي هو أحق أن يوفى بعهده، وأحق أن يوفى بميثاقه، ومعنى ذلك أن اليهود لما نقضوا ميثاق الله، بل لما قتلوا أنبياء الله ﷻ: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١]، والأنبياء ليس في قتلهم

حق، ومع ذلك فإنهم قتلوهم شر قتلة، إذا بُعِث فيهم نبي ـ وهو أهل لأن يطاع، وهو منبأ من الله ﷻ ـ، كان اليهود مترصدين له، حتى قتلوا من أنبياء الله ما قتلوا، ومعنى ذلك: أنهم لا يؤمن لهم ميثاق، ولا يؤمن لهم عهد، مهما كان العهد واضحًا وظاهرًا، وأنهم يتربصون بالمؤمنين الدوائر، وأنهم إذا حانت لهم فرصة سيفعلون بالمؤمنين وسيفعلون، وهذا حالهم مع رسول الله ﷺ، هذا حالهم مع نبينا ﷺ، هو أقبح حال وأسوأ حال، عاهدوه، ونقضوا العهد، وحاربوه، وكانوا ردأً للمشركين على رسول الله ﷺ، فنقضوا العهود، ونقضوا المواثيق، ولهذا نتذكر مع هذه الآية، ومع هذا الحكم الشرعي الذي أخبر الله ﷻ به؛ لكي نعتقده، ولكي لا يغيبَ عن قلوبنا ساعة من الزمان، نخبر بذلك، ونتذكر ما قصَّه الله ﷻ علينا في أول سورة الإسراء أن اليهود سيكون لهم إفساد في الأرض مرتين:

- مرة قد ذهبت وانقضت.
- ومرة ربما تكون هي التي نحن فيها الآن، أو فيما سيأتي.

قال ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ يعني: أخبرناهم وأوحينا إليهم: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، يكون لهم صولة وعلو في الأرض، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [الإسراء: ٥]، حصل ذلك، وقد أخبرهم الله بذلك في التوراة، وقص عليهم ذلك، فما أخذوا للأمر أهبته، بل عاقبهم الله كفاء ما فعلوا بأنبيائه، وبما نقضوا من عهده، هذه مرة ذهبت؛ كما قاله المفسرون[(١)]

ومرة أخرى ربما تكون هي التي نحن فيها الآن، أو فيما سيأتي

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٧٨ ـ ٤٧٩)، وزاد المسير (٣/١١)، وابن كثير (٥/٤٧).

المرة الآخرة، هي التي سيكون فيها منهم إفساد في الأرض، وسيعلون علوًا كبيرًا، فما مصيرهم في المرة الآخرة؟ قال ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [الإسراء: ٧]؛ يعني: ليسوؤوا وجوه المؤمنين، ليسوؤوا قلوب ووجوه المسلمين، ﴿لِيَسُـٔۥُواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]، وربما كانت في المؤمنين على اختلاف التفسير(١)، هذه المرة الآخرة هي المرة التي سيكون فيها القضاء على اليهود، فلا تقوم لهم بعدها قائمة إلى قيام الساعة.

قال ﷻ في آخر سورة الإسراء مبينًا كيف يجتمع اليهود في أرض مقتلهم، وأرض تصليبهم، وأرض إهلاكهم، يجتمعون من أنحاء الأرض جماعات جماعات، قال ﷻ في آخر السورة: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ [الإسراء: ١٠٤]؛ يعني: وعد المرة الآخرة، التي يكون فيها إهلاك لهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾؛ يعني: جاء الله باليهود لفيفًا ـ جماعات جماعات ـ، يقدمون على أرض مهلكهم وأرض مقتلهم، يأتون لفيفًا، جماعات متفرقين مجموعات مجموعات؛ كما قال ذلك المفسرون(٢): ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾، من الذي سيقتلهم؟ ومن الذي سيحل بهم بأس الله ﷻ الذي لا يرد عن القوم المجرمين؟ إنهم المؤمنون بالله، إنهم الذين وحدوا الله حقًا، ونصروا شريعة الله، عمرت قلوبهم، عمرت قلوبهم محبة الله، عمرت قلوبهم الإنابة إلى الله وتعظيم الله وإجلال الله ﷻ، بيَّن ﷺ فيما بيَّن من أمر مقتلة اليهود الأخيرة ـ التي ستكون في آخر الزمان ـ ما بيَّن، من ذلك أنه ﷺ قال: «**لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ**

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٧٨ ـ ٤٧٩)، وزاد المسير (٣/ ١١)، وابن كثير (٥/ ٤٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١١)، وزاد المسير (٣/٥٨)، وابن كثير (٥/ ١٢٧).

حَتَّى يُقَاتِلَ بَقِيَّتُكُمُ الدَّجَّالَ بِالْأُرْدُنِّ أَنْتُمْ مِنْ غَرْبِيِّهِ وَهُمْ مِنْ شَرْقِيِّهِ»(١).

وقد جاء في صحيح مسلم؛ أن النبي ﷺ قال ـ وهو الذي لا ينطق عن الهوى ـ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»(٢).

إن هذه الأمور الشرعية، والحقائق القرآنية، وما جاء في السُّنَّة النبوية إنه حق يكون معنا نحن المؤمنين، لا يغادرنا، لا يغادر قلوبنا، ولا يغادر عقولنا مهما اختلفت الأحوال، وعليه فإن المطلوب من المؤمنين مهما تغيرت الأحوال السياسية والأوضاع، التي نسأل الله أن يجعل عاقبتها ما بشر به رسول الله ﷺ، نقول: إن المؤمنين مطلوب منهم أن لا يثقوا بميثاق اليهود، وأن لا يأخذوا بذلك؛ فإن المؤمن يعلم أنه واجب عليه أن يجاهد اليهود، وأن يجاهد المشركين الذين بارزوه بالعداوة، فإن مجاهدة أولئك شرعٌ، حتى يفيؤوا لأمر الله، كيف وهم قد أفسدوا في الأرض ما أفسدوا؟!

إن هذه الحقائق يجب أن نكون معها من المتيقنين؛ لأنها من الله ﷻ ومن رسوله ﷺ، فإنه يجب على أهل الإيمان، يجب عليهم أن يعدوا العدة لقتال المشركين، ولقتال اليهود جهادًا في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، والجهاد فرض من فرائض الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/٣٦٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/٤٠٩).

بيَّن ﷻ أن الجهاد فرض على هذه الأمة. نحن لا نتكلم في أمر ما كان من الأمور السياسية بتصحيح أو تخطئة، إنما نتكلم في الأصول الشرعية، التي يجب أن يرعاها المؤمنون في كل زمان.

إننا إذا أخذنا بما جد وحصل بدون أن نعد العدة لجهاد أولئك العدة النفسية للمؤمنين في كل أنحاء الأرض، والعدة المعنوية، والعدة السلاحية، التي بأيدي الدول، الدول التي تقاتل اليهود، الدول المنتسبة للإسلام، الدول الإسلامية، فإنه يجب عليها أن يكون إعدادها لقتال اليهود؛ ممتثلة في ذلك ما أخبر به النبي ﷺ بأننا سنقاتل اليهود، وبما أخبر الله ﷻ من أن اليهود سيكون لهم في آخر الزمان تجمع عظيم وراءه مقتلة.

وإن المؤمنين واجب عليهم أن يأخذوا لهذا الأمر، وأن يعدوا له العدة.

نعم، إن ذلك فرض على أهل الإيمان، لا يسوغ لهم أن يكون في قلوبهم نوع مودة للمشركين، لليهود، للنصارى، للمنافقين وما أشبههم؛ لأن هؤلاء أعداء الإسلام؛ لأن هؤلاء هم الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر، يعاملهم المؤمن بما أوجب الله عليه أن يعاملهم به، أما أخذ الحذر ممتثلًا المؤمن في ذلك قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ۝٧١﴾ [النساء: ٧١]، إن هذا واجب؛ لأن الله أمر به بقوله: ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾، وإن من أخذ الحَذر، ومن أخذ الحِذر أن لا يركن المسلمون لما أعطاه اليهود وأمثالهم من المواثيق، بل عدوا العدة حتى يأتي أمر الله، فيجاهد المؤمنون اليهود ومن شابههم؛ لأن الجهاد حق، ولأنهم اعتدوا على أرض المؤمنين التي علت فيها كلمة الله، فأعلوا فيها غير كلمة الله.

نسأل الله ﷻ أن يجعل المؤمنين أعزاء بالإسلام، مفتخرين بالإيمان، لا تأخذهم في الله لومة لائم، نسأل الله أن يجعل المؤمنين أعزة في كل وقت وأوان، وأن يجعلنا مصلحين صالحين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لحقه وشأنه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، إن أحسن الحديث كتاب الله، إن أحسن الحديث كتاب الله، إن أحسن الأخبار في كتاب الله، إن أحسن الحديث وإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن خير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن

بالتقوى فخاركم وعزكم في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، عظموا الله تعظيمًا، عظموا أوامر الله، اجعلوا أمر الله بقلوبكم مختلطًا، لا يغيبن الله وأمر الله ونهي الله عن نفوسكم طرفة عين، فإن حق الله علينا عظيم عظيم، فعظموا الله حق التعظيم، واتقوه حق التقوى، واحذروا عقاب الله، احذروا مخالفة أمر الله؛ فإن في ذلكم الخزي - والعياذ بالله -، إن في ذلكم الخزي، وإن في ذلكم عدم السعادة، إن في ذلكم الضنك والضيق والشقاء على الناس في أنفسها، وعلى المجتمعات، ولكن إذا أخذ بالتقوى، سعد الناس، وأسعدوا، ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله ﷻ أمركم بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته؛ فقال الله ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، الذين جاهدوا فيكم حق الجهاد، وكانوا بأمر الله يعملون، وكانوا لله ﷻ مطيعين - أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي -، اللَّهُمَّ، وارض عن سائر الصحب والآل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، وأذل الشرك والمشركين، اللَّهُمَّ، وأذل اليهود والمشركين جميعًا، اللَّهُمَّ، وارفع راية المؤمنين عليهم يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتك فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، وحكم بشرعك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك ثباتًا في قلوبنا، اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تثبت قلوبنا على طاعتك.

ربنا، نعوذ بك من خزي الدنيا، ومن عذاب الآخرة.

اللَّهُمَّ، وارفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابه جميعًا، وأن تدفع عنها الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا، لا يغادر منا أحدًا، اللَّهُمَّ، أصلح قلوبنا، واجعلها مستقيمة على صراطك، يا أكرم الأكرمين.

ربنا، وفقنا لتوبة نصوح قبل الممات، نعوذ بك اللَّهُمَّ من خزي الدنيا، ومن خزي الآخرة، ومن عذاب الآخرة، ومن المصائب في الدنيا، ومن العقوبات في الدنيا، يا أكرم الأكرمين، نسألك أن تعفو عنا، اللَّهُمَّ، اعف عنا، ربنا، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللَّهُمَّ، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. جميعًا نبرأ إليك من كل شيء يخالف ما يرضيك، اللَّهُمَّ، إنا نبرأ إليك من كل شيء لا يرضيك يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ، فتقبل براءتنا، نعوذ بك من الشرور كلها.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

[النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، اذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: حقوق العمال

الخطبة الأولى:

الحمد لله، قسم بين الناس أخلاقهم وأرزاقهم، وجعل بعضهم فوق بعض درجات؛ ليتخذ بعضهم بعضًا سخريا، الحمد لله، فضل من شاء بنعمة المال، ومنع من شاء نعمة المال، فكان الناس على طبقات متفاوتة، يخدم بعضهم بعضًا، ويسعى بعضهم في مصلحة بعض، وذلك منه ﷻ لحكمة عظيمة لا تصلح الحياة إلا بها، ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وبيَّن المحجة، فصلوات الله وسلامه عليه ما تتابع الليل والنهار، وما طلعت الشمس والقمر، ولا غربتا، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الرحمن، إن الله ﷻ له الحكمة البالغة فيما يختار في هذه الدنيا، بل وفيما يختار في أمره كله، قال ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾

[القصص: ٦٨]، إن الله ﷻ حكمًا فيما ترون في هذه الحياة الدنيا، إن الله ﷻ حكمة بالغة فيما ترون من انقسام الناس إلى ذوي مال وفير، وإلى متوسطين، وإلى من يسعون لكف أنفسهم، وإلى من يسعى لكي يحصل على لقمة العيش، والله ﷻ أخبر بخلقه، وهو ﷻ لطيف بمن يشاء.

وإن مما جعله الله ﷻ في هذه الدنيا بين الناس أن جعلهم متفاوتين في المال؛ بعضهم غني، وبعضهم متوسط، وبعضهم مسكين أو فقير، وجعل الحكمة من ذلك أن يتخذ بعضهم بعضًا سخريًا؛ كما قال ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

جعل الله ﷻ بعض الأراضي غنية بما يخرج منها من داخلها، وبما ينزل من السماء رزقًا لها، فجعل الله ﷻ لكل أرض قوتًا، وقدر فيها أقواتها، كل أرض بما يناسب أهلها، وكل أرض يأتيها رزقها في سنين، ثم قد يحرمون بعد سنين أخرى، يحرمون مما كانوا يرفلون فيه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فليس الأمر مستقيمًا على حال.

ففي هذه البلاد كان الناس لا يجدون المال الذي يجدونه اليوم، بل قد حدثنا الكبار أنه قد مر على الناس في هذه البلاد أنهم كانوا يسافرون إلى بعض البلدان القريبة لكي يحصلوا لقمة العيش، لكي يأتوا بالمال؛ ليأكلوا به أولادهم وأهليهم، لكي يعيشوا حياة يمكنهم معها أن يكونوا على بعض السعادة، لقد عاش الناس في هذه البلاد في يوم من الأيام في سنين مضت بحيث أنهم لا يجدون شبعهم كل يوم ـ أعني: معظم الناس ـ، ثم مَنَّ الله ﷻ عليهم بالخير العظيم: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن

﴿يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة: ٢١٢]، مَنَّ الله علينا بما مَنَّ علينا، فبعد أن كنا نرحل لنأخذ لقمة العيش، صار الناس يرحلون إلينا ليجدوا في هذه البلاد ما يسد جوعتهم، وما يكسون به عورتهم وأهليهم وأولادهم رحمة من ربك، وهذا لا بد وأن يكون لنا معه وقفة.

إن من يأتون إلى هذه البلاد لكي يطلبوا لقمة العيش، إنهم ـ وأخص بالذكر منهم المسلمين ـ، إنهم مسلمون، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، أتوا ليطلبوا الرزق الذي تفضل الله ﷻ به على أهل هذه البلاد، ليأخذوا الرزق بما تعمل به أيديهم، وبما يكسبه عرق جبينهم، وذلك عمل منهم محمود مشروع، والحمد لله على خيرته.

والذي نراه في هذه البلاد في أنحاء شتى ـ وخاصة في المؤسسات والشركات وفي بعض البيوت ـ أن هؤلاء يُنظر إليهم بنظر غير شرعي، بل بنظر منكر، فمنهم من يرى أنهم شبه العبيد ـ والعياذ بالله ـ، يستخدمهم كما هو في ذهنه في استخدام العبيد فيما مضى، يحملهم في العمل ومن العمل على ما لا يطيقون، يهينهم، ويؤذيهم، ولا يعطيهم في كثير من الأحيان حقوقهم، فكم سمعنا من أناس مضت عليهم الأشهر الطويلة ـ الثلاثة والأربعة وربما أكثر من ذلك ـ، ولم يستلموا أجر عملهم، وقد جاء في الحديث: «**أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**»(١)، وهؤلاء أتوا بعهود وعقود يجب وفاؤها؛ رعاية لحق الله ﷻ الذي قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، والذي قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٣)، والطبراني في الصغير (١/ ٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٤٢)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٨/ ٢٣٥)، وفي الكبرى (٦/ ١٩٩، ٢٠٠)، وفي الصغير (٢/ ٣٢٠، ٣٢١). وفي البخاري (٢٢٧٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ**».

﴿تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، والذي قال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

إن الذي ينظر إلى نفسه، وأنه في مال وفير، وفي مسكن هنيء، يعيش عيشة هنية، فيمنع أولئك المال، ووراءهم أهلوهم، ووراءهم أولادهم، منهم المريض الذي يحتاج إلى علاج، ومنهم الجائع الذي يحتاج إلى غذاء، ومنهم العاري الذي يحتاج إلى كسوة، ومنهم...، ومنهم في حاجات مختلفة.

إن الذي يحرم أولئك أجرهم، فإنه سيدخل فيما قاله ﷺ، فيما قاله النبي ﷺ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»**(١)، والرعية يدخل فيها أولئك؛ لأنهم مسترعون؛ لأنهم رعية قد استرعى الله ﷻ عليهم من أتى بهم كفيلًا لهم.

إن أولئك - **أيها المسلمون** - لا شك أن لهم حقًّا؛ فإن النبي ﷺ قال فيما رواه أبو داود في «سننه»، قال: **«جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»**(٢)؛ يعني: العبد. وهذا لأجل أن له حقًّا، فهو بشر، وهو مسلم، وله حقوق، فلا يجوز أن يهان، لا يجوز أن يحمل على ما لا يطيق من العمل، لا يجوز أن يحمل على استعباد واستذلال، لا يجوز أن يرى بتكبر واستعلاء؛ فإنه كما قال ﷺ: **«إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٦٤)، والترمذي (١٩٤٩)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣١٢)، وفي الكبير (١٣/ ٣٢٦)، وفي مسند الشاميين (١/ ١٥١)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٨).

أَيْدِيكُمْ»[(١)]، نعم، إن الخدم خول أنعم الله ﷻ بهم على الناس؛ ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا، سخر الله هؤلاء لهؤلاء، وأولئك لأولئك؛ لكي يعيش الناس، هؤلاء يبذلون المال، وأولئك يعيشون فيما يكتسبونه، وحكمة الله بالغة.

ولهذا ـ **أيها المؤمنون** ـ إنه لا يجوز، بل يحرم أن يؤخر صاحب مؤسسة أو صاحب شركة، بل وصاحب البيت عن خدمه، وعن العمال، وعن المتعاقدين بأصنافهم، لا يجوز أن يحرمهم أجرهم بعد أن استحقوه، أو أن يظلمهم؛ فإن ذلك حرام، وإذا مات على هذه الحال، فإنه يموت وهو غاش لما استرعاه الله عليه، وهو لم يف بالعقد؛ فإن العقد الذي عُقد على تلك الأعمال عقد له شروطٌ، وفيه مواثيق وعهود يجب وفاؤها، ومن لم يف بتلك العهود وتلك الشروط، كان متبوأ بغضب؛ لأنه خان الأمانة، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

إننا نرى كثيرًا من أولئك العمال، وبعضهم مرتبه أربعمائة ريال، أو قد تزيد قليلًا، نراهم ـ كما شاهدت فعلًا ـ أنهم قد حرموا رواتبهم شهورًا متعددة، وصلت ـ فيما وقفت عليه ـ إلى ستة أشهر، وأولئك يتضورون جوعًا، يطلبون الصدقة، وأهلوهم وراءهم يطلبون أيضًا ما يعيشون به.

إن الذي لا يرى إلا نفسه وما يعيش فيه من نعمة ونعيم، ولا يرى ويحس بما عليه الآخرون، إنه قد حُرم، حُرم ما يجب عليه، بل قد ارتكب ما نهى الله ﷻ عنه.

ثم إنه يجب على الأغنياء بجميع أصنافهم أن يروا في من

(١) أخرجه البخاري (٣٠، ٢٥٤٥)، ومسلم (١٦٦١).

يستخدمونه، أن يروا حالتهم في أنهم ما أتوا إلى هذه البلاد إلا طلبًا للعيش الحلال المبارك، إلا طلبًا لما يسدون به رمقهم وكفايتهم وما يعيشون به؛ كما يعيش به غيرهم، فلهذا لا يجوز أن يكلفوا في أمر المال ما لا يطيقون. فترى بعضهم يأخذ على العامل في تأشيرته، يأخذ عليه مبلغ كذا وكذا، ثم يأخذ عليه مبلغ قدومه ورجوعه بالطائرة أو بغيرها، ثم إذا عمل شيئًا، أخذ عليه، وأخذ عليه، حتى لا يبقى معه إلا القليل، إن لم يحتج في بعض الأحيان إلى أن يستدين، وهذا مما ينبغي للذين أنعم الله عليهم أن يتخلصوا منه، أما إن كان في الواجب، فذلك واجب يجب عليهم أن يؤدوه، وإن كان في أمر من باب الصدقة والاستحباب، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ﷻ يضاعف الصدقات.

ثم أيها الذين استرعوا على الأعمال ـ عمال أو متعاقدين أو غيرهم ـ، الله الله في أدائكم لأمانتكم؛ فإن من الناس ـ أعني: أولئك ـ من لا يؤدي عمله كما ينبغي، فيحتج أصحاب الأعمال بأن هؤلاء فيهم غش، وفيهم كذا وكذا، وهذا واقع، ويقع في كثير من الأحيان. فالواجب على المسلمين جميعًا ـ من استقدم للعمل، والعامل، والمتعاقد ـ على حسب أعمالهم واختلافها أن يرعى الجميع أنهم مستأمنون على أعمالهم، وأنهم قد أتوا بعقود وعهود يجب عليهم وفاؤها.

ثم أيها المؤمنون، إن قدوم المتعاقدين ـ علا قدرهم، أو انخفض قدرهم بحسب أعمالهم ـ، إن أولئك يجب علينا أن ننظر إليهم نظرة دعوية خاصة، فإنهم ربما أتوا من بلاد فيها الجهل، وفيها عدم العلم بالشرع، فرأينا منهم من لا يحسن الصلاة، بل من لا يفهم توحيد رب العالمين، ولا يعلم معنى الشهادتين حق العلم؛ لأنه قد شاع في كثير من

البلاد الجهل؛ لأجل كثرة الجهل وقلة من يُبصِّر من أهل العلم، فعلينا تجاه تلك الطوائف وتلك الفئات علينا أن نكون ساعين في تفقهيهم لدينهم، فهي فرصة ثمينة للدعوة إلى الله ﷻ، بدون رحلة إلى الدعوة، وهؤلاء إذا انسكب في قلوبهم الإيمان والطمأنينة والصدق مع الله ﷻ، رجعوا إلى بلادهم - إن قريبًا أو بعيدًا، إن عاجلًا أو آجلًا -، وهم يحملون الالتزام بالإسلام وفهم الدين، فينشرونه في أهليهم، فيعم الخير ما شاء الله أن يعم من الأرض، وإن هذه لمهمة ينبغي على أصحاب المؤسسات والشركات، بل وأصحاب البيوت في من يستخدمون خدمًا أن يرعوها، فمجال الدعوة لا ينبغي لنا أن نغفله؛ لنحبب إلى الناس بعملنا وقولنا شرحًا وعملًا، لنحبب إلى الناس الإسلام والالتزام بالسُّنَّة والعقيدة الصحيحة، فإن المسلمين يعيشون لدينهم، لا يعيشون لدنياهم، وإنها - ولا شك - لفرصة لا يسوغ لنا أن نغفلها، مثلًا تُهدى إليهم الأشرطة النافعة كلٌّ بلغته، ومراكز الدعوة - التي تدعو من ليس عربيًا، أو التي تدعو غير المسلمين - منتشرٌ فيها الأشرطة المختلفة التي تبين التوحيد، وتبين أحكام الصلاة، وفيها الكتب النافعة مما تتولاه أجهزة الدولة - وفقها الله ﷻ -، وإننا يجب علينا أن نسأل حتى نكون في أمرنا وفي ما نتعامل به في هذه الدنيا أن نكون على وفق الشرع المطهر ممتثلين بذلك ما أمر الله ﷻ به في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

إنه لا يسوغ لصاحب عمل أن يمنع عاملًا له أن يؤدي فريضة الله في الصلاة في المسجد، قال أهل العلم: وليس أيضًا للعامل أن يتنفل وقت أداء العمل. فعلى رب العمل أن يأمر العمال على اختلافهم والمتعاقدين أن يؤدوا الصلوات في المساجد، وأما أداء النوافل

والرواتب، فقد قال الفقهاء والعلماء: إن الأجير بأجر مختص بعمل يؤديه في ساعات معلومة لا يجوز له أن يتنفل بنافلة في وقت العمل الذي يؤديه. وفي هذا بيان لحكم الشرع، فعسى أصحاب العمل أن يلتزموه، وعسى أولئك العمال والمتعاقدين أن يلتزموا، ولو التزمنا الشرع، لكان في ذلك خير كثير لنا على اختلاف أصنافنا.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك الهدى والسداد والتوفيق والرشاد، اللَّهُمَّ، استعملنا في طاعتك، واجعل قلوبنا لك مخبتة منيبة.

واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،

وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم في هذه الدنيا وفي الدار الأخرى، فاتقوا الله حق التقوى، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الرحمن، إن الله ﷻ أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، وانصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ، عليك بأعداء الدين، اللَّهُمَّ، عليك بأعداء الدين الذين يكيدون للمسلمين، ويقتلون المسلمين، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تنصر عبادك المجاهدين المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ، انصرهم، واجعل رايتهم فوق كل راية، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، ووفقهم - اللَّهُمَّ - بتوفيقك، اللَّهُمَّ، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنها الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، اجعل بلادنا هذه آمنة مطمئنة، عيشها رغد ودينها خير دين،

واستمساكها خير استمساك، ومنَّ على أهلها بشكر النعم، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا، لا يغادر منا أحدًا، اللَّهُمَّ، أصلحنا، وأصلح ذرارينا وأهلينا، وأعقبنا فيهم خيرًا، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن توفقنا لتوبة نصوح قبل الممات ترضى بها عنا، وتُكفر بها عنا من سيئاتنا، يا أرحم الراحمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: حقوق وواجبات الزوجين

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، اتقوا الله بامتثالكم ما تعلمون من أوامره، وبانتهائكم عن ما نهى الله ﷻ ورسوله؛ فإن الفلاح - كل الفلاح - والسعادة الحقة - كل السعادة - في اتباع أمر الله واتباع أمر رسوله ﷺ، فإنما في ذلكم الهدى والاهتداء: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، إن الله ﷻ من رحمته بعباده ومن آياته التي جعلها ماثلة لكل رجل - بل ولكل امرأة - أن جعل للإنسان من نفسه زوجًا، جعل له زوجًا من نفسه؛ ليسكن إليها، ولتكون أنسًا له، وليكون

بها راحة البدن له، وراحة الروح له، فمن آياته أن خلق لنا من أنفسنا أزواجًا، من آياته أن جعل الروح إذا تعبت لها ما تسكن إليه، وتنشط بعد السكنى إليه، وكذلك البدن له متطلباته، فالله ﷻ من حكمته العظيمة أن كمل ما يحتاجه الإنسان من الرجل والمرأة، فالرجل يحتاج إلى المرأة، والمرأة تحتاج إلى الرجل، وجعل بين هذا وهذا بالزواج مودة ورحمة، قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فالله ﷻ امتن على الناس بأن جعل للرجال الأزواج من النساء، وللنساء الأزواج من الرجال، وهذه المنة لغرض أن يكون بها السكنى، وأن تكون معها المودة والرحمة بين هذا وتلك، بين هذه المرأة وبين ذاك الرجل؛ فإن بها قوام الحياة، وإن بها سعادة النفس، وإن بها سكونها؛ لكي تمضي في أمر الله، وهي مستقرة النفس، لا تتنازعها الشياطين، ولهذا جعل الله ﷻ للمرأة على الرجل حقوقًا، وجعل للرجل على المرأة حقوقًا، فقال ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فجعل على الرجل واجبًا تجاه زوجه، وجعل على المرأة واجبًا تجاه زوجها، فهذا عليه واجب، وهذه عليها واجب، فإذا أدى الرجل واجبه، وإذا أدت المرأة واجبها ـ مخلصين في ذلك، ممتثلين في ذلك أمر الله ﷻ ـ، كان بيت الزوجية بيت سكن ومودة ورحمة، كان بيت الزوجية بيت ألف وانشراح للصدر وسكون للبدن والروح، وعن ذلك ينشأ الجيل الصالح، وتنشأ الأولاد في استقامة روحية، وفي استقامة بدنية؛ لأن الاطمئنان بين الزوجين سبب من أسباب التربية الناجحة، قال ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فجعل الواجب مشتركًا، وضبط ذلك الواجب

بالمعروف؛ أي: بما تعارفه الناس من الواجب، بما أباح الشرع، وبما أذن به الشرع، فجعل على الرجل واجبًا بالمعروف؛ يعني: بما تُعورِف عليه، وعلى المرأة واجبًا بالمعروف؛ أي: بما تعورف عليه.

فإذا كانا في مجتمع تعارفوا على أن من واجبات المرأة على زوجها ومن واجب الزوج على امرأته أن يفعل كذا وكذا، وأن تفعل هي كذا وكذا، ولم يكن ذلك مما نهي عنه في الشرع، كان ذلك من الواجب عليهما؛ لأنه بالمعروف؛ على الصحيح من قولي العلماء في هذه المسألة، ولهذا يجب على الرجل أن يؤدي حق امرأته طيبةً بذلك نفسه، فيؤتيها ما يجب لها من النفقة، ومن السكنة، ومن العشرة بالمعروف، مع طيب النفس، فإذا كانت العشرة بغير معروف، كان مرتكبًا لمحرم، وغير ممتثل لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩]، فإن حال الرجل مع زوجه إما أن تكون حال محبة، وإما أن تكون حال كراهية.

وفي الحالين يجب عليه أن يعاشر بالمعروف؛ قال الله ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وكم عاشر الرجال، كم عاشر من الرجال أزواجهن بالمعروف حال كراهية الرجال لأزواجهن، ثم أعقبوا بذلك، أعقبوا بذلك الخير الكثير من الأنس ومن التفريد، ومن إتيانهم للولد الذي سرهم فيما بعد ذلك، وطاعة الله ﷻ فيها الخير كله في العاجل والآجل: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

الواجبات - *أيها المؤمنون* - التي للرجال على النساء، وللنساء على الرجال واجبات كثيرة متنوعة، بعضها أشد من بعض، فمن ذلك:

- أن المرأة تستحق على زوجها أن يعطيها ما يكفيها بالمعروف،

فلا يقتر عليها، ولا يسلبها حقها، فإنْ سلب المرأة حقها، وإن قصر عنها في أداء ما يجب عليه من الإنفاق، فإنه قد خالف أمر الله، وكان مرتكبًا لما حرم الله ﷻ؛ لأن من العشرة بالمعروف الإنفاق عليها، وقد قال ﷺ لمن شكت زوجها: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**»[1]؛ يعني: أن تأخذ من مال زوجها، ولو لم يأذن الزوج بذلك إذا كان أخذها بالمعروف؛ لأن ذلك حق وجب عليه لها، فيجب عليه أن يؤدي ذلك الحق لها، فإن لم يؤد ذلك، كان غاصبًا، وكان مماطلًا في الحق، فإذا قدرت على شيء من ماله، فإن لها أن تأخذ من ذلك بالمعروف، غير آخذةٍ فوق ما وجب لها عليه، وغير آخذة فوق ما هو بالمعروف، فلا يقتر الرجل على زوجته؛ فإن من العشرة بالمعروف أن يعطيها ما يكفيها.

● وكذلك من العشرة بالمعروف أن يبيت عندها ـ عند الواحدة من نسائه ـ، أن يبيت عندها ليلة من كل أربع ليال، إلا إذا اشترطت أو طالبت بأكثر من ذلك، فرضي، فإن عليه أن يؤدي الشرط، فيجب عليه أن يؤنسها في الليل، والأنس المقصود منه الاجتماع، وليس المقصود منه الوطء وتوابع ذلك؛ لأن النفس تحتاج إلى الأنس، تحتاج إلى أن يكون الرجل آنسًا بامرأته، وأن تكون المرأة آنسةً بزوجها، فمن الغلط ـ بل ومن المحرم ـ أن يعيش رجال بعيدين عن زوجاتهن ليال طويلة، والرجال لا يأتون أزواجهن في الليل إلا في ساعات متأخرة، لا تتم معها العشرة، ولا يتم معها الأنس، بل يأتي لينام، والله ﷻ جعل على الرجل أن يعاشر بالمعروف، وأن يجعل لزوجه عليه السكنى والسكن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦٤، ٧١٨٠) عَنْ عَائِشَةَ ﵂؛ أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ ﵂، قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَقَالَ: **خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالْمَعْرُوفِ**».

لنفسها والسكن لبدنها، فإذا فرط في ذلك؛ كحال الذين يسهرون أكثر الأيام، يسهرون ليال طوال مع أصحابهم أو في منتدياتهم، فإذا أتى إلى بيته، لم يكن همه إلا أن يطأ، أو لم يكن همه إلا أن ينام، فهذا فيه تفريط بالحق؛ لأن للمرأة أن تجعلها ساكنة، وأن تؤنس صدرها، والغرض من فرض المبيت ليلة من كل أربع ليال للمرأة الغرض من ذلك أن تتم السكنى، وأن تتم المودة والرحمة، فإذا فرط في ذلك، كان مرتكبًا لما لا يجوز شرعًا.

• كذلك على الرجل أن لا يطلب من زوجه كل حقه عليها؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ـ وهذه حال المتقين الذين يخشون لقاء الله ـ لما تلا قول الله عز وجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: **«إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي»**[1]؛ لأن الله عز وجل أوجب على الرجل مثل ما أوجب على المرأة، سواء بسواء، والرجال لهم على النساء درجة بما آتاهم الله من المال، ومن الإنفاق، ومن الأمر والنهي، أما الحقوق العامة، فهما فيها سواء؛ لهذا ابن عباس رضي الله عنهما كان يتنازل عن حقه على امرأته؛ خشية أن يجب عليه كل حق امرأته عليه. فإن الرجل لا بد وأن يفرط في حق الزوجة بعض التفريط: إما في نفقة، أو في عشرة بمعروف، أو في غضب فيما لا يشرع الغضب فيه، أو في نحو ذلك مما ليس له الحق فيه، ويطالب بما هو فوق المعروف، فيجب عليه عند ذاك، يجب عليه للمرأة أن يقابلها بمثل ما طالبها به، فكان ابن عباس من فطنته، ومن ورعه، ومن علمه بالقرآن أنه قال: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ**

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٨٢، رقم ١٤٧٢٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٩٦، رقم ١٩٢٦٣). وانظر: تفسير الطبري (٤/ ١٢٠)، وزاد المسير (١/ ٢٠٠).

أَتزيَّنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي»، وذلك من الفقه ومن الورع ومن التقوى.

فمن الرجال من يطالب امرأته بأشياء كثيرة، ويستدل في ذلك بأن له الحق، وأنها يجب عليها كذا وكذا، وإذا تأمل هو وخلا بنفسه، وجد أنه لا يقوم بحق العشرة معها بالمعروف، بل يفرط في ذلك كثيرًا، وهذا آثم؛ لأنه طلب أكثر مما أعطى، والمرأة والرجل في هذا سواء.

• ومن الحقوق التي للمرأة على الرجل: أنه إذا طالبها بأن تتزين له، فإن لها عليه أن يتزين لها، وأن يتجمل لها؛ لأن الحق مشترك، قال ابن عباس ﵄ في تفسير الآية التي سلفت، وهي قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وقال ﵄: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي**»، وهذا أيضًا من عظيم التقوى؛ لأن المرأة فيها نفس بشرية؛ ولأن لها الرغبة كما أن للرجل الرغبة، فإذا كان الرجل يطالب امرأته بشيء لا يمتثله إما أن يكون يظن أن نفسها تختلف فيما ترغب وتكره عن ما في نفسه، وإما أن لا يكون علم، بل هو من الجهال. وعلى الحالين يجب عليه أن يرعى حق نفس زوجته، وأن يجعلها ساكنة؛ فإن بيت الزوجية وإن العشرة الزوجية من مقاصدها في الشرع المطهر، من مقاصدها في الإسلام أن يعيش الرجل ونفسه مطمئنة، لا تنازعه إلى شر، ولا إلى مخالفة لأمر الله، وإن ـ أيضًا ـ من أسرار النفس أن المرأة كذلك لها حق في ذلك، وأن تعيش نفسها مطمئنة، وأن لا تنازعها نفسها الأمارة بالسوء إلى شيء من الشر، ومن فرط من الرجال، وجد أثر ذلك في بيته، ووجد أثر ذلك في أهله، وبيت الزوجية بيت عظيم، وربما تعدى أثر ذلك التفريط إلى الأولاد من جهة عدم العناية بتربيتهم، ومن جهة عدم العناية بتأديبهم. والرجل إذا غفل عن بيته، وغفل عن أداء

حقوق الزوجية، وقع ما لا يحمد في بيته: إما من جهة التربية، وإما من جهة الإخلال بالفرائض، أو ارتكاب بعض المنهيات التي حرمها الله ﷻ. فإن هذا الأمر ـ أعني: أمر العشرة ـ تساهل فيه الرجال، ونتج من تساهل الرجال تساهل النساء؛ فإن من النساء ـ بما نسمع من شكواهن ـ، إن من النساء من قادها الشيطان إلى أمور لا تحمد، إما من الصغائر أو من الكبائر ـ والعياذ بالله ـ، وكان من أسباب ذلك أن الرجل غاب عن بيته، غاب عن أداء حقوق زوجه، والمرأة نفس منفوسة، تحتاج إلى الرعاية؛ كما أن الرجل إذا احتاج إلى قضاء حاجاته البشرية، ذهب يطلب زوجة، فالمرأة إذا غاب عنها زوجها، ولم يكن معها من عصمة الإيمان وتقوى الله والورع وتعظيم اليوم الآخر، إذا لم يكن معها من ذلك ما يعصمها من الصغائر، أو ما يعصمها من الكبائر، ربما أتاها الشيطان شيئًا فشيئًا، فحبب لها الشر، إما عن طريق الإنس وقرناء السوء وقرينات السوء، وإما عن سبل مختلفة. أسأل الله ﷻ أن يرينا في المسلمين والمسلمات خيرًا.

● كذلك ـ **أيها المؤمنون** ـ إن من عمد بيت الزوجية أن يكون بيت الزوجية مقامًا على تقوى الله، مقامًا على الإيمان بالله، وعلى خشيته، وعلى الإنابة إليه، فالرجل مع المرأة يتعاونان، يعاون الرجل المرأة، وتعين المرأة الرجل على أداء حقوق الله، فإذا غفل الرجل، ذكرته المرأة، وإذا غفلت المرأة، ذكرها الرجل، فيكون هذا أمارًا لهذه، وهذه أمارة لهذا، فيقوم البنيان على تقوى من الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، فسمعنا من الأزواج من أقام بيت الزوجية على تقوى من الله، فأعقبه ذلك الفرح والسرور في حياته، فعاش عيشة هنية، وفتحت له أبواب

الأرزاق بشهادة من حصل له ذلك، وليس هذا بغريب؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾.

إذًا ـ **أيها المؤمنون** ـ إن للزوجة حقًا، وإن للرجل حقًا، وقد قال ﷺ: «**أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ**»(١)؛ يعني: أسيرات، وكان ﷺ يوصي كثيرًا بالنساء، وحبب في ذلك وإلى ذلك بقوله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(٢)، وإذا دخل رسول الله ﷺ بيته ضاحك الزوجة، وآنسها، وكان في خدمة أهله، ولم يستنكر ولم يستكبر؛ لأنه في ذلك يمتثل أمر الله، ويجعل في ذلك القدوة للمؤمنين به ﷺ. اللَّهُمَّ، صل، وسلم عليه ومُنَّ علينا باتباع سُنَّته والاهتداء بهديه.

• كذلك إذا كان للرجل أكثر من زوجة، وجب عليه أن يعدل بينهن في مبيته، بأن يبيت عند هذه ليلة، وأن يبيت عند الأخرى ليلة، والقصد من المبيت الاستئناس، وليس القصد منه الجماع والوقاع، وإنما القصد الاستئناس، وأن يؤنس هذه في ليلتها، ويطمئن نفسها، ويبيت عندها، وعند الأخرى ليلة مثل الأولى، وكذلك إذا كان عنده

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٦٣)، والنسائي في الكبر (٩١٢٤)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٠٤)، وابن أبي شيبة (٢/ ٥٦). والبخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨) بلفظ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، والدارمي (٢٣٠٦)، والبزار (٣/ ١٩٦)، وابن حبان (٩/ ٤٨٤)، والطحاوي في شرح المشكل (٦/ ٣٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٧٠)، وفي الشعب (٦/ ٨٨، ١١/ ١٦٤، ١٣/ ٣٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٣٨).

ثلاث أو أربع، فإن عليه أن يقسم بينهن لكل واحدة ليلة.

• وكذلك أن يعدل بينهن في نفقته، فإذا أعطى هذه، أعطى الأخرى، وأعطى الثالثة، وهكذا، والعدل في القسم بين الزوجات واجب في المبيت، وكذلك في النفقة، فليس له أن يمنح امرأة فوق العادة بما لم يمنح به المرأة الأخرى، وهذا من الظلم، وقد جاء في الحديث الصحيح: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ**»(١)؛ لأنه ظلم ومن ظلم، عُوقب.

نسأل الله ﷻ لنا ولكم العافية من الظلم ومن أسبابه، وأن يمن علينا بالعدل في أنفسنا وفي أهلينا وفي ما ولينا.

أسأل الله ﷻ أن يمن علينا بالتوبة من كل ذنب وبالاستغفار من الذنوب كلها، وأن يمن علينا بالاستقامة على أمره ﷻ راضية بذلك أنفسنا، اللَّهُمَّ، استجب، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، وابن ماجه (١٩٦٩)، والنسائي في الصغرى (٣٩٤٢)، وفي الكبرى (٨٨٣٩)، والدارمي (٢٢٥٢)، وأحمد (١٦/ ١٠٧)، والحاكم (٢/ ٢٠٣)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٨٥)، وفي الشعب (١١/ ١٦٠)، وفي الصغير (٣/ ٩٦)، وفي معرفة السنن (١٠/ ٢٧٩)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٧).

الخطبة الثانية:

الحمد له على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له؛ تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، هو الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى؛ فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم عند الله، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمركم بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته؛ ليدلكم على عظمته، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك ـ يا أرحم الراحمين ـ، وعن جميع الصحابة والآل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفقهم ـ اللَّهُمَّ ـ بتوفيقك، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين كل رأي باطل أو غلط أو مصلحته ليست للمسلمين، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عنا الربا، اللَّهُمَّ، ارفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح، ربنا، نشكو إليك قسوة قلوبنا، فألنها يا أجود الأجودين، اللَّهُمَّ، ألن قلوبنا لطاعتك، اللَّهُمَّ، اجعل قلوبنا خاشعة، ونعوذ بك أن تكون قاسية، اللَّهُمَّ، اجعل قلوبنا خاشعة، اللَّهُمَّ، نسألك قلبًا خاشعًا وعملًا صالحًا، ودعاء مسموعًا يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: خطر اللسان

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله الذي وفق عباده المؤمنين لابتغاء مرضاته في كل حال وفي كل أوان، وفقهم إلى أن يكونوا على وفق شرعه في حياتهم مهما اختلفت أحوالهم، الحمد لله الذي هدى عباده لأن يكونوا عبيدًا له بالاختيار، الحمد لله الذي وفق عباده المؤمنين لأن تكون قلوبهم معمورة بمحبة الله ومحبة دينه وشرعه، ومحبة أهل طاعته، ووفق ألسنتهم، فكانت ناطقة بالحق، بعيدة عن الردى، قريبة مما يحب ويرضى، بعيدة عن كل قول فيه فُحش أو فيه مدخل من مداخل الشيطان، الحمد لله الذي وفق جوارح وأركان عباد الله المؤمنين حتى جعلوها سائرة في مراد الله، سائرة فيما يحب الله، فخطواتهم لله، وحركاتهم لله، وعباداتهم لله، نهارهم وليلهم لله، فكانوا أولياء لله حقًّا بما اتبعوا من سُنَّة النبي ﷺ. وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد كفاء ما أرشد وعلم وجاهد، وكفاء ما تركنا على المحجة البيضاء، التي ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك، وصلى الله على الآل والصحب أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن اللسان جعله الله ﷻ في الإنسان لأغراض عظيمة، جعله لكي يكون عضوًا مسبحًا لله، حامدًا لله، ذاكرًا لله، شاكرًا لله، مثنيًا على الله، داعيًا الله ﷻ، فيتقلب اللسان بذلك في أنواع من العبودية.

ثم إن الله ﷻ شرفَ ابن آدم بأن جعله يتكلم بلسان فصيح، وقد كرمه بذلك بما ليس في أكثر المخلوقات، ولهذا فإن اللسان ـ لعظم شأنه، ولعظم خطره ـ جعل الله ﷻ لعباداته الأجور العظيمة، جعل الله ﷻ للسان فيما يتعبد به الله جعل أجرًا عظيمًا جزيلًا، اسمع ـ مثلًا ـ لقول النبي ﷺ، فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عبد الرحمٰن بن صخر رضي الله عنه؛ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»**(١)، وثبت في الصحيح؛ أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»**(٢)، فاللسان على صغر حجمه، وعلى سهولة العبادات التي يقوم بها، لكن أكثر الخلق غفلوا عن ذلك، وإنما وفق إلى أن يقيم اللسان على ما يحب الله ويرضى، وفق إلى ذلك أهل طاعة الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فها هنا - **أيها المؤمنون** - صورتان متضادتان لصنفين من الخلق:

● صنف من الخلق يطلق لسانه في كل ما يشتهي، يطلق لسانه غير متحر لما يحب الله ويرضى، غير ناظر في أنه سيقدم على ربه، فيحاسبه على الصغير قبل الكبير: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ومنهم من لا يحسب للسان حسابًا، إنما هو يُطلق لسانه كما يحب.

● وأما الذين وفقهم الله، فهم متحرون فيما ينطقون، يتحرون إذا نطقوا ما يحب الله، يتحرون إذا سكتوا ما يحب الله ﷻ.

فهاتان صورتان متضادتان لصنفين من الخلق في اللسان، بل لصنفين من المؤمنين في اللسان، منهم من لا يرعى للسان شأنًا، وكأن الأمر وكأن اللسان ليس له ذنب، وقد قال ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(١).

فالصورة الأولى: صورة المؤمن الذي علم خطر اللسان، فتراه يتحرى إذا نطق، يفكر قبل أن يتكلم: هل قوله هذا مما يحبه الله ويرضى، أم ليس كذلك؟ إذا تكلم في أمره، تكلم بعلم مستحضرًا قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، وإذا نظر إلى نفسه، وجد أنه بحاجة إلى أن تُمحَى خطاياه - وما أكثر الخطايا! -، وإلى أن تكثر حسناته - وما أحوجه إلى ذلك! -، فعمر لسانه بما يحب الله ويرضى، مبتعدًا عما يدرج بين الخلق من الكلام الذي يأنس إليه الخلق.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ.

والصورة الأخرى: صورة مضادة لهذا المؤمن، الذي حصن لسانه، صورة رجل ـ وإن كان من أهل الإسلام ـ لكنه على خلاف ذلك، يطلق لسانه في الغيبة والنميمة، يطلق لسانه في الكذب، يطلق لسانه في التكلم بما لا يعلم، يطلق لسانه في التكلم بغير العدل والحق والهدى، وإنما هو على وفق ما يشتهي، وعلى وفق ما يرضى لنفسه، دون نظر إلى ما يحب الله ويرضى.

فإذا نظرت إلى لسانه، وجدته قد عمَّره بالكذب، قد عمَّره بالغيبة، قد عمَّره بالسباب والشتم، وهذا من الذين خبثت ألسنتهم، والله ﷻ جعل اللسان صغير الجِرم، لكن جُرمه، ولكن خطيئته كبيرة، والله ﷻ يحاسب الناس يوم القيامة، بل ويكبهم في النار بما جنته حصائد ألسنتهم؛ كما قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**كفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، قلت: يا نَبِيَّ الله؛ وإنّا لَمُؤاخَذون بما نَتَكَلَّم به؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ** ـ أَوْ قَالَ: **عَلَى مَنَاخِرِهِمْ ـ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

فهذا الصنف، وهذه الصورة لأناس لم يرعوا للسان حرمة، وإنما أطلقوه في كل شيء، والله ﷻ جعل كل النجوى ـ إلا ما استثنى ـ مما لا خير فيه، فقال ﷻ: ﴿**لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾**﴾ [النساء: ١١٤]، إنها صورة للمؤمن المتقي الذي يخشى لقاء الله، يخشى ما يدخر له، يخشى أن يحاسب على هذا اللسان؛ حيث يقول كلامًا لم يتحرَ حقيقته، حيث إنه يتكلم بكلام كذب، يعلم كذبه،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩).

يتكلم بكلام فيه إيذاء لإخوانه المؤمنين، فيه إيذاء لصفوة المؤمنين، فيه إيذاء لعباد الله الصالحين، يتكلم بكلام لا يرعى حرمة لعلماء المسلمين ولا لعامتهم، فهو ينثر الكلام يمنة ويسرى، ولا يخشى لقاء الله.

وصورة للذي يخشى لقاء الله، إنه الذي يظن أنه سيلقى الله، فيتحرى حيث نطق أن لا يكون من أهل الصورة المشينة، من أهل صورة الذين خبثت ألسنتهم بما نال قلوبهم من الخبث؛ لأن الخبث درجات، والألسنة مغارف للقلوب.

لهذا إنه مما يتأكد على المؤمن أن يحرص أتم الحرص أن يكون عف اللسان طاهر اللسان، ساعيًا في أن يعمره بالذكر والتسبيح والتهليل وقراءة القرآن، وأن يبتعد عن ما يسبب له مخالفة للسُّنَّة ونزغًا من نزغات الشياطين، أو ما يخالف عبادات القلب من المحبة لمن أمر الله ﷻ بمحبتهم، ومن الموالاة لمن أمر الله ﷻ بموالاتهم. إن الله ﷻ جعل الموالاة ـ التي هي المحبة والنصرة ـ لكل المؤمنين بعامة، وإن المؤمن تعظم موالاته إذا كان على الصواب، وتقل موالاته إذا كان على الخطأ.

فتجد المؤمن يخشى أن يدور لسانه في الدوائر، فتجده يحصن لسانه، وينظر إلى لقاء الله، فيحبس لسانه عن التكلم فيما لا ينفعه في آخرته، فتجده إذا نطق، نطق بالحكمة، وإذا نطق، نطق بالعدل، وإذا تكلم، تكلم بما يقرب بين القلوب، ويصلح الناس، ويدني المؤمنين بعضهم مع بعض، وتجده يأنف من كلام يفرق المؤمنين، أو كلام لا يعود صالحه إلى المؤمنين بعامة.

أيها المؤمنون، إن هاتين الصورتين المتضادتين إذا عُلمتا، كان عليك أن تسعى إلى أن تكون من أهل الصنف الطاهر، الذي عف لسانه، فعف كلامه، فعمره بما يحب الله ويرضى من تسبيحه، ومن تلاوة كتابه،

ومن اللُّجْءِ إليه، ومن الدعاء إليه بما ينفعه وينفع المؤمنين في الدنيا والأخرى، ويأنف المؤمن أن يكون من أهل الصورة القبيحة، التي أهلها يطلقون لسانهم في كل شيء وفي كل حديث.

إن الأمر - **أيها المؤمن** - أمر اللسان أمر خطير؛ ولهذا جعل الله ﷻ عبادات اللسان جعلها عظيمة الأجور، وجعل جرم الإنسان، وجعل خطيئة اللسان، وتكلم الإنسان بلسانه بما لا يعلم، وبالقول على الله بلا علم، وبإطلاقه فيما اشتهى دون رعاية لما يحب الله ويرضى، جعل ذلك مما لا تحمد عقباه له؛ لأن الله يحب أن يكون المؤمنون فيما بينهم إخوة متحابين، وأن يكون المؤمنون فيما بينهم على وفق سُنَّة المصطفى ﷺ، ولا يحب الله الجهر بالسوء من القول، لا يحب الله ﷻ أن يتكلم الإنسان بما لا يعلمه أنه يكون له به المصلحة، وما أحق الأشياء بطول الحزن وطول الصمت؟ إن ذلكم هو اللسان.

ولهذا - **أيها المؤمنون** - لهذا ننبه إلى هذا الأمر؛ نصيحةً للمسلمين، ورغبة في أن نكون ممن عفت ألسنتهم في كل حال، وكانوا متقربين بألسنتهم إلى الله في السر والعلن، لاهجين بالثناء على الله، لاهجين بالتضرع إلى الله، لاهجين بما يحب الله ويرضى من تحميده وتنزيه، ومما يكون من القول فيه الإنابة إليه، وفيه الدعاء بإصلاح حال المسلمين وائتلاف قلوبهم، وإطفاء الشر بينهم وفيهم.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل طاعته، وممن عفت جوارحهم، وصلحت قلوبهم، وصلحت ألسنتهم، فكانوا على ما يحب الله ويرضى، وأسأله ﷻ أن يوفق المؤمنين بعامة إلى إتباع سُنَّة المصطفى ﷺ، وأن يكونوا متحرين لما أمر به ﷺ ولما نهى عنه، فيكونون حقيقين بأن يكونوا من الذين تولوا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ

ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦]، إن حزب الله هم الذين وافقوا شرع الله، ووافقوا الكتاب والسُّنَّة، ووافقوا علماء الإسلام بما أبدوه من الكلام بأدلته الشرعية فيما يتكلمون فيه: في بيان ما يحل من الأمور وما يحرم من الأمور، في بيان ما يحل من المعاملات وما يحرم، في بيان ما يحل من التعامل وما يحرم، في بيان ما يصلح وما لا يصلح؛ لأن سُنَّة المصطفى ﷺ هي الغاية، وإن المؤمن إذا اشتبهت عليه الأمور، فليمسك عليه لسانه؛ فإن أمر اللسان عظيم.

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من الذين جعلوا ألسنتهم على الحق والهدى، وجوارحهم في العبادة التي يحب ويرضى، وقلوبهم في الإنابة إليه، والخضوع له، والتوكل عليه، وحسن الظن به، وحسن الظن بالمؤمنين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وبيَّن لنا المحجة السالكة التي من سلكها نجا، ومن تخلف عنها غرق وضل، أسأل الله ﷻ أن يمُنَّ علينا باتباع نبيِّه

العظيم، وأن يمُنَّ علينا بالاستقامة على اتباعه حتى الممات. أسأل الله ﷻ أن يجنبنا مساخطه، وأن يجنبنا ما لا يحب ولا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، صلى الله على نبينا محمد وعلى أتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى؛ فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم عند الله، فاتقوا الله تحقيقًا، اتقوا الله في أموركم، اتقوا الله في قلوبكم، اتقوا الله في ألسنتكم، اتقوا الله في أيديكم، واتقوا الله في أرجلكم وجميع جوارحكم، بالتزامكم في كل ذلك بما يحب الله ويرضاه من الأقوال والأعمال.

هذا واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله ﷻ يحب المصلين على نبيه ﷺ، وقد أمر بذلك في محكم كتابه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تؤمننا في دورنا، اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا اللَّهُمَّ فيمن أطاعك واتقاك، وحكم بشرعك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن لا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا، ربنا، إنك رؤوف رحيم.

اللَّهُمَّ، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ، جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المسلمين بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن لا تميتنا إلا وقد وفقتنا لكمال اتباع سُنَّة نبيك يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح بها ترضى عنا، اللَّهُمَّ، وفقنا لتوبة نصوح قبل الممات بها ترضى عنا، وبها نزدلف إلى مدارك رضاك، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، أصلحنا جميعًا، رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، علماءً وولاة، يا أكرم الأكرمين.

نسألك اللَّهُمَّ، نسألك اللَّهُمَّ بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، وباسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سُئلت به أعطيت، نسألك أن تجعل أمورنا جميعًا على ما تحب وترضى، اللَّهُمَّ، اجعل أمورنا جميعًا على ما تحب وترضى، ووفقنا ـ اللَّهُمَّ ـ جميعًا، وفقنا ـ اللَّهُمَّ ـ جميعًا إلى ما فيه رضاك، ولا تخذلنا، اللَّهُمَّ، لا حول لنا ولا قوة إلا بك؛ فنسألك أن تقيمنا على الحق، وأن تجنبنا كل قول وعمل لا تحبه ولا ترضاه، يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: مسؤولية الكلمة في الإسلام

الخطبة الأولى:

الحمد لله، هو الرحمٰن ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ٣، ٤]، هو ذو النعم العظيمة، التي لا يحصيها محصي، ولا يعدها عاد: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، الحمد لله الذي له على عباده أعظم الفضل وأكثر الفضل وأجزل الفضل، فلا نعمة على الحقيقة إلا من الله، ولا فضل إلا من الله، فله ﷻ الحمد كله، وعليه ﷻ الثناء كله، له الحمد في الأولى والآخرة، وعليه الثناء ﷻ بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، التي بها أحبه المحبون من عباده، ولها ذل المتذللون من عباده، وبها تقرب المتقربون من عباده إليه، خافوه، ورجوه، ورهبوا منه، ورغبوا إليه، وتوكلوا عليه، وفوضوا أمرهم إليه؛ وذلك لما شهدوا من آثار أسمائه ﷻ وصفاته، فالحمد لله حق الحمد وأجزله وأعلاه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، لقد بشَّر، ولقد أنذر، لقد بشَّر بالجنة، فطوبى لمن قبل البشارة، فسار إلى الجنة متابعًا لرسول الله ﷺ، ولقد أنذر، فطوبى لمن تباعد بنفسه وبأهله وبمن حوله عن النار التي أنذر منها رسول الله ﷺ، اللَّهُمَّ، صلِّ على نبينا محمد كفاء ما ارشد، وكفاء ما علَّم، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ جعل اللسان نعمة على العباد، جعل اللسان نعمة على ابن آدم؛ به يتكلم، به يقضي أمره، به يُبين به عما في نفسه، فحوائجه صلحت باللسان، بلسانه أثنى على الله، بلسانه دعا إلى الله، بلسانه ارتفع مقامه ـ إن وفقه الله ـ، بلسانه زلت قدمه، وزل في النار ـ والعياذ بالله ـ؛ فاللسان صغير الجِرم، لكنه كبير الجُرم إن كان ذا جُرم، وكبير الرفعة والمنزلة إن كان ممن نطق بالحق وللحق، فالله ﷻ أنعم على الإنسان بنعمة اللسان، قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الرحمن: ١]، فأثنى على نفسه بأنه ذو الرحمة، وبيَّن ﷻ بأنه: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ٣، ٤]؛ وذلك لأن نعمة البيان عن ما في النفس نعمة عظيمة جزيلة.

أيها المؤمنون، لقد جاء في الكتاب والسُّنَّة، جاء ما يبين أن للكلمة في الإسلام مسؤولية عظيمة، فالكلمة لها مسؤولية، الكلمة فيها مسؤولية، فليست الكلمة التي ينطق بها المؤمن إنما هي كلام يخرج ويرد ويسمع، ليس عليه مسؤولية فيه، بل إن للكلمة المسؤولية الكبرى، ألم ترَ أن بالكلمة رفع الله ﷻ أقوامًا في الجنة، ودحض وأنزل أقوامًا في النار؟

قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[١]، والحظ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

قوله ﷺ: «**لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا**»، وقد قال ﷻ في سورة النساء: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وبيَّن ﷻ أن كل كلمة، وكل قول يخرج من فيك - أيها الإنسان - له رقيب، قد أُعِدَّ لكتابته ولتدوينه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

إن الكلمة - **أيها المؤمن** - ليست حركة لسان فقط، بل إنها مورد رفعة أو مورد هلاك؛ ولهذا عظم الله ﷻ أمر اللسان وأمر الكلمة، وعظم ذلك رسول الله ﷺ، ألم تر أن بالكلمة دعا الأنبياء إلى ما دعوا إليه؟ وإنما استجاب من استجاب لهم من المؤمنين لما سمعوا كلامهم، ولما رأوا فعالهم، فبالكلمة اهتدى المهتدون، فحلت لما استجابوا لكلام الأنبياء، حلت منازلهم في الجنة في المقامات الرفيعة، وبالكلمة هوى الكفار لما تكلموا في الأنبياء، ولما تكلموا في دعاة الحق، هوت منازلهم في النار سبعين خريفًا، أو أكثر على ما قدر الله ﷻ عليهم.

إن بالكلمة يسعد الإنسان، وبالكلمة يشقى الإنسان؛ ولهذا إن للكلمة في تعامل الخلق مع الله ﷻ منزلة يجب التنبه عليها، والتنبه لها.

إن بالكلمة تقام الشهادة لله ﷻ، فالشهادة لله بالتوحيد إنما كانت بكلمة التوحيد: لا إلـه إلا الله. وإن الشهادة لرسول الله ﷺ بالرسالة إنما كانت بكلمة توحيد المتابعة، وتوحيد الرسالة الخاتمة: محمد رسول الله. وهكذا الدعوة، دعا إليها دعاة الحق بالكلمة، وهكذا تابع من تابع أهل الحق بالكلمة، وذلك لتعلم أن مسؤولية الكلمة مسؤولية عظيمة.

إن الكلمة بها يكون إصلاح المجتمعات، بل بها يكون إصلاح المرء لنفسه، وبها يكون إصلاح المرء لأهل بيته، وبها يكون إصلاح المرء لمن حوله. انظر - مثلًا - مسؤولية الكلمة فيما يتعاطاه المرء مع

ربه ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]، فالشهادة حق أن تقام لله ﷻ، فمن كتم الشهادة ـ وهي كلمة تقال ـ، كان آثمًا؛ لأن حق الله ﷻ أن يعدل بين الناس، ومن العدل أن لا تكتم الشهادة في الحق. انظر إلى ذلك الرجل الذي قام بين يدي سلطان جائر، فأمره ونهاه، فقتله، كم كانت منزلته بين الشهداء في الإسلام! قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ**»(١)؛ يعني: بين يديه.

إن بتلك الكلمة كان ذلك الرجل، كان ذلك الرجل سيد الشهداء، إن الكلمة منها شهادة بالحق للناس، الشهادة بالإنصاف والعدل الذي أمر الله ﷻ به في كتابه، بأن يعدل بين الناس، وأن يقال بالعدل، وأن يتكلم بالعدل، إن تلك الكلمة العظيمة إنما هي نطق لسان، فإذا فاتت المرء، فاته خير كثير، أو وقع في الإثم والعدوان، ونسأل الله ﷻ أن يجعلنا مِن المراقبين لكلامنا.

إننا في هذا الزمان ـ **أيها المؤمنون** ـ رأينا خللًا في الكلام الذي يتكلم به الناس، رأينا مدحًا لمن لا يستحق المدح فيما بين الناس، رأينا ذمًا لمن لا يستحق الذم فيما بين الناس، والله ﷻ أمر العباد بالقسط وبالعدل، وأن يقوموا بالعدل والقسط لله ﷻ: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، إن الشهادة بالحق بأن لا يقول المرء إلا ما يعلم أنه شهادة حق أو قولة حق، إن ذلك مما يميز أهل الإسلام، وعند ذلك يتداعى أولئك الذين يطلقون ألسنتهم في كل شيء، تراهم في جانب يمدحون بالباطل، يمدح صديقه بالباطل ليتقرب إليه،

---

(١) أخرجه البزار (١٠/ ٢٤١)، والحاكم (٢/ ١٣٠، ٣/ ٢١٥، ٢١٩)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٢٣٨)، وفي الكبير (٣/ ١٥١).

يمدح رئيسه بالباطل ليتقرب إليه، وإذا علم ممن ليس أهلًا أو ليس يرجو أن يتقرب إليه، علم عنده حق، وجدته كاتمًا للحق، باذلًا لسانه في ذم ذلك، رأيت الرجل منا، وربما رأيت المرأة منا، رأيتهم يخوضون في كلام يذمون ويمدحون، يغتابون وينمون، بل ربما رموا إخوانهم المؤمنين بأمور من الفسق والعدوان ـ والعياذ بالله ـ، وإذا تحققت الأمر منهم، لم تجد أنهم قد دققوا فيما قالوا، بل صاروا وفق الهوى، أو وفق الظن، والظن أكذب الحديث.

نرى في جهة أخرى نرى أن الكلمة التي فيها إصلاح، أن الكلمة التي فيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر على نطاق المؤسسات الحكومية في الوظائف، أو على نطاق الجامعات مثلًا بين الأساتذة، أو على نطاق الطلاب وبين المعلمين، إن الكلمة التي فيها إصلاح، وفيها تنبيه على الحق وإلى الحق، وفيها إبعاد عن الشر، نراها قد غابت، أو إنها قد قربت من الغياب، فأصبح الناس ـ والعياذ بالله ـ يجامل بعضهم بعضًا، ولا يرعى بعضهم حق بعض. إن من حق بعضنا علينا أن نبذل لهم الكلمة التي تشرق في لينتها، تشرق في تركيبها، قريبة من النفس، قريبة من قبولها، ولكنها تحمل في طياتها، تحمل الحق، تحمل النور، تحمل الهدى.

إننا ـ **أيها المؤمنون** ـ لا بد أن نرعى فيما بيننا مسؤولية الكلام الذي نتكلم به، إن أمة الإسلام ـ ولا شك ـ أمة مصلحة، أمة تسعى إلى الإصلاح، تسعى إلى النصيحة؛ فإن الدين النصيحة، وإن من موارد النصيحة والإصلاح الكلمة. فإن الكلمة شأنها عظيم، وقد ابتذلت، حتى عادت وصارت ـ والعياذ بالله ـ ليست مما أمر الله ﷻ به في شيء.

أيها المؤمنون، إننا إذا رأينا هذا الواقع الذي نعيشه، رأينا أنه

يجب علينا أن نصلح أنفسنا، ونصلح ما حولنا بتلمس العيوب، بتلمس النقص، وعندنا ـ والحمد لله ـ خير عظيم عظيم كثير، ولكن يجب علينا أن نصلح؛ فإن محبة المسلم لإخوانه المسلمين تأبى إلا وأن يكون جسد المسلمين بأجمعهم جسدًا صحيحًا معافى، ليست فيه علة، وليس فيه مرض، فإن كان ثم علة أو كان ثم مرض، سعى في الإصلاح، وإن الإصلاح ليكون بالكلمة، عند ذلك يجب علينا أن نتنبه لخطر اللسان، فباللسان ترتفع المقامات، بالكلمة ترتفع المقامات، ليس عند الخلق، ولكن عند الله ﷻ، فكم من أناس قد ارتفعت مقاماتهم في الجنة لكلمة قالوها! وكم من أناس قد هوت ـ والعياذ بالله ـ دركاتهم في النار لكلمة قالوها! فتنبهوا للسان، وإياكم والكذب فيه؛ فإن الكذب بالكلمة إنه مورد الهلاك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ**

حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»(١)، فقبل المقرض شهادة الله، قبل المقرض كفالة الله، قبل كلمة المؤمن الذي عنده الكلمة لها وزنها، فقد استشهد الله، وقد كفل الله، كفى بالله شهيدًا، وكفى بالله وكيلًا.

إن الكلمة ـ أيها المؤمنون ـ لها شأن عظيم، إن التساهل بها والتساهل فيها في إلقائها في الكلام، في التزكية، في الجرح، في الشهادة، في الثناء، في القول، في العهد، في الأخذ بالعقود، في الأخذ بالمواثيق. إن التساهل بذلك سمة هذا الزمن، نسأل الله أن يبصر المؤمنين بعيوبهم، وأن يأخذوا ألسنتهم وكلامهم بالحق وبقول الحق، وبمواثيق الله التي استوثقوا بها.

اللَّهُمَّ، طهر قلوبنا من النفاق والشقاق، ومن سوء الأخلاق، اللَّهُمَّ، اجعل كلامنا في رضاك، وقولنا في رضاك، اللَّهُمَّ، نعوذ بك من أن يزل بنا كلامنا إلى دركات في النار، ونسألك ـ وأنت أكرم مسؤول ـ أن تحمل كلامنا وألسنتنا حتى ترفعنا به درجات في جنات النعيم، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٣)، وعلقه البخاري عن الليث بن سعد برقم (١٤٩٨، ٢٢٩١، ٢٤٠٤، ٢٤٣٠، ٢٧٣٤، ٦٢٦١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق الحمد وأجزله، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم في الدنيا والأخرى، اتقوا الله في أقوالكم، اتقوا الله في ألفاظكم، في كلامكم، اتقوا الله في أعمالكم، اعلموا أن الله ﷻ مطلع عليكم، مطلع على كلامكم، مطلع على أعمالكم، يسمع ويعلم، فاتقوا الله حق التقوى، اتقوا الله حق التقوى، ولا تموتن إلا وقد حققتم إسلامكم حق التحقيق؛ فإن بذلك رفعتكم عند الله ﷻ.

واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته؛ ليكون أمرًا عظيمًا، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ

تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، يقول نبيكم ﷺ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»**[1]؛ يعني: من قال: اللَّهُمَّ، صل على محمد، صلى الله عليه، أثنى الله عليه بتلك الصلاة في الملأ الأعلى عشر مرات.

اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على نبينا محمد، اللَّهُمَّ، صل على محمد، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، اللَّهُمَّ، وانصر عبادك الموحدين في كل مكان، الذين يجاهدون لرفع لا إلـٰه إلا الله، محمد رسول الله. اللَّهُمَّ، أيدهم بتأييدك، وانصرهم بنصرك، وأعزهم بعزتك؛ فإنك أنت القوي العزيز.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أمنًا وأمانًا في أوطاننا، اللَّهُمَّ، أصلح ولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، ووفقهم ـ اللَّهُمَّ ـ بتوفيقك، واحملهم على الحق يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أمنًا وأمانًا في أوطاننا، ونسألك صلاحًا في ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، دلهم على الرشاد، اللَّهُمَّ، مُنَّ عليهم بالمستشارين الصالحين الذين يذكرونهم إذا نسوا، ويعينونهم إذا ذكروا، يحببون إليهم الخير، ويدلونهم على ما فيه الخير للإسلام والمسلمين، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، وارفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنه

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك صلاحًا في قلوبنا، اللَّهُمَّ، أصلح قلوبنا جميعًا، ووفقنا ـ يا ربنا ـ لتوبة نصوح، نسألك أن توفقنا لتوبة نصوح قبل الممات، اللَّهُمَّ، رحمة تهدي بها قلوبنا، وتصلح بها أمرنا، وتقيم بها جوارحنا، اللَّهُمَّ، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، توفنا ـ اللَّهُمَّ ـ، وأنت راض عنا.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم بألسنتكم وأعمالكم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: صلاح القلب

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن من أعظم ما يحرص المؤمن عليه، ويسعى في تخليصه مما يضره أن يحرص على قلبه؛ لأن القلب هو مكان الإيمان، لأن القلب هو مستقر الروح، التي من زكاها، فقد زكى نفسه، وحظي بالثواب ـ إن شاء الله ـ، ومن دسَّى نفسه وروحه بأن لم يصلح قلبه، فهو على خطر عظيم؛ لهذا قال الله ﷻ لنا في وصف يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، فجعل الذي ينفع هو الذي أتى الله ﷻ في ذلك اليوم الحتمي، الذي لا مناص منه ولا مفر، الذي ينفع هو الذي أتى الله بقلب سليم.

قال العلماء: سليم؛ أي: سلم من الشهوات وحبها، وسلم من

الشبهات وغشيان القلب لها[١].

ولهذا أيضًا قال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، عن النعمان بن بشير ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «... **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[٢].

فالقلب إذا صلح، صلح بذلك الجسد، وصلحت بذلك الروح، وصلح بذلك العمل؛ ولهذا ربنا ﷻ لا ينظر منا إلى الأجسام والصور، ولكن ينظر منا إلى القلوب والأعمال، قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»، رواه مسلم في الصحيح[٣]. وبالتالي، فليس الذي يقرب إلى الله ﷻ الأجسام، ولا الجاه، ولا الصور، ولا الأموال: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

أيها المؤمنون، إن الاهتمام بالقلب والاهتمام بصلاحه، وأن يكون القلب سليمًا غير مريض ولا عليل، وبالأحرى أن لا يكون ميتًا. إن الاهتمام بذلك من أجلِّ المطالب التي سعى إليها الصالحون، بل وحث على ذلك ربنا ﷻ فيما سمعنا من القرآن، وحث على ذلك نبينا ﷺ. وإن الاهتمام بصلاح القلب هو الاهتمام على الحقيقة بما به فوزنا، وبما به النجاة، وبما به السعادة.

الموت حتمي آت لا مفر منه، والأرواح ستبقى إلى قيام الساعة مع

---

(١) انظر: الروح لابن القيم رحمه الله (١/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الأجساد، إما في نعيم وإما في عذاب، وبعد ذلك يكون يوم الحشر الأعظم يوم القيامة الكبرى، الذي يكون الناس فيه على فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، قد أفلح في ذلك اليوم من زكّى قلبه ونفسه، وقد خاب وخسر من دسّى قلبه ونفسه.

أيها المؤمن، إن هذا الأمر جد خطير، وهو القضية العظمى، وهو النبأ العظيم، ولكن الناس عنه معرضون: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: ٦٧، ٦٨]، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ: ١، ٢].

إن من النبأ العظيم نبأ القيامة، وما يحصل فيها، ومن الذي سينجو، ومن الذي سيكون أبد الدهر من الخاسرين في عذاب الله ـ الذي لا انقطاع له، ولا أمد له ينتهي ـ؛ كحال الكفار، والعياذ بالله.

إن الاهتمام بالقلب فريضة من الفرائض، وإن سعي المؤمن في إصلاح قلبه، وإصلاح قلب أهله، وإصلاح قلب إخوانه، وإصلاح قلب من حوله، بأن يكون القلب سليمًا، معظمًا لله، معظمًا لحدوده، ليس فيه مرض، أو الصحة غالبة فيه على المرض. إن السعي في ذلك أمر من أجل المطالب، ومن أهم المهمات.

وإن لما يصلح القلب أسبابًا، إن من أسباب إصلاح القلب أمورًا إذا عرفتها وعملت بها، كنا على خير، بها نرجو أن ننجو وننجي من أسمعناه ذلك، فاسمع تلك الأمور بحسب ما جاء في الكتاب وفي السُّنَّة المطهرة.

إن أعظم صلاح القلب بأن يوطن المرء نفسه على الإخلاص لله ﷻ في كل أعماله، إذا عمل عمل لله، استحضر قبل ذلك ربوبية الله ﷻ على خلقه، وأنه ﷻ هو ذو الملكوت، هو الذي يمسك الأرض المعلقة

في الهواء بلا عمد، هو الذي يمسكها أن تزول، وهو الذي يمسك السماوات أن تزول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

هو الذي سبح له كل شيء، وهو الذي سبح له الملائكة المقربون، وسبح له الجبال والأشجار، كل المخلوقات توجهت إلى الله بالإخلاص، فلتنظروا إلى ذلك وإلى ربوبية الله، وإلى ملكوته الأعظم، وإلى عجيب صنعته في الأفاق وفي أنفسكم، فتعلموا أنه هو المستحق لأن يكون القلب له وحده دونما سواه.

فإذا كان القلب مخلصًا لله، صلح القلب، وسعى في أعظم أسباب صلاحه، بأن يكون العمل لله، وأن يكون الترك لله، وأن يكون القول لله، وأن يكون التصرف لله، يهجر نفسه في مرضاة الله، ويبتغي وهو ينظر إلى بصر الله ﷻ إليه، وإلى أن الله ﷻ هو الرقيب عليه.

إن السعي في الإخلاص وتعويد النفس أن تخلص العمل كله في الأقوال والأعمال، إن ذلك سبب لأن يكون القلب قلبًا سليمًا، قلبًا صحيحًا غير مريض ولا عليل. وبالتالي، فإذا رأيت من يعمل لغير الله، ويتكلم للدنيا، ويسعى للجاه والسمعة والمال مما أحل الله ومما حرم، دون أن يكون ساعيًا في الإخلاص، موطنًا قلبه على ذلك، فليعلم من نفسه أن قلبه فيه من المرض بقدر ما فاته من الإخلاص. فكيف بحال الذين كلامهم للدنيا، وعملهم للدنيا، وصلتهم للدنيا، وتحركهم للدنيا؟ أين الإخلاص في قلوبهم لله تبارك وتعالى؟ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التوبة: ٩٤].

أيها المؤمن، إن من أسباب صلاح القلب وأسباب سلامته أن يكون القلب معلقًا بفرائض الله، لا يستريح حتى يؤدي ما أوجب الله عليه.

وإذا نظرت إلى الفرائض، فإنها سهلة ميسورة، ولكن الله ابتلى العباد بذلك، هي خمس في الصلوات، وصيام شهر، وزكاة مال، وحج بيت الله، وغير ذلك من الواجبات. من أتى بالفرائض، وانتهى عن المحرمات، فإنه سعى في إصلاح قلبه، والصلاة إذا أديت بالخشوع الذي أمر الله به، وبالطمأنينة التي أمر الرسول ﷺ بها، فإنها من أسباب صلاح القلب.

وإن من أسباب صلاح قلبك الذي بين جنبيك ـ الذي إن صلح صلحت، وإن فسد فسدت، وكانت العاقبة غير حميدة ـ أن يكون قلبك معلقًا بالقرآن.

قال بعض السلف: إذا أردت أن تعلم هل أنت محب لله، أم غير محب، أم في محبتك شوب شائبة، فانظر وتأمل في محبتك للقرآن؛ لأن القرآن كلامه، هو صفته ﷻ التي بين أيدينا، فمن علم من نفسه محبة للقرآن، وأنسًا بالقرآن، وشغفًا للقرآن، لا يصبر عن القرآن حتى يتلوه، فإنه محب لله(١)، وإن قلبه قلب صالح على رجاء أن يكون قلبًا سليمًا.

إن قراءة القرآن وتلاوته والأنس به علامة من علامات صلاح القلب، فهيا إلى روضات القرآن؛ فإن بقراءة القرآن صلاح القلب وسلامته من الآفات.

ثم إن من أسباب صلاح القلب أن يكون العبد دائم الذكر لله،

---

(١) كما قال سهل بن عبد الله التستري: (عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ الْقُرْآنِ، وَعَلَامَةُ حُبِّ الْقُرْآنِ حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَامَةُ حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ حُبُّ السُّنَّةِ، وَعَلَامَةُ حُبِّ اللهِ وَحُبِّ الْقُرْآنِ وحب النبي وَحُبِّ السُّنَّةِ حُبُّ الْآخِرَةِ، وَعَلَامَةُ حُبِّ الْآخِرَةِ أن يحب نَفْسَهُ، وَعَلَامَةُ حُبِّ نَفْسِهِ أَنْ يُبْغِضَ الدُّنْيَا، وَعَلَامَةُ بُغْضِ الدُّنْيَا أَلَّا يَأْخُذَ مِنْهَا إِلَّا الزَّادَ وَالْبُلْغَةَ).
انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٦٠)، واللباب في علوم الكتاب (٥/ ١٥٨).

لسانه لهج رطب بذكر الله؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ؛ «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**»(١)، وهي وصية عظيمة؛ لأن اللسان يغرف من القلب، فما تحرك به القلب، غرفه اللسان وأظهره، فإذا نطق اللسان بذكر الله، كان القلب معمورًا بذكر الله، والذكر المراد هو ما يوافق فيه القلب اللسان، ليس ذكر اللسان فحسب، بل هو ذكر اللسان الذي غرف هذا الذكر والتعظيم من القلب، الذي عمر بمحبة الله وإجلال المولى وتعظيم الحق تبارك وتعالى.

إن الذكر أمره عظيم جدًّا؛ ولهذا أثنى الله على الذاكرين، وأمر بالذكر، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الأحزاب: ٣٥]. إن هذا من أسباب صلاح القلب، نعم، من الناس من يذكر الله، لكن لا يتأمل هذا الذكر الذي يذكر الله به ما معناه. وكيف يُعَظِّم الله بهذا الذكر؟ ذكر للسان وحركة ربما للأصابع والقلب مشغول بالدنيا، وهذا ناقص وخداج خداج، بل الكمال أن يكون القلب مواطئا للسان، وبذلك يصلح القلب.

إن من أسباب صلاح قلبك - **أيها المؤمن** - أن تكون كثير الاستغفار لله، إن أصول دعوة الرسل التي اجتمع عليها المرسلون جميعًا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد في المسند (٤/ ١٨٨، ١٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٨)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٢)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١١٨)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٧١)، وابن المنذر في الأوسط (١/ ٣٤٠) من حديث عبد الله بن بسر ﷺ.

من أولهم إلى آخرهم أن يدعوا إلى توحيد الله، وإلى تقوى الله، وثالثًا وآخرًا إلى استغفار الله والتوبة من الذنوب، قالها أول الرسل نوح؛ حيث قال الله ﷻ عنه أنه قال لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، وقالها آخر الرسل محمد ﷺ لقومه: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ① أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ② وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ١ ـ ٣].

إن المؤمن الذي يسعى في إصلاح قلبه يرى أن لله ﷻ عليه في كل حركة وفي كل لحظة أن لله عليه في ذلك أمرًا ونهيًا، يجب عليه أن يمتثل للأوامر، وأن ينتهي عن النواهي، وكيف يحصل المرء ذلك؟ لا بد من أن يغان على القلب، وأن يكون في المرء غفلة، وإن الله ﷻ غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا، ثم اهتدى. فما ثم إذًا على الحقيقة إلا استغفار المولى ﷻ. ثبت في الصحيح «صحيح مسلم»؛ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(١)؛ يعني: يعرض له السهو، ويعرض له ما يعرض للبشر، فإنه ﷺ لتعظيمه حق الله يستغفر الله في اليوم سبعين مرة. ومن أصحاب القلوب المريضة من إذا استغفروا، نظروا، فتحاقروا ذنوبهم، وهي كالجبال عظمة، يتحاقرونها، ولا ينظرون إلى عظم الذنب، ولا إلى عظم من عصوا؛ ولهذا تكون القلوب مريضة كحال قلوب أكثر الخلق في هذا الزمان، بل وأكثر المسلمين، وقليل من يشعر بمرض قلبه.

إننا بحاجة ـ **أيها المؤمنون** ـ إلى تعظيم الله، إلى كثرة الاستغفار، وأن ننظر إلى حقارة شأننا وعظم الله الذي بيده السماوات وبيده الأرض، والذي خلق فبرى، وله الحكمة العظيمة البالغة، وإليه ترجعون.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

إننا بحاجة إلى تعظيم الله، ثم إلى الاستغفار من الذنوب ومن عدم قدر الله ﷻ حق قدره، وإنه ليغان على قلوبنا، فلنكثر من الاستغفار؛ إن الاستغفار جلاء للقلوب وماسح للذنوب، فهيا إلى روضاته.

أيها المؤمن، إن من أسباب صلاح قلبك ألا تغشى ما يجعل القلب مريضًا، وإن مما يجعل القلب مريضًا سماع المعازف، إن مما يجعل القلب مريضًا سماع الأغاني والمعازف، إنها تفسد القلب، وتجعل القلب لا يحب القرآن، ولا يأنس له.

حب الكتاب وحب ألحان الغنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان(١)

هل رأيتم من يسمع الأغاني والمعازف، ويستمع لها بكثرة، ويلذ ويطرى إذا سمع القرآن، بكى من خشية الله؟ وإذا سمع القرآن، أنس له، وأقبل على تلاوته؟ إن أحدهما يطرد الآخر، والمرء فيما غلب في قلبه منهما. إن سماع المعازف محرم شرعًا، وقد قال ﷺ - فيما ثبت في صحيح البخاري معلقًا -، قال ﷺ: **«لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ»**(٢)، دل ذلك على أنها محرمة - وهذا واقع صحيح -، وإنها تفسد القلب، وإنها تنبت النفاق في القلب، وهذا مشاهد، ولكن لا يدركه إلا من كان قلبه مقبلًا على الله ﷻ غير محب لزخرف الدنيا وزينتها.

أيها المؤمن، إن من أسباب صلاح قلبك غض البصر عن المحرمات، غض البصر عن أن ترى النساء العاريات أو شبه العاريات الكاسيات المائلات المميلات، فإنهن من أصناف أهل النار. وإن من آنس من قلبه محبة لذلك، فإنه يسعى في فساد قلبه إلا أن يراجع ويتوب:

---

(١) انظر: نونية ابن القيم رحمه الله مع شرحها لابن عيسى (١/ ٣٢٦).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا (٥٥٩٠).

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

إن البصر بريد القلب، فإذا تأمل المرء ما لا يحل له من النظر، فإن ذلك يجعل القلب معلقًا بهذه الشهوات، والقلب السليم هو الذي تخلص من الشهوات ومن الشبهات، وهذا هو الذي ينفع صاحبه. فحذار حذار من أن يكون القلب مريضًا، وأن تأنس بمرضه أو بعلته، حتى يفجأك الموت، وما ثم بعد الموت إلا دار لا انقضاء لها، ولا تقطع، إما جنة وإما نار.

أسأل الله ﷻ أن يجعل قلوبنا يقظة حذرة ساعية فيما فيه مصلحتها في آخرتها. إن هذه الدنيا دار زائلة، والآخرة دار باقية، وقد ارتحلت إليكم الآخرة مقبلة، وارتحلت عنكم الدنيا مدبرة، فخذوا لآخرتكم من دنياكم، ولا تعظموا الدنيا؛ فإن ذلك من تسويل الشيطان: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

أسأل الله ﷻ أن ينور قلوبنا، وأن يعيننا على إصلاح قلوبنا، وإصلاح قلوب أهلينا، وإصلاح قلوب من نحب؛ إنه ولي ذلك، وهو أكرم مسؤول.

واسمعوا العظة البالغة والسورة العظيمة، التي وإن كررت، فإنها أعظم عظة، ولو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة، لكفتهم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي

ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار. هذا واعلموا أن الله ﷻ حثنا، وأمرنا بالصلاة على نبيه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعن سائر صحب نبيك وأمهات المؤمنين، وعن الآل أجمعين، وعن من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل الكفر والبغي والفساد، يا مجيب السائلين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تصلح قلوبنا وقلوبهم، اللَّهُمَّ، أصلح قلوبنا جميعًا، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، ونعوذ بك من التعاون على الإثم والعدوان، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن هذه البلاد خاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، وأنت أجود الأجودين وأرحم الراحمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: حقيقة الابتلاء

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه ومجتباه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، عظموا أمر الله، عظموا نهي الله باستجابتكم لأوامر الله وبالبعد عن مناهي الله، فبذلكم تكون التقوى.

أيها المؤمنون، إن الله ﷻ بيده ملكوت السماوات والأرض، فله الملك كله، يقدر ما يشاء على عباده، فيفيض عليهم الخيرات، ويمنع عنهم المسرات، يفيض تارة، ويمنع تارة، يبسط الرزق لمن يشاء، ويقدر على آخرين أن يضيق، وهذا ابتلاء من الله ﷻ.

وفي ذلك الابتلاء حكم عُليا جليلة، يجب على المؤمنين أن يرعوها، وأن يتعلموا ويعلموا الأصول الشرعية التي جاءت في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، التي تبين حقيقة الابتلاء والقصد منه؛ كما

أخبر الله ﷻ بذلك في قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فأخبر ﷻ أنه يبلو الناس بالشر تارة، وبالخير تارة، وكل ذلك فتنة. يكون فتنة لمن أصابه الخير والسراء، ويكون فتنة لمن أصابه السوء والضراء، وكل ذلك داخل في ابتلاء الله - أي: في اختبار الله للناس -، وعلى هذا فالناس - أفرادًا وجماعات - تارة يبتلون بالخير، وتارة يبتلون بالمصائب، وكل ذلك موافق لحكمة الله ﷻ، فهو الذي يقدر ما يشاء، ويقضي بما يشاء، له الملك، وله الحكم كله، كل ما يجري في ملكوته بدون استثناء، فإنما هو صادر عن أمره، موافق لحكمته، موافق لمشيئته ﷻ. ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

فطائفة من الناس يفيض الله ﷻ عليهم الخيرات والنعم والمسرات. والقرآن العظيم وسُنَّة النبي ﷺ يبينان لنا أن ذلك له حكمة؛ كما قال ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

فمن أفيضت عليه المسرات والخيرات، وأجزلت له النعم، وأفيض عليه ما يسره، يجب عليه أن يقف وقفةً متأملًا متدبرًا في هذه النعم التي سيقت له، فينظر أولًا: هل حاله حال المستقيمين؟ هل حاله حال الذين استقاموا على الطريقة؟ هل حاله حال المؤمنين بالله، الذين استجابوا لله، فامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه؟ فإن كانت حاله تلك من الاستقامة والإيمان والصلاح، وأنعم الله عليه من الخير، فليعلم أن ما أعطاه الله ﷻ له ليبلوه، وليفتنه: هل يشكر تلك النعم، أم لا يشكرها؟

فإن من الناس من كانت أحوالهم مستقيمة، فلما أفيض عليهم المال، وكملت لهم النعم، انحرفوا، وضلوا، ولم يشكروا الله على نعمه الجزيلة، وعلى ما وسع وأفاض من الخيرات.

فمن كان مستقيمًا، وكانت حاله في رغد من العيش، وسلامة

وصحة وأمن ونحو ذلك، فليعلم أن ذلك اختبار من الله، هل يشكر أم يكفر؟ كما أخبر الله ﷻ عن سليمان ﵇ حيث قال بعد أن أنعم عليه: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، بعد أن أُتي له بعرش بلقيس، وتمت له تلك النعمة، عرف أن ذلك ابتلاء، وأن ذلك ليُختبر هل يشكر، أم يظن أنه إنما أوتيه بقواه، وأنه إنما أوتي ذلك بمحض قوته وتفكيره؟

صنف آخر من الناس يبتلى بالنعم، وتفاض عليه الخيرات، يجب عليه أن ينظر في نفسه، إذا كان غير مؤمن بالله الإيمان الكامل، إذا كان مفرطًا بالواجبات، مفرطًا بحقوق الله ﷻ وبحقوق الخلق، مقبلًا على المحرمات، لا يرعى لله حرمة، ولا يرعى للخلق حقًّا، وأنعم عليه بالنعم، فليعلم أنما ذلك ابتلاء واستدراج من الله؛ كما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤][1]؛ لأنه استدرج؛ حيث قال ﷻ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

إن الله ﷻ يغار على حرماته، ومع ذلك يفيض الخير على من لم يستقم على أمره تارة ليبتليه وليختبره، ثم ليعلم أولئك إنما ذلك استدراج؛ لكي ينظر الناس في حالهم بعد أن تأخذهم العقوبة. والمؤمن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٥٤٧)، والطبراني في الأوسط (٩/ ١١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٩٨).

عليه أن يرجع إلى ربه، أن يرجع إلى ربه دائمًا، بما أعطاه الله من النعم، وأفاض عليه من الخيرات، فإن كان مؤمنًا سليم الإيمان، مقيمًا على الطاعات، مبتعدًا عن المحرمات، سعى في شكر ذلك، في استعمال النعم في مراضي الله، وبأن يضيفها وينسبها إلى من أولاها وأسداها، ثم إنه ينعم بها على من حرمها. ومن كان على غير استقامة ـ على معصية، على موبقات، وعلى تفريط في الواجبات ـ، وأنعم عليه، فليعلم أن ذلك استدراج، فعليه أن يستيقظ من الغفلة، وأن يستيقظ من السنة التي غشيت عقله، وعلت فؤاده، فإن المرء إذا أصابته الغفلة، خسر، ثم خسر خسرانًا مبينًا.

الطائفة الأخرى من الناس لا تبتلى بالنعم، إنما تبتلى بالمصائب من الله ﷻ، بأنواع المصائب، إما بنقص في الأموال، وإما بمصائب بدنية، وإما بمصائب عامة أو خاصة، وتلكم المصائب موافقة لحكمة الله، موافقة لقدر الله، موافقة لسُنَّة الله التي أمضاها في خليقته منذ خلق السماوات والأرض، ومنذ دب آدم على وجه الأرض، فتارة يكون الذي ابتلي بالمصائب، ابتلي بالأمراض، ابتلي بالموت، ابتلي بالجوع، ابتلي بنقص المال، تارة يكون مؤمنًا ـ فردًا أو جماعة أو أمة ـ، تارة يكون مؤمنًا مسددًا؛ كما حصل في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث ابتلي الناس في وقته، وهم الكملة المنتخبون، ابتلي الناس في وقته بعام المجاعة المشهور، الذي سُمي عام الرمادة، كان الناس لا يجدون ما يأكلون[1]، وذلك لينظر الله ﷻ في أولئك بذلك الابتلاء وذلك الاختبار: هل يقبلون على ربهم، ويعلمون أن بيده ملكوت كل شيء، وأنه ﷻ ماض حكمه في خليقته، ثم إنهم يبذلون ويضحون، أم إنهم

(١) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٩٦)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٨٦)، والكامل (٢/ ٣٧٤).

يشحون على أنفسهم وعلى إخوانهم؟ وأنواع من الاختبار والابتلاء.

بل وكما ابتلي رسول الله ﷺ وصحابته بما حدث لهم في أُحد؛ حيث قال الله ﷻ لهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أولئك ابتلوا، واختبروا بأنواع المصائب المؤلمة، مع ما هم عليه من السداد في الإيمان.

وكما للأقوال والأعمال والبعد عن الشرك والبدع والبعد عن المحرمات ـ صغيرها وجليلها ـ، إلا ما شاء الله أن يقع، أولئك كانت لهم ابتلاء واختبارًا لإيمانهم، هل يصبرون على ذلك، أم يتشككون في يقينهم وفي إيمانهم؛ كما يحصل لبعض السفهاء ممن ضعف دينه، وضعف إيمانه، وقل يقينه؟

طائفة أخرى من الناس تبتلى بالمصائب من عند الله ﷻ، بأنواع المصائب: إما بغرق يحيط بهم من فوقهم من السماء، وإما بأن تزلزل الأرض من تحتهم، ثم إنهم إذا كانوا على نقص من الأموال، ونقص في الأنفس، ونقص في الثمرات، فنظروا في حالهم، فوجدوا أنهم مفرطون في أمر الله، مفرطون في حق الله، مفرطون في أعظم الحقوق لله ـ وهو توحيد الله ـ، بأن يظهر الشرك فيما بينهم، ولا ينكرونه، تظهر المحرمات، ولا ينكرونها، يشيع الفحش والفجور، ولا يُنكر، بل يُقر، ويتخلف الناس عن أداء فرائض الله. إذا كانت تلك الحال، وأصابهم ما أصابهم من عذاب الله، أو من الابتلاء من الله ﷻ، فقد يكون ذلك في حق البعض المؤمنين الذي أصيبوا بذلك، يكون ابتلاء واختبارًا، وفي حق الذين تنكبوا عن صراط الله، وعن دين الله، وغشوا المحرمات والكبائر وما هو أعلى من ذلك، يكون في حقهم عقوبة من الله ﷻ؛ كما أخبر الله ﷻ عن قصة أصحاب الجنة في سورة (القلم)؛ حيث

قال ﷻ عنهم لما دخلوا جنتهم، قالوا متعاهدين فيما بينهم: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القلم: ٢٤]، حرموا الناس حقوقهم، فكانت تلك معصية في حقهم، وكان ذلك مؤذنًا ببلاء من الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القلم: ١٩ ـ ٢١]، الآيات. حتى قالوا معترفين: ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١]، لما ظلموا، أصابتهم العقوبة.

هذه أنواع طوائف الناس في المسلمين ممن ابتلوا بأنواع المصائب، بل وممن ابتلوا بأنواع المسرات والخيرات، وهذه هي الأصول الشرعية: إن أصابت المصائب المؤمنين، فليصبروا وليحتسبوا. وإن أصابت من فرط في أمر الله، فليعلم أن ذلك نوع من العقوبة يخوف الله به عباده المؤمنين؛ كما أخبر ﷺ لما كسفت الشمس في عهده، قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللهَ حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ**»(١)، وقال ﷺ: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»(٢)، وهذا من رسول الله ﷺ بيان للأمة؛ لكي تعلم أن الآيات موافقة لحكمه. وكون لها أسباب يعلمها بعض البشر لا ينافي أن لها الحكمة البالغة من الله، فما من شيء يحدث، إلا وهو من الله، موافق لحكمة الله، ماض فيه أمر الله ﷻ.

أيها المؤمنون، اعتبروا بهذه الأصول الشرعية ـ كل بحسب حاله ـ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤١)، ومسلم (٩١١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

من كان ذا نعمة، فليشكر نعمة الله، وليستقم على أمر الله، ومن كان ذا مصيبة، فليتفكر في نفسه، إن كان مقيمًا على الإيمان، فليصبر وليحتسب، وليعلم أن ذلك زيادة في إيمانه، واختبار لتصديقه ويقينه، ومن كان على ضد ذلك، فليعلم أن تلك عقوبة يعاقب بها من خالف أمر الله، فهي إما ابتلاء، وإما عقوبة.

نسأل الله ﷻ أن يجنبنا المكاره ما ظهر منها وما بطن، وأن يجنبنا الفتن في أنفسنا، وفي من نحب، وفي بلادنا، وفي بلاد المسلمين بعامة.

واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد له على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أشهد أن لا إلـه إلا الله شهادة نزدلف بها إلى جنة الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله شهادة نقترب بها من رسول الله ﷺ، وعلى آله وعلى صحابته، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن

عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله ﷻ؛ فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم وسعادتكم في هذه الدنيا وفي الآخرة العظمى، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

واعلموا - رحمني الله وإياكم برحمته الواسعة - أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك لرفع لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله، اللَّهُمَّ، أيدهم بتأييدك، وانصرهم بنصرك، وقوهم بقوتك، يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم محكمين لشرعك، متبعين لكتابك ولسنة نبيك ﷺ.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللَّهُمَّ، ارحم المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللَّهُمَّ، وأنزل عليهم بردًا من اليقين، وبردًا من الإيمان تتسع به صدورهم، وتلين به جلودهم إلى ذكر الله.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تصلح قلوبنا وقلوب ذرارينا وقلوب أحبابنا وأهلينا، يا كريم يا رحمٰن يا رحيم.

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: حقوق المسلم في الإسلام

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى، والحمد لله الذي كرَّم ابن آدم وفضله على كثير ممن خلق تفضيلًا، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فإن الله ﷻ جعل التقوى ميدانًا واسعًا، وجماعها امتثال أوامر الله، واجتناب ما عنه نهى ﷻ.

أيها المؤمنون، إنه لا كرامة للإنسان إلا بما كرمه الله ﷻ به؛ لأنه سبحانه هو الذي خلقه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، ﷻ، أكرم الإنسان، وجعل له الحقوق العظيمة، جعل له الحقوق التي بها يصير كريمًا؛ لأجل صلته بربه ﷻ، وإننا ينبغي لنا أن نرد كل ما نسمع في هذا الزمن إلى شرع الله ﷻ، وإلى كتابه وسُنَّة نبي الله المصطفى ﷺ.

وقد كثر في هذا الزمان ذكر حقوق الإنسان، وإنها كلمة ترددت عند أنواع شتى من الأمم، ترددت عند الغربيين وعند الشرقيين، وأيضًا

أهل الإسلام عندهم حقوق للإنسان، وهذه الكلمة يظن كثيرون أنها لم تنشأ إلا في بلاد الغرب والكفر، والله ﷻ هو الذي جعل للإنسان حقوقًا، كما أنه جعل عليه حقوقًا، والأصل في ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠]، فالإنسان ـ الذي هو ابن آدم ـ كرمه الله ﷻ، وتكريمه يعني أن الله ﷻ جعل له الحقوق التي بها يصبح كريمًا، من حيث جنس الإنسان، لا من حيث كل فرد من بني آدم، فالله ﷻ كرم ابن آدم بأن جعله متصلًا بربه ﷻ، فتحرر من عبوديته لجنسه، تحرر من أن يكون عبدًا لإنسان مثله، أو أن يكون مطيعًا في كل شيء لإنسان مثله، فرفعه إلى أن تكون طاعة الجميع لله ﷻ.

قالوا: (حقوق الإنسان). وهذه الحقوق ينبغي لنا أن ننظر إليها من جهات متعددة بنظر شرعي؛ حتى لا يلتبس على المسلم ما يسمعه أو ما يردد حوله، مما يجعله وربما نظر إلى شريعة الإسلام الخالدة أن فيها وفيها، مما قد يلقيه الشيطان في النفوس.

إن كلمة (حقوق الإنسان) معناها: أن الإنسان له حق، ولكن هذا الحق لا بد أن يعطاه الإنسان، فأول مسألة: مَن الذي يعطي الإنسان الحقوق؟ ومن الذي يجعل له حقًا، أو أنه يسلب حقًا منه؟ إذا نظرت، وجدت أن الغربيين ـ مثلًا ـ جعلوا للإنسان حقوقًا في ميثاق أصدرته هيئة الأمم المتحدة في سنين خلت، وكانت نظرتهم في حقوق الإنسان، كانت نظرتهم نافعة من النظرة الغربية للإنسان بعامة، وإلى أنهم يريدون أن يسيطروا على الإنسان.

فهذه الكلمة لها ظاهر يغري كل إنسان بقبولها، ولكن باطنها يجب أن ينظر إليه من جهة من الذي يعطي الحق للإنسان؟ هل الذي يعطي الحق

للإنسان ويجعل حقوقًا للإنسان البشر، أم الطبيعة، أم أنها الديانات، أم أنه الدين الخاتم الذي رضيه الله ﷻ للناس؟ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

نعم، إن حقوق الإنسان إذا نظرت إليها من جهة كونها مجردة، مجردة من الذي يصدر الحق، نظرت إلى أن الإنسان يجعل حقًا لنفسه بما يشاء، وهذا لا تستقيم معه الأمور ولا يصلح؛ لهذا جاءت شرائع البشر بتنظيم حق الإنسان، وفيها سيطرت بعض أجناس الإنسان وبعض الدول على الناس الآخرين؛ ولهذا تجد في تلك الحقوق المصدرة بالمواثيق الدولية، تجد فيها استعلاء لبعض الإنسان على بعض آخر.

أما في الإسلام، فإن الله ﷻ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، الناس جميعًا لا يفضل بعضهم بعضًا إلا بتقوى الله ﷻ، وهذا ميزان؛ إذ لا بد من ميزان يرجع إليه.

إذا نظرت - **أيها المسلم** - إلى هذه الكلمة (حقوق الإنسان)، فإما أن تنظر إليها من جهة حق النفس للنفس؛ يعني: حق نفسك لك من دون حق الآخرين، وهذا فسره كثيرون بالحرية، فحين نظروا إلى حق الإنسان لنفسه، قالوا: هو حر يعمل ما يشاء. وهذه الحرية تكون في جهات: في جهة الدين، في جهة السياسة، وفي جهة الرأي، وفي جهة المال، وفي جهات أخر.

وهذه الحريات - التي منها حرية الدين، وفيها حرية الأخلاق - جعلها أولئك بحيث إن الإنسان يختار ما يشاء من الدين، ويختار ما يشاء من الأخلاق، ويفعل ما يشاء من دون أن يكون ثم مسيطر عليه. وهذا لا يكون مطلقًا في أي بلد؛ إذ الحريات في أي شريعة وفي أي

ميثاق لا بد أن يكون لها تقييد، إما أن يكون تقييدًا قليلًا، وإما أن يكون تقييدًا متوسطًا، أو كثيرًا، أما حرية مطلقة بلا قيود، فهذه لا توجد.

إذًا فحقوق الإنسان من حيث حريته لا بد أن تكون مقيدة، وفي هذه الشريعة جاءت حقوق الإنسان من حيث حريته مقيدة، وليست بمطلقة، ولكن تقييدها في أمور قليلة، وهو حر في تصرفات كثيرة كثيرة.

إذا نظرت مثلًا إلى الدين، فإنه في الشريعة لا إجبار على أحد أن يغير دينه، فله أن يكون على دين اليهودية مثلًا، أو دين النصرانية، ولكن ليس له أن يغير دينه، ليس له أن يتغير من كذا إلى كذا، وليس لنا أن نجبر اليهودي أو النصراني مثلًا على الإسلام، قال ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، لكن ليس لمن رفعه الله بالإسلام، ونجاه من الشرك، وعرف حقيقة الإسلام أن يبدله إلى غيره، ليس له أن يرتد عن دينه؛ فإن الارتداد عن الدين ليس إلى الإنسان، بل إنما هو حق لله ﷻ، والله ﷻ أمر المسلمين أن يثبتوا على دينهم، فمن ترك دين الإسلام إلى غيره، فليس هذا إليه، وليس من حريته.

كذلك المسلمون لا يجبرون من ليس على دين الإسلام من اليهودية أو النصرانية لا يجبرونه على الإسلام؛ لأنه إما أن يكون ذميًا، فيبقى على ذميته يدفع الجزية، وإما أن يكون معاهدًا أو مستأمنًا في الشريعة، فإن له الحماية في ذلك.

فإذًا الحرية الدينية وحقوق الإنسان فيها له ذلك، ولكن ليس على إطلاقه، ليس للإنسان أن يكون وثنيًا، ليس للإنسان في الإسلام أن يعبد غير الله ﷻ مشركًا به وثنيًا، ليس له ذلك، بل لا بد أن يرجع إلى الإسلام، لا بد أن يسلم ويترك وثنيته؛ لأن تلك الوثنية ليست راجعة إلى شيء من رسالة الرسل، ولو بتأويل أو بتحريف.

ولهذا قال العلماء: المسلمون في دار الإسلام ليس لهم أن يبدلوا دينهم. وقد قال ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١)، وكذلك اليهودي والنصراني في دار الإسلام - يعني: في غير الجزيرة العربية -، فله أن يبقى على دينه، ولكن بشرط أن يدفع الجزية لحمايته بما دفع.

ثم إذا نظرت إلى الحريات الأخلاقية، فإنها في الإسلام ليست مطلقة، لك أن تكون ما تشاء، ولكن فيما إذا أغلقت عليه دارك، أما في دار الإسلام وفيما تظهره، فليس لك إلا أن تظهر الإسلام؛ لأن الحق ليس لك، وإنما هو حق عام للمسلمين، الذين هم أخص الإنسان ونخبة الإنسان، أما إذا أغلق المرء عليه داره، فمن أغلق عليه داره، فهو آمن، وحسيبه الله ﷻ، بشرط ألا يتعدى ضرره إلى غيره من المسلمين.

إن للإنسان المسلم حقًا وعليه حقوق، لكن ليس له في الأخلاق من حق أن يغشى ما يشاء، وأن ينتهك الأعراض فيما يشاء، وأن يعبث كما يشاء؛ لأن هذه حقوق للمسلمين بعامة، فليس له أن يقدم حقه على حق المسلمين بعامة، والله ﷻ أوجب علينا تجاه غيرنا حقوقًا كثيرة، فليس إذًا ثم حرية مطلقة في أن يختار الإنسان ما يشاء من الأخلاق، بل إنه إذا اختار ما ينافي الشريعة في دار الإسلام، فإنه يؤمر، وينهى، ويعاقب على مخالفته أمر الله ﷻ.

إذا نظرت - مثلًا - إلى حرية الرأي، فإن كثيرين - حتى من المسلمين - ظنوا أن حق الإنسان يجعل له أن يدلي برأيه كيف يشاء، يدلي برأيه على أي وجه يختاره، وهذا ليس في شريعة الإسلام، بل إن المسلم في دار الإسلام، بل إن المسلم وغير المسلم في دار الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٢).

ليس له أن يبدي من الرأي ما يفت جماعة المسلمين، أو يشكك في دينهم، أو أن يكون ذلك الرأي رأيًا شخصيًا، يعود على جماعة المسلمين بالضرر.

وعلى هذا سار خلفاء الأمة، سار الخلفاء الراشدون، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقصته مع صبيغ بن عسل: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي غُنَيْم يُقَالُ لَهُ: صَبِيغُ بْنُ عِسْلٍ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخِيلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ قَالَ: مِنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ، قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ وَأَوْمَأَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى شَجَّهُ وَجَعَلَ الدَّمَ يَسِيلُ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَاللهِ ذَهَبَ الَّذِي أَجِدُ فِي رَأْسِي»(١)، فنفاه عمر رضي الله عنه عن المدينة حماية للناس.

وهذا أبو ذر رضي الله عنه، وهو صحابي من الصحابة رضي الله عنهم، لما خالف خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأثار بعض الآراء التي له ـ وهو صحابي من الصحابة رضي الله عنهم ـ، وأراد منه عثمان أن يكف، فلم يكفف أبو ذر رضي الله عنه عن رأيه، نفاه عثمان رضي الله عنه إلى خارج المدينة إلى الربذة، ومات فيها، وهذا معروف في التاريخ(٢).

إذًا حرية الرأي وحق الإنسان في إبداء رأيه ليس على إطلاقه في الشريعة، له أن يبدي الرأي، ما لم يفت ذلك الرأي في جماعة

---

(١) أخرج القصة الآجري في الشريعة (ص١٥٣)، وابن بطة في الإبانة (ص٧٨٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٤/ ٧٠٦).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥)، والبدء والتاريخ (٥/ ٤٠)، والمنتظم (٤/ ٣٤٦).

المسلمين؛ لأنه حينئذ تقدم المصلحة العامة، حقوق الإنسان المسلم بعامة على حق ذلك الخاص في إبداء رأيه؛ إذ إن الضرر المحدود الذي لا يتعدى صاحبه، فإنه أسهل، أما إذا كانت الآراء تبث، وتغير الآراء العامة للمسلمين في دينهم وفيما أمرهم به، أمرتهم به شريعتهم، فإن هذا لا يليق أن تمنح له الحريات، ولا أن يجعل من حقوق الإنسان؛ لأنه إذ ذاك يكون معارضًا لحق الله، ومعارضًا لحقوق المسلمين بعامة. كذلك في حقوق أخرى عدوها حقوقًا، وهي من الحريات.

فإذا كان كذلك، فإذًا حق الإنسان لنفسه حق الذات للذات، هذا بإطلاقه ليس موجودًا في الشريعة، لكن إذا نظرت من جهة أخرى، وجدت أن الإنسان المسلم، بل وإن غير المسلم في دار الإسلام له حقوق كثيرة كثيرة على ضابط الشريعة، فحقوق الإنسان عندنا مضبوطة بشرع الله، مضبوطة بكتاب الله ﷻ؛ لأن الإنسان مؤتمن، وقد أوكلت به أمانة، ولذلك فإن عليه أن يرعى الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

فإذًا الإنسان ليس له حقوق مطلقة، بل حقوقه متقيدة بالشريعة، ولو عقل الإنسان، لوجد أن ما حباه الله الذي خلقه أكرم وأعظم له وأشرف له مما أعطاه غير الله من المخلوقين الذين يريدون مصالحهم، عقل ذلك من عقله، ولم يعقل ذلك الأكثرون.

أيها المؤمنون، إذا نظرت في حق الإنسان في بلد الإسلام، وجدت الشريعة جعلت للمسلم حقًا على أخيه المسلم، وجعلت له حقًا على إخوانه، وجعلت له حقًا على ولايته ودولته، وجعلت له حقًا أيضًا

في ماله وفي جيرته وفي عرضه، حتى إنه من عجائب الشريعة أنها جعلت له بعد وفاته حقًا، فأنفذت وصيته، وأوجبت ذلك، وجعلته مراعيًا بعد مماته في أولاده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

حفظ الإسلام للمسلم بعد مماته عرضه، فقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**»(١)، وفي لفظ: «**لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ**»(٢).

فأي مكان للإنسان فوق هذا يحفظ عرضه، ويحفظ ماله، وتحفظ جوارحه، ويحفظ كله حيًا وميتًا؟

عند الله ﷻ في شريعة الإسلام عرض المسلم وماله حرام، دمه وماله وعرضه حرام حرام؛ لأن الله ﷻ هو الذي يملك تلك الأشياء، وهو الذي يصرفها كيف يشاء ﷻ، فحرم دم المسلم على المسلم، وحرم عرضه، وحرم أن يتولى في ماله إلا بما هو أصلح له، إذا لم يكن عاقلًا محسنًا للتصرف في ماله.

هذا - **أيها المؤمنون** - بعض حقوق المسلمين، بعض حقوق الإنسان المسلم في دار الإسلام، فماذا عن غير المسلم؟

مثلًا في بلاد الإسلام غير المسلم إما أن يكون ذميًا، فله حقوق، وإما أن يكون معاهدًا مستأمنًا؛ كما في بلادنا هذه في الجزيرة؛ لأنه لا ذمة فيها؛ لأنه لا يقر النصارى فيها بإطلاق ولا اليهود فيها، ولا تقبل منهم فيها الجزية؛ لأن النبي ﷺ أمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٣، ٦٥١٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٢)، وأحمد (٣٠/ ١٥٠)، وابن حبان (٧/ ٢٩٢)، والطبراني في الدعاء (ص٥٧١)، وفي الكبير (٨/ ٢٥، ٢٠/ ٤٢٠).

العرب، فإن أتى بعضهم على غير إقامة مستديمة بأمان، فلهم حق الأمان، فماذا تظن أن الشريعة جاءت لغير المسلم في دار الإسلام؟

إن الله ﷻ جعل الشريعة في علاقات المسلم بغيره ـ مسلمًا كان أو غير مسلم ذلك الغير ـ، جعلها منوطة بالعدل والإحسان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال ﷻ في أولئك المستأمنين الذين لم يعادوا الإسلام وأهله: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨].

النبي ﷺ كان ربما زار جارًا يهوديًا، وكان إذا طبخ في بيته طبيخًا، أهدى لجيرانه ـ ولو كانوا من غير المسلمين ـ؛ تأليفًا لهم، وترغيبًا.

أيحل أن يستباح مال غير المسلم في دار الإسلام وفي دار العهد؟ لا يحل ذلك، بل ماله محفوظ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(١)، وقال ﷺ: «**مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا مُقِرًّا بِذِمَّتِهِ مُؤَدِّيًا لِجِزْيَتِهِ كُنْتُ خَصْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢)، ولو نظرت إلى حال أولئك من غير المسلمين في عهد النبي ﷺ، وفي عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، لوجدت أن حقوقهم كاملة، ولكن هي حقوق، ليست بمحض تخرصات وأوهام وأفكار، لكنه

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٣٤)، والترمذي (١٢٦٤)، والدارمي (٢٦٣٩)، وأحمد (٢٤/ ١٥٠)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٤٥٦)، والدارقطني (٣/ ٣٥، ٤٤٣)، والحاكم (٢/ ٥٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٩١، ٩٥)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٨٨، ٨/ ١٢٧)، وفي الأوسط (٤/ ٥٥)، وفي الصغير (٤٧٥)، وأبي نعيم في الحلية (٦/ ١٣٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ١٦١٢، رقم ٤٠٥٩)، ترجمة عبد الله بن جراد رقم (١٥٩٨).

حق أعطاهم الله ﷻ إياه، فليس لنا أن نعطي حقًا من نشاء، أو أن نسلب حقًا من نشاء، ولكننا نسير على وفق شريعة الإسلام، فمن آذى معاهدًا في دار الإسلام، فالنبي ﷺ خصمه، حتى أن الفقهاء وعلماء هذه الشريعة قالوا: لو أغلق الكافر عليه داره في بلد الإسلام، وأظهر شيئًا من دينه في بيته، ولم يظهره للناس، وشرب الخمر، أو زنا، فإنه في داره مُؤمَّن، وليس لنا أن ندخل عليه الدار ما لم يكن في ذلك إضرار بالمسلمين، وتعد على المسلمين، وضرر يلحق بأمة الإسلام، أو يلحق بالمجتمع المسلم. إذا كان في نفسه، وأغلق عليه داره، فله حرمته، لكن ليس له أن يظهر شيئًا من المعصية أو من الكبائر على المسلمين، أو في شارع بلاد المسلمين؛ لأن الحق هنا سيكون حقًا للمسلمين، يكون حقًا عامًا، وليس له حق في ذلك.

وهذا - **أيها المؤمنون** - من كرامة غير المسلم في دار الإسلام، لكنه ذليل في هذه الدار، والمؤمن هو العزيز؛ لهذا ترى أن حقوق الإنسان قد كفلها الشرع؛ لأن الشرع أعطى الإنسان حقه من جهة الرب ﷻ، أعطاه لا بمحض تخرص، ولا بمحض مصالح بشرية، وإنما هو من الله، فالذي أعطى الخلق الحق هو الله ﷻ، وهو الذي يعلم من خلق؛ كما قال ﷻ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، وكما قال ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

إذا نظرت إلى حق الإنسان المسلم - بل وغير المسلم - في بلد الإسلام على دولة الإسلام، وجدت أيضًا حقوقًا مختلفة له؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وهذا يشمل الجميع، يشمل الحاكم والمحكوم. فالكل يجب عليه أن يؤدي الأمانة، فدولة الإسلام عليها أن تحفظ للمسلم حقه في ماله، فلا تسلب منه

ماله، ولا تقيده في تصرفاته في ماله، بأن تجبره على تصرفات في ماله لا يرضاها، إلا في مصالح كبرى، يسميها بعض العلماء: المصالح المشتركة. وهذا له بحث ليس هذا مكان بسطه وتناوله، لكن في العموم المسلم له حق على الدولة، فليس لها أن تظلمه، وليس لها أن تسلبه حقه في التصرف في ماله، يتاجر في الحلال بما يشاء، فليس عندنا في بلاد الإسلام ما يسمى بالمؤسسات الرأسمالية التي يكون فيها أصحاب رأس المال الصغير أذلاء لأصحاب رأس المال الكبير، بل يعطى هذا الفرصة، ويعطى هذا الفرصة، بخلاف البلاد الرأسمالية التي تكون فيها السيطرة، وتكون فيها الغلبة، ويكون فيها الأمر لأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة.

كذلك من جهة حقه في التعليم الذي يبيحه الشرع ويجيزه، كذلك من جهة حقه في تنقلاته، كذلك من جهة استعماله لكل حق شرعي أباحه الله ﷻ، فإن بلاد الإسلام، وإن المجتمع المسلم، بل إن الدولة الإسلامية تعطيه ذلك الحق، وهذا ـ ولله الحمد ـ من كرامة الله ﷻ لابن آدم، من كرامته للإنسان المسلم، ولو عقل الناس، لعلموا أن العز كل العز في شريعة الإسلام، وأن الذل كل الذل في غير شريعة الإسلام.

من جهة أخرى انظر إلى أولئك الذين تبنوا في الظاهر هذه الكلمة التي لا يفهمها الكثيرون، وهي كلمة (حقوق الإنسان)، انظر إلى أفعالهم، أفيكون حقًا للإنسان أن يقتل الآمنون جماعات، أن يقتل الآمنون ألوفًا، أن يقتل الآمنون بأكثر من ذلك؟ أيكون حقًا للإنسان أن يجعل الإنسان ذليلًا أسيرًا في أيدي وفي تصرف أصحاب الأموال الكبيرة؟ أيكون من حق الإنسان أن يكون مكرمًا في بعض أجناسه، وأن

تكون بعض أجناس الإنسان ذليلة في نزعة عرقية بحتة؟ أيكون من حق الإنسان عند أولئك أن يكون الإنسان ـ نوع من الإنسان ـ مرفوعًا مبجلًا، دمه يساوي ملايين دم من البشر، وأما دم الآخرين، فلا يساوي شيئًا؟ التناقض يعود على القاعدة بالبطلان؛ فأنتم انظروا، واحكموا، لتعلموا أن العز كل العز في شريعة الإسلام.

لكن ـ **أيها المؤمنون** ـ قد يكون القصور يأتي من جهة بيان الشريعة، من جهة أن المبينين للشريعة لا يحسنون بيانها، أما الشريعة في نفسها، فهي من الحق ﷻ كاملة مبرأة من كل نقص وعيب، صالحة لإعزاز الإنسان ـ كل الإنسان ـ ولإكرامه، صالحة لكل زمان ومكان، لكن المنتسبين للإسلام قد لا يعقلون الشريعة، وقد تكون أفهامهم تقصر عن علاج بعض الحوادث، وليس العيب في الإسلام، إنما العيب في بعض أهله، فلتكن عزيزًا بالإسلام، ولتكن قويًا به، مدافعًا عنه، معتقدًا تمام الاعتقاد أن الحق فيه، وأن الباطل في غيره.

اللَّهُمَّ، اجعل قلوبنا مطمئنة لدينك.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تجعلنا من المنافحين عن دينك وعن شريعتك، وأن تجعلنا ممن يقولون الحق، ويبينونه، اللَّهُمَّ، منَّ علينا بفهم صحيح للدين، ومنَّ علينا ببيان سديد له، واللَّهُمَّ، من كان مهتديًا، فزده هدى، ومن كان ضالًا ـ اللَّهُمَّ ـ، فاجعله من المهتدين، ومنَّ عليه بعفوك وكرمك، واسمعوا قول الحق ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي

ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، هو الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، اعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله؛ فإن بالتقوى رفعتكم، وإن بالتقوى فخاركم، وإن بالتقوى رضى ربكم عليكم، فاتقوا الله ﷻ حق تقاته، وعظموا أمره، وعظموا نهيه. ثم اعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن هذا الشهر شهر الله المحرم، فيه يوم سن النبي ﷺ صيامه، ألا وهو يوم عاشوراء، اليوم العاشر من محرم، وصيامه يكفر ذنوب سنة؛ كما في الحديث: «وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ**»(١)، فإن الله ﷻ جعل لكم ـ أيها المسلمون ـ ما تكفرون به ذنوبكم بأعمال يسيرة، فأقبلوا على ذلك، وإنه لصيام يوم يسير، وإن

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢).

صيامه ليكفر سنة؛ كما ثبت ذلك عن المصطفى ﷺ، والأفضل لمن أراد صيامه أن يجمع معه اليوم التاسع من المحرم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**»(١)؛ يعني: مع العاشر من محرم.

وهذه هي السُّنَّة، وهو الأفضل لمن أراد أن يصوم، ومن أراد الاقتصار على العاشر من محرم، فإنه لا بأس بذلك، ولا يكره(٢).

وإن الحديث ـ **أيها المؤمنون** ـ عن حقوق الإنسان في الشريعة، وعن تفنيد الحقوق التي يدعيها أولئك الكفار والغربيون وغيرهم للإنسان، إن الحديث عنه طويل، ولكن ما ذكرنا إشارات، لعلها تكون مفاتيح لفهمكم ـ أيها المسلمون ـ لهذا الموضوع الخطير.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦**﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين. اللَّهُمَّ، انصر عبادك الموحدين، الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان يا رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٣٤).

(٢) انظر: زاد المعاد (٢/ ٧٢) قال رحمه الله: (فَمَرَاتِبُ صَوْمِهِ ثَلَاثَةٌ أَكْمَلُهَا: أَنْ يُصَامَ قَبْلَهُ يَوْمٌ وَبَعْدَهُ يَوْمٌ، وَيَلِي ذَلِكَ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ، وَيَلِي ذَلِكَ إِفْرَادُ الْعَاشِرِ وَحْدَهُ بِالصَّوْمِ).

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ، منَّ عليهم بالبطانة الصالحة وبالمستشار الصالح الذي يعينهم إذا ذكروا، ويذكرهم إذا نسوا.

اللَّهُمَّ، حبب إليهم فعل الخيرات، ووفقهم، وزدهم - اللَّهُمَّ - هدى ورشادًا، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا بخاصة، وعن سائر بلادنا بعامة وبلاد المؤمنين بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويعافى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، يا سميع الدعاء.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن توفقنا قبل الممات لتوبة نصوح، بها ترضى عنا.

اللَّهُمَّ، إنك عفو تحب العفو، فاعف عنا.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: قصة أصحاب الجنة

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي تفضل بالنعم قبل سؤالها، وأثاب الشاكرين عليها فوق مأمولهم، فالحمد لله الذي ما ثَمَّ نعمة إلا منه، وما اندفعت نقمة إلا بفضله وإحسانه، عرف ذلك من عرفه، وجهله الأكثرون، فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه؛ كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلى الله على نبينا محمد كفاء ما علَّم وأرشد، وكفاء ما بيَّن، وكفاء ما جاهد في الله حق الجهاد، صلوات الله وسلامه عليه ما تتابع الليل والنهار، كلما صلى عليه المصلون، وغفل عن الصلاة عليه الغافلون، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ جعل القرآن العظيم حجة على العالمين إلى قيام الساعة، وهذا القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه، فيه خبر عن الله ﷻ، عن جميل صفاته وجليل أسمائه، فيه خبر عن الجنة وما يقرب إليها، فيه خبر عن النار وما يقرب إليها، فيه الحث على كل خير، فيه ما فيه من

العبرة في قصص الأولين، وما سيكون أيضًا من الأحداث إلى قيام الساعة، فيه ما فيه من العجائب، والله ﷻ ما فرط في القرآن من شيء، تارة بالخبر، وتارة بالأمر والنهي، وتارة بضرب الأمثال، ولكن ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وإن من تلك الأشياء العظيمة، التي جاءت في القرآن لتحيا بها القلوب، ليحيا بها قلب المؤمن الذي يرجو الله ويخاف الآخرة، إن من تلك الأشياء القصص، وما أدراك ما قصص القرآن؟! ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: ١١١].

قص الله علينا ﷻ في سورة القلم: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم: ١]، قص علينا فيها قصة عجيبة هي لأهل الإيمان ولأهل الكفران على السواء، قصة أصحاب الجنة الذين تقاسموا هذه الجنة بعد أبيهم، وفي خبرها ما فيه من العجائب، فاسمع قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: ١٧ ـ ٣٣].

هذه القصة ـ **أيها المؤمنون** ـ فيها عجب، وأيما عجب! إنها قصة رجل كان له من الثمر، وكان له من الجنة، وهو البستان العظيم الذي اشتهر بما يخرج من الثمار ومن الفواكه ومن الأُكُل، وكان في الزمان

الأول هذا يضرب به المثل في أشد الغنى، وأشد السعادة، وأعظم ما يكون من حظ الدنيا.

كان لذلك الرجل تلك الجنة، فكان يخاف الله فيها، وكان رجلًا مؤمنًا، كان يخاف الله فيما أعطاه إياه من تلك النعمة العظيمة.

قال أهل العلم من السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ: كان يقسم ما يخرج من الجنة، فشيء منه يصرفه فيها، وشيء منه يدخره لنفسه ولأولاده، وشيء منه يجعله للمساكين، فلا يأتيه مسكين إلا أعطاه، فلم يكن يومًا يحرم الفقراء، ولا يحرم المساكين من فضل الله الذي أعطاه إياه، وكان يوصي أبناءه إذا كانوا بعده ومات أن يسيروا سيرته، وأن يحتذوا حذوه، وأن ينفقوا من مال الله على عباد الله، وأن لا يكونوا بخلاء؛ لأن البخيل يعطيه الله ﷻ على بخله حرمانًا، وإنما يعطي الله ﷻ من أعطى[(١)]؛ كما جاء في الحديث قوله ﷺ: **«إِنَّ مَلَكًا بِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضِ الْيَوْمَ، يُجْزَى غَدًا، وَمَلَكًا بِبَابٍ آخَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ لِمُنْفِقٍ خَلَفًا، وَعَجِّلْ لِمُمْسِكٍ تَلَفًا»**[(٢)]، وكما قال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر ﵄: **«لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ»**[(٣)].

أوصى الرجل بنيه فيما بعده بأن يسيروا سيرته، فلما مات الرجل، وورثه بنوه، وولوا تلك الجنة التي هي القمة في الغنى في ذلك الزمان، لما ورثوها، قالوا: كان أبونا يفعل ويفعل، ونحن الآن كثر، ولدينا من

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٢٣)، والقرطبي (١٨/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٣/ ٤١٩)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٧٨)، وأبو داود (١٥٤٤)، والنسائي (٩١٣٤)، وابن حبان (٨/ ١٢٤)، والطبراني في الدعاء (١٣٤١)، وفي الأوسط (٨/ ٣٨٠)، والحاكم (١/ ٥٤١ ـ ٥٤٢)، والبيهقي (٤/ ٣١٤). وأصله في البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٣٣).

المطالب ما لدينا، وعيالنا يحتاجون إلى كذا وكذا، فقالوا: نجعل الجنة على قسمين: شيء منها نأخذه لأنفسنا، ونبيع ما نبيع، وشيء منها نجعله فيها، نرده في رأس المال، ونحرم المساكين: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾، لما أتى وقت الصرام ووقت الجني، وازدانت تلك الجنة، وأصبحت على خير منظر لمن ينظر إليها، وتعلقت بها قلوب المساكين وقلوب الفقراء، الذين ليس ثم رزق لهم إلا مما ابتلى الله به الأغنياء من المال، قال أولئك الورثة بعد أبيهم: ﴿أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾؛ يعني: إذا أتى الصباح، واللهِ، لنصرمنها، ولا ينال أحد من أولئك المساكين شيئًا منها. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ يعني: إنهم لم يقولوا: إن شاء الله. بعد قسمهم. والاستثناء حق لله؛ لأن الله ﷻ هو المتصرف في الأمور. لا حول ولا قوة إلا به، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ﷻ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾؛ يعني: جزاء لما صمموا من حرمان المساكين. المال هل هو لكم؟ هل هو منكم وإليكم؟ بل هو من الله ﷻ، فالمال مال الله سبحانه، ابتلى الله الأغنياء به؛ لينظر كيف يعملون.

اسمع قول الحق ﷻ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، فالمال مال الله، وهو بيد الناس عارية، ينظر الله ﷻ كيف يعملون فيها؛ كما جاء في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا**»(١).

أيها المؤمنون، هذا الحال هو الذي حصل منهم، ما الذي كان عقوبة لهم على ما صمموا بعد نعمة الله عليهم؟ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾؛ يعني: بعد أن صمموا على ما صمموا، وبعد أن ناموا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

نومة هنيئة، وكانت تلك الجنة تبعد عن بلدهم الذي يسكنون فيه، تبعد قدر فرسخين؛[١] كما ذكره من ذكره من السلف؛ يعني: بعيدة عنهم. فناموا نومة المطمئن، واستيقظوا قبل آخر الليل، وهم يتنادون؛ كما قال الله ﷻ في خبرهم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾، أصبحت سوادًا، وكأنها صُرمت، قرروا حرمان المساكين، فحرمهم الله ﷻ الخير، قرروا حرمان الفقراء، فأفقرهم الله ﷻ بعد الغنى، أليس الأمر بيد الله، يصرفه كيف يشاء؟ ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾، ما الذي حصل منهم؟ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾، فكان بعضهم ينادي بعضًا: هلم إلى الحرث، هلم إلى الجنة، هلم إلى البستان، لنأخذ منه، ونفعل ما نفعل قبل أن يرانا الناس، قبل أن يرانا الفقراء، فيحرجوننا، أو أن يقولوا ما يقولون.

ثم إن الله ﷻ قال في خبرهم: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾، لم يكن أحد يسمعهم، ولكن البخل حتى بالكلام حاق بهم، فكان بعضهم في هزيع من الليل، بل وفي آخر الليل يقول لبعض وهو يخافته: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾، فما الذي حصل؟ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾؛ يعني: ضللنا الطريق، وليست هذه بجنتنا التي تركناها بالأمس. فلما تأملوا المكان وعرفوها حق المعرفة، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

نعم، كانت هذه الحال بعد أن قالوا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾، فكان قولهم: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ هو الحقيقة، عرفوا

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٢٣)، والقرطبي (١٨/ ٢٣٩).

أنهم حرموا بعد أن مَنَّ الله عليهم بذلك. ماذا كان منهم بعد خبر أبيهم الذي منَّ الله عليه بإغداق الرزق وباستمراره وبثباته؟ كان منهم شاب، وهو أوسطهم؛ يعني: أعدلهم وأحسنهم وأصلحهم، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾؛ يعني: ألم أقل لكم لولا تنزهون الله ﷻ حق التنزيه، وتشكرونه حق الشكر، وتعظمونه، وأن تكونوا مستثنين في اليمين الأول، وأن تعظموه بطاعته، وأن تؤتوا الفقراء حقهم، وأن لا تظنوا أنكم أهل قوة وأنكم أهل بطش. كما أخبر الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾؛ يعني: وغدوا على منعه بقوة وشدة وحدة فيهم، ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾؛ يعني: فيما يظنون.

أوسطهم ماذا قال، وهو أعدلهم وأخيرهم؟ وهذه كانت كلمة أهل العدل وأهل الإنصاف وأهل الخشية من الله ﷻ، أنهم يذكرون بالله دائمًا، ولا ييأسون من التذكير بالله، سواء أجاب الناس أم لم يجيبوا، فلا بد من استمرار التذكير بالله؛ لأن الله ﷻ ائتمن أهل الوسط وأهل الخيار ـ يعني: أهل الصلاح والطاعة ـ، ائتمنهم على كلمة الحق، وائتمنهم على أن ينصحوا من حولهم.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾، هنا تذكروا، لم يطيعوه أول مرة، لكن لما وقع البلاء، تذكروا، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾؛ يعني: تنزيهًا لربنا، وتعظيمًا، وإجلالًا أن لا نكون على حول منه وقوة، ننزه ربنا ألا نعطي أهل الحق حقهم، الذي أمرنا الله ﷻ به: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

ثم بعد ذلك، فلما اعترفوا بظلمهم، واعترفوا بأنهم ظلموا ـ ولات ساعة مندم ـ، لما كانوا كذلك، أقبل بعضهم على بعض، قال ﷻ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، لقد اتفقوا من قبل، ولكن لما وقعت

المصيبة، أصبح بعضهم يلوم بعضًا، توجه أحدهم للآخر، فقال له: كيف تركتني وهذا الرأي؟ ألم تكن تتذكر فعل أبينا بالفقراء والمساكين؟ وأصبح بعضهم يلوم بعضًا، ولكن اللوم ـ وإن نفع في الاستغفار، وإن نفع في التوبة ـ لكنه لا يرجع شيئًا أتى عليه عذاب الله ﷻ، لا يرجع شيئًا حرمته، ولكن تكون المغفرة، وتكون تلك المغفرة بعد التوبة والإنابة.

نعم، تلاوموا فيما بينهم، ثم لما تلاوموا ماذا قالوا؟ قال ﷻ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝٣٠ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١﴾، علموا أن سبب تلك الكلمة بحرمان المساكين وحرمان الفقراء إنما هو الطغيان، إنما هو أنهم تجاوزوا الحد في رؤيتهم لقوتهم، ورؤيتهم لمالهم، ورؤيتهم لحسن تدبيرهم، ولكنهم لما وقع البلاء، تذكروا، وذلك الحين لا ينفع التذكر: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١﴾، فاعترفوا بالذنب، ثم قالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝٣٢﴾، قال ﷻ هنا: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾؛ يعني: إنهم وحدوا الله ﷻ، وأخلصوا له الرغب، فبعد أن كانوا ينظرون إلى قوتهم وإلى حردهم وإلى شدتهم، كانوا متبرئين من ذلك.

أيها المؤمنون، قال ﷻ بعدها: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾؛ يعني: هذا نوع من عذاب الله ﷻ؛ ليذكر أن ما ترى من أنواع المصائب التي تكون في الدنيا إنما هو نوع من العذاب، وليست أشياء كونية لا ارتباط لها بالقضاء والقدر، بل هو فعل الله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾؛ يعني: لمن كفر بنعم الله.

هذه القصة نرجع إلى أولها، ونرى فيها ونسمع قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾، من الذي ابتلي كما ابتلي أصحاب الجنة؟ إنها قريش، التي أغدق الله عليها الأرزاق، وكانت ذات تجارة في

الصيف وذات تجارة في الشتاء، وعندهم من الأموال ما عندهم مما تميزوا به بين العرب، فكانت قريش أغنى العرب وأكثر العرب أموالًا، فابتليت بالرسالة، وابتليت بشكر النعمة، وابتليت بأن تعطي أهل الحق حقهم، ولكنهم كفروا بذلك كله، وفيهم نزل قول الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

قارن هذا بقوله ﷻ في سورة القلم: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾، ثم انظر إلى هذا الزمن وما نعيش فيه، ترى أننا في شيء ـ بل في كثير، بل في الأكثر ـ من النعم التي نرفل بها، ونرفل فيها صباح مساء، أفنكون مبتلين كما ابتلى الله قريشًا، أو كما ابتلى الله أصحاب الجنة؟ إن الله ﷻ أقام علينا الحجة بما قص في القرآن: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾.

ونحن أيضًا ـ **أيها المؤمنون** ـ مبتلون كما ابتلي أصحاب الجنة، ابتلي الأولاد بعد وفاة أبيهم الصالح في المال، كيف ينفقونه؟ فلينظروا إلى أنفسهم، وابتلي الناس على اختلافهم في مال الله الذي بأيديهم، هل ساروا فيه سيرة الصالحين الذين ينفقون فيما أحل الله، ولا يبتغون ما حرم الله، أم لا يسيرون سيرة الشاكرين؟ هل يعطون أهل الحق؟ هل يعطون أهل الفقر؟ هل يعطون أهل المسكنة، أم أنهم تكون حالهم أنهم ينهرون المسكين، ويحرمون الفقير، ولا يعطون أهل الحق من قراباتهم ومن يستحقون شيئًا؟

إن ذلك ابتلاء، وأيما ابتلاء! فهل نستيقظ لذلك الابتلاء؟ لقد ابتلى الله الغني بالفقير، لقد ابتلى الله الغني بالمسكين، لقد ابتلى الله

المجتمع بفقرائه، لقد ابتلى الله الأمة كلها، هل تكون سائرة في مال الله بما أوجب الله ﷻ من إعطاء أهل الحاجات حاجاتهم، أم لا؟ وإن ذلك في القرآن لواضح.

فيا أمة القرآن، الله الله في تطبيق القرآن، أسأل الله العظيم أن يجعلني وإياكم من الذين يعتبرون بعبر القرآن والذين يتدبرونه، ولا يقرؤونه هذًّا، وإنما يقرؤونه، فيدخل إلى قلوبهم قبل أن تتكلم به ألسنتهم.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٤ - ٣٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا على ما له من النعم العظمى والآلاء المتتابعة، أحمد ربي خير حمد وأوفاه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن

عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم وعلو مقامكم، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته؛ ليدلكم على عظم أمره، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعن جميع صحابة نبيك وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا رب العرش الكريم.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون كلمة الذين كفروا هي السفلى، يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ، قوهم، وأعزهم، وامددهم بمدد من عندك، وانصرهم ـ يا ربي ـ على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين الذين يجاهدون اليهود، والذين يجاهدون النصارى، والذين يجاهدون المشركين والذين يجاهدون الملحدين في كل مكان، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعلنا جميعًا

ممن ختمت له بخاتمة السعادة، اللَّهُمَّ، اجعلنا جميعًا ممن ختمت له بخاتمة السعادة، وجعلت يوم لقاك خير أيامه يا رب العالمين، اللَّهُمَّ، اجعل يوم نلقاك خير أيامنا، اللَّهُمَّ، اجعله يوم سرور علينا، اللَّهُمَّ، اجعله يوم سعادة لنا، اللَّهُمَّ، اجعله يوم حضور، يا أكرم الأكرمين.

نستغفرك من ذنوبنا وذنوب آبائنا وأمهاتنا، ونستغفرك من ذنوبنا جميعًا وذنوب أولادنا وذنوب أقاربنا، ونسألك اللَّهُمَّ أن تغفر لنا جميعًا، وأن تدلنا على سبيل الرشاد؛ فإنك واسع الفضل، أنت أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، فأنلنا يا ربنا من جودك، وأكرمنا من كرمك؛ فإنك ذو الأسماء الحسنى وذو الصفات العلى، أنت أهل التقوى وأهل المغفرة، فاغفر اللَّهُمَّ جما.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: لا عدوى ولا طيرة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم اليوم، **أما بعد:**

فيا أيها المؤمنون بالله وبرسوله، اتقوا الله حق التقوى، عظموا الله ﷻ حق التعظيم، فإن الحياة الدنيا إنما هي زمن لعمل الصالحات، فمن عمل الصالح، فله العقبى برحمة الله وبفضله، ومن لم يتق الله، فلن تجد له مخرجًا، ومن لم يتق الله، فستكون له عاقبة الخسرى.

عباد الله، ثبت عن النبي ﷺ في «الصحيحين» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**»(١).

يعني رسول الله ﷺ بهذا الحديث: نفي ما كان يعتقده أهل

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

الجاهلية من الاعتقادات الباطلة، التي تؤثر في القلب، وتضعف الظن الحسن، بل تزيل الظن الحسن بالله، وقد يكون معها نسبة الله ﷻ إلى النقص، إما بنفي القدرة، وإما بجعل معه شريك آخر في العبادة أو في التأثير، فيقول ﷺ للمؤمنين بالله ﷻ حق الإيمان، للذين يعتقدون أن الله ﷻ هو الذي بيده ملكوت كل شيء، يقول ﷺ: **«لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ»**؛ يعني بقوله: **«لَا عَدْوَى»**؛ يعني: لا عدوى مؤثرة بطبعها؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن العدوى تؤثر بنفسها تأثيرًا لا مرد له، وتأثيرًا لا صارف له، فقوله ﷺ: **«لَا عَدْوَى»** لا ينفي أصل وجود العدوى، ألا وهي انتقال المرض من المريض إلى الصحيح؛ لأجل المخالطة بينهما، فإن انتقال ذلك؛ لأجل المخالطة حاصل ملاحظ مشهود، ولكنه ﷺ بقوله: **«لَا عَدْوَى»** لا ينفي أصل وجودها، وإنما ينفي ما كان يعتقده أهل الجاهلية في العدوى، من أن الصحيح إذا خالط المريض، عدي بالمرض لا محالة، ولا يقع ذلك في اعتقادهم بقضاء الله وبقدره، يقولون: إن ذلك لا بد أن يكون.

ولهذا قال ﷺ: **«لَا عَدْوَى»**؛ يعني: أن المرض لا ينتقل من المريض إلى الصحيح عند مخالطة الصحيح للمريض بنفسه لا ينتقل، وإنما انتقاله وإصابة الصحيح بالمرض عند المخالطة إنما هو بقضاء الله وبقدره. وقد يكون الانتقال، وقد لا يكون، فليس كل مرض معد يجب أن ينتقل من المريض إلى الصحيح، بل إذا أذن الله بذلك، انتقل، وإذا لم يأذن، لم ينتقل، فهو واقع بقضاء الله وبقدره.

فالعدوى ـ يعني: بالمصاحبة والمخالطة من الصحيح للمريض ـ سبب من الأسباب التي بها يحصل قضاء الله وقدر الله ﷻ، وليست لازمًا حتميًا؛ كما كان يعتقد أهل الجاهلية، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه

قال: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»(١)؛ يعني: أن الإبل المريضة لا تورد على الإبل الصحيحة؛ لأن العدوى سبب للانتقال من المريضة إلى الصحيحة، وهذا فيه إثبات لوجود العدوى، ولكنه إتيان السبب. والسبب يتقى؛ لأنه قد يحصل منه المكروه؛ كما أنه إذا باشر المرء أسباب الهلاك، حصل له الهلاك بقدر الله وبقضائه، وكما أنه إذا أكل، حصل له الشبع، وإذا شرب، حصل له الريّ، فذلك كلها لأنها أسباب.

وقال ﷺ: «**وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**»(٢)؛ لأن ذلك سبب لانتقال المرض من المجذوم إلى الصحيح، فلهذا كان قوله ﷺ لتثبيت هذا النفي من أن العدوى لا تنتقل بنفسها، وأن المرء يجب عليه ألا يباشر أسباب الهلاك، ويجب عليه أيضًا أن يتوكل على الله حق التوكل، وأن يعلم أن ما قدره الله وقضاه لا بد كائن لا محالة.

لهذا كان ﷺ مرة يأكل مع المجذوم، فأدخل يده معه في الطعام؛ ليبين للناس أن ذلك المرض ليس بأمر حتمي أنه ينقل العدوى، أو ينقل ذلك المرض من المريض إلى الصحيح، وإنما هو سبب، والذي يمضي المسببات بالأسباب هو الله ﷻ، هو الله ﷻ الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي يجير ولا يجار عليه.

ثم قال ﷺ بعد قوله: «**لَا عَدْوَى**». قال: «**وَلَا طِيَرَةَ**»؛ لأن الطيرة أمر كان يعتقده أهل الجاهلية، بل ربما لم تسلم منه نفس؛ كما في حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) تعليقًا.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد في =

قوله: «**وَمَا مِنَّا إِلَّا**»؛ يعني: ما منا إلا من ستخالط الطيرة قلبه، ولهذا نجد أن أكثر الناس ربما وقع في أنفسهم بعض ظن السوء، وبعض التشاؤم، إما بريح مقبلة، وإما إذا أراد سفرًا، ورأى شيئًا يكرهه، ظن أنه سيصيبه هلاك؛ لأنه أصابه نوع تطير. والمؤمن يجب عليه أن يتوكل على الله حق التوكل؛ كما قال ابن مسعود ﷺ: «**وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»، فالطيرة باطلة، ولا أثر لما يجري في ملكوت الله على قدر الله وقضائه؛ يعني: لا تستدل بكل شيء يحصل على المكروه؛ ولهذا كان النبي ﷺ يكره الطيرة، ويحب الفأل[1]؛ لأن الفأل فيه حسن ظن بالله ﷻ، والمؤمن مأمور أن يحسن الظن بربه ﷻ.

وأما الطيرة، ففيها سوء ظن بالله، بأن يفعل بك مكروهًا؛ ولهذا كانت من اعتقادات أهل الجاهلية، ونهى عنه ﷺ بقوله: «**وَلَا طِيَرَةَ**»، ثم قال ﷺ: «**وَلَا هَامَةَ**»؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن الذي قتل يظل طائر على قبره يصيح بالأخذ بثأره، وبعضهم يعتقد أن الهامة طائر تدخل فيه روح الميت، فتنتقل بعد ذلك إلى حي آخر، فأبطل ذلك ﷺ؛ لأن ذلك مخالف لما يمضيه الله ﷻ في ملكوته، ولأن ذلك باطل في أصله، اعتقادات لا أصل لها ولا نصيب لها من الصحة.

ثم قال ﷺ: «**وَلَا صَفَرَ**»، وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن معنى قوله ﷺ: «**وَلَا صَفَرَ**»؛ يعني: لا تشاؤم بصفر، وهو الشهر المعروف، الذي نستقبل أيامه، ثم قال ﷺ: «**وَلَا صَفَرَ**»، دلنا على إبطال كل ما

= المسند (١/ ٣٨٩)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٣١٣).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**. قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: **الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**».

كانت تعتقد الجاهلية في شهر صفر، فإنهم كانوا يتشاءمون بصفر، ويعتقدون أنه شهر فيه حلول للمكاره وحلول المصائب، فلا يتزوج من أراد الزواج في شهر صفر؛ لاعتقاده أنه لا يوفق، ومن أراد تجارة، فإنه لا يمضي صفقته في شهر صفر؛ لاعتقاده أنه لا يربح، ومن أراد التحرك والمضي في شؤونه البعيدة عن بلده، فإنه لا يذهب في ذلك الشهر؛ لاعتقاده أنه شهر تحصل فيه المكاره والموبقات؛ ولهذا أبطل ﷺ هذا الاعتقاد الزائغ، فشهر صفر شهر من أشهر الله، وزمان من أزمنة الله، لا يحصل الأمر فيه إلا بقضاء الله وبقدره، ولم يختص الله ﷻ هذا الشهر بوقوع المكاره، ولا بوقوع المصائب، بل حصلت في هذا الشهر في تاريخ المسلمين فتوحات كبرى، وحصل للمؤمنين فيه مكاسب كبيرة، يعلمها من يعلمها.

ولهذا يجب علينا أن ننتبه لهذه الأصول التي مردها إلى الاعتقاد. فإن التشاؤم بالأزمنة والتشاؤم بالأشهر وببعض الأيام أمر يبطله الإسلام؛ لأننا يجب علينا أن نعتقد الاعتقاد الصحيح المبرأ من كل ما كان عليه أهل الجاهلية، وقد بين ذلك ﷺ في أحاديث كثيرة تخلص القلب من ظن السوء بربه، ومن الاعتقاد السيئ في الأمكنة، أو في الأشهر والأزمنة، كما أن بعض الناس يعتقد أن يوم الأربعاء يوم يحصل فيه ما يحصل من السوء، وربما صرفهم ذلك عن أن يمضوا في شؤونهم.

ولهذا ينبغي علينا ـ **أيها المؤمنون** ـ أن ننبه إلى هذه الأصول، وإلى الاعتقاد الصحيح، وألا يدخل علينا اعتقادات باطلة، ولا تشاؤم بأزمنة ولا بأمكنة؛ لأن هذا مخالف لما أمر به النبي ﷺ، وللاعتقاد الناصع الذي جاء به دين الإسلام.

أسأل الله لي ولكم التوفيق والرشاد، والهدى والسداد، وأن يجعلنا

معتقدين في الله الظن الحسن دائمًا، وأن نعتقد أن الله ﷻ مفيض للخيرات على عباده، ثم لنعلم أن ما عند الله ﷻ إنما يجلب بطاعته، وأن المكاره المتوقعة أو الحادثة الحاصلة الموجودة إنما تدفع بالدعاء تارة، وبطاعة الله تارة: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، فلا يرد القضاء والقدر إلا بالدعاء، ولا تستدفع أسباب الهلاك أو أسباب الفساد في النفس أو فيما حولك إلا بطاعة الله ﷻ.

جعلني الله وإياكم من المرحومين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن

عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ عن الجماعة شذ في النار، ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»(١)، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، اللَّهُمَّ، انصر عبادك المستضعفين في كل مكان، اللَّهُمَّ، ارفع راية الإسلام، واقمع أهل الشرك والشك والفساد، وانشر رحمتك بين العباد يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، انصر عبادك المؤمنين على من عاداهم من اليهود والنصارى والمشركين على اختلاف أصنافهم واختلاف مللهم يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، وارفع عن هذه البلاد الربا والزنا وأسبابهما، وادفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا فينا جميعًا رجالًا ونساء، صغارًا

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

وكبارًا، اللَّهُمَّ، أصلحنا وأصلح بنا، اجعل قلوبنا لينة لطاعتك، ونعوذ بك من قسوة القلوب، ونعوذ بك من التفريط في فرائضك، ومن غشيان مناهيك ومحرماتك، فاللَّهُمَّ، من علينا بالالتزام بما أنزلت على رسولك، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، أصلح علماء المسلمين، وأصلح ولاة المسلمين، وحكامهم يا رب العالمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على نعمه، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: لا يستوي الطيب والخبيث

الخطبة الأولى:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، أحمده سبحانه، خلق الجنة دارًا طيبة، وجعلها للطيبين، وخلق النار دارًا خبيثة، وجعلها للخبيثين، فالحمد لله على حكمته وعلى عدله، والحمد لله على فضله وبره وإحسانه لأوليائه، فهو المحمود على كل حال، وهو المحمود الذي بنعمته تتم الصالحات.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا بعده على بيضاء نقية، لا يزيغ عنها إلا هالك، تركنا، وقد أوضح لنا كل خير، وقد نهانا عن أصول الشر، فله ﷺ منا الدعاء، والصلاة عليه أول النهار وآخره. اللَّهُمَّ، فصل عليه كفاء ما أرشد وعلَّم وجاهد، اللَّهُمَّ، صل، وسلم عليه ما تتابع الليل والنهار، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد كلما صلى عليه المصلون، وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيبًا، طيب يُحب الطيبين، طيب

خلق الجنة، وجعلها دارًا طيبة، وجعلها مأوى للطيبين، طيب ﷻ يحب الطِيب والطيب من الأقوال، ويحب الطيب من الأفعال، ويحب الطيب في الكسب، ويحب الطيب في التصرفات. فالخبيث يكرهه ﷻ من الأشخاص، ومن الأحوال، ومن الأقوال، والأعمال، والأموال، ويحب الله ﷻ الطيب في ذلك كله. قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُل يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»(١).

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥١، ٥٢]، وقال ﷻ أيضًا في سورة (المائدة): ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة: ١٠٠]، في هذه الآيات يبين ﷻ أن الخبيث لا يستوي والطيب، وأنه سبحانه يُحب الطيب، ويحب الطيبين، وأمر الرسل أن يعملوا صالحًا، وأن يأكلوا من الطيبات.

فالخبيث ولو علا، والخبيث ولو ظهر، فإنه لا يساوي الطيب، ولا يوزن بالطيب، ولو كان الطيب قليلًا مستخفيًا، فإن الطيب يحبه من برأ السماوات والأرض، وإن الخبيث يكرهه من برأ السماوات والأرض؛

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فقد قال لنا ﷻ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾، الخبيث ولو كثر، فإنه لا يساوي الطيب.

ويكون الخبث في أشياء:

يكون الخبث في الأقوال، ويكون الخبث في الأعمال، ويكون الخبث - أيضًا - في اعتقادات القلوب، ويكون الخبث - أيضًا - في المكاسب، ويكون الخبث - أيضًا - في التصرفات.

وفي مقابل ذلك تكون العقائد طيبة، وتكون الأقوال طيبة، وتكون الأعمال طيبة، وتكون المكاسب طيبة.

فإنه لو أعجب المعجبون كثرة الاعتقاد الخبيث، وظهور بعض أهله، فإنه لا يساوي الاعتقاد الطيب، وطيب رفعة أهله؛ لأن الله ﷻ معهم.

وقد قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(١)، وفي لفظ آخر: «**لَا يزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ﷻ**»(٢)، فالاعتقاد الطيب في الله ﷻ بأنه سبحانه هو الواحد الأحد في ربوبيته، وهو المستحق أن تتوجه القلوب إليه بالرغبة والرهبة، وأن تتوجه الألسنة إليه بالدعاء والاستغاثة وبطلب ما عنده، وأن يكون اعتقاد المرء بالله أنه ﷻ ذو الأسماء الحسنى الكاملة، وذو الصفات العلى، ويتعبد الله ﷻ بأسمائه وصفاته بالتذلل له بأسمائه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية ﷺ، وقد أخرجاه من حديث جابر وثوبان والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص ﷺ بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٠، ٣٩٥٢)، وابن حبان (١٥/ ١٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٠٥).

وصفاته، ومعرفته ﷻ، فإن من كانت هذه حاله، طابت عقيدته، وطاب قلبه، ولا يصدر عن الطيب إلا طيبًا؛ لأن تصرفاته إذًا ستكون لله، ولأن قوله سيكون لله، ولأن محبته ستكون محبة العبادة لله ﷻ؛ لأنه سبحانه طيب، لا يقبل إلا طيبًا.

وكذلك ـ **أيها المؤمنون** ـ الخبيث من الاعتقادات، فإنه خبيث، مأوى أهله ـ إن لم يتوبوا ـ الدار الخبيثة، إما أبدًا، وإما حينًا، بحسب حالهم من الكفر والبدعة؛ فإن الله ﷻ جعل من اعتقد فيه غير الحق خبيثًا، خبث قلبه، ولو كثرت جموعهم، فإنهم خبثاء؛ لأنهم ليسوا على الحق.

فمن اعتقد في أسماء الله وفي صفاته أنها كأسماء وصفات المخلوق، فقد خبُث اعتقاده، ومن عطل الرحمٰن ﷻ عن أن يكون له الأسماء الحسنى على ما دل عليه ظاهرها، فقد خبث اعتقاده، وكذلك من عطله عن الاتصاف بصفاته، وتأول ما ورد في ذلك، وأخرجه عن ظاهره، فقد خبث اعتقاده، يكون مبتدعًا بذلك؛ لأنه خالف ما أمر به النبي ﷺ وما وصف به ربه، بل ترك ما وصف به الجبار ﷻ نفسه العالية.

كذلك من توجه لغير الله بالعبادة، بأن توجه إلى ولي صالح، أو توجه إلى نبي، فسأله أشياء، ودعاه، والنبي ﷺ يقول: «**إذا سألت فاسأل الله**»[1]، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]، فدعا غير الله، فنعلم أنه خبيث، خبث اعتقاده؛ حيث جعل لله شريكًا في الدعاء والمسألة، والله سبحانه واحد، والذي يجيب الدعاء هو الواحد الأحد، فمن توجه لغير الله بأي نوع من أنواع

---

(١) جزء من حديث ابن عباس ﭭ، أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

العبادة والدعاء والسؤال، فإنه مشرك، خبث اعتقاده، فخبث حينئذ قوله، وخبث حينئذ عمله.

وكذلك من لم يتوكل على الله سبحانه، بل جعل الأسباب هي التي تحكم العباد، وأنه إذا عمل عملًا، فإنه بجده ونشاطه سيحصل له كسبه، وسيحصل له نجاحه، وسواء كان ذلك في الأفراد أو في المجتمعات، فإن هذا اعتقاد خبيث؛ لأن الله ﷻ هو ولي النعمة، وهو الذي على كل شيء قدير: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

والله ﷻ يحب المتوكلين عليه، وعلَّمنا ﷻ أن الأسباب لا تنفع إلا بإذنه، فحينئذ صاحب الاعتقاد الخبيث يتكل على الأسباب، وصاحب الاعتقاد الطيب الذي طاب اعتقاده بالله يعمل السبب، ثم يفوض أمر الانتفاع بالأسباب إلى الواحد الأحد، الذي بيده ملكوت كل شيء.

أيها المؤمنون، كذلك في الأقوال تنقسم إلى: خبيث وطيب. فالذي خبثت أقواله ـ ولو كثرت ـ، فإنه مكروه لله ﷻ مبغض، وكذلك يكرهه عباد الله المؤمنون، الذي إذا نطق، نطق بغير الحق، وإذا تكلم، كذب، وإذا وعد، أخلف، وإذا تكلم، تكلم بالنميمة، أو تكلم بالغيبة، لسانه ينطق بأنواع من الخبث، لا يرعى ولا يذكر مقامه بين يدي الله ﷻ، بل يتساهل في الأقوال، ولا يهمه أن يكون لسانه خبيثًا، فهذا من الخبثاء الذين إن لم يغفر الله لهم، أو لم يتوبوا، فإنهم معرضون لعذاب الله ﷻ، ولتطهيرهم في الدار الخبيثة؛ حتى يكونوا طيبين. وهذا أمر صعب شديد، هل يستوي هذا الذي خبث لسانه مع ذاك الذي طاب لسانه، فإذا تكلم، تكلم بذكر الله، أو إذا نطق، نطق بالعلم والحق، وإذا تكلم، صدق، وإذا وعد، وفى، وإذا تكلم، فإنه يحمي نفسه، ويحمي عرض المؤمنين من أن

ينالوا بسوء؟ هذا الذي طاب قوله، وهذا هو الذي يحبه الله ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وثبت عنه ﷺ؛ أنه قال لمعاذ رضي الله عنه: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، قُلْتُ: يا نَبِيَّ اللهِ؛ وَإِنَّا لَمُؤاخَذون بِمَا نَتَكَلَّم بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ـ** أَوْ قَالَ: **عَلَى مَنَاخِرِهِمْ ـ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

فلا يستوي من طاب لسانه وقوله، ومن خبث لسانه وقوله، تراه واقعًا بلسانه في أنواع من المحرمات، فصار خبيثًا، يتعرض للمحرمات بلسانه، وربما صار من جراء كلامه أنواع من الفساد، وأنواع من صد الناس عن الحق، وأنواع من إبعاد الناس عن طريق الله ﷻ بأنواع الكلام، وأنواع ما يقال في أي مجال من المجالات، ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٠]، إذا تكلم أهل الحق بكلام طيب، فإنه ـ ولو كان ميدانه في الأرض قليلًا ـ فإنه الطيب، الذي يحبه الله ﷻ، ولا يستوي وكثرة الخبيث، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ﴾؛ لأن الخبيث خبيث، وإن العاقبة للطيبين.

كذلك ـ **أيها المؤمنون** ـ في الأعمال، لا تستوي الأعمال الطيبة والأعمال الخبيثة؛ فإن الأعمال الطيبة الصادرة من أهل الإيمان ـ أفرادًا كانوا أو مجتمعات ـ إنها طيبة، يحبها الله ﷻ.

فترى أهل الإيمان يسعون في الطيبات بأعمالهم، جوارحهم في

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩).

طاعة الله، في صلاة أو في سعي إلى مراضي الله، أو يتحركون في صلة أرحام، أو في أمر بمعروف، أو نهي عن المنكر، أو في كسب معاش يؤجرون عليه، أو في نحو ذلك من الأعمال الطيبة، فإنهم يعملون بالطيب، ويتقربون إلى الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١].

والعمل الطيب هو العمل الصالح في أي ميدان من ميادين الحياة، في التكافل الاجتماعي، في السعي بحاجة المسكين والأرملة والضعفاء والمساكين، وفي الأعمال الخيرة العامة للأمة، هذه كلها أعمال طيبة، يُحبها الله ﷻ.

وفي مقابل ذلك الأعمال الخبيثة، التي لا تصدر إلا عن قلب خبيث؛ كالذين يسعون في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا بأنواع من السعي؛ كالذين إذا تكلموا، تكلموا في تفريق المؤمنين، وكالذين إذا عملوا، عملوا على تفريق المؤمنين، ولم يتقوا الله في إصلاح ذات البين، وفي جمع الكلمة، وكالذين يسعون بأعمالهم في أنواع المحرمات، فإن هؤلاء وإن كَثُرت أعمالهم، وظنها الناس حسنة، فإنها خبيثة، ولا يستوي الخبيث والطيب، ولو كثر الخبيث؛ كما قال لنا ﷻ: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾ [المائدة: ١٠٠].

كذلك - **أيها المؤمنون** - في أنواع المكاسب لا يستوي الكسب الطيب والكسب الخبيث، فدرهم من حلال خير، وأكثر بركة، وأعظم عائدة، وأنجى بين يدي الله من مئات الألوف أو من ملايين من كسب خبيث محرم، من ربا، أو من رشوة، أو من غش، أو من خيانة، أو من أنواع المكاسب المحرمة.

فالذي نبت جسمه من حرام، فالنار أولى به؛(١) كما جاء في الحديث الذي ذكرناه آنفًا: «**ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُل يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»(٢)، فأنى يستجاب لذلك؟!

وقد جاء في بعض الآثار الإلـٰهية أن موسى عليه السلام قال لربه عز وجل: «**يا رب دعاك بنو إسرائيل فلم تستجب لهم**»، فقال الله عز وجل لموسى: «**يا موسى لقد مدوا إلي أيدي سفكوا بها الدم الحرام، وأكلوا بها الحرام، وعملوا بها الحرام، فأنى أستجيب لهم**».

فهذا يبين لك أن الله عز وجل لا يستجيب إلا للطيبين، وأن تخلص العبد من الخبث في أقواله وأعماله ومكاسبه أنه فرض، وأنه على العباد أن يسعوا في أن تكون أجسامهم وأجسام أولادهم وأهليهم طيبة؛ حتى إذا دعوا، أجيب لهم، وحتى إذا سألوا الله عز وجل، أعطاهم.

أسأل الله الكريم من فضله وكرمه، وأسأله سبحانه أن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يجعلنا من عباده الذين إذا قالوا، طابت أقوالهم، وإذا عملوا، طابت أعمالهم، وإذا كسبوا، طابت مكاسبهم.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٦١٤): عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أُعِيذُكَ بِاللهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَمْ يَغْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ**».

(٢) سبق تخريجه (ص٣٥٤).

اللَّهُمَّ، نسألك أن تجعلنا من الذين رضيت عنهم، فجعلتهم طيبين، وآويتهم إلى الدار الطيبة، يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥١، ٥٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، هو الداعي إلى رضوان الله، صلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سركم وعلانيتكم، فعظموا الله واتقوه، فإنه سبحانه عليم بأحوالكم، ناظر إليكم، ثم يجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا، فخير، وإن شرًا، فشر.

اللَّهُمَّ، أسألك أن تجعلنا ممن راقبك واتقاك حق تقاتك، يا أكرم الأكرمين.

عباد الله، إن الله ﷻ أمركم بأمر، بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته؛ ليدلكم على عظم أمره، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعن سائر الصحب والآل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يقاتلون في سبيلك، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، قوهم، اللَّهُمَّ، قوهم، وأمددهم بمدد من عندك، وكن لهم، وكن على أعدائهم، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، واصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم اللَّهُمَّ على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عن هذه الديار وعن جميع ديار المسلمين الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن، يا أكرم الأكرمين.

يا من يُجير ولا يجار عليه، نسألك أن تجيرنا من الخزي في الدنيا، ومن العذاب والخزي في الآخرة، فأجب اللَّهُمَّ، واغفر جمًا.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله بألسنتكم وبأعمالكم، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: هداية القرآن للتي هي أقوم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، قال الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]، يقول الله ﷻ: إن هذا القرآن الذي أنزلته ـ الذي هو وحي على محمد ﷺ، الذي حمله جبريل ؈، وسمعه من كلام الله، فبلغه محمد ﷺ ـ، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، هو هاد يدل ويرشد إلى أقوم الطرق وإلى أقوم السبل، التي من أراد أن يسلكها، فإنه على نجاة، ومن خالف ذلك، فإنه ابتغي طريقًا ليست بقويمة.

أيها المؤمنون، إن الله ﷻ أقام الحجة على العباد بهذا القرآن، وإنها لحجة عظيمة عظيمة، وإن استخف بها الأكثرون، ولم يرعها حقها أكثر

الناس: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣].

إن هذا القرآن بين أيدينا، إن هذا القرآن بين أظهرنا، إن هذا القرآن هو الذي أنزل على النبي ﷺ بين أيدينا اليوم؛ كما كان بين أيدي الصحابة ﭫ إذ كان رسول الله ﷺ حيًا بين أظهرهم وبعد وفاته ﷺ، ولكن أولئك الأقوام أخذوا بهداية القرآن، أخذوا بأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، ولم يتخذوا القرآن مهجورًا في العلم به وفي العمل.

إن هذا القرآن أخذه سلف هذه الأمة، أخذوه ليأخذوا منه كل خير، ليأخذوا منه ما أمر الله به وما نهى، ليأخذوا منه ما أوجب الله ﻷ فيه وما حرم، ليأخذوا منه ما أخبر الله به من أمور الغيبيات، فيعتقدوا ذلك، ويدعوا الناس إليه.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾، يهدي: يدل ويرشد للتي هي أقوم من السبل؛ ففي مجال العقيدة، ففي أمر الله الأعظم ـ ألا وهو أن يُعبد وحده لا شريك له ـ يؤخذ القرآن، وهو يهدي للتي هي أقوم، وغيره يهدي للضلالة، يهدي لطريق ملتبسة، يهدي لطريق ظلمة، يهدي لطريق معها الخسارة في الدنيا والآخرة، فالله ﻷ هدانا، بيَّن لنا وأرشد في هذا القرآن العظيم أن حقه ﻷ أن يُعبد وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]، هذا بيان الله للنبي ﷺ أنه إن عبد مع الله غيره، أو أشرك مع الله ﻷ أحدًا، إن أشرك مع الله أحدًا، ليحبطن عمله، وهو ﷺ، وهو النبي المكرم، الذي ما من عمل صالح إلا أتاه، ولكن إذا طرأ على عمل العبد الصالح الشرك الأكبر بالله ﻷ، حبط العمل: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

فهدى الله الناس للتي هي أقوم، فبيَّن في هذا القرآن أن العبد وإن كان من أهل الصلاة، وإن كان من أهل الزكاة، وإن كان قائمًا بالأركان والواجبات، وفاعلًا ما فعل من الجهاد ومن أعظم القربات عند الله، لكن كان عمله على الشرك، فليس هو بخير من رسول الله ﷺ، الذي قال الله له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ لأن حق الله أعظم؛ لأن حق الله أجل.

ومن الناس من لم يهتد بهداية القرآن، فظن أن للبشر مقامًا، لو أشركوا بالله، وعبدوا غيره، فإنهم لن يخرجوا من هذا الدين، أو لن تحبط أعمالهم، فاعتقدوا في بعض الناس ممن يشرك بالله، اعتقدوا فيهم ما اعتقدوا، ورفعوهم مقامات، مع أنهم مشركون، حصل منهم الشرك بالله.

وهذا نبي الله، هدانا الله ﷻ به للتي هي أقوم، وبالقرآن للتي هي أقوم، وفيه أن من عمل الشرك ليحبطن عمله، ولو كان اصلح الصالحين، لو كان نبيًا من الأنبياء، لكن العبرة أن من البشر من يُعظم حق البشر، ولا ينظر إلى عظم المعصية، لا ينظر إلى عظم حق الله ﷻ، وأن من أشرك بالله ﷻ، فإنه صادق عليه قوله ﷻ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، فلا يُغتر إذًا بعبادة عابد، ولا جهاد مجاهد، ولا دعوة داع إذا كان قائمًا على الشرك بالله، إذا كان لا يعرف الطاغوت من التوحيد، لا يعرف الشرك من الحق، لا يعرف عبادة الله وحده، وأنها الحق، وأن عبادة غيره هي الباطل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

تذكر هذه الهداية، وليكن وزنك للناس، وللفئات، وللجماعات، وللدول، ولكل ما ترى على هذا المقياس العظيم، الذي هدانا الله به للتي هي أقوم بقوله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، مهما كان عليه من الأمر، فهو من الخاسرين في الدنيا، ومن الخاسرين في الآخرة.

هدانا الله - **أيها المؤمنون** - بهذا القرآن، إن كانت لنا قلوب تعي، وإن كانت لنا أفئدة تعي، هدانا الله بهذا القرآن.

إن طاعة الرسول واجبة، وإن طاعته من طاعة الله، فأمر الله رسوله بأن يُبلغ الدين، فبلغنا محمد ﷺ أوامر الله، وبلغنا نواهيه بهذا القرآن، وبسُنَّة العدنان ﷺ.

ولكن من الناس من لم يقبل هذه الهداية، دُل، وأُرشد، وبُين له، وأقيمت عليه الحجة، ويسمع القرآن، ويعي معناه، وليس ثم شبهة في فهم المعنى عنده، ولكنه مع ذلك لا يقبل هذه الهداية للتي هي أقوم، أو بعضهم يقبلها، ولكن لا يعمل بها، فله نصيب ممن اتخذوا هذا القرآن مهجورًا.

أمر الله بالصلوات، وأمر بالصدقة والزكاة، وأمر بأركان الإسلام، وأمر بأداء الأمانات، ونهى عن الغش، ونهى عن الغرر، ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل، ونهى عن ظلم الناس في أعراضهم، وفي أولادهم، وفي أموالهم، وفي أنفسهم، وأمر الله ﷻ بحفظ العقول، وأمر الله ﷻ بالعدل والإحسان، وكل ذلك من الهداية للتي هي أقوم.

فأمر الله في العبادات بالتي هي أقوم، وبلغها رسوله، وأمر الله في المعاملات بالتي هي أقوم، وبلغها رسوله ﷺ، ومن ذلك مما بلغه ﷺ أن الله ﷻ حرم الربا، وأمر بالعدل، وحرم الغرر، وأمر بأداء الحقوق، وحرم الرشوة، وأمر بالعدل بين الناس في التساوي، وبالتساوي في الفرص وفيما يستحقونه.

وأمر الله ﷻ في المعاملات بأن تكون المعاملات على خير، وأن لا يرتكب فيها ما نهى الله، وبيَّن رسوله أن كل شرط ليس في كتاب الله، فهو باطل، وإن كان مئة شرط[١]، فضعف بعض المسلمين في الإيمان، وتركوا هداية القرآن، وأخذوا بالربا، الذي يمارسه الكفرة، وأخذوا بالغرر، الذي يمارسه الكفرة، وأخذوا بأنواع من المعاملات، استجلبوها من بلاد الكفر، من طرائقهم في البيع والشراء، وأكثرها محرم؛ لما يشتمل عليه من الظلم والغرر وأكل أموال الناس بالباطل.

والنبي ﷺ ثبت عنه أنه نهى عن الغرر[٢]، قال العلماء: النهي يدل على الفساد، فكل معاملة اشتملت على غرر، فهي معاملة فاسدة، كذلك البيوع، كذلك أنواع المعاملات التي تشتمل على شروط باطلة، فإن هذه الشروط إذا كان العقد في أصله صحيحًا، إن هذه الشروط باطلة، وإن أحق الشروط أن يوفى به ما أذن الله ﷻ به، وما أمر به، وكل شرط ليس في كتاب الله، فهو باطل، وإن كان مئة شرط.

وانظر، ترَ ما حل بالمسلمين من أنواع ظلم بعضهم بعضًا في الأموال، وأكثر الناس لا يشعر بذلك، والله ﷻ هدى بهذا القرآن للتي هي أقوم، والله ﷻ هدى، وبيَّن، وأرشد ما يجب أن يُتبع في أمور العقيدة، وفي أمور المعاملة، وفي أمور العبادة، لكن هل يأخذ بذلك

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢١٥٥)، ومسلم (١٥٠٤) عن عَائِشَةُ ﵂: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اشْتَرِي وَأَعْتِقِي، فَإِنَّمَا الوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ العَشِيِّ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: **مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ شَرْطُ اللهِ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٥١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ**».

المسلمون، أم أنهم يترددون، وتضعف أنفسهم أمام ما يأتيهم من الغرب أو الشرق، أمام الشبه وأمام الشهوات؟ هدى الله في هذا القرآن المؤمنين لما به تصح قلوبهم، وتطيب أرواحهم، وتكون عباداتهم خاشعة، وتكون صلتهم بالله قائمة على تعظيمه وتبجيله، هدى الله المؤمنين إلى سبب ذلك، وإلى أسباب ذلك، ومنها غض البصر عن المحرمات، والبعد عن الزنا، وما يُقرب إليه، فأبى كثير من المسلمين ذلك، فلم يغضوا البصر عما حرم الله، لم يغضوا البصر عن الشهوات، عن شهوة النساء، وأطلقوا البصر؛ لذلك تجد أن صلاة أكثرهم ليست بخاشعة، وأن أنسه بالله ليس كاملًا، بل إن أنسه بالله ضعيف ضعيف؛ لأن الصورة إذا اشتغل القلب بها، وأنست بها العين، وحلت بالقلب، فإنها تضعف التعلق بالله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

فمن أراد الزكاة، من أراد تزكية النفس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩]، من أراد الفلاح بالتزكية، فليبعد وليبعد عن رؤية النساء، وعن إطلاق البصر في الشهوات، فإن غض البصر به يورث النور في القلب، وإن النور في القلب ـ نور الإيمان، ونور العلم، ونور العمل ـ سبيله غض البصر، والطريق إليه أن تغض البصر؛ تعظيمًا لله ﷻ، والله حرم الزنا، وحرم الوسائل إليه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢]. ومن قرب الزنا أن يستأنس المرء برؤية الصور المحرمة، سواء كانت صور لنساء تُعرض في التلفاز أو تعرض في الأفلام أو نحو ذلك، أو كانت صورًا على الطبيعة؛ فإنه لا فرق في التأثر بين هذا وهذا؛ لأن الأثر في القلب واحد، فالصورة صورة، والتعلق بها يُذهب نور الإيمان من القلب، ويذهب الأنس بالله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الإسراء: ٩]،

إنها بشارة للذين يعملون الصالحات، للذين أخلصوا، وتابعوا محمدًا ﷺ في العمل، وأخذوا بهداية القرآن، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هدانا الله في هذا القرآن لأداء الحقوق، وللبعد عن شرب الخمور، هدانا الله في هذا القرآن للتعاون على البر والتقوى، وللأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هدانا في هذا القرآن لاتباع السُّنَّة، وطاعة الله ورسوله، هدانا الله في هذا القرآن للتحبيب لطرق نيل الجنة، هدانا الله، ودل، وأرشد إلى ما نتباعد به من النار، هدانا الله إلى ما به تزكو نفوسنا، وتطيب أرواحنا، ولكن الشأن في المسلمين، هل يأخذون بهداية القرآن وبما بيَّنه النبي ﷺ، أم أنهم يسترسلون مع الشهوات؟ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

أيها المؤمن، إن المسألة خطيرة، إن مسألة الحياة ليست بالسهلة، فَفَكِّرْ؛ فإن الحياة ميدان قصير، والآخرة هي عمرك الباقي الطويل، الذي لا انقضاء له، فإن آثرت هذه الدنيا على الآخرة، فلست بذي لب، ولست بعاقل، ولا تعرف مصلحة نفسك. ثم تأمل، تأمل فيما به نجاتك يوم القيامة، وأدم النظر والتدبر لهذا القرآن، وأطع الله ورسوله؛ فإن في ذلك الفوز والنجاة.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن قبل وعمل بهداية القرآن، ولا تجعلنا من المعرضين، ولا الجاهلين، ولا الغافلين، نعوذ بك من الغفلة، ونعوذ بك من الجهل، وأنت أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، وأكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ

﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن في التقوى نجاتكم، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»(١)، فقد أمر الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك لتكون كلمة الله هي العليا، اللَّهُمَّ، أيدهم بتأييدك، وانصرهم بنصرك، وأمددهم بمدد من عندك؛ فإنك أنت القوي العزيز، فقوهم، وأعزهم يا أجود الأجودين، ويا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، اللَّهُمَّ، ومُنَّ عليهم بالمستشار الصالح الذي يذكرهم إذا نسوا، ويعينهم إذا ذكروا، ويحبب إليهم الخيرات، يا مجيب الدعوات.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عن هذه الديار وعن ديار المسلمين الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك صلاحًا في قلوبنا، لا يغادر منا أحدًا، اللَّهُمَّ، أصلح قلوبنا؛ فإنك جواد كريم، ونحن ضعاف سائلون، اللَّهُمَّ، أصلح قلوبنا جميعًا، اللَّهُمَّ، صلاحا في قلوبنا جميعًا، وتوبة قبل الممات، اللَّهُمَّ، ارض عنا، اللَّهُمَّ، ارض عنا، واختم لنا بالصالحات.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: وصايا أبي الدرداء رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله، جعل لهذه الأمة منابر هدى، وقدوة صالحة ليقتدي بها الأولون، وليقتدي بها الآخرون: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. فالحمد لله على أن أقام لنا الحجة، وجعل السبيل واضحة، لا لبس فيها، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، هو إلـه الأولين وإلـه الآخرين: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام: ٣].

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بلَّغ، وبشَّر، وأنذر، وتركنا على البيضاء، على طريق بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك، فصلى الله وسلم على نبينا محمد تارة أخرى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد كلما صلى عليه المصلون، وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ اختار فيما اختار رجالًا صالحين لصحبة محمد ﷺ، اختارهم، وهو ﷷ يختار ما يختار لفضل منه ﷷ ولحكمة: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، وصحابة رسول الله ﷺ مدرسة عظيمة، تربى عليها الناس فيما بعدهم، تربى عليها التابعون؛ إذ رأوا أفعالهم، وأخذوا أقوالهم، وتدارسوها، وتربى عليها العلماء الصالحون فيما بعدهم؛ حيث نظروا في أقوالهم، وأخذوها دروسًا، وجعلوا يتدبرون ويتأملون فيها، وليس من عجب أن كان ذلك كذلك؛ لأنهم الصحب الذين ﷺ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وكان منهم المهاجرون، وكان منهم الأنصار، والأنصار كانوا أنصارا لرسول الله ﷺ، نصروا دينه لما تخلت عنه ﷺ قريش، وتخلت عنه القبائل فيما حول مكة، فأقبلوا على دين الله، ونصروه بألسنتهم، ونصروه بأعمالهم، ونصروه بسيوفهم وأرواحهم، فرضي الله عنهم أجمعين؛ كفاء ما بذلوا، وكفاء ما عملوا، وكفاء ما أدوا لهذه الأمة، ونقلوا دين الله إلى الناس أجمعين.

كان من هؤلاء من وصفه النبي ﷺ بأنه حكيم هذه الأمة، فيما روي عنه ﷺ، من وجه مرسل، فقال ﷺ: «**حَكِيمُ أُمَّتِي عُوَيْمِرٌ**»(١)، وثبت عن عدد من الصحابة ﷺ أنهم قالوا: «**أَعْقَلُ النَّاسِ عُوَيْمِرٌ**»(٢)، وأبو الدرداء ﷺ هذا صحابي من الأنصار خزرجي، هو عويمر بن

---

(١) أخرجه الطبراني في الشاميين (٢/ ٨٨)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٠٩) عن شريح بن عبيد ﷺ.

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣٤٩)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٣٤)، والذهبي في السير (٤/ ١٨): (كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو يَقُولُ حَدِّثُونَا عَنِ الْعَاقِلَيْنَ. فَيُقَالُ: مَنِ الْعَاقِلانِ؟ فَيَقُولُ: مُعَاذٌ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ).

زيد بن قيس، وقيل عويمر بن عامر، كان عبدًا صالحًا، وكان سيدًا من سادات القراء.

لم يجمع من الصحابة ﷺ القرآن كاملًا على عهده ﷺ إلا نفر قلائل، كان منهم أبو الدرداء رضي الله عنه وأرضاه. قال الذهبي رحمه الله: (أول من سن الحلق لإقراء القرآن في المساجد أبو الدرداء رضي الله عنه)[(١)].

أسلم أبو الدرداء رضي الله عنه يوم بدر بالمدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ أُحدًا والمشاهد بعدها، ولما رأى النبي ﷺ حاله يوم أُحد، وحاله في دفاعه عن النبي ﷺ لما تفرق عنه الناس، قال: «**نِعْمَ الْفَارِسُ عُوَيْمِرٌ**»[(٢)].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه بيتًا للحكمة وبيتًا للعلم؛ لهذا ولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء دمشق، وتوفي رضي الله عنه بدمشق في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه.

كان له أصحاب، وكان يعظ الناس بكلامه؛ لكي يتأثر الناس، وكان يعظ الناس بعمله بعمل صامت، فجمع في الوعظ وجمع في الهداية بين العمل والقول، تأثر الناس بعمله، وتأثر الناس بقوله.

وإنه لمما ينبغي علينا - **أيها المؤمنون** - أن ننظر في أقوال صحابة رسول الله ﷺ؛ لننظر كيف نقلوا الإسلام قولًا وعملًا إلى الناس بعدهم إلى زماننا، وكل صلاح يرجى في الناس، فإنما يكون بالنظر في حال صحابة رسول الله ﷺ، وبتدارس أقوالهم، والنظر في أعمالهم، ففي النظر في أعمالهم ما يجعل المرء ذا همة قوية في طلب الحق، وفي الجهاد والاجتهاد في العلم والعمل، وبالنظر إلى أقوالهم يكون المرء في

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤٦): (وَهُوَ الَّذِي سَنَّ هَذِهِ الحِلَقَ لِلقِرَاءَةِ).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٨٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ١٠١، ٦/ ٨٨).

مدرسة وفي تربية يفقدها إذا لم يقبل على أولئك الصحابة ﷺ، يدرس أقوالهم ويتدبرها.

أبو الدرداء ﷺ كان ذا حكمة غريبة، وكان ذا حكمة بليغة؛ ولهذا كان ابن عمر ﷺ يقول لأصحابه: «كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو يَقُولُ: حَدِّثُونَا عَنِ الْعَاقِلَيْنَ. فَيُقَالُ: مَنِ الْعَاقِلانِ؟ فَيَقُولُ: مُعَاذٌ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ»(١).

معاذ ﷺ كان في شأنه في الإسلام وفي علمه بالحلال والحرام ما تعلمون، وأما أبو الدرداء، فأقواله وأحاديثه في التربية وفي إصلاح النفس والمجتمع كثرت في كتب أهل العلم، ونأخذ منها شيئًا؛ ليكون دليلًا على غيره؛ لعلنا نتعظ كما اتعظ أصحابه ﷺ: «حَدِّثُونَا عَنِ الْعَاقِلَيْنَ. فَيُقَالُ: مَنِ الْعَاقِلانِ؟ فَيَقُولُ: مُعَاذٌ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ».

أبو الدرداء ﷺ كان من أقواله أن قال: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ فَأَحِبُّوا أَهْلَهُ، فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلا تُبْغِضُوهُمْ»(٢)، وهذه وصية للأمة جميعًا؛ لأن أشرف ما في هذه الأمة العلم، وأي علم؟ العلم بالله ﷻ، العلم بكتابه وبسُنَّة رسوله ﷺ؛ لأن هذا هو العلم الذي أُمر المصطفى ﷺ بالازدياد منه، قال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قال العلماء: (لم يأمر الله نبيه ﷺ أن يدعوه بالازدياد من شيء إلا من العلم).

وأهل العلم مرفوعون درجات: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣٤٩)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٣٤)، والذهبي في السير (٤/ ١٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٧٣).

لهذا أبو الدرداء ﵁ قال: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ»؛ لأن الناس ليسوا على حد سواء في أن يكونوا طلبة علم ومقبلين على العلم، وإن عجزتم عن طلب العلم، قال: «فَأَحِبُّوا أَهْلَهُ»؛ لأن محبة أهل العلم تجعل المحب مع من يحب، تجعله يسألهم، ويقتدي بأقوالهم وبأفعالهم، ويكون ذا صلة بهم إن لم تحصل المحبة.

قال: «فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلا تُبْغِضُوهُمْ»؛ لأن بغض أهل العلم بغض لصفوة المؤمنين؛ لأن الله ﷻ أمرنا بمحبة المؤمنين جميعًا، قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]؛ يعني: بعضهم يحب بعضًا، وينصر بعضًا.

وأولى أهل الإيمان بالمحبة أكثرهم خشية وأكثرهم علما؛ لهذا قال: «فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلا تُبْغِضُوهُمْ»، وأي جناية أيها المؤمن تجنيها على نفسك إذا أبغضت أهل العلم؟! وكيف يكون بغضهم؟ يكون بأشياء: إما بمسبتهم، وإما بنقدهم، وإما بأن تكون وقوعًا فيهم تارة بحق وتارة بباطل.

أهل العلم ليسوا كاملين معصومين، لكن إن رأيت فيهم نقصًا، فإشاعة النقص في الناس؛ يعني: ألا يأخذ الناس من أهل العلم، فإن ترك الناس أهل العلم لا يأخذون منهم، فمعنى ذلك الجناية على أخذ الشريعة، فممن يأخذ الناس الشريعة، إن لم يأخذوها من أهل العلم؟! لهذا جاءت وصية أبي الدرداء عويمر بن عامر ﵁، ويقول لك: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ فَأَحِبُّوا أَهْلَهُ، فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلا تُبْغِضُوهُمْ»؛ ليبقى في القلب إجلال أهل العلم، الذين ملأ صدورهم كتاب الله والعلم بسُنَّة المصطفى ﷺ.

وأيضًا من أقوال أبي الدرداء ﵁؛ أنه قال لأصحابه يومًا: «إِنِّي

لَآمُرُكُمْ بِالْأَمْرِ وَمَا أَفْعَلُهُ، وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ أُؤْجَرَ عَلَيْهِ»[١]، وهذا من الفقه العظيم في دين الله، وليس أنه من يأمر ولا يفعل الذي ذُم، ولكن العبد المؤمن يجمع في امتثاله للشرع بين امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهو عليه أن يأمر بالخير، وعليه أن يمتثل الخير، فإن فاته أحدهما، فلا يجوز له أن يفوت الآخر؛ لهذا قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ إمام دار الهجرة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما كل ما نأمركم به نفعله، ولو تركنا الأمر لأجل عدم الفعل ما أمرناكم إلا بالقليل)، هل معنى ذلك أنهم يتركون الأمر إلى محرم؟ لا، ولكن أهل العلم وأهل الجهاد عندهم من معرفة الأحكام ما يرتبون فيه المصالح، ويجعلون الحسنات درجات.

وليس كذلك كل من أُمر بمعروف أو نُهي عن منكر؛ لهذا قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي لَآمُرُكُمْ بِالْأَمْرِ وَمَا أَفْعَلُهُ، وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ أُؤْجَرَ عَلَيْهِ»؛ يعني: أنه يأمر بمستحبات، يأمر بأشياء من الخير يفعلونها، وليس كل ما أمرهم به يفعله؛ لأنه منشغل عنه بما هو أهم منه في حقه. وأما في حقهم، فليس الأمر كذلك، بل لا بد أن يكونوا مأمورين بهذا، وإذا أتته الفرصة، وكان في فراغ من أمره، فإنه يرغب في المستحب وفي غير المستحب؛ يعني: في الواجب ودرجاته؛ كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]؛ يعني: بأنواع الواجبات والمستحبات.

بعض الناس لا ينتبه لهذه المقالة وهذا الأصل الشرعي، فإذا كان على شيء من الخطأ، قال: أنا لا آمر بالخير؛ لأني لا أمتثله، ولا أنهي عن المنكر؛ لأني ربما فعلته. وهذا غلط على الشريعة؛ لأنه يجب عليك

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١١١)، وأبو نعيم (١/ ٢١٣)، وابن عساكر (٤٧/ ١٤١).

أن تأمر وتمتثل، فإن فاتك الامتثال، فلا يفتك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بد أن تمتثل هذا، وأن تجتنب هذا، فهذا واجب، وهذا واجب، وإذا فاتك أحد الواجبين، فلا يجوز أن تفوت الآخر.

ومن أقوال أبي الدرداء ﷺ؛ أنه قال لأصحابه مرة: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قِيلَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَنْ يُرَى الْجَسَدُ بِهِ خَاشِعًا، وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ»(١)، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ»(٢).

«اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قِيلَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَنْ يُرَى الْجَسَدُ بِهِ خَاشِعًا» مطرقًا في الصلاة «وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ»، هذه حال أهل النفاق؛ لأنهم في الصلاة يصلون مع المسلمين، ولكن قلوبهم ليست خاشعة لله، بل يراؤون الناس، ولا يذكرون الله إلا قليلًا.

لماذا قال أبو الدرداء ﷺ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ»؟ ليُقر في قلوبنا أن لا نجعل ذلك أمرًا مسلمًا مرضيًا به، كثيرون من يكون في قلوبهم عدم الخشوع، ويكون خشوعهم خشوع بدن، وهو يعلم أن قلبه ينازعه إلى أنواع من الكبائر والمنكرات، وينازعه إلى أنواع من ترك الواجبات، ثم يقول له أبو الدرداء ﷺ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ»؛ يعني: إذا كنت على هذه الحال، فلا ترض من نفسك بهذه الحال، بل استعذ بالله، والتجئ إليه، واعتصم به، وعُذ به، ولُذ به، وأقبل عليه؛ لكي يزيل ما في قلبك من خشوع النفاق، الذي هو أن

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٢٢٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٤٣)، والبغوي في شرح السُّنَّة (١٤/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٩٥)، وفي مسند الشاميين (٤/ ٢٧)، وعبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٨٦)، وأبو داود في الزهد (ص٣٠٦).

يكون القلب غير خاشع. ترى الناس يصلون، ولكن الخاشع منهم قليل، كان صحابة رسول الله ﷺ يتعبدون العبادات، وربما كان من بعدهم أكثر منهم تعبدًا، ولكن كانوا يتعبدون بقلوب خاشعة؛ لهذا لما قيل للحسن البصري رضي الله عنه: هؤلاء التابعون أكثر عبادة من صحابة رسول الله ﷺ، فكيف كان الصحابة رضي الله عنهم أرفع منهم منزلة؟ قال الحسن رحمه الله: (كان الصحابة يتعبدون والآخرة في قلوبهم، وأما هؤلاء، فيتعبدون والدنيا في قلوبهم، وشتان ما بين هذا وهذا).

لهذا أبو الدرداء رضي الله عنه أيضًا قال: «يَا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ كَيْفَ يَغْبِنُونَ سَهَرَ الْحَمْقَى وَصِيَامَهُمْ؟ وَلَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرٍّ صَاحِبِ تَقْوَى وَيَقِينٍ أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنْ عِبَادَةِ الْمُغْتَرِّينَ»(١)، المقصود خشوع القلب، وخشوع القلب معناه: استكانته، وإقباله، وخضوعه، وسكونه لله عز وجل، فلنستعذ بالله من خشوع أهل النفاق. اللَّهُمَّ، إنا نعوذ بك من خشوع أهل النفاق، اللَّهُمَّ، اجعل خشوعنا خشوع أهل الإيمان ظاهرًا وباطنًا، يا كريم.

ومن أقوال أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أنه قال رضي الله عنه ـ وقد مر على رجل عمل ذنبًا، وحوله أناسًا يسبونه، رجل عمل ذنبًا، وعلم بذنبه أناس، فمر عليهم أبو الدرداء رضي الله عنه، وهم يسبونه ـ، فقال لهم أبو الدرداء رضي الله عنه ـ وهو البصير بعلاج البعد عن الدين، وعلاج أهل العصيان، وعلاج أهل القلوب المريضة ـ، فقال لهم: (أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٧/ ١٧٥) من طرق عن أبي سعيد الكندي عمن أخبره عن أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفًا، وفي سنده مجهول.
قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا من جواهر الكلام وأدلة على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على من بعدهم في كل خير رضي الله عنهم». انظر: الفوائد لابن القيم رحمه الله (ص١٤١).

مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي)[١].

لكن انظر إلى تنبيهه لأهل الإيمان، إذا وجدوا رجلًا قد وقع في ذنب، فإنهم لا يتركونه، بل مثَّله بمن كان في قليب لا يجد من ينجيه منها، في قاع قليب، فماذا يفعل أهل الإيمان مع أخ لهم وقع في مهلكة؟ أيسبونه، ويقولون: لم تدخل هذا القليب؟ ولم تجعل نفسك هكذا وهكذا.. إلى آخره؟ لا، بل يسعون في نجاته، ويحرصون على ذلك.

إذًا فالسلبي هو الذي يسبه، بل إن مسبة العاصي لا تجوز في الشريعة، بل نسأل الله لإخواننا الهداية، ونحمد الله الذي عافانا، ثم نسعى في أن ننقذهم من شر الذنوب والعصيان؛ لأنهم ما أذنبوا إلا لوقوعهم فريسة لمكر إبليس عدو الله وعدونا.

إذًا فهذه الوصية - **أيها المؤمن** - وصية عظيمة، إذا رأيت أحدًا وقع في معصية، فلا بد أن تبذل له السبب، وإذا نظرنا - أيها الإخوة - في زماننا هذا، وجدنا كثيرين يسمعون بأناس وقعوا في معصية، فتجده يقول: هذا وقع في كذا وكذا، وهذا يذهب ويسافر، ويفعل كذا وكذا، وهذه العائلة حصل منها كذا وكذا، وتراه ينتقد بشدة، ويسب، وربما استهزأ - والعياذ بالله -، وإذا سألته: ما الذي عملته لإخوانك في تركهم لهذه الذنوب؟ تجده يقول: لم أفعل شيئًا.

إذًا كان وسيلة من وسائل الشيطان أيضًا؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إذا**

---

(١) انظر: تاريخ دمشق (٤٧/١٧٧).

قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ». قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: «لَا أَدْرِي، أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ»[١]؛ يعني: كان في مقاله ذلك سببًا في هلاكهم، والنبي ﷺ نهى أن نتحدث بكل ما سمع، فقال ﷺ: «**كَفَى بالمرء كَذِبًا أن يحدث بِكُلِّ ما سمع**»[٢]. وقال ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ**»، وفي ضبطه، «**فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**»[٣]، فلا بد أن نسعى في إصلاح الغلط وفي نصح أهل الذنب، وأن نكتم الذنوب، وننشر الخيرات.

إذا رأينا رجلًا عنده خير، فلنقل: فعل كذا وكذا من الخير؛ لأنه بذلك ينتشر الخير، ويكون الناس يقتدي بعضهم ببعض في الخير، وأما إذا نشرنا الشر، فإن الناس يتساهلون فيه وبه، فيقول: فلان فعل كذا من المعاصي، وهذا فعل كذا، وهذا فعل كذا. فيظن الظان أن الشر أكثر من الخير، فيتساهل بالشر، فيقبل عليه.

رحم الله ورضي عن أبي الدرداء، وجزاه عن أصحابه وعن الأمة بعده.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تبصرنا في ديننا، وأن تجعلنا من أتباع أصحاب نبيك ﷺ.

اللَّهُمَّ، إنا نعوذ بك من الغفلة، ونسألك أن تجعلنا من أهل التفكر والتذكر، اللَّهُمَّ، اجعل الآخرة في قلوبنا، ونعوذ بك أن تكون الدنيا في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٥).

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/٨)، وأحمد (٢/ ٢٣٥)، وابن ماجه (٣٨)، والترمذي (٢٦٦٢)، والطيالسي (٢/٢١٧)، والطبراني في الكبير (٧/ ١٨٠، ٢٠/ ٤٢٢، ٤٢٣)، وابن حبان (١/٣١٢)، وابن أبي شيبة (٥/٢٣٧).

قلوبنا، اللَّهُمَّ، اجعلها في أيدينا، وأخرجها من قلوبنا، اللَّهُمَّ، استعملنا فيما تحب وترضى، ونعوذ بك مما تسخط وتأبى، يا كريم، نعوذ بك من الخزي في الدنيا ومن العذاب في الآخرة.

واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له؛ تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ، شذ في النار، وعليكم بتقوى الله ﷻ، عليكم بتقوى الله؛ إنه من يتق الله، يجعل له مخرجًا؛ كما قال ربنا ﷻ: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ

مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

وتقوى الله - **أيها المؤمنون** - في كل مقام بحسبه، إذا أتى أمر الله ﷻ، فتقوى الله أن تمتثل هذا الأمر، إذا أتى وقت الصلاة، فتقوى الله أن تصلي، إذا أتى أمر لله بصلة الرحم أو أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، فتقوى الله في هذا المقام أن تمتثل الأمر، وأن تأمر بالمعروف، وأن تنهى عن المنكر، إذا أتى المقام في مقام فيه منكر وفيه معصية، فتقوى الله أن تتذكر مقامك بين يدي الله، وأن تتذكر حق الله عليك، وأن تبتعد عن ذلك، فتقوى الله في كل مقام بحسبه، وجماعها أن تعظم أمر الله، وأن تعظم نهي الله ﷻ.

هذا واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ، أيدهم بتأييدك، وأمددهم بمدد من عندك، وقوهم بقوتك؛ فإنك أنت القوي العزيز.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع للمؤمنين منارًا، اللَّهُمَّ، ارفع للمؤمنين في كل مكان منارًا.

اللَّهُمَّ، اجعل الدائرة على عدوك وعدوهم، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل والبغي والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تجعل قلوبنا مطمئنة للإيمان، وأن تجعلنا مع ولاة أمرنا من المتعاونين على البر والتقوى، وغير متعاونين على الإثم والعدوان، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن هذه البلاد خاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويعافى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، يا سميع الدعاء.

اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح، نعوذ بك أن نموت على غير توبة، نعوذ بك ـ اللَّهُمَّ ـ أن نموت على غير توبة، اللَّهُمَّ، فأعذنا، اللَّهُمَّ، فأعذنا، اللَّهُمَّ، فأعذنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ومن كل سبب يؤول بنا إلى سخطك والنار، يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: ولاية المؤمن

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بشَّر، وأنذر، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرهم منه، نصحهم حق النصيحة، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تتابع الليل والنهار، وما أشرقت الشمس وغربت، صلى الله على نبينا محمد؛ كفاء ما أرشدنا وبيَّن لنا، وكفاء ما أوضح لنا المحجة، وكفاء ما حذرنا من الشرور.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ جعل الولاية بين المؤمنين قائمة، فالمؤمن يحب أخاه المؤمن، يحبه، ويوده، وينصره، يحب أخاه محبة قلبية، وسبب تلك المحبة إنما هو اشتراك القلبين، اشتراك القلبين في الإيمان بالله، وفي محبة الله، ومحبة رسوله ﷺ، وفي الاستسلام لله ﷻ باتباع دين الإسلام، فالمؤمنون بعضهم لبعض أولياء، المؤمن ولي للمؤمن، يحبه وينصره، ويحمي عرضه، ولا يرضى أن يهان أو يذل، ولا يرضى

المؤمن أن يكون أخوه المؤمن الآخر مهينًا ذليلًا بين الناس، بل إنما إذا وقع ذلك، ينصره، وذلك من مقتضى محبته له وولايته له، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، فأثبت الولاية بين المؤمنين، ومحبة المؤمن للمؤمن.

ومن ثمرات تلك الولاية وتلك المحبة أن يحمي المؤمن عرض أخيه المؤمن، وأن لا يقذفه بأمر ولا يقذفه بعيب وقع فيه، وإنما تلك الولاية تقود المؤمن لأن ينصح لأخيه المؤمن، وأن يحب له من الخير ما يحبه لنفسه.

فكل هذه الأمة خطَّاء، وخير الخطائين التوابون، فإذا وقع الخطأ، إذا وقعت الزلة من المؤمن، فإن أخاه المؤمن يسعى في النصيحة إليه بما يحبُ أن يُنصح به؛ فإن القلب يُحب النصيحة الخالصة، التي ليس فيها تشهير، وليس فيها تشف، وليس فيها غرض من أغراض النفس، وعند ذلك يتمثل الإيمان بين المؤمنين رابطًا قويًا، يحمي بعضهم بعضًا، وينصر بعضهم بعضًا.

وقد شاع بين الناس في هذا المجتمع ـ بل وفي كل مجتمع يضعف فيه الناس عن امتثال أمر الله وعن امتثال أمر رسوله ﷺ ـ أن تكون بعض مجالسهم وقيعة في إخوانهم المؤمنين، وأذية للمؤمنين والمؤمنات.

بعض الناس الذين ضعف إيمانهم إذا سمعوا باطلًا، إذا سمعوا خطأ وقع فيه بعض إخوانهم المؤمنين، أشاعوه، ونشروه، ورأوا أنهم بذلك نصحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذا خلاف ما يقتضيه الإيمان، وتقتضيه المحبة بين المؤمنين، هذا إن كان ذلك الذي يُذكر صوابًا، فكيف إذا كان إفتراء؟ كيف إذا كان كذبًا يتناقله الناس دون رعاية لحق إخوانهم المؤمنين؟

يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]، فبيَّن الله ﷻ وتقدست أسماؤه في هذه الآية أن الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات، ويؤذونهم بأشياء لم يكتسبوها، ولم يفعلوها، وهم براء منها أنهم قد ﴿احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، ﴿احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾: وهو الإفك الذي لم يأت أصحابه عليه ببينة، إنما سمعوا القالة السيئة، فنشروها، ورددوها، وليس لهم على ذلك برهان، وليس لهم عليه بينة، واحتملوا أيضًا إثمًا مبينًا، إثمًا يبوء به صاحبه، بين أنه إثم، بين أنه معصية، بين أن صاحبه ليس له عليه أجر، بل عليه الإثم والسوء في هذه الدنيا وفي الآخرة.

وهذا الوصف الذي جاء في هذه الآية شاع، هذا الوصف الذي جاء في هذه الآية شاع من قديم، فرمى المؤمنين والمؤمنات طائفةٌ، رموا أعلى المؤمنين إيمانًا، وأعلى المؤمنات إيمانًا، وهم صحابة رسول الله ﷺ، رموهم بغير ما اكتسبوا، رماهم الرافضة في زمن الصحابة ﷺ وفيما بعده من الأزمان، رموا أصحاب رسول الله ﷺ بأشياء لم يعملوها، ولم يكتسبوها، بهتان وإثم مبين؛ كما وصف الله ﷻ بأنهم اكتسبوا بهتانًا وإثمًا مبينًا، لما رموا الصحابة، وهم أعلى المؤمنين إيمانًا. وهذا شاع في الناس فيما مضى من الزمان، وشاع في هذا الزمان.

كذلك رمى طائفة من هذه الأمة ممن يلي الصحابة ﷺ في الإيمان، وفي تحقيق الإسلام، وهم علماء هذه الأمة، الذين اهتدوا بهدي الله، والذين ساروا بالسُّنَّة، والذين دعوا إلى عقيدة التوحيد، وإلى عقيدة السلف الصالح فيما مضى من الزمان وفي هذا الزمان، فشاع في طائفة من الذين خف عليهم إيمانهم، ومن الذين رأوا انهم إذا كانت قدمهم في النار، فإن هذا ليس مهمًا بالنسبة لهم، وقعوا في علماء الأمة

بغير ما اكتسبوا، ترى الواحد منهم يقول كلمة، هي من الظن، ليست من اليقين، إنما يظنها ظنًا، يقول: أظن كذا. فيسمعها الآخر في المجلس، فيحورها إلى أنه قيل كذا، فيأتي الثالث، فيحورها إلى أنني سمعت كذا، فيأتي الرابع، فيقول: حدثني الثقة بكذا. فيأتي الخامس، فيجعلها حقًا، يجعلها حقيقة، لا تقبل النقاش ولا الجدال، فتسير في الناس، وهي رمي للعلماء، ورمي لأولئك الهداة بغير ما اكتسبوا بشيء لم يكتسبوه، ولم يفعلوه، وإنما هو رمي رماهم الناس به.

وقد قال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(١)، وهذا هو الواقع في كثير من المجالس، يذكرون أولئك العلية، أولئك الصفوة، الذين دعوا إلى الهدى، ودعوا إلى عقيدة السلف الصالح، ودعوا إلى الاستمساك بالإسلام، رموهم بما هم براء منه، وغاية ما يكون أن يكون القول ظنًا، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، ففرض على المؤمنين أن يجتنبوا الظن فيما بينهم، وأن يجتنبوا اللمز فيما بينهم، ألا يلمز المرء منهم أخاه أو أخته في الإسلام، فكيف بأن يكون اللمز موجهًا لورثة الأنبياء، الذين هم الصفوة، هم الصفوة، وهم النخبة، الذين اصطفاهم الله ﷻ لحمل الدين ولوراثة النبي ﷺ؛ حيث قال ﷺ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»؟!(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه =

نعم، إن هذا الأمر واقع، وواجب على المؤمنين أن تكون مجالسهم مبرأة من البهتان، مبرأة مما يكسبهم الإثم المبين والذنب العظيم بالوقيعة وباللمز لهداة الأمة من علمائها، الذين هم صفوتها، وهذا شاع، وكأن الناس في هذا الزمان لا يهمهم أن تكون أقدامهم واردة على النار، صالية بعض العذاب، والعياذ بالله.

فواجب على أهل الإيمان، واجب أن يكون بينهم التناصح، وأن يكون بينهم المودة، التي من آثارها أن يحموا عرض بعضهم بعضًا، وأعلى عرض حق أن يحمى هو عرض علماء هذه الأمة.

فإن ظن السوء عاقبته لأصحابه وخيمة، فمن ظَن سوءًا بإخوانه، ظُن به سواء، ومن تَشفى، تُشفى منه؛ لأن الحسنة يجزى صاحبها عليها بمثلها، والسيئة تعود على صاحبها بمثلها، والعياذ بالله.

كذلك من الوقيعة في المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ما يشيع في بعض مجالس المؤمنين من أنهم يرمون المؤمنين بالظن والسوء، ويلمزون المؤمنين بالسوء من القول أو العمل، وكل ذلك واجب أن يخمد ولا ينشر؛ لأن نشره دليل على وقيعة المرء في نفسه، ألم تر إلى قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؟ فالمؤمن إذا لمز أخاه

= (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي الدرداء ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّة وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ. وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَكُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ. وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

المؤمن أو أخته المؤمنة، فإنما يلمز نفسه؛ لأن المؤمن أخٌ للمؤمن، يرعى في الدفع عن عرضه، وفي حماية حرمته، وفي حماية ذاته وعرضه، وهذا هو الواجب، فكيف بنا وبمن إذا رأى سوءًا أو سمع سوءًا من القول أو من العمل، فتراه ينشر وكأنه لا يهمه الإثم والسيئات التي ستكتب عليه؟!

وقد قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، قلت: يا نَبِيَّ الله؛ وإِنَّا لَمُؤاخَذون بما نَتَكَلَّم به؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

من سمع بشيء لم يتحقق منه، فلا يتكلمن به، فإن حماية عرض المؤمن واجبة، وخاصة إذا كانت في أعراض المؤمنات.

من سمع بشيء وتحقق منه، فلا يجوز له أن ينشره، وأن يسمعه الآخرين من المؤمنين، إنما الواجب عليه أن يسعى في النصيحة سرًّا؛ لأن تلك الذنوب إذا نشرت بين المؤمنين، تساهلوا فيها، وكان نشرها قائدًا لانتشارها أكثر وأكثر بعد القول بالفعل؛ لأن نشر مثل ذلك الكلام يخفف المعصية، ويقود إلى أن يتساهل الناس بذلك.

فيا أيها المؤمنون، عليكم بهذا الأمر الأعظم، وهو أن تنصحوا للمؤمنين، أن تنصحوا لعامة المؤمنين، وتلك النصيحة تكون بحماية أعراضهم، وبالسعي في الإرشاد بما يحقق المصلحة.

عليكم - **أيها المؤمنون** - أن تحموا أعراض العلماء مما قد يقال

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩).

فيهم؛ لأن قالة السوء إذا قيلت في صفوة الأمة ـ وهم علماؤها ـ، فإن ذلك يقود إلى أن لا تسمع لهم كلمة، وإلى أن لا يكون لوراثة النبوة مقام أعظم في المؤمنين، مقام إرشاد، مقام فتوى، مقام دعوى؛ لأن الناس جبلوا على أنهم إذا شُوِّهت سمعة فيما بينهم على أحد، فإنهم لن يسمعوا ذلك الكلام منه.

فعلينا أن نحمي أعراض علمائنا، وأن لا نرضى بما يقال فيهم، وأن نعلم أنهم على الحق والهدى، بل علينا أن نحمي أعراض المؤمنين جميعًا، كل بحسب موقعه في الإيمان، وبحسب موقعه من امتثال أمر الله وأمر رسوله ﷺ.

وهذا أمر مهم للغاية، فلا نجعل مجالسنا في قيل وقال، في قال فلان، وقال الآخر بكلام، كله إذا تأملته وجدت أنه أذية للمؤمنين بغير ما اكتسبوا.

نسأل الله ﷻ، وتقدست أسماؤه، أن يطهر ألسنتنا، وأن يطهر أسماعنا، وأن يجعلنا من الذين قالوا بالحق، وهدوا به، ومن الذين كانت قلوبهم صافية للمؤمنين جميعًا.

أسأل الله ﷻ لي ولكم الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، والشكر له ﷻ على إنعامه وفضله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بشَّر وأنذر، وبيَّن لنا الخير، وبين لنا طرق الشر، فهنيئا لمن أخذ بالخير وبطريقه، وابتعد عن الشر وعن طرقه.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل الخير المبتعدين عن الشرور، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله ﷻ؛ فإن التقوى هي فخارنا، وهي رفعتنا، وهي سعادتنا في الدنيا والآخرة.

فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعلموا أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون ـ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ، وعن سائر الصحب والآل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللَّهُمَّ، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر المجاهدين في سبيلك الذين يجاهدون لرفع لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله. اللَّهُمَّ، أيدهم بتأييدك، وانصرهم بنصرك، واجعل الدائرة على عدوك وعدوهم، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم سائرين على الحق والهدى، وجنبهم طريق الردى، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى أن تجعلنا صالحين مصلحين، اللَّهُمَّ، أصلحنا جميعًا رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، اللَّهُمَّ، أصلحنا جميعًا رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، علماء وولاة، يا أرحم الراحمين.

واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أنه كان من هدي النبي ﷺ أنه كان يستسقي في خطبة الجمعة، فيرفع يديه، ويرفع الناس أيديهم بالدعاء بالاستسقاء، فنحن داعون، فأمنوا مع رفع أيديكم.

اللَّهُمَّ، إنك أنت الله لا إلـٰه إلا أنت، أنت الغني، ونحن الفقراء، نسألك أن تغيثنا غيثًا مباركًا، اللَّهُمَّ، أنت الله لا إلـٰه إلا أنت، أنت الغني، ونحن الفقراء، نسألك أن تغيثنا غيثًا مباركًا، نافعًا غير ضار، نافعًا غير ضار.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك بأسمائك الحسنى أن تغيث البلاد والعباد،

اللَّهُمَّ، أغثنا، واجعله مطرًا مباركًا، اللَّهُمَّ، أغثنا، اللَّهُمَّ، أغثنا، اللَّهُمَّ، إنا نستغفرك من جميع الذنوب والخطايا؛ إنك كنت غفارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا، واجعل ما أنزلته اللَّهُمَّ اجعل ما أنزلته نافعًا للبلاد والعباد، وجنبنا الضرر، ربنا جنبنا الضرر والسوء في أمورنا كلها، اللَّهُمَّ، إنك أنت الله لا إلـه إلا أنت، نسألك سؤال من يعلم أن الخير كله بيدك، وأن مقاليد السماوات والأرض بيديك، وأن المطر عندك، وأن كل خير بيدك، نسألك أن تغيثنا، وأن لا تجعلنا من القانطين، اللَّهُمَّ، أغثنا، اللَّهُمَّ، أغثنا، اللَّهُمَّ، أغثنا.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: يا قوم اتبعوا المرسلين

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي قال في محكم كتابه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠]، الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، الحمد لله الذي أتم علينا النعمه ببعثة محمد ﷺ، وأتم علينا النعمة بأن جعلنا من أتباع محمد ﷺ، ونسأله ـ اللَّهُمَّ ـ أن يتم علينا النعمة بالوفاة على شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه على نبيه محمد، وعلى آل نبيه محمد، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ ضرب الأمثال في القرآن، وجعل في القرآن من كل شيء مثلًا، ضرب المثل لعبوديته الحقة، وعبودية الآلهة الباطلة. وضرب مثلًا لرسله، وضرب مثلًا للحق والباطل، وضرب مثلًا لما

جعل الله ﷻ عليه الأمم السابقة، ضرب الأمثال لتكون عظة وعبرة، ولكن الأمثال إنما يعقلها من تفكر وعلم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

فالله ﷻ نوَّع الأمثال؛ لنتفكر، ولنتعظ، ولنعتبر، ومن أعظم الأمثال التي ضربها الله ﷻ في هذا القرآن ـ جعلها مثلًا؛ لنتدبرها، ولنعي ما فيها ـ أمثال قصص الأنبياء والمرسلين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١].

وإن من تلكم القصص وتلكم الأمثال قصة تلك القرية، التي بعث الله ﷻ إليها رسلًا، قال ﷻ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧﴾ [يس: ١٣ ـ ١٧].

لقد جاء الله ﷻ تلك القرية برسل هم أكرم الخلق عليه، برسل هم كريمون عليه، مقدمون عنده ﷻ بما حباهم به، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ [القصص: ٦٨]، لقد أرسل الله رسولين إلى تلك القرية؛ لتعظم الحجة عليهم، وليكونوا على بينة من عظم هذا الأمر، الذي جاءت به الرسل، أرسل الله لهم اثنين، فكذب هذين الاثنين أهلُ القرية أشد تكذيب، فعزز الله ﷻ أولئك برسول ثالث، فقال الرسل جميعًا: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]، أكدوا تلك الرسالة، وأنهم ليسوا بكاذبين، وأنهم أهل صدق، وإنما وظيفتهم أن يبلغوا رسالات الله، وأنهم إن لم يؤخذ بما قالوا، فإنما يخشون الله.

الذين يخشون الله حق خشيته أولئك هم الرسل، الذين بعثهم الله ﷻ، بعثهم الله لإنقاذ الناس.

أرسل الله ﷻ هؤلاء الثلاثة، فقالوا لأصحاب القرية: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾، فماذا كان جوابهم؟ ماذا كان جواب أصحاب القرية؟ قالوا: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ [يس: ١٥]، لقد منعهم من التصديق أن أولئك الرسل كانوا بشرًا، أرادوا أن يكونوا ملائكة، ولو كانوا ملائكة، فكيف سيفهمون عنهم؟ وكيف يعقلون كلامهم؟ ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩].

إن أولئك رفضوا الحق بشبهة في ظاهرها قد يكون يعتذر بعضهم إلى بعض بها، ولكنها في الحقيقة ليست بشيء، وهكذا دائمًا أصحاب الشبهات، يوقع الشيطان في قلوبهم الشبه، فيقنعهم أنها شبهة حق، وأنهم لو أتاهم الحق واضحًا، لقبلوا ذلك، مع أن البينات كانت كافية، وكانت باقية، وكانت واضحة جلية، فإن أولئك المرسلين جاؤوا من عند الله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم، المؤيدة لدعواهم الرسالة، وكفى بذلك حجة لمن سلم قلبه، ولكنهم أرادوا أن يكون الرسل من الملائكة، وتلك شبهة ألقاها الشيطان في قلوبهم.

إن الناس يحتاجون إلى رسل من البشر، يعلمونهم بلسانهم، ويقتدي الناس بهم؛ حتى يكون الدين متمثلًا أمامهم في بشر يمشون به، ويروحون به، ويجيئون.

قالوا: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾، كذبوا بإنزال الله ﷻ الكتب عليهم، قالوا: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾، حصروا أولئك في الكذب، وكأن الكذب لم يتعداهم، وكأنهم الكذب متمثل فيهم، لا يعدون، ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾، فكان جواب

الرسل، جواب أهل الحق الثابت ـ الذين يدلون بالحق، ويعلونه بكلمة واضحة ـ، قال الرسل: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]، وكفى بشهادة الله شهادة.

فهل يكون الرسول ـ الذي أرسله الله، وأيده بالمعجزات ـ يكون كاذبًا؟ إن الرسول الذي يدعي الرسالة لا يلبث أن يعاقب، إن من ادعى رسالات الله في التاريخ لا بد أن تحيق به العقوبة سريعًا، وأما أن يقول: إني مرسل من عند الله، ومؤيد من عند الله بالحجج والآيات والبراهين. ثم إن الله يؤيده على خصمه، وينصره، ويقوي حجته، فإن ذلك دليل على صدق رسالته، وإن ذلك دليل على أن الله ﷻ بعثه مرسلًا إلى الناس: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ [يس: ١٦، ١٧].

إن الرجل تكون عنده الحجة، فيلقي بها إلى الناس طيبًا لفظها، طيبًا معناها، فتسري في الناس فيمن أراد الله به خيرًا، وأما من صد عن الحق، ولم يقبل الحق الذي جاءت به الرسل، ووجد حرجًا في نفسه من كلام الرسل، ومن كلام من اصطفاهم الله ﷻ، إن أولئك البلاء في أنفسهم، وليس البلاء في الحق، البلاء في شهواتهم وشبهاتهم، وليس البلاء فيما أنزل الله وفيما بلغته الرسل من عند الله، ورسل الله صادقون مَصْدُوقون لا ينطقون عن الهوى.

قالت الرسل: ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ فما كان جواب أولئك الذين كذبوا الرسل؟ قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ [يس: ١٨]، تطيروا بهم، قالوا: إن سبب ما جاءنا من الشر، وسبب ما جاءنا من البلاء إنما هو من جهتكم، إنما هو من أسبابكم، أما نحن، فنحن مستحقون لكل فضل من الله ولكل رحمة من الله، ولكن سبب بلائنا أنتم ـ أيها الرسل ـ؛

لأنكم خالفتم ما عهدنا عليه الآباء وما عهدنا عليه من سبقنا في عباداتهم للآلهة المختلفة، وفي اتباعهم لكبرائهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: ١٨]؛ يعني: إن لم تتركوا ذلك، فلنرجمنكم، ولنقتلنكم، وأيضًا ليمسنكم ـ أقسموا على ذلك ـ ليمسنكم منا عذاب أليم. فكان جواب الرسل جواب المطمئن إلى الله، الذي أنس بما عند الله، المصدق بوعد الله، قالت الرسل: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩]؛ يعني: سبب شقائكم، وسبب التطير، وسبب ما سيحيق بكم من البلاء إنما هو معكم ملازمكم، وهو ما طار عنكم من عمل الشر، وما طار عنكم من سوء، وما طار عنكم من تكذيب الرسل وعدم الإيمان بكتب الله وبما أنزل الله على رسوله.

قالت الرسل: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩]؛ يعني: أتقتلوننا لأجل التذكير بالله وبسُنَّة الله، وبالصدع بما أنزل الله في كتابه؟ أتقتلوننا لذلك؟ بل أنتم قوم مسرفون، فسبب ذلك الإسراف إسرافكم في الأمر، وإسرافكم في أنفسكم: مجاوزتكم للحد الذي أذن الله به.

وهكذا كل من خالف الرسل من الذين اتبعوا شهواتهم، واتبعوا شبهاتهم، إن أولئك دائمًا حجتهم من جنس تلك الحجة، يظنون أن البلاء من جهة المذكرين، أن البلاء وأن سبب ما يصيب الناس إنما هو من جهة الذين ذكروهم بما أنزل الله في كتابه، وهذه حجة قديمة جديدة: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٣].

ثم بيَّن الله ﷻ وظيفة رجل من المؤمنين آمن بما جاءت به الرسل، فأتى واعظًا لقومه، مذكرًا لهم، قال سبحانه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس: ٢٠]، وجاء من أقصى المدينة ـ وهي تلك القرية ـ رجل يسعى.

قال المفسرون في قوله: ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾: ما يشعر بأنه ليس من أغنياء الناس، بل من فقرائهم، وليس من أهل الجاه، بل هو ممن يرفض قوله الأكثرون؛ لأنه جاء من أقصى المدينة، وعادة الناس في الأزمنة الأول أن الأشراف والكبراء يسكنون وسط المدن، وأن من هم دونهم يسكنون الأطراف والأقصى من المدينة[١].

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾، لقد كان حريصًا أن يتبع أولئك الناس المرسلين، فيتبعونهم فيما جاؤوا به من الحق، وينصرونهم، ولا يخذلونهم؛ لأن في ذلك أسباب السعادة لهم في الدنيا والأخرى، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: ٢١]، إن من أدلة صدقهم أنهم مهتدون على صراط الله، وأنهم وحدوا الله ﷻ، وأنهم دعوا إلى إفراد الله ﷻ بالعبادة، دعوا إلى ذلك، وكانوا على بصيرة في ذلك الأمر، وهم لم يسألوا الناس أجرا، ولم يتكلفوا.

قال: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾؛ يعني: اتبعوا من لا يطلب منكم مالًا، والحال أنه من المهتدين؛ لأن من الناس من يكون لا يسأل الناس أجرًا في دعوته، ولكنه على ضلالة، على مخالفة للرسل، والناس قد يظنون أن كل زاهد أو أن كل من لم يسأل الناس أجرًا، أو أن كل مدافع عن حقوق الناس، أنه يكون على هداية. وهذه الآية فيها التنبيه على أنه لا بد أن يكون مع الأول أن يكون على هداية، والهداية هي الهداية إلى طريق الرسل، الذي بيَّنه الله ﷻ في كتابه.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾، فالقضية ليست أنهم لم يسألوا الناس أجرًا فحسب، بل القضية الكبرى أنهم على هداية

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤١٩)، والقرطبي (١٥/ ١٨).

من الله، أن حالهم الهداية، أنهم اهتدوا بهداية الله، وأخذوا ما أنزل الله، ولم يفرقوا بين أمر الله، لم يفرقوا بين كلام الله، بل كانوا على وفق ما يحب الله ويرضى، ابتعدوا عن المشتبهات، وأخذوا بالحق، فكانوا على الهداية، وقبلوا ما أمرهم الله به، فكانت تلك الهداية للمرسلين، وكذلك تكون تلك الهداية لكل من اتبع الرسل.

قال الله ﷻ مخبرًا عن قيل ذلك الرجل الصالح: ﴿...وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس: ٢١، ٢٢]، يقول: لماذا لا أعبد الله الذي فطرني؟ لماذا لا أعبد الواحد الأحد، وأعلق قلبي به، وأدل الناس عليه، وأجعلهم مطمئنين إلى الله، عابدين له وحده، دون ما سواه، خالعين للأنداد؟ وهذه هي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، إن دعوتهم ودعوة أتباعهم إلى التوحيد الخالص، ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال ذلك الرجل الصالح: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [يس: ٢٣، ٢٤].

إذًا كانت دعوة الرسل ودعوة ذلك الرجل الصالح ـ فيما دعا به قومه ـ، كانت في توحيد الله، وردّ الناس إلى التعلق بالله؛ لأنها مهمة المصلحين؛ لأنها مهمة الذين يريدون أن يعلقوا قلوب الناس بالله ﷻ، فإذا صلحت القلوب، وصلح الناس، أنزل الله ﷻ البركات على الأرض، وأذن بما يأذن به من سننه الكونية.

قال ﷻ مخبرًا عن قوله: ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾؛ يعني: إن كنت على تلك الحال من الشرك، فإني على ضلال مبين. نعم، كانت

تلك أقواله، كانت تلك دعوته، فما كان منهم إلا أن قتلوه، ما كان منهم إلا أن توجهوا إليه بالتهديد، فلما قال لهم: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾ توجه إليهم بكلمة الحق، فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ [يس: ٢٥]، إما أن يكون توجه إلى المرسلين، وإما أن يكون توجه إلى الناس: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾، فلما قال ذلك، بادروا إليه، وقتلوه، فتلقته الملائكة بقولهم: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ [يس: ٢٦]؛ لأنه دعا إلى ما دعت إليه المرسلون؛ لأنه كان على حق واضح ثابت، دعا إلى ما دعت إليه المرسلون، واتبع سيرتهم، وجاهد في ذلك، ولو كان في ذلك بذل نفسه. تلقته الملائكة: أن لا تخف، ولا تحزن، وادخل الجنة، فنظر لما دخل الجنة، ورأى النعيم، تذكر قومه، ورحم قومه، فقال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]. أدركته الرحمة، أدركته رحمة الخلق، وهكذا الداعية الصالح الناجح يأمر الناس بما أمر الله به، وهو رحيم بهم، يرحم العاصي إن عصى، ويرحم الضال إن ضل، ويرحم الناس أن يكونوا ليسوا من أهل الجنة، وبوده لو بذل نفسه، ودخل الناس جميعًا جنة الله ﷻ.

قال بعض السلف: (وَوَاللهِ! لَوَدِدْتُ أَنَّ جِسْمِي قُرِضَ بِالْمَقَارِيضِ، وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ أَطَاعُوا اللهَ ﷻ)(١)، وقد كان الإمام أحمد رحمه الله يدعو في سجوده بقوله: (اللَّهُمَّ إِنْ قَبِلْتَ عن عُصَاةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِدَاءً فَاجْعَلْنِي فِدَاءً لَهُمْ)(٢)؛ لأنه يحب المؤمنين، ويحب أهل الإسلام،

(١) هذا القول لزهير بن نعيم البابي السلولي ـ ويقال: العدلي ـ أبو عبد الرحمٰن السجستاني، نزيل البصرة، توفي في خلافة المأمون. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ١٥٠)، وصفة الصفوة (٤/ ٨، ٩)، وتهذيب الكمال (٩/ ٤٢٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٠٤).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٩).

ويحب أن يكون خلق الله جميعًا من أهل الجنة، لكن ذلك لا يمكن أن يكون؛ لأن الله ذرأ لجهنم النصيب، وذرأ للجنة النصيب، وكل سيأتيه النصيب. أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل الجنة.

لما قتل ودخل الجنة، ثم صار في قومه ما صار من تكذيب الرسل، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۝٢٩﴾ [يس: ٢٨، ٢٩]، ليس الأمر بعسير على رب العالمين، لا يحتاج إلى جنود مجندة، إنما هي صيحة من السماء، فأخذتهم صاعقة، أتتهم فأخذتهم، فكانوا أمواتًا، فإذا هم خامدون، يا حسرة على العباد!!

أيها المؤمن، إن في قصص القرآن لعبرة، وإن الدعوة الصالحة الناجحة لا بد أن يكون فيها ومعها ولها التدبر الأعظم، أن يكون لها التدبر الأعظم في سنن الله، وفي قصص القرآن، وفي دعوة الأنبياء والمرسلين؛ لأن من أخذ بدعوتهم، من أخذ بدعوة المصطفى ﷺ، من أخذ بسُنَّته، فإنه على نجاح في دعوته، ولو لبثت دعوته ما لبث نوح عليه السلام في قومه: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، لكن المهم أن يكون الطريق صوابًا، وليس المهم أن تكون الطريق قصيرة؛ لأن مع الصواب رضى الله ﷻ.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من أتباع نبيه المصطفى ﷺ، ومن الذين يحشرون تحت لوائه، ومن الذين يردون حوضه، فيسقون منه سقية، ويشربون شربة لا يظمؤون بعدها أبدًا، أسأل الله أن يجعلنا من المنيبين إليه الخاشعين، الذين إذا ذكر الله، وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته، زادتهم إيمانًا، وعلى ربهم يتوكلون.

واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٥ ـ ٨]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وتركنا على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك.

هذا، وإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن في التقوى فخاركم ورفعتكم عند لقائكم لربكم، فاتقوا الله حق التقوى بتعظيمكم أمره وإجلالكم له في السر والعلن؛ فإن في ذلك الفوز العاجل والآجل، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا جميعًا بأمر جليل، بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، ومصلحته عائدة لنا، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟

عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»(١)؛ يعني: من قال: اللَّهُمَّ، صل على محمد، وسلم تسليمًا كثيرًا. مرة واحدة، أثنى الله عليه بها في الملأ الأعلى عشر مرار.

اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله، يا رب العالمين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين في كل مكان.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، الذين يجاهدون لرفع راية توحيدك، ونصرة سُنَّة نبيك؛ فإنك أنت القوي العزيز، فقوهم، وأعزهم على عدوك وعدوهم، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أمنًا وأمانًا في أوطاننا، اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، وفقهم بتوفيقك، ودلهم على طرق الخيرات، وغلق عليهم طرق الشرور والمنكرات، اللَّهُمَّ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المسلمين بعامة، يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

اللَّهُمَّ، أنت الله لا إلـه إلا أنت، أنت الغني، ونحن الفقراء، أرسل علينا الغيث، واجعل ما أنزلته لنا عونًا على طاعتك، وبلاغًا إلى حين، اللَّهُمَّ، اسقنا غيثًا مغيثًا، هنيئًا مريئًا، واجعله سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا غرق، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أحي به البلاد، وانفع به العباد، وأنت خزائنك لا تنفد، خزائنك ملأى، فأرسل علينا من رحمتك غيثًا مغيثًا، اللَّهُمَّ، اجعله رحمة، ولا تجعله غرقًا ولا عذابًا، واغفر لنا ذنوبنا، اللَّهُمَّ، اغفر لنا ذنوبنا، فإنا نستغفرك؛ إنك كنت غفارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، أصلحنا جميعًا، اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، اذكروه دائمًا، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: آداب القرض والمقترض

الخطبة الأولى:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي ـ **أيها المؤمنون** ـ بتقوى الله ﷻ؛ فإن التقوى بها رفعة الدرجات، وبها عظم الحسنات، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

أيها المؤمنون، إن شريعتنا الإسلامية العظيمة جاءت بكل خير للفرد وللمجتمع، جاءت بكل خير لإصلاح الفرد في أمر دينه، وفي أمر دنياه، وبكل خير في إصلاح المجتمعات في أمر دينها، وفي أمر دنياها، وهذه من المقاصد العظيمة لشريعة الإسلام أن يكون فيها صلاح الفرد وصلاح المجتمع في الدين والدنيا لهما جميعًا، وهذا الأمر البيِّن يتضح لك ـ أيها المسلم ـ فيما تعانيه في أمر حياتك المختلفة، في أمور حياتك تلحظ أن الشريعة جاءت بما فيه مصلحتك في دينك ودنياك، فحضت

الشريعة في أمر الدنيا على العمل، وجعلت المرء إذا سعى على عياله وأولاده، ولكفاف نفسه، ولئلا يضيع من يقوت، جعلت ذلك من الأمور الواجبة عليه؛ لئلا يفضي تركه إلى أن يضيع نفسه، وإلى أن يضيع من يقوت، فجعلت العمل قربة إلى الله ﷻ لمن صلحت نيته، جعلت الشريعة صلة الأرحام والتواصل فيما بين الناس، جعلت ذلك قربة إلى الله ﷻ، بل جعل الله ﷻ الواصل موصول برحمته، والقاطع مقطوع من رحمته ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وقال ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»(١)، وهكذا في أمر العلاقة الزوجية، وفي علاقة الأب بأبنائه وبأهله، وهكذا في أنواع التعامل بين الفرد وبين إخوانه المؤمنين، بل وفي أوجه التعامل بين جميع طبقات الناس، وهكذا على الأصل العظيم الشرعي في أن العباد يتعاونون على البر والتقوى، ولا يتعاونون على الإثم والعدوان.

وهذا - **أيها المؤمن** - له نظائر كثيرة؛ لهذا - **أيها المؤمن** - حضت الشريعة على أن يسعى المؤمن على تفريج كربات إخوانه، وعلى أن يتعاون معهم على ما فيه صلاح دينهم، وصلاح دنياهم، وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة ﵁؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىَ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١).

وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[(١)]، وهذا الأصل عام في جميع العلاقات التي تكون بين المؤمنين؛ لهذا كل تفريج للكربات محمود في الشريعة، كل عون لأخيك المسلم في أمر دينه وفي أمر دنياه ـ لمن احتسب ذلك، وجعله قربة ـ يكون عبادة لله، ويكون مأجورًا عليه، وهذه القاعدة العظيمة اندرجت تحتها في تفاصيل الشريعة أحكام كثيرة، فمنها ما هو متعلق بأحكام القرض، وأحكام الإحسان إلى الناس بإقراضهم الأموال، أو بإقراضهم الأشياء، ومنها أحكام العارية، ومنها أحكام الهبات، ومنها أحكام التبرعات، وعقود التبرعات بأنواعها، والوصية والوقف، والهبات التي ليس عليها الثواب الدنيوي؛ يعني: الهبة المطلقة لله ﷻ، وهكذا في أنواع من العقود والمعاملات جاءت على ذلك الأصل العظيم: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**».

هذه النظرة العامة لبعض أحكام الشريعة نأخذ مثلًا لها بتفصيل ألا وهو القرض، والقرض ـ كما تعلمون ـ يكون لحاجة المسلم إلى أن يقترض من أخيه قرضًا يفك أزمته، ويفي بحاجته، والمرء قد لا يتاح له أن يكون عنده المال دائمًا؛ لهذا حضت الشريعة على أن يقرض المرء إخوانه إذا كان عنده فضل مال، فقد ثبت في الحديث الصحيح ـ الذي

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

رواه ابن ماجه، وابن حبان، وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ـ؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً**»(١)؛ يعني: أن من أقرض أخاه المسلم مرتين، كان كمن تصدق بذلك المال مرة واحدة؛ ولهذا قال أبو الدرداء ـ حكيم هذه الأمة ـ رضي الله عنه، قال: (لَأَنْ أُقْرِضَ دِينَارَيْنِ مَرَّتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِمَا؛ لِأَنِّي أُقْرِضُهُمَا فَيَرْجِعَانِ إِلَيَّ فَأَتَصَدَّقَ بِهِمَا فَيَكُونُ لِي أَجْرُهُمَا مَرَّتَيْنِ)(٢)؛ يعني: لأنه حصل له الفضل بالصدقة مرة بالإقراض مرتين، ثم رجع إليه ماله، ثم هو يرجعه، فيقرضه آخرين، وهكذا؛ يعني: أن القرض فيه فضل عظيم.

ومن فضله أنه إذا أقرض كان في ذلك زكاء نفسه، وكان في ذلك سلامة نفسه من حب المال، وكان في ذلك تفريج حوائج المسلمين، وتفريج كرباتهم، وقضاء حوائجهم، وعونهم على أمر دنياهم، وهذا من التواصل والتعاون على البر والتقوى.

لهذا ـ **أيها المؤمنون** ـ القرض في حق المقرض مندوب إليه، وأجمع العلماء على أن القرض والإقراض جائز، وقال جماهيرهم: إن القرض في حق المقرض مستحب، ومندوب إليه؛ لما جاء في ذلك من الأحاديث الصحيحة، وأما في حق المقترض، فهو مباح، إن شاء اقترض لحاجته، وإن شاء صبر.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (ليس طلب القرض من المسألة المكروهة)؛ وذلك لأن النبي ﷺ اقترض، واستسلف؛ كما روى أبو رافع رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٣٠).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/٥٧٨)، وابن أبي شيبة (٤/٤٧٣).

مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ، فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا خِيَارًا رَبَاعِيًا، فَقَالَ: **أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً**»(١). «**بَكْرًا**»؛ يعني: جملًا بكرًا، وهذا يدل على أن طلب القرض ليس من المسألة التي حرمها الشرع أو كرهها(٢).

فإن طلب القرض لأجل أن يفي بحاجته هو على نية المعاوضة، وعلى نية القضاء؛ ولهذا يعرض لإخوانه للفضل والإحسان العام، وهو ينوي قضاء ذلك، وينوي رده، ولهذا جاء في الحديث الصحيح؛ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»(٣).

فالمقترض إذا كان بحاجة، فلا بأس أن يقترض، وليس ذلك من المسألة، ولكن لاقتراضه آداب:

الأول منها: أن ينوي حين الاقتراض أن يفي بحاجة نفسه، وأن يؤدي هذا القرض فور ما يتمكن من أدائه؛ لأن القرض دين، والدين معلق في الذمة؛ كما سيأتي بيان ذلك.

والثاني: أنه إذا أراد الاقتراض، فإنه يُتأكد عليه، بل قال بعض العلماء: يجب أن يبين للمقرض حاله، وهل يستطيع الوفاء قريبًا أو لا يستطيع. وبعض الناس يكذب إذا أراد أن يقترض، فيقول: في خلال شهر أسددك، في خلال شهرين، في خلال سنة، وهو يعلم من نفسه أنه لا يستطيع أداءها في هذه المدة، وهذا كذب وغش للمقرض الذي أحسن

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨) (١٦٠٠).

(٢) انظر: الروض المربع (ص٣٦١)، الإحكام شرح أصول الأحكام (٣/ ١٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

بذلك، وكم أخذ طائفة من الناس من القروض على أنهم سيؤدونها في شهر أو شهرين أو ثلاثة، ثم هم لم يستطيعوا أداءها في سنين، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم لن يستطيعوا! وهذا فيه نوعان من الإثم:

الأول: أنه أخذ مالًا كثيرا، وهو يعلم أنه لا يستطيع أداءه.

والثاني: أنه غش المحسن، غش من يريد إقراضه بوصف حاله.

وهذا أيضًا يندرج على من يتوسط للإقراض من الناس، من يسعى في الخير، ويتوسط لإخوانه في أن يُقرضوا، يذهب بجاهه لأحد الأغنياء أو الموسرين، فيطلب إقراضًا لفلان من الناس، ولا يشرح حاله لهذا المقرض، ولهذا ينبغي لهذا المتوسط أن يخاف الله ﷻ، وأن لا يغر الناس لأجل توسطه ببذله نفسه في حاجة الناس، وهو لا يدري هل يستطيعون الوفاء، أم لا يستطيعون الوفاء.

الأدب الثالث: أن المقرض إذا أعانه الله، وأدى القرض، ووفى، وقضى ما أُقرض، فإنه يستحب له أن يكون قضاؤه أحسن من القرض، فقد روى أبو رافع ﵁: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ، فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا خِيَارًا رَبَاعِيًا، فَقَالَ: **أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً**»(١)، وفي رواية في «الصحيح»: «**فَإِنَّ خَيْرَ عِبَادِ اللهِ، أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً**»(٢)، وهذا من غير مواضعة واشتراط؛ يعني: سلَّفك مثلًا عشرة آلاف، فإنك إذا قضيت، تعطيه معها هدية، أو تزيد له أحد عشر، أو اثني عشر ألفًا من غير اشتراط، وإنما هو تبرع

(١) أخرجه مسلم (١١٨) (١٦٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (١١٩) (١٦٠٠).

منك وتفضل؛ فإن خير الناس أحسنهم قضاء، فإن امتنع ذلك من القبول، حزت الفضلين، ولله الحمد والمنة.

أما إذا شُرِطَت الزيادة في أول القرض، أو شُرِطَت الهدية ونحو ذلك، فإن هذا من الربا، فكل قرض جر نفعًا، فهو ربا؛ كما قال ذلك أُبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس ﷺ، وروي مرفوعًا إلى النبي ﷺ[1]، فإذا اقترض أحد، فالإقراض باب إحسان؛ لهذا قال العلماء: القرض عقد إحسان وإرفاق، فلا يجوز أن يعاوضه عنه بأكثر، أو أن يمن عليه، أو أن يلجأ إلى أشياء ينفعه بها، دون أن يكون ذلك مما جرى بينهما عادة، فإن ذلك من الربا، والعياذ بالله.

فهذه بعض آداب القرض وبعض ما ينبغي أن يتحلى به المقرض، وأن يتحلى به المقترض.

إذا تبين ذلك، فالقرض كالدين يتأجل بتأجيله على الصحيح، القرض إذا أُجِّل إلى سنة أو إلى سنتين، أو قُسِّم على أقساط، فإنه يؤجل، ولا يلزم حالًا؛ يعني: لا يكون في ذمة المقترض حالًا على الصحيح، بل يؤجل بتأجيله، فإذا أجل، لم يجز للمقرض أن يطالب المقترض به قبل أوانه؛ لأن هذا مخالف للإرفاق، والمؤمنون عند شروطهم، وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا التأجيل ينبغي معه أن يسعى المقترض في أداء القرض، وأن لا يترك ذلك دون مبالاة، وهكذا في أمر الديون بعامة، وأمر الدين وأمر القرض لازم في عنق صاحبه، فقد ثبت عنه ﷺ؛ أنه قال: «**نَفسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**»[2]، والدين

---

(١) انظر: التلخيص لابن حجر (٣/ ٣٤)، وشرح معاني الآثار (٤/ ٩٩)، وفتح القدير (٧/ ٢٥٠، ١٠/ ٦١).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٧٨)، وابن ماجه (٢٤١٣)، وابن حبان (٧/ ٣٣١)، والحاكم =

أعم من القرض ـ كما هو معلوم ـ، الدين يدخل فيه ثمن المبيع المؤجل، والمهر المؤجل، وأشياء كثيرة مما يلتزمها المرء، وتكون دينًا عليه، وليست على سبيل القرض، فنفس المؤمن معلقة بدينه، حتى يُقضى عنه؛ كما في الحديث عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: **هَلْ عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ؟**، قَالُوا: لَا، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: **هَلْ عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ؟**، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**، قَالَ: أَبُو قَتَادَةَ عَلَيَّ دَيْنُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ»[1].

وثبت عنه أيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى، عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: **هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟**، فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: **صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ، قَالَ: **أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا، فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**»[2]، ﷺ كان رؤوفًا رحيمًا بارًا بأمته ﷺ.

إذا تبينت هذه الأحكام أخي المسلم، فاعلم أن سداد الدين براءة للذمة، وبراءة لهذا الأمر العظيم. لو توفي الذي عليه دين وفي رقبته دين، كانت نفسه معلقة به، لا ينعم حتى يقضى عنه الدين ـ والعياذ بالله ـ؛ لأن الأمر خطير، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: «تُوُفِّيَ رَجُلٌ فَغَسَّلْنَاهُ، وَحَنَّطْنَاهُ، وَكَفَّنَّاهُ، ثُمَّ أَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَم يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: تُصَلِّي

= (٢/ ٣٢)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٧٧)، وفي الصغير (٢/ ٢٩٥)، وفي الكبرى (٤/ ١٠١، ٦/ ٨١، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ٩/ ٤٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٨).

عَلَيْهِ؟ فَخَطا خُطًى، ثُمَّ قَالَ: **أَعَلَيْهِ دَيْنٌ؟** قُلْنا: دِينَارَانِ، فَانْصَرَفَ، فَتَحَمَّلَهُمَا أَبُو قَتَادَةَ، فَأَتَيْنَاهُ، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: الدِّينَارَانِ عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **حَقُّ الْغَرِيمُ، وَبَرِئَ مِنْهُمَا الْمَيِّتُ؟** قَالَ: نَعَمْ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمٍ: **مَا فَعَلَ الدِّينَارَانِ؟** فَقَالَ: إِنَّمَا مَاتَ أَمْسِ، قَالَ: فَعَادَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: لَقَدْ قَضَيْتُهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **الْآنَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ**»(١).

والقاعدة الشرعية أن الأمور التي بين الناس والمعاملات على قاعدة المشاحة، لا يعفى عنها إلا بأدائها.

أسأل الله ﷻ أن يعينني وإياكم على أداء الحقوق بأنواعها.

ومما ذكرنا من الواقع المعاصر ما أخذه الكثيرون من المسلمين من صندوق التنمية العقاري كدين آجل عليهم في سنين، وهذا الدين له أحكام الدين الشرعية، فوفاؤه مطالب به العبد لبراءة ذمته، وهو دين عليك، ولو كان المطالب به بيت المال العام، فإنه دين؛ لأنك اشترطت على نفسك أن تعيد، وولي الأمر أعطى من بيت المال لأجل أن يعاد، فينفع ما يعاد بقية المسلمين، وهذا ـ كما ذكرت ـ فيه مصلحتان:

الأولى: براءة الذمة، وبراءة الرقبة من أثر الدين.

والثانية: أن الذي يسدد الدين للصندوق العقاري، فإنه يفتح الباب لإخوانه المؤمنين في أن يستفيدوا من هذه الأموال، والمرء يثاب على نيته الصالحة، وعلى تبرئته لذمته، وعلى إعانته لإخوانه.

أسأل الله ﷻ أن يعينني وإياكم على أداء الحقوق بأنواعها، وأن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢/ ٤٠٦)، والطيالسي (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٢٢)، وفي الصغير (٢/ ٣٠٥)، والطحاوي في شرح المشكل (١٠/ ٣٤٤، ٣٤٨).

يجعلنا من المؤمنين الصادقين، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يزيدنا من العلم والفقه والتقى والصلاح؛ إنه ﷻ أكرم مسؤول.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سركم وجهركم، وفي أمركم كله؛ فإن بالتقوى الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله أمرنا بالصلاة على نبيه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك

على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم - اللَّهُمَّ - على الرشاد، واجعل - اللَّهُمَّ - عملهم في سداد، وهيئ - اللَّهُمَّ - لهم البطانة الصالحة، التي تعينهم على الحق، وتذكرهم به، يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ، وارفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وادفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن هذه البلاد بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تصلحنا جميعًا، وأن تغفر لنا جميعًا، اللَّهُمَّ، فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تعيننا على أمر ديننا ودنيانا، اللَّهُمَّ، نسألك إعانتك، ونسألك توفيقك؛ فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك، توكلنا عليك، وأنبنا إليك، وفوضنا أمرنا إليك، اللَّهُمَّ، فكن لنا نعم المولى ونعم النصير، لا إلـٰه إلا أنت سبحانك، أنت ولينا، فاغفر لنا، وارحمنا، وأنت خير الغافرين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: التواضع

الخطبة الأولى:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، هو صاحب الرسالة، وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، حتى أتاه اليقين، فترك الأمة بعده على بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، صل اللَّهُمَّ، وسلم، وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ؛ فإن التقوى بها رفعة الدرجات عند الله، وبها إكرام الله ﷻ لعباده؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالأكرم عند المولى ﷻ من حقق التقوى، بأن خاف من الجليل ﷻ، وعمل بالتنزيل، واستعد للقاء الله في يوم الرحيل. اللَّهُمَّ، أعنا على أنفسنا، وأقمنا على ما تحب وترضى؛ إنك جواد كريم.

أيها العبد لله، يا عبد الله، يا عبد الرحمٰن، إن الله ﷻ يحب من

عبده أن يتصف بصفات، وأن يتحلى بصفات، ويكره في عبده أن يتخلق بأخلاق؛ فلهذا يسعد العبد المؤمن إذا نظر في الصفات المحمودة، التي يحبها الله، فآتاها، وتخلق بها، وتطبع بها، ويشرف العبد أن ينظر إلى الصفات التي يكرهها المولى ﷿، فيبتعد عنها، إلى الصفات التي يكرهها الله ﷿، فيبتعد عنها، وينأى بنفسه عما يسخطه الله ﷿ ويأباه. وهذه قاعدة عامة في الأخلاق والسلوك، وفيما يصلح الله ﷿ به العبد.

وإن من الأخلاق وإن من الصفات التي يحبها الله ﷿ ويرضاها، إن من تلكم الصفات صفة التواضع، ومن الصفات التي يكرهها الله ﷿، ويعاقب عليها، ويعذب أصحابها صفة الكبر؛ لأن الله ﷿ أوحى إلى نبيه ﷺ أن تواضعوا، روى مسلم في «صحيحه» من حديث عياض بن حمار المجاشعي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[1]؛ ولهذا قال ﷿: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال أيضًا ﷿ في ذكر الوالدين وحقوقهما: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، وقال أيضًا ﷿: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧]، وهكذا في آيات كثيرة يبين ﷿ أن صفة المؤمن بالمعنى أن يتواضع للحق، وأن لا يتكبر على الخلق، وأن يكون لينًا ذليلًا للمؤمنين: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

أيها المؤمن، إن حقيقة الكبر الذي يكرهه الله ﷿، إن حقيقة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

الكبر هو ما عرَّفه به النبي ﷺ، لمَّا قال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١)؛ يعني: رفض الحق وعدم قبوله.

«**وَغَمْطُ النَّاسِ**»؛ يعني: احتقار الناس، وعدم إنزالهم منازلهم، أو أن ترى النفس أرفع من طائفة من الخلق، لهذا قال العلماء: التواضع ضد الكبر، فكما أن الكبر بطر الحق وغمط الناس، فإن التواضع: قبول الحق، وتقدير الخلق؛ لأن هذا ضد الكبر، والتواضع محمود.

قال ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»، وقال أيضًا ﷺ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ**»(٢)، وصح عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها خاطبت الناس، فقالت لهم: «**تَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعُ**»(٣)، رواه وكيع بإسناد صحيح.

وهكذا ـ **أيها المؤمن** ـ نرى أن التواضع في حقيقته أن يكون المرء متواضعًا للدين، متواضعًا لأمر الله، متواضعًا للحق.

ثم القسم الثاني: أن يكون متواضعًا للخلق، غير متكبر، ولا مترفع على عباد الله.

أما الأمر الأول ـ وهو العظيم، وهو الفارق بين المؤمن والمنافق ـ، وهو أن المرء المؤمن يتواضع للحق، يتواضع للدين، بأن يقبل الدين، ولا يرفضه، بأن يقبل شريعة الله، بأن يقبل النص، بأن يقبل الدليل، بأن

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (١٠/ ٤٦٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣١)، ووكيع في الزهد (ص٤٣٦)، وأحمد في الزهد (ص١٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٦، ٧/ ٢٤٠).

يقبل الكتاب والسُّنَّة، وأن لا يعارض ذلك، وأن لا يرفض ذلك، أو أن يرتاب في ذلك بعقل له يحسنه، فيظن أن تفكيره أفضل من الشرع، أو أن عقله أفضل من الشرع، أو أن سياسته في مصالحه أفضل من التنزيل، أو أن ذلك عنده فيه نظر ـ أي: الدين ـ، وأما من يرى مصالح نفسه في الدنيا، فإنه يختار ما يختار، وهذا في الحقيقة رد للشرع، وفي الحقيقة خروج عن التواضع؛ ولهذا قال العلماء: (من رد الشرع ورد الحق مفضلًا رأيه عليه، وعقله على الدين والتنزيل، فهذا هو النفاق الأكبر) ـ والعياذ بالله ـ، الذي قال الله ﷻ في أصحابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

أيها المؤمن، أيضًا من مراتب التواضع للدين أن تقبل الدين، وأن لا تقدم تحليلًا على ما جاء في ظاهر الدليل؛ فإن التنزيل أنزله الله ﷻ، أنزله الله في القرآن وفي السُّنَّة باللغة العربية، واللغة العربية لها دلالتها في ألفاظها، والمعاني محمولة في الألفاظ؛ فإن الألفاظ تفهم، والمعاني حينئذ تُفهم، فحينئذ لا يجوز أن يتكبر المرء بعقله، فيرى أن دلالة التنزيل ناقصة، أو أنها ليست بكافية، فينظر إلى نفسه، فيرد بعض ذلك، أو يتردد فيه، فإن ذلك يخشى إذا رد الدلالة، يخشى أن يكون يؤول به إلى نوع من النفاق ـ والعياذ بالله ـ، وهذا ـ كما قال طائفة من العلماء ـ هو الذي خاف عدد كثير من الصحابة ﷺ على أنفسهم؛ حيث قال ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: (أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ)(١)؛ يعني: يخشى ألّا يتواضع للحق، يخشى ألّا يتواضع للقرآن وللسُّنَّة، يخشى ألّا يتواضع للدين، وألّا يستسلم لحكم الله ﷻ بالكلية، وهذا

(١) أخرجه البخاري تعليقًا (١/ ١١٠ فتح).

يراه المرء أحيانًا في نفسه؛ فإن الشيطان ينفخ في النفس حتى تتكبر؛ لهذا همز الشيطان ونفخ الشيطان هو كبره، فيتعوذ المؤمن من نفخ الشيطان ومن همزه بالكبر، يتعوذ المرء بربه ﷻ، ويستعيذ؛ حتى يتخلص من ذلك، فيرى المرء أنه إذا مرت عليه أحيانًا، مرت عليه سُنَّة، أو مر عليه حكم شرعي، فيرى أن الشيطان يأتي لنفسه؛ فيرى نفسه تتكبر وتترفع عن أن تعمل بالشريعة، وهذا في الحقيقة من الشيطان؛ ليجعل النفس متكبرة، فينفخ في النفس حتى تتكبر، فلا تتواضع للدليل، وللنص، وللشريعة، وهذا توعد الله أصحابه بالعذاب؛ لهذا قال طائفة من سلفنا الصالح رضي الله عنهم: (مَا تَرَكَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ إِلَّا لِكِبْرٍ فِي نَفْسِهِ)[1]، وهذا يراه المؤمن أحيانًا، يعرض عليه، الواجب حينئذ أن يتواضع للحق، وأن يستسلم للدين وللشريعة، وأن يستعيذ بالله من نفخ الشيطان وهمزه ونفثه؛ حتى يتخلص من الكبر؛ لأن الكبر مذموم، ولأن التواضع مطلوب.

أيها المؤمن، إن حكم الله ﷻ، وما تراه وما تسمعه في كتاب الله وفي سُنَّة رسوله ﷺ، إن ذلك فرض أن يستجاب له، وفرض أن يتواضع له، وأن تذل أنفسنا حتى نقبل كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ دون تردد، ودون ريب، ودون اعتراض، ودون ترفع، ودون عدم قبوله، أو عدم رؤية في أن ما أنزل الله ﷻ هو الأحسن، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، والله ﷻ له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى؛ لهذا فلينظر كل منا في نفسه، فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ـ والعياذ بالله من الكبر ومن أسبابه ـ، اللَّهُمَّ، فأعذنا.

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أبي عثمان النيسابوري رحمه الله. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٢٠)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٢٣٦).

أيها المؤمن، النوع الثاني من التواضع، وهو الذي يعلمه الناس، ويرددونه، هو التواضع للمؤمنين، هو التواضع للخلق؛ يعني: أن يتواضع لإخوانه، أن يتواضع لوالديه، فلا فخر، ولا يبغي، فينظر إلى أنه أقل من الناس، قال بعض السلف: (ما مررت بأحد من أهل الإيمان إلا ظننت أنه أفضل مني وأرفع عند الله ﷻ)، وبهذا تلين النفس، وتزكو، فإن المؤمن، فإن المسلم إذا رأى أنه أرفع من الناس، وأنه أرفع منهم دينًا أو دنيا، وأن له الحق في أن يترفع ويتكبر، فإنه يؤتى حينئذ في مقتل من مقاتل القلب والإيمان، فتبدأ نفسه تعجب بنفسها، ويبدأ يتكبر، ثم بعد ذلك تذل نفسه، ثم بعد ذلك يطيع الشيطان - والعياذ بالله - في التكبر.

التواضع مطلوب، وحقيقته أن لا ترى نفسك أرفع من عباد الله ﷻ، إن آتاك الله دينًا وصلاحًا، فإن ذلك منة من الله عليك.

قال ابن القيم رحمه الله[1]:

وَاجْعَلْ لِوَجْهِكَ مُقْلَتَينِ كِلَاهُمَا ... مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيَتَانِ
لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أيضًا مِثْلَهُمْ ... فَالقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحمَنِ

فإن العبد المؤمن الصالح يخشى على قلبه من التقلب، وإذا رأى أخاه الآخر عليه معصية أو عليه ذنب، سأل الله ﷻ لذاك الآخر العافية، وسأل لنفسه الثبات، ولا يرى أنه أرفع من غيره؛ لأنه قد سبق في الكتاب أهل الجنة، وسبق في الكتاب أهل النار، وقال ﷺ: **«فوالله الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بَعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بَعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ**

(١) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لأحمد بن إبراهيم بن عيسى (١/ ١٣١).

عَلَيْهِ الْكِتابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»(١)، والعياذ بالله؛ لهذا الرجل الصالح والمرأة الصالحة تصلح وتجتهد في الصلاح، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الدعوة، ولكن لا ترى نفسها أرفع من الآخرين؛ لأنها لا تعلم حقيقة العواقب؛ كما قال بعض السلف: (قُلُوبُ الْأَبْرَارِ مُعَلَّقَةٌ بِالْخَوَاتِيمِ، وَقلوبُ الْمُقَرَّبِينَ مُعَلَّقَةٌ بِالسَّوَابِقِ، أُولَئِكَ يَقُولُونَ مَاذَا مِنَ اللهِ سَبَقَ لَنَا، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ بِمَا يُخْتَمُ لَنَا)(٢).

أيها المؤمن، من التواضع المطلوب أن يتواضع المرء لوالديه؛ فإن التواضع للوالدين، وعدم الترفع عليهما، إن ذلك صفة مطلوبة شرعًا في عموم صفة التواضع، وخاصة في التعامل مع الوالدين؛ كما قال ربنا لنا ﷻ: ﴿...وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، فانظر إلى قوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾؛ يعني: اخفض لهما جناحك الذليل، وكن بين أيديهما ذليلًا، لا ترفع بصرك إليهما محدقًا، ولا تقل إلا خيرًا، اختر أكرم الأقوال، واختر أفضل الأفعال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، هذا تواضع، وقلَّ من يتواضع لوالديه في وقت حاجتهما إليه، في وقت مرضهما، في وقت الحاجة، في وقت ضعفهما، فمن ذا الذي يتواضع، ولا يتكبر؟! إذا كبر الوالد، أو كبرت الوالدة، رأى الولد أنه ينظر إليهما، ويريد أن لو استراح منهما، وأما المتواضع، فيرى أن الجنة جاءت بسبب وجود هذين الوالدين، فالجنة تحت أقدام الأمهات، وصح عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ**

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٥٠٨)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ١٩١).

رَغِمَ أَنْفُ. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»**(١).

وهذا يحتاج إلى أن تمرن نفسك على التواضع، وعلى عدم الكبر والترفع، وأن تلين، وأن تذل لمن كان السبب في وجودك في هذه الدنيا، التي هي معبر لأهل الصلاح والطاعة.

أيها المؤمن، من التواضع للخلق أن تتواضع لإخوانك، فلا تترفع عليهم إن آتاك الله ﷻ مالًا أو جاهًا، وقلَّ من يؤتيه الله الجاه، وقلَّ من يؤتيه الله المال، وتراه متواضعًا غير متكبر؛ لأن هذه تحتاج إلى قلب مؤمن معلق بمراد الله ﷻ الشرعي.

أيها المؤمن، إن آتاك الله مالًا، فلا تفخر به، **«وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**(٢).

إذا افتخرت بالنسب، فكلكم لآدم وآدم من تراب. إذا افتخرت بالمال، فالمال يؤتيه الله من يشاء، ويسلبه عمن يشاء، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]. إذا آتاك الله الجاه، فعما قليل سيزول ذلك؛ لأن الدنيا دول، ولأن الدنيا تتقلب، والعاقل من تواضع، وعامل الله ﷻ، وعبده بهذه الخصلة العظيمة، ألا وهي التواضع، حينئذ ينبغي لنا أن ننبه إلى أن التواضع يكون عبادة بإخلاص النية لله؛ يعني: أن يتواضع المرء لله، لا أن يكون بين الخلق متواضعًا، يشار إليه بأنه متواضع، وأنه كذا وكذا، فحقيقة الإخلاص أن يتواضع المرء لله، يطلب ثواب الله، ويخشى عقاب الله بأن يكون من المتكبرين.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥١).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٢١).

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من المتواضعين للحق، المستسلمين للدين، المتواضعين للخلق المؤمنين، اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن يتحلى بالأخلاق التي ترضاها، ويجتنب الأخلاق التي تأباها، اللَّهُمَّ، هيئ لنا من أمرنا رشدًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له؛ تعظيمًا لمجده، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سركم وعلانيتكم، وفي أمركم كله، فإن الله أمرنا بذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، اللَّهُمَّ، اجعلنا من المتقين.

هذا، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته؛ ليدلنا على عظم أمره، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعن سائر الصحب والآل وأمهات المؤمنين وعن سائر المؤمنين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام وأهله، وأذل الشرك وجنده، اللَّهُمَّ، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، اجعل أمرنا إلى خير، وعاقبتنا إلى خير، نعوذ بك ـ اللَّهُمَّ ـ من جميع الشرور، اللَّهُمَّ، نعوذ بك من جميع الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، وفقهم بتوفيقك، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على الحق والهدى والبر والتقوى، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تصلحنا جميعًا، صلاحًا لقلوبنا، ولألسنتنا، ولأعمالنا، اللَّهُمَّ، أصلحنا؛ فإنك جواد كريم، اللَّهُمَّ، نسألك صلاحًا لنا، ولأهلينا، ولأولادنا، ولأحبابنا، حتى ترضى عنا يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تأمننا بالإيمان، وأن تسلمنا بالإسلام، نعوذ بك ـ اللَّهُمَّ ـ من الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن هذا البلد بخاصة، وعن سائر بلاد المسلمين بعامة. اللَّهُمَّ، فأعذنا.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: المصالح المرسلة

الخطبة الأولى:

الحمد لله، خلق الخلق لعبادته، ويسَّر لهم من المصالح ما فيه سعادة معايشهم، فأمر ونهى، ودلَّ الخلق على ما فيه سعادتهم، فالخير كل الخير في اتباع شرع الله، والحذر كل الحذر من مخالفة أمر الله، فمن أطاع الله، أعطاه، ومن عصى، فهو مهدد ومتوعد، نسأل الله الكريم أن يجعلنا ممن أطاعه واتبع شرعه، ونسأله ـ سبحانه ـ أن يباعد بيننا وبين مساخطه ومناهيه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها الإخوة المؤمنون، اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها المؤمنون، أنزل الله ﷻ شريعته المباركة شريعة الإسلام الخاتمة على محمد بن عبد الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ الكتاب، وهو القرآن، وأنزل أيضًا الحكمة، وهي سُنَّة المصطفى ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٣، ٤]، وثبت عن النبي ﷺ؛

أنه قال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١)؛ يعني: السُّنَّة.

فالقرآن والسُّنَّة مصدرا التشريع عند المسلمين، ويتفرع عنها بما دلَّت عليه أدلة الكتاب والسُّنَّة، ويتفرع عن ذلك أدلة كثيرة، منها الإجماع، ومنها القياس، ومنها أقوال الصحابة، ومنها المصالح المرسلة، ومنها أدلة أخرى تعرف بتتبع ما جاء في النصوص من اعتبار تلك الأدلة.

أيها المؤمنون، لا شك أن شريعة الإسلام شريعة باقية إلى قيام الساعة؛ ولهذا لا شيء من المصالح التي تنفع العباد وفيها مصلحتهم إلا وفي الشريعة ما يدل عليه بأنواع الأدلة المختلفة، ولا شيء من الشرور والمفاسد إلا وفي الشريعة ما يدل على فساده، وعلى عدم اعتباره، وعلى وجوب اطِّراحه؛ فالشريعة جاءت بتكميل المصالح وتحصيلها، ودرء المفاسد وتقليلها؛ لهذا نرى أن ما حدث في حياة الناس من بعد محمد ﷺ ينقسم إلى أقسام:

• منه ما دليله موجود في الكتاب والسُّنَّة بالألفاظ ـ أي: بالمنطوق ـ، بمفهوم تلك الأدلة.

• ومنه ما حدث في حياة الناس، وليس في الشريعة نص على حكمه، فيكون إذًا من مسائل الاجتهاد. والعلماء ـ رحمهم الله ـ نظروا فيما حدث في الناس بعد النبوة، فوجدوا أن حل مشاكل الناس، وأن اعتبار ما فيه مصالحهم موجودة أصوله في الكتاب والسُّنَّة؛ فالكتاب لم يفرط فيه من شيء: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فالكتاب

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد في المسند (٤/ ١٣١)، وابن حبان (١/ ١٨٨)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣٣٢) من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه.

العزيز وسُنَّة النبي ﷺ فيهما ـ كما ذكرت ـ أصول المسائل وأصول الأدلة.

فحدث في عهد عمر رضي الله عنه أشياء مما احتاجتها الدولة، فأقام عمر رضي الله عنه الدواوين، دونها، وجعل الحسابات، وأنشأ دواوين خاصة في إنشائها مصالح للناس.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف واحد، وألغى المصاحف، واعتبر أشياء كثيرة أحدثها من الأحكام فيها مصالح للعباد.

وهكذا في عهد التابعين، وهكذا في عهد أئمة الإسلام.

والعلماء اعتبروا من الأحكام حكمًا أسموه: المصالح المرسلة؛ يعني: المصالح المطلقة للإمام، أو للعالم أن يعتبرها، وأن يحتج بها، ولو لم يكن ثم دليل ينص على المسألة بنفسها، فكل ما حدث في حياة الناس، فالعلماء لديهم الحكم فيه بما يعتبرونه، وحكمهم في ذلك بما دلت عليه الأدلة، أو بما كان فيه تحقيق المصلحة ودرء المفسدة؛ لأن الشريعة جاءت بتحقيق المصالح وبدرء المفاسد.

سمى العلماء دليلًا من الأدلة: المصالح المرسلة؛ يعني: بما لم يكن في عهد النبي ﷺ قائمًا، أو لم يكن المقتضي لفعله ولتشريعه قائمًا في عهد النبي ﷺ، سواء من ذلك ما كان من أمر الدنيا، أو ما كان من أمر الدين والدنيا معًا، على تنوع اعتبارات العلماء في ذلك.

فمثلًا لما جمع عثمان رضي الله عنه الناس على مصحف واحد، كان جمعه الناس على هذا المصحف من الأمر الديني، لكن لم يكن المقتضي لجمع الناس على المصحف الواحد في زمن النبي ﷺ؛ لأن الوحي ينزل، والسور ترتب، والآيات تضاف في مواضعها بحسب التنزيل من الرب عز وجل؛ لهذا لم يدون المصحف في عهد النبي ﷺ، وترك بعد ذلك

في عهد أبي بكر رضي الله عنه أوائل ذلك، ثم في عهد عثمان رضي الله عنه. واعتبر العلماء ذلك حكمًا شرعيًا لازمًا؛ فألزموا باتباع المصحف العثماني مثلًا، والمصحف العثماني منسوب إلى عثمان رضي الله عنه؛ لأنه الذي جمع الناس إلى ذلك المصحف، وليس منسوبًا إلى الدولة العثمانية؛ كما يظنه كثيرون.

وهكذا في الأذان الأول في الجمعة، لما جعله عثمان رضي الله عنه، وذلك في أمر ديني، ولكن العلماء أقروه على ذلك، وتتابعوا عليه، وهكذا في الأمر الآخر في الأمور الدنيوية، جعلوا كثيرًا من الأحكام التي في تحقيقها مصالح للعباد، جعلوها أمرًا شرعيًا.

وهذا ـ **أيها المؤمنون** ـ مما يجب على المؤمنين بعامة، إذا عملوا ما حَكم به العلماء، أو أفتوا به، يعمله العبد، ويفعله تعبدًا وطاعة لله عز وجل في أشياء كثيرة مما حدثت مما فيه مصالح العباد. ولنأخذ مثلًا على ذلك ما جاء في هذا الزمن من كثرة السيارات، وضرورة تنظيم الأمر ـ أي: تنظيم المرور ـ، ووضع بعض الأحكام لذلك؛ كالإشارة، وكالسرعة المحددة مثلًا، وكالطرق وأنواعها، وأشياء تعلمونها متعلقة بهذه المسألة، فإن رعاية ما فيه مصالح العباد داخل ضمن الأصول الشرعية، التي دلَّ عليها القرآن وسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، وداخل أيضًا ضمن المصالح المرسلة، فمن ذلك أن الله عز وجل حرم على العباد أن يُلقوا بأنفسهم إلى التهلكة، فقال عز وجل: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال عز وجل: ﴿...وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠]، فجعل الله عز وجل إهلاك النفس حرامًا، ومنهيًا عنه، ومتوعدًا صاحبه بالعذاب.

ومن القواعد الشرعية أن الوسائل لها أحكام المقاصد؛ يعني: من

سلك وسيلة المحرم ـ التي تفضي إليه في غالب الظن ـ، فإن الوسيلة محرمة شرعًا؛ كما أن الغاية محرمة.

ومن الأدلة على ذلك الأصل في سُنَّة المصطفى ﷺ قوله ﷺ في حجة الوداع في الخطبة التي خطب فيها بمئة ألف من الصحابة ﵃، قال ﷺ: «**إِنَّ دِماءَكُمْ وأموالَكم وأعْراضَكمْ بَيْنَكُم حَرامٌ؛ كَحرْمةِ يومِكُم هذا، في شَهرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا**»[1]؛ يعني: أن أموال الناس فيما بينهم محرمة، فإذًا الاعتداء عليها حرام، وإن ذوات الناس وأنفس الناس بينهم محرمة، والاعتداء عليها حرام، وإذا كان كذلك، فوسائل الاعتداء على الأموال، أو على الأعراض، أو على الأنفس محرمة بتحريم أصولها، فلهذا عدم التهاون بما نُظم مما فيه مصالح الناس، ولا يتعارض مع حكم شرعي، إن رعاية ذلك رعاية لأصول شرعية، ورعايته مطلوبة شرعًا؛ لأن أصوله موجودة في الشريعة.

لهذا ـ **أيها المؤمنون** ـ واجب علينا أن ننظر في هذه الأشياء التي نظمت مما لا يتعارض مع حكم شرعي، ومما أفتى العلماء بأنه ينبغي اتباعها ورعايتها، ينبغي لنا، بل يجب أن نرعاها شرعًا، وأن نتقرب إلى الله برعاية ذلك؛ امتثالًا لأمر الله ﷻ، وامتثالًا لأمر النبي ﷺ. وإلا فانظر إلى فعل كثيرين من الناس، كيف أنهم لما تركوا ما ينبغي عليهم من رعاية تلك الأمور المنظمة للمرور، والأمور التي تدخل في المصالح المرسلة المعتبرة شرعًا، كيف أدى التهاون في ذلك إلى مفاسد كثيرة في حياة الأفراد، وفي الأموال، وفي الممتلكات، بل في حال كثير من الناس النفسية، من جهة خوفهم من الاعتداء الذي يفعله المتهورون.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

إذا تبين ذلك الأصل الشرعي، فكيف نرعاه؟

أولًا: يرعى من جهة كل واحد في نفسه بأن يتقرب إلى الله ﷻ، بأن لا يلقي نفسه إلى التهلكة، وأن لا يقتل نفسه، وأن يرعى وسائل ذلك، التي هي من وسائل الأمان وحفظ النفس، ومن الكليات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها: حفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العقل... إلى آخر ذلك.

إذا تبين هذا، فحافظ أولًا أنت على ما فيه سلامتك، وسلامة الناس، وسلامة الأطفال، وسلامة أنواع المجتمع. وأيضًا حافظ على الأموال الخاصة، والأموال العامة، فمثلًا لو حصل حادث فيما يظنه بعض الناس حادثًا خفيفًا سهلًا، لكنه في الحقيقة ليس بسهل؛ لأنه يعكر الصفو، ويضيق الصدر، وفيه إنفاق للمال، وفيه إهدار للوقت، فخذ مثلًا لو هذا الذي اعتدي عليه بحادث سهل، لو أنه مشغول بأمر مهم في أمر دينه، أو في أمر دنياه، أو بأمر أهله، أو بمرض أو نحو ذلك، كما يحصل له من جراء التفريط الذي يظن صاحبه أنه سهل ولا يضر؟ نعم، كل شيء يجب أن يرعى كما أمر الله ﷻ، والله ﷻ يحب منا أن نتقي، وأن نخاف، ومما ينبغي أن يعمل في مخاطبة لفئة أخرى، مخاطبة للآباء فيما يولونه أبناءهم من السيارات، يجب عليهم أن يُؤدبوهم في القيادة؛ لأن القيادة تترتب عليها أحكام شرعية، وكم زهقت أرواح من واقع تصرفات بعض الشباب الذين لم يربوا على هذا الأمر! لا يتساهل فيه؛ لأنها متعلقة بأعراض، متعلقة بأموال الآخرين، وبالأموال العامة، متعلقة بالأنفس، والأنفس علينا حرام، والأموال علينا حرام، والأعراض علينا حرام.

فإذًا الوالد عليه واجب في التربية وفي أن يرعى ذلك، كذلك الذين

تولوا التعليم من المدرسين، أو من مديري المدارس، أو من المربين بأنواعهم، أو من الدعاة، كل عليه واجب في أن يدل الناس على ما فيه المصالح الشرعية، فمما ينبغي الرعاية له أن يُعلم الشباب والناشئة كيف تكون هذه الأمور، التفريط فيها يؤدي إلى إهدار كثير للأنفس، وإلى استنزاف كثير لأرواح المؤمنين، وكذلك إلى إهدار كثير للأموال العامة، وإلى ما تعنى به المستشفيات، إلى غير ذلك، كل هذا ينبغي علينا أن نتحدث به، وأن لا يكون الأمر سهلًا، فكما قيل ونشر معدلات الحوادث وذهاب الأنفس في هذه البلاد أكثر من غيرها، وهذا إذا كنا نرى ونتيقن أن بلادنا بلاد القدوة، وأن بلادنا بلاد الإيمان، فيجب أن نمتثل ذلك في حياتنا.

كذلك مما يتعلق بمواقف السيارات، كثيرون يقفون أمام باب بيت من البيوت، أو أمام مدخل من المداخل المهمة، ويتساهل في ذلك، ولا يريد أن يذهب خطوات، ولعل مريضًا يريد أن يخرج من البيت، ولا يدري كيف السبيل، ولعل ذاهبًا إلى عمله، أو إلى سفر يترتب عليه له مصالح يرى هذا الحال، فيظل متحصرًا، والنبي ﷺ قال: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»[(١)]؛ يعني: أن الضرر منتف شرعًا، فكل ضرر واجب النهي عنه شرعًا، وكذلك كل نوع من المضارة لعباد الله يجب النهي عنه.

ولو امتثلنا ـ **أيها المؤمن** ـ، لو امتثلنا أحكام الشريعة، لكنا على خير ما ينبغي من الأخلاق، ومن الأحوال، ومن التصرفات.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وأحمد في المسند (١/ ٣١٣)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٣٩٧)، والطبراني الكبير (١١٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦)، والدارقطني في سننه (٣/ ٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٦٩). وأخرجه مالك في الموطأ مرسلًا (٢/ ٧٤٥).

فالواجب إذًا أن نرعى الأحكام الشرعية، أعانني الله وإياكم على أنفسنا، وأعاننا على رعاية المصالح ودرء المفاسد، وأن نكون في كل ذلك متقربين به إلى ربنا ﷻ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له؛ تعظيمًا لمجده، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم عند ربكم: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المؤمنون، إننا في إقبالة شهر كريم، ومما يهم التنبيه عليه في إقبالة هذا الشهر أن مسألة الزكاة يُعتنى بها، وأن الركن الثالث من أركان الإسلام يُعتنى به، وخاصة من الذين عندهم أموال تدخل وتخرج، أو من أرباب المتاجر، فشهر رمضان شهر مبارك، والنفقة فيه والصدقة مضاعفة

لشرف الزمان، وكذلك الزكاة فيه، فقد أُثر عن عثمان ﷺ؛ أنه كان يقول: «هَذَا شَهْرُ زَكَاتِكُمْ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلْيَقْضِ دَيْنَهُ حَتَّى تَخْلُصَ أَمْوَالُكُمْ فَتُؤَدُّوا مِنْهَا الزَّكَاةَ»(١)؛ يعني: رمضان؛ لما فيه من الفضيلة، لهذا ننبه على أن الذي ينبغي أن يبتدئ كل من عنده مال تجب فيه الزكاة أن يبتدئ في حسابه، وفي إخراج الزكاة؛ يعني: في الاستعداد لإخراجها قبل الشهر، وأن يميزها من حيث القدر، وأن يسعى في معرفة مصارف الزكاة، التي يصرفها فيها قبل الشهر، حتى إذا أتى الشهر الكريم ـ تقبل الله منا ومنكم فيه العمل الصالح ـ، حتى إذا أتى الشهر، فإذا به قد أعد العدة لأداء هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، الذي قرنه الله ﷻ بالصلاة، وقال فيه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أعانني الله وإياكم على الخير والهدى؛ إنه سبحانه جواد كريم.

هذا واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة على نبيه ﷺ، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعن سائر الصحب والآل وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٥٣، برقم ١٧)، والشافعي في مسنده (١/ ٩٧)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٢٤٩، ٢٥١)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤١٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٩٤)، والبغوي في شرح السُّنَّة (٦/ ٥٤) عن السائب بن يزيد ﷺ. ورواه البخاري (٧٣٣٨) عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ، «سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ خَطَبَنَا عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ».

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم اللَّهُمَّ على الرشاد، وأعنهم ـ يا رب ـ على الخير والسداد في الأقوال والأعمال، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن هذه البلاد بخاصة، وعن سائر بلادنا بعامة، يا أرحم الراحمين.

نسألك ـ اللَّهُمَّ ـ أن تمُنَّ علينا بتوبة نصوح، اللَّهُمَّ، مُنَّ علينا بالتوبة قبل الممات، اللَّهُمَّ، لا تمتنا إلا وقد وفقتنا للتوبة وإلى عمل صالح، به ترضى عنا، يا أكرم الأكرمين.

نعوذ بك من سيئ الأعمال، ونعوذ بك من سيئ الأقوال، ونسألك أن نلقاك بقلب سليم، يا أجود الأجودين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الملل المذموم

الخطبة الأولى:

الحمد لله، خلق الخلق، وأودعهم من الغرائز والأخلاق ما تحار فيه عقول ذوي الألباب، الحمد لله الذي جعلنا من المسلمين به، والمسلمين له، المتبعين رسوله ﷺ، أحمد الله بما هو له أهل من المحامد، وأثني عليه الخير كله، وأشكره، ولا أكفره، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد جميعًا أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصحنا كما نصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد كفاء ما أرشد وعلَّم، وكفاء ما جاهد، اللَّهُمَّ، صل، وسلم عليه ما تتابع الليل والنهار، كلما صلى عليه المصلون، وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بملازمة تقوى الله ﷻ في كل حال، وتذكر لقاء الله ﷻ، أوصيكم بألا تغرنا هذه الحياة الدنيا، فإنما الحياة الدنيا متاع الغرور، هذه الحياة عرض زائل، لا بد أنها ستنتهي، قصر العمر أم طال، ولكن الشأن في الحياة الأبدية، التي لانقضاء لها: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

أيها المؤمنون، إن العاقل يتفكر في نفسه، ويتفكر في آفات النفس، وينظر إلى نفسه آفاتها، ويسعى في أن يتخلص من الآفات؛ حتى تزكو نفسه، فقد أمرنا الله ﷻ أن نسعى في تزكية النفس، فقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وإن من تلكم الأخلاق، إن من تلكم الغرائز، التي هي مجهولة في الأنفس، ولا بد من الرعاية لها، ولا بد من العناية بها؛ دفعًا لما حرم الله ﷻ، وجلبًا لما أحب الله ﷻ، إن من تلكم الغرائز وتلكم الميول غريزة الملل.

والملل قد ذكره الله ﷻ في القرآن، وبيَّن أن حال أهل الملل، الذين ملَّوا نعمة الله ﷻ، وملوا ما أنعم الله به عليهم، وطلبوا أمرًا آخر، ولم يشكروا الله على النعم الجزيلة، بيَّن أن أولئك لم يكونوا على الصراط المستقيم، وأنه ـ سبحانه ـ عاقبهم، بيَّن ﷻ أن الذين ملَّوا من الأمن والأمان، وملَّوا من كثرة الأمن والترحل في بلادهم، أنهم لما ملوا ذلك، ظلموا أنفسهم بالمعصية، بيَّن ﷻ أنه عاقب أولئك المالّين من نعم الله، عاقبهم بأنواع من العقوبات، وجعلهم أحاديث؛ ولهذا قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[1]؛ لأن الله قاهر عزيز جبار، وإنه ﷻ ذو الحكمة البالغة، فإذا ترك العبد طاعة الله، وترك شكر نعمه، ورغب بعد ملله فيما لم يأذن الله به، أو فيما هو أدنى مما أعطاه الله ﷻ أياه، فإن الله ﷻ يُجازيه عن ذلك، وينصرف عنه عِزّةً منه ﷻ.

فهو سبحانه لا يمل من الإنعام، ولا يمل من العطاء، ولا يمل من الإثابة، لا يمل من تثبيت النعمة، ولا يمل من تثبيت الأمن والطمأنينة في البلاد، حتى يمل العباد من ذلك، فيتركوا مُوجباته، فعند ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥) من حديث عائشة ﵂.

يُغير الله ﷻ عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أيها المؤمن، لقد قصَّ الله ﷻ قصة موسى عليه السلام وما دعا قومه من التوحيد، وأن الله ﷻ نجاهم من العدو الأعظم لهم، ألا وهو فرعون، ولما نجاهم، وأغرق عدوهم، وصاروا في الصحراء بين صخور وشمس حارة، ولما كانوا كذلك، أنعم الله ﷻ عليهم؛ جزاء ما استجابوا فيه لموسى عليه السلام، جزاء توحيدهم، وخروجهم مع موسى عليه السلام، ومضادتهم للكفر ولأهل الكفر، أنعم الله عليهم، وهم في صحراء وتحت شمس محرقة، بأنه تبارك وتعالى ظلل عليهم الغمام، وفجر لهم الأرض عيونًا، وأنه تبارك وتعالى أعطاهم المن بأنواع الحلوى، وأنه تبارك وتعالى أعطاهم السلوى - طير يعز وجوده -، أنعم الله عليهم بذلك.

فلما طال عليهم الأمد - مع أنه كان منهم ما كان -، لما طال عليهم الأمد، ملوا هذه النعمة العظيمة من أنواع المآكل والمشارب وأنواع الظلال، فقال ربنا ﷻ مخبرًا قولهم ومبينًا سوء حالهم، وسوء مللهم، وسوء أخلاقهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]؛ يعني: أتستبدلون تلك المأكولات التي هي أقل منها: ﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ بهذه النعم العظيمة من المآكل والمشارب، لم فعلتم ذلك؟ لأنهم فروا وملوا من تلك النعم العظيمة، ولم يشكروا الله عليها، وظنوا أن تلك النعم لا قيمة لها، فأرادوا الأقل مللًا، ولم يشكروا الله على الأكثر؛ لهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

ثم إن الله ﷻ بيّن لنا في القرآن قصة سبأ، وما أنعم الله به عليها: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥]، لقد أنعم الله عليهم بأنواع النعم: في الملابس، والتجارات، وفي المآكل، وفي الزروع والفواكه: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، فلما طال عليهم العهد، جعل الله ﷻ أمنًا وأمانًا بينهم وبين القرى التي ينتقلون بينها، لا يحتاجون إلى أخذ طعام ولا إلى أخذ شراب، فماذا كان من حالهم، ملّوا ذلك؛ لأن النعمة عند ذوي النفوس المريضة تمل، ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ وليتهم أطاعوا، ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩].

ولقد أنعم الله على الأغنياء في مصر لما كان فيهم يوسف عليه السلام بأنواع النعم، فسادوا الناس، فيهم الأموال، وهم يسكنون القصور، وفيهم أنواع النعم، عندهم الخدم والعبيد، ولهم أنواع المشارب وأنواع المآكل، حتى تطوروا في أنواع الآلات التي يستخدمونها في مآكلهم ومشاربهم، ونظموا ذلك.

ففسق كثير من نسائهم ـ أعني: نساء الأغنياء ـ، وسكت الرجال عن المعصية؛ لأنهم ملوا النعم، وراحوا يطلبون الملذات، التي لم يأذن الله بها.

فهذه ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]، خادم عندها، فتركت زوجها ـ الذي هو العزيز الغني، الذي بيده أشياء كثيرة من المال والسكن ـ، ملت ذلك، وطمعت في خادمها، وذلك لأجل ما جبلت عليه النفوس من هذه السيئة التي يجب دفعها، ألا وهي سيئة الملل التي من أصابته، فإنها أصابت من نفسه مقتلًا، وهكذا في مواضع كثيرة من كتاب الله، تدبروها أيها المؤمنون.

لينظر المؤمن إلى حاله، وهذه الخصلة فيما هو فيه، أملٌّ من نعمة الله ﷻ؟

إن نعمة الله ﷻ على عباده أن جعلهم مسلمين، لم ترتب قلوبهم، مخبتين لله، مستسلمين له، إن هذه نعمة، فهل ملت منها بعض الأنفس، وأخذت نفوسهم ترتاب في دين الله، وتتردد؟! إذا كان بعضهم كذلك، فليتذكر قول الله ﷻ: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

لقد ملت أنفس من الطاعة، فتركوا الطاعة أو المداومة عليها، تركوا المساجد؛ لأنهم ملوا من الصلاة في خمسة أوقات، وإلى أي شيء تركوا هذا الخير العالي؟ إلى أي شيء تركوه؟ إلى ما دونه، وكأنهم نزل فيهم قول الله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، ملوا العادة الشرعية، وملوا العبادة المؤقتة، إلى عادات آخر، لكنهم لا يعقلون.

لقد مل طائفة بعد أن سيطر عليهم الملل على نفوسهم، ملوا مما أباح الله ﷻ من النساء، فذهبوا إلى غيره، أعطاهم الله الحلال، ولكن الشيطان قبح الحلال في أعينهم وفي قلوبهم، ورأوا اللذة في التجديد، رأوا اللذة - كما رأتها امرأة العزيز - في الذي هو أدنى، رأوها في الخبيثات، رأوها في اللواتي لسن طاهرات، ولسن عفيفات، وتركوا الخير، تركوا الطاهرات العفيفات، لم؟ لأنهم ملُّوا مما أباح الله ﷻ.

وهذه امرأة العزيز مع أنها ابتغت وليًا من أولياء الله، ونبيًا صالحًا، فكيف بمن رام الخبيثات؟! ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

أيها المؤمنون، طائفة ملوا من المكسب الحلال، ملوا من الربح الحلال، فأرادوا كثرة المال في هذه الحياة القصيرة؛ لتلحق بهم تبعاته في الحياة الباقية الأبدية، فملوا الطاعة، ملوا مصابرة النفس، ملوا مدافعة الشيطان، فاستسلموا للإغراءات المختلفة، من إغراءات المال بالربا وبالغش وبالخيانة، وبأنواع الرشوة، ملوا الحلال، واطرحوا في الحرام، نسأل الله العافية.

نعم، أيضًا إن الصالحين قد يدركهم ملل، وهؤلاء طائفة ننظر إليهم من الناس ممن فيهم صلاح وطاعة، نراهم ملوا كثيرًا، ملُّوا قراءة القرآن والأنس بكتاب الله ﷻ، فصاروا لا يقرؤون القرآن إلا قليلًا، ومنهم من حفظ القرآن، ثم نسيه، ومنهم من أراد طلب العلم، ورامه، وسلك سبيله، ثم مل ذلك، وتركه ناسيًا قول المصطفى ﷺ: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[١].

ملَّ طائفة من ملازمة المنهج الصحيح، ومن ملازمة السُّنَّة، ومن ملازمة طريقة السلف الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي أنواع التعامل مع ما يستجد، وظنوا أن الخلاص وأن الصلاح في غير السُّنَّة، ملوا السُّنَّة، وذهبوا إلى العقليات المختلفة من الملل، ولم يدركوا خيرًا، وأينما أدركوا شرًا، والسُّنَّة واجب ملازمتها.

نعم - **أيها المؤمنون** -، مل طائفة من المصابرة على الإخوة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

الصالحين، وعلى ملازمة من يرجو الله والدار الآخرة، ملوهم، وأخذوا يُجالسون الأشرار، فزلت بهم أقدامهم، نسوا قول الله ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

إذًا ـ **أيها المؤمن** ـ العلاج في الصبر، العلاج في المصابرة، أن تصبر نفسك، وأن لا تغرنك الحياة الدنيا، وألا يغرنك بالله الغرور، لا يأتيك الشيطان، فيجعلك تمل من الطاعة، وتذهب إلى المعصية، تمل من رزق الله الحلال، وتذهب إلى رزق الله المحرم، الذي ابتلى الله به العباد، لا يأتينا الشيطان، فيجعل بعضنا يمل مما أحل الله له من النساء، فيذهب إلى المحرمات، منا من يصابر نفسه ويجاهد، فمل المصابرة ومجاهدة النفس، وقال: الناس يفعلون كذا، والأمر قد اتسع، وكثرت أنواع الفساد. فمل من المصابرة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

أيها المؤمن، هذا هو الملل المذموم، الملل من طاعة الله، الملل من نعمة الله، الملل من شكر الله، الملل من عبادة الله، الملل من الإخبات إلى الله والإقبال عليه وملازمة هدي المصطفى ﷺ.

وهناك نوع آخر من الملل محمود لأصحابه ممن غشي المعصية، وممن أعرض، وممن قسا قلبه، فمل بعد تطاول الزمان عليه، مل من المعصية بعد أن رأى أن عاقبتها إلى خسارة، مل من قسوة القلب، ومن عدم السعادة، ومن عدم اللذة، مل من ذلك، ففكر وتأمل في نفسه، وقاده ذلك إلى الإنابة إلى الله ﷻ، وإلى ملازمة المساجد وتلاوة القرآن وإصلاح نفسه وبيته، وهجر المعاصي بأنواعها، هذا الملل محمود لأصحابه، فملوا ـ أيها المسلمون ـ من كل معصية، وأقبلوا على كل طاعة.

وأما الملل المذموم، فإنه إن أدركنا، وشاع بيننا، فإننا ـ والله ـ

مؤذنون بخطر وعقاب من الله، فقد قص الله علينا القصص: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]. «إِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»(١)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من الثابتين على دينه، المستمسكين بحبله، الشاكرين له على نعمائه، اللَّهُمَّ، اجعلنا شاكرين لك على أنواع نعمك باعتقادنا وقلوبنا، وبألسنتنا ذكرًا وتحدثًا، وبأعمالنا طاعة وإنابة، اللَّهُمَّ، فاستجب، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه، وسلم اللَّهُمَّ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ؛ فإن التقوى

(١) سبق تخريجه (ص٤٤٢).

فخارنا ورفعتنا عند الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

هذا، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم هدي المصطفى ﷺ وهدي صحابته ﷺ، وهدي التابعين، وهدي العلماء العاملين؛ فإن ذلكم هو النجاة لمن أراد الله نجاته.

أيها المؤمن، ثبت عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ**»(١).

«**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً**»؛ يعني: له عنفوان، وله إقبال، وله قوة.

«**وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ**»: لكل قوة وإقبال ركود وفترة، وهذا من جراء الملل، ولكن هذا الملل إن كان مع عدم تفريط بالواجب، فهذا هو الخير، وإن كان بمثل ترك بعض المستحبات حينًا من الدهر، ثم يرجع إليها، فهذا قد يعرض للنفوس جميعًا، ولهذا قال ﷺ: «**فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ**»؛ يعني: أنه إذا مل، لم يأت الحرام، ولكنه ترك بعض المستحبات، وسيرجع إليها؛ لأن من طبيعة النفس الملل، من كانت فترته إلى سُنَّة، فقد أفلح، وأنجح، ومن كانت فترته إلى معصية أو إلى بدعة، فقد خاب، وخسر، وهذا هو الملل المذموم.

أسأل الله ﷻ، أن يجنبني وإياكم مساوئ الأخلاق، وأن يصلح

---

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٣٧٥)، وابن حبان (١/ ١٨٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٢٦٦).

نفوسنا، وأن يزكيها، اللَّهُمَّ، آت نفوسنا تقواها، وزكها، أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

هذا، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة على نبيِّه، فقال سبحانه قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك ـ يا أرحم الراحمين ـ، وعن الصحب والآل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك المخلصين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الموحدين، الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم ـ اللَّهُمَّ ـ على الرشاد، وفتِّح لهم أبواب الخيرات، وغلِّق عنهم أبواب الشرور والمنكرات، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى على ما أمرت، يا ربنا.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل الطاعة، ويعافى فيه أهل الغفلة والمعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، يا سميع الدعاء.

اللَّهُمَّ، جنبنا مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن هذا البلد بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، وفقنا للتوبة النصوح، التي بها ترضى عنا، اللَّهُمَّ، وفقنا لما

فيه رضاؤك من الأقوال والأعمال والاعتقادات، نعوذ بك أن نَضل أو نُضل، أو نَزل أو نُزل، أو نَجهل أو يُجهل علينا، ونعوذ بك أن نَظلم؛ كما نعوذ بك أن نُظلم.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: الولاء والبراء

الخطبة الأولى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ١ ـ ٥].

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام والتوحيد والسُّنَّة، والحمد لله الذي مَنَّ علينا بأن جعلنا محبين لدينه، محبين لنبيِّه ﷺ، بل محبين لله ﷻ وتقدست أسماؤه، فله الحمد على ذلك ابتداءً وانتهاءً، وأولًا وآخرًا، هو المحمود على كل حال، والمحمود بكل لسان، والمثنى عليه بكل جنان، فله الحمد ﷻ في الأولى والآخرة، ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ؛ فإن تقوى الله

والاستعداد للقاء الله معها نور الله ﷻ في القلوب، ونور الله إذا انشرح له الصدر، فإن الحياة حينئذ تكون سعيدة، والآخرة بفضل الله ستكون سعيدة بإذن الله ورحمته.

أيها المؤمن، إن من أوجب الواجبات في الشريعة، إن من أوجب الواجبات وأكثر الفرائض تأكيدًا في كتاب الله ﷻ - بعد وجوب التوحيد والنهي عن ضده - الفرض الأعظم، ألا وهو الحب في الله والبغض في الله، والولاء والبراء في الله ﷻ، فنصوص القرآن ونصوص السُّنَّة بعد ما جاء فيها من الأمر بالتوحيد ومن النهي عن ضده، فإن فيها جملًا كثيرة، بل إن فيها آيات عظيمة وأحاديث كثيرة، فيها الأمر بوجوب الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله، والولاء والبراء في الله ﷻ، قال ربنا ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤].

أيها المؤمن، ومن ذلك ما صح عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ**

كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ: **«لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى...»** إِلَى آخِرِهِ[٢].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال أيضًا ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣]، وجاء عنه ﷺ؛ أنه قال: **«أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ»**[٣].

إذا تبيَّن لك ذلك من بعض ما ذكرنا من نصوص الكتاب والنصوص، فاعلم أن الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله من آكد فرائض الشريعة، وواجب من الواجبات العظام، بل إن هذا المعنى يدخل في كلمة التوحيد، فمعنى: لا إلـه إلا الله: إنك تتبرأ من كل ما عُبِد من دون الله، وتجعل ولايتك ومحبتك ونصرتك لله ﷻ وتقدست أسماؤه، ﷻ عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

الولاء والبراء هو الحب في الله والبغض في الله؛ يعني: أن توالي بأن تحب وتنصر في الله ﷻ؛ لأجل أن ذاك محب لله، مطيع لله، مسلم موحد، فإنك تحبه وتنصره، ولا تخذله، وذلك بحسب ما جاء في أحكام الشريعة. وأما الكافر والمنافق، فإنه يبغض، ويتبرأ منه، بمعنى: يبغض، ويتخلص منه، ويتباعد عنه في الله ﷻ، لم؟ لأن حقيقة الكافر أنه

---

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤١).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠/ ٤٨٨)، والطيالسي (٢/ ١١٠)، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٧، ١٠٥٣١) من حديث ابن مسعود ﷺ، وأخرجه في الكبير أيضًا (١١٥٣٧) من حديث ابن عباس ﷺ، والبيهقي في الشعب (١/ ١٠٤)، وابن أبي شيبة (١/ ١٧٠).

ساب لله ﷻ؛ لأنه أَلَّهَ غير الله، واعتقد أن مع الله إلـٰهًا آخر، وعمل بالشرك بالله؛ فإنه حينئذ لا يحب المؤمن من أشرك بالله، بل يبغض المشرك بالله الكافر بالله، فتجد قلب الموحد ـ لعلمه بمعنى لا إلـٰه إلا الله ـ، تجده مبغضًا للمشركين بأنواعهم وللكفار، تجده مبغضًا لليهود، تجده مبغضًا للنصارى، تجده مبغضًا لأصحاب الملل المختلفة ـ من المشركين، والقبوريين، والوثنيين والبوذيين، والسيخ، وأنواع المشركين والكفرة ـ؛ لأن في قلبه حبًا لله ﷻ، وهذا الحب يجعل لزامًا عليه، بل يجعل إيمانه بالله لزامًا عليه أن يبغض المشرك؛ لأنه حمل في قلبه بغض الله ﷻ؛ لأنه أشرك بالجليل العظيم ربنا ﷻ.

لهذا ـ **أيها المؤمنون** ـ واجب علينا أن نعقد عقد هذه العقيدة ـ عقيدة الولاء والبراء ـ بأن نحب في الله ﷻ، وأن نبغض في الله ﷻ، فإذا أحببنا، فالحب لله، وإذا أبغضنا، فالبغض لله ﷻ.

لهذا فمعنى الولاء في الله ﷻ: أن تحب في الله ﷻ؛ لأن أصل الموالاة الحب في الله، ولأن أصل البراء البغض، وذلك حبًّا لدين الإسلام، وبراءة وبغضًا لأديان الكفرة على جميع أصنافهم.

إذًا فالأصل ـ الذي لا يتم الإسلام إلا به، ومن لم يحققه، فليس بمسلم، وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم ـ هو أن يحب دين الإسلام، أن يحب الله ﷻ، وأن يحب رسوله ﷺ، وأن يبغض الشرك والكفر بجميع أنواعه، فإنه إذا أحب الله ودينه، وأبغض الكفر وملله، فإنه حينئذ ـ على هذا الإجمال والتفصيل ـ، فإنه يكون مسلمًا، قد حقق كلمة التوحيد، ثم إنه من لوازم ذلك أن يعقد الحب في الله، وأن يعقد البغض في الله، بما يتنوع مع المبادئ والأشخاص؛ لأن ذلك من لوازم الحب الأصل والبغض الأصل والولاء والبراء، اللذان هما عماد

الشريعة وركن الإسلام، الذي دلَّ عليه كلمة التوحيد: لا إلـه إلا الله.

أيها المؤمنون، اعلموا أن واجب الولاء والبراء والموالاة والمعاداة في الله ﷻ ينقسم بحسب الناس إلى ثلاثة أقسام:

أما الأول: فمن تجب موالاته مطلقًا؛ يعني: يجب حبه لما معه من الإيمان، ويجب نصرته لما معه من الإيمان والتوحيد الكامل، فإن العبد إذا كان مكملًا للإيمان، مكملًا للتوحيد، فإنه يجب حبه، وتجب نصرته على وجه الكمال، يجب ولاؤه ولاءً مطلقًا، وهؤلاء هم الذين كملوا الإيمان والتوحيد.

فإذًا أهل هذه المرتبة هم: المؤمنون الصالحون، الذين يحبون مطلقًا، ويوالون مطلقًا.

أما القسم الثاني: فهم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا؛ يعني: أتوا بالإيمان، ولكن عندهم ذنوب من الكبائر ومن أنواع المعاصي. فإن هؤلاء إذا نظر إلى إيمانهم وتوحيدهم، فإنهم يحبون من هذه الجهة، ويوالون لما معهم من الإيمان، وإذا نظر إلى معصيتهم وكبائرهم، فإنهم يبغضون من هذه الجهة.

فيجتمع في المؤمن وجوبًا أن يحب من جهة، وأن يبغض من جهة، حتى المؤمن في نفسه يجب أن يحب إيمانه، وأن يبغض معصيته، وأن يوالي نفسه وينصرها على ما معها من الإيمان، وأن يخذل نفسه إذا أمرته بالسوء والفحشاء.

وأما القسم الثالث: فهم الكفرة والمنافقون نفاقًا أكبر والمشركون بجميع أجناسهم. فإن هؤلاء يتبرأ منهم مطلقًا، ومعنى البراء: أنهم يبغضون، وأنهم يتباعد منهم؛ كما قال ﷺ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: **لَا تَرَاءَى**

نَارَاهُمَا»(١)؛ يعني: أن يبعد عنهم، بحيث أن مسكنه لا يقارب مسكنه، وهذه على التشديد في هذا الأمر.

فواجب إذًا أن يحب المسلم من كان مكمل الإيمان، فعلماء الملة الذين حققوا التوحيد، الذين حققوا السُّنَّة، فواجب محبتهم، وواجب نصرتهم؛ لأنهم ورثة محمد ﷺ، بل واجب قبل ذلك محبة ونصرة صحابة رسول الله ﷺ، ومحبة علماء الإسلام وأئمة الإسلام ـ ما تتابع زمانهم ـ إذا كانوا محققين لتوحيد الله، وارثين سُنَّة محمد ﷺ، وأما الآخرون، فإنهم يجب علينا أن ننظر إلى حسناتهم، فنحب فيهم تلك الحسنات، واجب أن ننظر إلى تلك الحسنات والطاعات، فنحب فيهم حسناتهم، وننظر إلى معاصيهم، فنبغض فيهم معاصيهم.

فعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أنه يجتمع في المسلم المعين أن يحب من وجه، وأن يبغض من وجه، بخلاف عقيدة الخوارج والمعتزلة ومن شابههم أو نحا نحوهم من أهل هذا العصر، الذين يحبون مطلقًا، أو يبغضون مطلقًا، ولا يحبون من وجه، ولا يبغضون من وجه؛ فإن ذلك تفريط في أمر الله ﷻ.

وأما القسم الثالث ـ وهو الذي ابتلينا به في هذا العصر الحاضر من جراء كثرة اختلاطنا بالكفرة والمشركين في البيوت، وفي الأعمال، وفي الأسفار، وفي غير ذلك ـ، فواجب أن تعلم أن قلب المشرك والنصراني واليهودي لما حمل عقيدة الشرك بالله، لما حمل بغض الله ﷻ في المآل؛ لأنه مشرك بالله ﷻ، فواجب أن ننتصر لله ﷻ، وأن نبغضه في الله ﷻ، فلا نستأنس به، ولا نواده، ولا نجلس معه جلوس

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، والنسائي في الصغرى (٤٧٨٠)، وفي الكبرى (٦٩٥٦)، والطبراني في الكبير (٤/ ١١٤).

المستأنس؛ فإن ذلك محرم؛ لأن هذا نوع من الموالاة المحرمة، نعم، إن التعامل الظاهري يختلف في حكم الشريعة مع العقيدة الباطنة؛ فإن النبي ﷺ خاطب النصارى، وتعامل مع اليهود، وخاطب أصناف المشركين، وتعامل معهم ببيع وشراء، ولكن هذا لا يعني الموالاة، ولا يعني التقدير، ولا يعني أن يجلّوا، أو يحبوا لأمر الدنيا؛ فإن الحب واجب أن يطرح، فيعامل ظاهرًا بما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين ومصلحة الشخص في دنياه، ولكن لا يجوز ظلم الكافر؛ كما لا يجوز أن يحب أو أن يستأنس له، وأن يكون كأنه مسلم في معاملته، هذا مما جاءت الشريعة بنفيه، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

قال أهل العلم: الناس في دار الإسلام من الكفرة على أقسام:

القسم الأول: الذي يظهر حربه وعداءه للإسلام ولأهله، فهذا منتقض عهده، وواجب أن يعاقبه ولي الأمر بما يراه من العقوبة بالقتل، أو بما دونه، أو بالنفي من البلاد إذا كان داخلًا بعهد وأمان.

وأما القسم الثاني: فهم الذين في بلاد الإسلام ممن يجوز أن يدخلوا بلاد الإسلام بعهد أو أمان أو ذمة، فإنهم إذا لم يظهروا عداوة، وإنما عملوا بما فيه مصلحة المسلمين، أو كانوا أهل ذمة في دار الإسلام، فإنهم يعاملون بالعدل والقسط، وربما كان في البر إليهم والإحسان إليهم ما فيه مصلحة لدعوتهم إلى دين الإسلام، ولكن هذا في حق من لم يظهر بغض الإسلام، من لم يظهر منه عداوة للإسلام ولأهله، فإن هذا يعامل ظاهره، ويعدل معه، ويحسن إليه للمصلحة،

ولكن لا يجوز أن يبقى في قلب المؤمن محبة له، وإنما يعامله، ويعدل معه، ويحيه بتحية غير السلام ابتداء، ونحو ذلك، ولكن لا يجوز أن يحبه، لم؟ لأنه يحمل في قلبه مسبة الله ﷻ وبغض رسوله ﷺ، والله ورسوله أحق أن نرضيهما، جل جلاله الله، وتقدست أسماؤه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

أيها المؤمنون، أما تعامل المؤمن مع الكفار في أنواع التجارة، وفي السفر إلى بلاد المشركين، فيجب أن يحذر منه أشد الحذر؛ لأنه كما ترون، ولا يحتاج ذلك إلى أدلة وبراهين، إن اختلاط المسلم والكافر سبب ضعف الإيمان في كثير من المسلمين، وسبب أنسهم بالكفار، وسبب دعوتهم للكفار، واستئناسهم بهم، حتى إنهم صار الأمر إلى أمر الدنيا، وكأن أمر الإسلام والتوحيد والولاء والبراء ليس من أوجب الواجبات، فواجب الحذر من أسباب ذلك، وإقامة العقيدة الصحيحة.

ثم ـ **أيها المؤمنون** ـ قال العلماء: دلَّت نصوص الكتاب والسُّنَّة على أن الموالاة للكافر تنقسم إلى قسمين:

موالاة مكفرة: وهي التي تسمى التولي في القرآن؛ كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وهذا بمعنى: أن يحب الكافر لكفره، وأن ينصر الكافر لأجل دينه، ولأجل كفره، فهذا ـ والعياذ بالله ـ رضى بالكفر، وإعلاء للكفر على الإسلام، وهذا ردة، والعياذ بالله.

وأما القسم الثاني: فهو محرم، ولا يصل إلى الكفر، وهو: أنواع الموالاة والمودة؛ كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فجعلهم ألقوا بالمودة؛

كما هو معلوم في قصة حاطب الصحابي البدري رضي الله عنه(١)، ألقى بنوع من المودة لكفار قريش، فلم يمنع ذلك أن يناديه الله عز وجل باسم الإيمان، قال العلماء: دلَّ ذلك على أن فعله لم يخرجه من الإيمان، مع أنه أفضى ببعض سر رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفار، لكن لم يفعل ذلك محبة للكفر ورغبة في ظهور الكفر على الإسلام، ولكن فعله من أجل الدنيا، وهذا محرم: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١](٢).

أيها المؤمنون، إذًا واجب علينا أن نتواصي بأصول الإسلام، أن لا نجعل كثرة اختلاطنا بالكفار في هذا البلد وفي غيره وفي الأسفار، أن لا نجعل ذلك ليس منا على بال في أمر واجب التوحيد والموالاة والمعاداة؛ فإن ذلك من أوجب الواجبات، ومن آكد المتأكدات في دين الإسلام.

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من أوليائه ومن أحبابه، الذين ينصرون الله ورسوله، والذين آمنوا، ويحبون، ويبغضون في الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من

---

(١) حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه صحابي جليل شهد بدرًا وقصته أخرجها البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، وانظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٥٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٢٥)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٧٣).

(٢) سُئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن عن: الفرق بين الموالاة والتولي؟ فأجاب رحمه الله: (التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والموالاة كبيرة من كبائر الذنوب؛ كبل الدواة، أو بري القلم، أو التبشش لهم، أو رفع السوط لهم).اهـ. انظر: الدرر السنية (٨/ ٤٢٢).

الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، تعظيمًا لمجده، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، فاقرؤوا كتاب الله، وتدبروه؛ فإنه الحجة الباقية، لا تغفلوا عن القرآن، ولا تتخذوه مهجورًا، لا تتخذوا القرآن مهجورًا، ولو ببعض آيات في اليوم والليلة؛ فإن الله ﷻ قال: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠]، وهذا يدل على تحريم هجران القرآن، فعليكم بكتاب الله وبهدي محمد بن عبد الله ﷺ، واعلموا أن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سركم وعلنكم، واسألوا الله ﷻ مزيدًا من تقواه، ومزيدًا من الصلاح والطاعة، وهداية وإنابة؛ فإنه سبحانه مجيب من سأله، ويقبل توبة التائب، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيؤوا النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيؤوا الليل[1]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه: ٨٢].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٧٥٩): عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، =

واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله أمرنا بالصلاة على نبيِّه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم اللَّهُمَّ على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل الكفر والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا في قلوبنا وفي بلادنا، اللَّهُمَّ، أصلحنا، وأصلح بنا، اللَّهُمَّ، أصلحنا، وأصلح بنا، وأنت أرحم الراحمين وأجود الأجودين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

❊❊ ❊ ❊❊

= قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: تأملات في سورة الإخلاص

الخطبة الأولى:

الحمد لله، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]، أحمد ربي ﷻ، وهو رب العالمين وإلٰه الأولين والآخرين، لا إلٰه إلا هو الملك الحق المبين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، مقرًا له بوحدانيته في ربوبيته، وبواحدنيته في ألوهيته، وبوحدانيته في أسمائه وصفاته وأفعاله، له الحمد على أن جعلنا من الموحدين، له الحمد على أن جعلنا له ذاكرين شاكرين، لا إلٰه إلا الله كلما وحده الموحدون، وكلما أعرض عن توحيده المشركون، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، هو الذي بشَّر وأنذر، وكان نذيرًا بين يديه الساعة، دلَّ الناس على توحيد الله، ونهاهم عن الطاغوت والشرك والكفر بأنواعه، كان بالمؤمنين رحيمًا، وكان رحمة للعالمين، وطوبى لمن قبل بشارة المصطفى ﷺ، وخسرى لمن أعرض عن ذلك، فلم يتبع هداه، ولم يقتدِ به، ولم يقتفِ أثره ﷺ، اللَّهُمَّ، اجعلنا من المقتفين أثر نبيه، ومن المهتدين بهديه، ومن المستنين بسُنَّته، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم - اللَّهُمَّ - تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بأعظم وصية، ألا وهي تقوى الله، ألا وهي الخوف من الله، ألا وهي خشية الله ﷻ، ليكن في قلوبنا من مخافة الله ومن خشيته، ومن الرهب من لقائه ما يحجزنا عما لا يحب الله ﷻ ويرضى؛ فإن الخوف من الله من أعظم العبادات، وأهل هذا الزمن ضعف عندهم هذا الخوف من الله ﷻ، ضعف عندهم الخوف والرهب من الجليل ﷻ، والله ﷻ وصف لنا المطهرين من الذنوب والآثام - وهم الملائكة - بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، وها نحن اليوم في كثير منا - ولا نزكي على الله أحدًا -، في كثير منا ضعف الخوف في قلبه، فلم يخف الله ﷻ من فوقه، ولم يفعل ما يؤمر.

فأسأل الله ﷻ أن يعمر قلبي وقلوبكم بالمهابة منه، وبالخوف منه ﷻ وبخشيته، وأن يجعلنا كالذين وصف من الصالحين والأنبياء بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

أيها المؤمنون، إن المتأمل المتدبر في القرآن لا بد له أن يكون ذا عظة، لا بد أن يتعظ، وأن يحدث القرآن في قلبه خشية، وأن يحدث القرآن في قلبه رغبة، وأن يحدث القرآن في قلبه محبة لله ﷻ في رغبه وقوله ومحبته؛ فإن أصل الدين إنما قام على الاستسلام للقرآن، وتلقي هذا القرآن وتدبره، وعلى أن يكون العبد رافعًا رأسه مصغيًا منيبًا لكتاب الله ﷻ، منيبًا لله ﷻ ولكتابه ﷻ؛ لأن الكتاب يحدث إنابة، ويحدث علمًا بالله، ويحدث رغبًا في الله ﷻ وفيما أعد لأوليائه.

لهذا - **أيها المؤمنون** - تدبروا هذه السورة القصيرة المعدودة

آياتها، ولكنها العظيمة عند الله ﷻ، والعظيمة في القرآن، تلك السورة هي سورة (الإخلاص)، التي يستخف أكثرنا أن يقرأ بها في صلاته؛ رغبة في الاختصار، ولو عقل، لكانت هذه السورة محدثة له في قلبه رغبًا ورهبًا ومحبة لله ﷻ، قال لنا ربنا ﷻ: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، قال نبينا ﷺ في هذه السورة: «**إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[1]، هذه الآيات المعدودة، هذه الآيات المعدودة تعدل ثلث القرآن، فمن تدبرها وعلم ما فيها، فإنه قد علم ثلث القرآن؛ لأن القرآن ثلاثة أقسام، وأول هذه الأقسام وأعظمها توحيد الله ﷻ في ربوبيته، وتوحيد الله ﷻ في ألوهيته، وتوحيد الله ﷻ في أسمائه وصفاته، وهذه الأنواع الثلاثة من التوحيد ابتدأ الله ﷻ بها القرآن في قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، فهذا توحيد الربوبية. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٣، ٤]، فهذا توحيد الأسماء والصفات، ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وهذا هو توحيد العبادة، فلا يُعبد إلا الله ﷻ، ولا يُستعان إلا بالله ﷻ، ولهذا لما بدأ بالربوبية، ثم بالأسماء والصفات، وكان المشركون يقرون بالربوبية وبكثير من الأسماء والصفات، دل على أنه يلزم من إقرارهم أن يوحدوا الله ﷻ، ولهذا لما ذكر توحيد الربوبية والأسماء والصفات، ذكرها الله ﷻ في الفاتحة مطلقة غير منسوبة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ حقيقة مطلقة، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ حقيقة مطلقة، فلما أتى إلى توحيد العبادة،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم (٨١١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، و(٨١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إلى توحيد الله ﷻ في توجه العبد وعباداته واستعانته، خص أهل الإيمان فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، نسب ذلك إلى المؤمنين بالله، الذين يعلمون حقيقة بعثة محمد ﷺ.

سورة (الإخلاص) اشتملت على هذه الأنواع الثلاثة؛ لهذا وجب على العبد أن يكون دائمًا قلبه مع هذه الأنواع من توحيد الله ﷻ، فيضعف الإيمان بضعف أنواع التوحيد، فإذا اختل جزء منها، فإنه ليس بموحد، وليس بمسلم، وليس بمؤمن، بل هو مشرك بالله ﷻ؛ لهذا تدبر هذه الأنواع وما جاء في القرآن من ذكرها، وأن أكثر القرآن وغالب آيات الله ﷻ في كتابه إنما هي في هذه الأنواع الثلاثة في ذكر الربوبية، في ذكر الألوهية، في ذكر الأسماء والصفات.

فهذه سورة (الإخلاص)، تأمل قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]؛ يعني: أحد في ربوبيته، فلا رب معه يدبر الأمر، ولا مالك غيره، ولا خالق غيره، ولا محيي غيره، ولا مميت غيره، ولا ممرض غيره، ولا مغني غيره، ولا شافي غيره، ولا رافع غيره، ولا مخفض غيره، ولا معز غيره، ولا مذل غيره، لا متصرف في الأمر، إلا هو، فهو الأحد في ربوبيته، حتى النفس الذي تتنفسه هو بتصرف الله، حتى الحركة هي بتصرف الله، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. كذلك هو أحد في أسمائه وصفاته، لا مثيل له في أسمائه وصفاته. كذلك هو أحد في ألوهيته، فلا إله معه: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، هو أحد في استحقاقه العبادة، فكل عبادة توجه بها الناس إلى صنم، أو وثن ـ حجر أو شجر ـ، أو ولي، أو عبد صالح، أو نبي، أو ملك، أو جني، فإنما هي باطلة وظلم وطغيان؛ لأن الله أحد في ألوهيته، فلا أحد يستحق العبادة إلا هو ﷻ.

لا إلـٰه إلا الله، لا إلـٰه إلا الله كلمة قامت عليها السماوات، وقامت عليها الأرض، ورددها كل مخلوق، رددها كل مخلوق، إلا الكفرة الذين أشركوا بالله، وجعلوا معه آلهة أخرى.

ثم قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢]، تقريرًا لألوهيته؛ يعني: هو وحده الذي تصمد إليه المخلوقات؛ طلبًا لحوائجها، حتى المشركون إذا ركبوا في البحر وأتتهم المدلهمات، ذكروا توحيد الله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥]، حتى المشرك يعلم حقيقة توحيد الله، فإذا أتته المدلهمات، وأتته الأمور التي تؤذيه، فإن الله ﷻ صمد، تصمد إليه الناس في حوائجها؛ كما هو أحد تفسيري السلف لهذه الآية(١).

ثم قال ﷻ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣]، مبينًا ربوبيته ﷻ واستغناءه عن أن يكون مولدًا أو والدًا، ورادًّا بذلك ﷻ على المشركين، وعلى اليهود، وعلى النصارى، وعلى سائر أصناف الكفرة الذين ألحدوا بالله، وجعلوا له الصاحبة والولد.

ثم ختم السورة بقوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤] ليس لله كفء، وليس لله كفوًا أحد في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله؛ فهو الواحد الأحد، الذي تفرد بالربوبية، وتفرد بتصريف الأمر، وتفرد بأنواع الكمال.

هذه السورة القصيرة اشتملت على هذه الأنواع الثلاثة من توحيد الله، بل اشتملت على ثلث القرآن؛ كما قال المصطفى ﷺ، إذا كان كذلك، فلنتدبر سريعًا ما في القرآن من هذه الأنواع الثلاثة من

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩٢)، وزاد المسير (٤/ ٥٠٦)، وابن كثير (٨/ ٤٩٧).

التوحيد، فلنتدبر ما في القرآن من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، قال ﷻ مبينًا لنا ربوبيته ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ﴾ - يعني: المشركين - ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]؛ يعني: أفلا تخافون الله؟ كيف توقنون وتعتقدون أن الله هو الرب المدبر المحيي المميت المعز المذل الذي بيده التدبير، وبيده الأمر، ثم لا تخافونه؟! ﴿...فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

أيها المؤمن، إن توحيد الربوبية بذكر تنوع تصرف الله في آياته وفي ملكوته، إن ذلك يُحدِثُ في قلب المؤمن، يحدث فيه ذلًا لله ﷻ؛ لأنه يعلم أن هذا الملكوت على سعته، وعلى عظمه، وأنه مهما بلغ مما نعلم، وما لا نعلم، فإن الذي يدبره هو الله ﷻ، ثم تدبر وتأمل وصف الله ﷻ لنفسه ولربوبيته يوم القيامة بقوله ﷻ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأما الأرض، فقال ﷻ في وصفها: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الزمر: ٦٩]، ووصف الله الأرض بأنها قبضته ﷻ، ثم تدبر كرسي الرحمن ﷻ، كيف أنه وسع سبع سماوات، وأن السماوات السبع في الكرسي كسبع دراهم ألقيت في ترس، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**»(١)، وأما الكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ**

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، والذهبي في العلو (ص١١٧).

فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»[(١)]، والله ﷻ أعظم من ذلك، محيط بكل شيء، كيف يهرب العبد؟ وإلى أين المفر؟ وإلى أين تذهب من الله ﷻ؟ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: ٢٦ ـ ٢٨].

تدبر توحيد الربوبية؛ فإن العبد إذا آمن حقيقة، كان في قلبه من التوكل على الله ما يكون عنده الخلق هزيلين ضعيفين، مستغنيًا بالله ﷻ، قويًّا بالله ﷻ، فإذا ضعف الإيمان بالربوبية، وإذا ضعف التوكل، فإنك تجد العبد يلتفت إلى الخلق، ويرى أنهم لا يملكون له ضرًا ونفعًا، والله ﷻ يقول لعباده: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٧، ١٨]؛ أيُّ إيمان يحدث في قلوبنا إذا نحن تدبرنا ذلك؟! ثم تأمل أن الله ﷻ ـ الذي هو ربك، والذي هو إلٰهك، الذي توجهت إليه ـ هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى، له الأسماء المتضمنة لصفات الكمال، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فمُلك الناس ناقص، لكن مُلك الله كامل مطلق، من الناس من يكون ملكًا، ولكن الله ﷻ ملكه كامل، مَلك يموت ويحيا، مَلك يعز تارة، ويذل أخرى، مَلك يكون من حاله ما يكون، لكن الله ﷻ لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ملوك البشر ليسوا بشيء عند ملك الله ﷻ؛ لهذا ملك الله مطلق، وأسماؤه كاملة.

كذلك صفات الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٦).

﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، إلى آخر التسعة والتسعين اسمًا، التي من أحصاها دخل الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»(١)، وفيها عز وجل في غاية الكمال والعظمة: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الإيمان بالأسماء والصفات وبتوحيد الأسماء والصفات يكسب قلب المؤمن محبة لله في أسماء الجلال، وخوفًا من الله في أسماء وصفات الجلال، فتأمل قول الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، لما ذكر ربوبيته للعالمين وتربيته لهم، وأنك لولا تربية الله لك ـ بتدريجه لك في رحم أمك إلى أن بلغت إلى هذا الحال، وبتدبيره لك في الإيمان ـ لم تكن شيئًا، من تأمل ذلك، وتدبره، أحب من أحسن إليه، أحب الله؛ لأنه أسدى إليه النعم.

ثم إذا تأمل ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣]، أحدث في قلبه محبة ورجاء.

ثم إذا تأمل اسم الله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، أحدث في قلبه الخوف والهلع من ذلك اليوم.

فإذًا الأسماء والصفات الإيمان بها له الأثر في حياتك، وإذا علمت أن الله يسمع كل شيء، حتى إنه يسمع دبيب النملة السوداء على الصفاة السوداء في ظلمات الليل، يسمع ذلك ويراه، فإلى أين تذهب؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

ومِمَّن تتخفى؟ الله ﷻ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم مجاري القوت في أعضاء البعوض وفي عروقها، فإلى أين تذهب؟ ومِمَّن تتخفى؟ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

إذا علمت أن الله جبار، فاخضع له، إذا علمت أن الله معز، فاطلب عزته وأنت العزيز بعزة الله، وإذا علمت أن الله هو المعز المذل، فاخشع - أيها الذي غرتك عزتك، وغرك جاهك، وغرك مالك - أن يقلب الله عليك الأمر، فتكون بعد العزة ذليلًا؛ يعز من يشاء، ويذل من يشاء سبحانه وتعالى.

تأمل الأسماء، واسكب الدمع من العين لله ﷻ في خلوة؛ لعلك أن تكون ممن قال فيهم نبينا ﷺ: **«عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**(١).

وأما توحيد الألوهية، فمعناه: إنك لا تعبد إلا الله ﷻ، لا تتوجه بالدعاء، ولا بالاستشفاء، ولا بطلب للشفاعة، ولا بطلب أي شيء من حاجاتك إلا من الله ﷻ، أما الخلق الأحياء الحاضرون، فإنهم إذا كانوا يقدرون على نفعك، فإنما هم أسباب.

أما التوجه للموتى وللصالحين بعد موتهم في قبورهم - بأن يستغاث بهم، أو يذبح لهم، أو ينذر لهم، أو تطلب شفاعتهم -، فإن هذا في الحقيقة هو عبادة غير الله، هو الذي قال الله ﷻ في وصف أهله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٣٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٣٧).

مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، وهم الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، وهم الذين قال الله ﷻ في وصف عبادتهم للأموات: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل: ٢٠، ٢١]؛ يعني: أولئك الذين عبدهم المشركون في الجاهلية عبدوا أنواعًا، ومنهم الأموات، الذين هم ليسوا بأحياء؛ يعني: أن حياتهم ـ وإن كانوا أحياء في قبورهم، بحسب ما هو مقدر لهم بما في علم الله ﷻ ـ حياة برزخية تناسبهم، إما أن يكونوا في نعيم، وإما أن يكونوا في جحيم، ولكن حياتهم تلك ليست بحياة من يُسأل، ليست بحياة من يطلب منه، ولهذا قال ﷻ في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل: ٢٠، ٢١]؛ يعني: إنهم لا يدرون متى تقوم الساعة.

إذًا فالذين عبدوا مع الله آلهة أخرى ليسوا بموحدين، الذين توجهوا إلى الولي الفلاني، فعبدوه ـ إلى البدوي أو العيدروس أو إلى الحسن، أو إلى علي رضي الله عنه، أو إلى الباقر، أو إلى الكاظم، أو إلى ما شئت من الأسماء ـ، فإنهم في الحقيقة عبدوا غير الله، وما وحدوا الله ﷻ، فهم في الحقيقة مشركون بالله ﷻ في ألوهيته، ولو تأملوا حق الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته، لما توجهت قلوبهم إلا إلى الله ﷻ.

أيها المؤمنون، هذه كلمات قليلة في هذا الأمر العظيم، الذي به بعثت الرسل، وبه أنزلت الكتب، فهذا الأمر ثلث القرآن بنص النبي ﷺ، فسورة (الإخلاص) سماها الله ﷻ بهذا الاسم ـ سورة (الإخلاص) ـ، أو سماها نبيه ﷺ بما اشتملت عليه من أنواع التوحيد الثلاثة، وليس فيها غير التوحيد، وهو ثلث القرآن.

لهذا واجب عليك أن تحيي قلبك بمحبة الله والإخلاص له، وبالتدبر في ملكوت الله ﷻ؛ فإن التدبر في ملكوته وفي أسمائه وصفاته، يحدث للعبد أنه لا يتوجه إلا إلى الله، ولا يرغب إلا إلى الله، يأنس بالله، ويمتثل لذكره، ويعلم قيمة كلامه، ولقد أحسن الحسن رحمه الله - وكلامه من أحسن الكلام - إذ يقول في هذه المعاني، قال رحمه الله: (مَا زَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَعُودُونَ بِالتَّذَكُّرِ عَلَى التَّفَكُّرِ)؛ يعني: في آلاء الله، وفي توحيده، وفي كتابه. (مَا زَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَعُودُونَ بِالتَّذَكُّرِ عَلَى التَّفَكُّرِ وَبِالتَّفَكُّرِ عَلَى التَّذَكُّرِ)؛ يعني مرة أخرى: بعد أن تذكرنا تفكرنا، فأحدث لنا فكرًا جديدًا، وعملًا، وعلمًا صالحًا محدثًا جديدًا، قال: (وَيُنَاطِقُونَ الْقُلُوبَ حَتَّى نَطَقَتْ، فَإِذَا لَهَا أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ فَنَطَقَتْ بِالْحِكْمَةِ وَأُورِثَتْ الْعِلْمَ)(١)، فما أحسن هذا الكلام!!

أما أن نترك قلوبنا مع زحمة هذه الحياة ومشاغلها ولهوها وغفلتها، فهذا يميت القلوب:

رَأَيْت الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِك عِصْيَانُهَا(٢)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٠٤)، والفتاوى الكبرى (٦/ ٥١٧)، والاستقامه (١/ ٢١٠) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ومدارج السالكين (١/ ٤٤١)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٢١٣) لابن القيم رحمه الله.

(٢) البيتان لابن المبارك رحمه الله، وهو الإمام أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولى بني حنظلة من أهل مرو، كان مولده بها سنة ثماني عشرة ومائة، ومات في شهر رمضان منصرفًا من طرسوس سنة إحدى وثمانين ومائة، طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، ورحل سنة إحدى وأربعين ومائة، ولقي التابعين، وأكثر الترحال والتطواف إلى الغاية في طلب العلم والجهاد والحج والتجارة. انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٤٩٧)، والوافي بالوفيات (١٧/ ٢٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨، ٣٧٩). وانظر هذه الأبيات في: شرح الطحاوية (١/ ٢٣٥)، وتفسير ابن كثير =

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن أحصى أسماءك الحسنى، وأدخلته الجنة، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، فاغفر، وتُبْ علينا جميعًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛

= (١٣٨/٤)، والفتاوى الكبرى (٢٩/٦)، والجواب الكافي (ص٥٩)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤٢٢/٩)، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٦٣٧/١)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢٧٩/٨)، وإعلام الموقعين (٨/١)، وزاد المعاد (١٨٦/٤)، ومدارج السالكين (٢٤٧/٣)، والآداب الشرعية (١٤٤/١).

فإن بالتقوى والخوف من الله ﷻ، فإن في ذلك رفعتنا ومقامنا عند الله ﷻ.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من المتقين.

عباد الله، إن الله ﷻ أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم - اللَّهُمَّ - على الرشاد، اللَّهُمَّ، دلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والكفر والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، واصرفنا وإياهم إلى ما تحب وترضى، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، اللَّهُمَّ، وارفع عنا أسباب غفلة القلوب، وأسباب قسوة القلوب، اللَّهُمَّ، نشكو إليك قسوة في قلوبنا، اللَّهُمَّ، فليِّنْها بتوحيدك، اللَّهُمَّ، نشكو إليك غفلة في قلوبنا وصدورنا، اللَّهُمَّ، فأيقظ غفلتنا، اللَّهُمَّ، فأيقظ غفلتنا، واجعلنا منيبين إليك، خاضعين لك، مقبلين عليك، مسبلين الدمع بين يديك، يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: دروس وعبر من قصة جريج العابد

الخطبة الأولى:

الحمد لله، ينعم على عباده وأحبابه بالثبات على دينه وإيثار مرضاته، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصل ـ اللَّهُمَّ ـ، وسلم، وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي ـ إخوة الإيمان ـ بتقوى الله ﷻ، وبالسعي في مراضيه والتسابق إلى جناته؛ فإن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بهما تحصل التقوى، وبهما يحصل الارتفاع في جنات الكرامة، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

أيها المؤمنون، لقد قصَّ علينا رسول الله ﷺ في أحاديثه الكريمة الشريفة قصصًا متنوعة، فيها العبرة والعظة، كما أن فيها العلم الواسع والعقيدة الراسخة، التي من أخذ بها، تنور قلبه، وانشرح صدره لحقائق الإيمان، وللعمل بما جاءت به الرسل ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ،

وإن من تلك القصص العجيبة التي ذكرها محمد بن عبد الله رسولنا ﷺ قصة جريج، وما كان فيه من الحال، وما ابتلت به بنو إسرائيل جريجًا من الابتلاء بفتنة النساء، وما أنقذه الله به من تلك الفتنة العظيمة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما؛ أن المصطفى ﷺ قال: «**لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ.**

وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ، ـ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ـ **ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ**». متفق عليه[1].

هذا الحديث ـ *أيها المؤمنون* ـ فيه عبر كثيرة، ونخص منها قصة جريج وما وقع لجريج، وما وقع لصاحبه ـ وهو ولد الراعي ـ، لما وقع

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

له من الابتلاء، وما أنطقه الله به. فجريج كان من بني إسرائيل، وكان في ديانتهم جواز التخلي والبعد عن الناس والتفرغ للعبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

كان جريج رجلًا عابدًا، فاختلى في صومعته يصلي، فأتته أمه، والوالد والوالدة يشتاقون إلى الولد، فطلبته أمه، وكانت الصومعة في مكان مرتفع، فنادته أمه من تحت الجبل، فنادته: يا جريج. وكان في صلاة نفل، وكان ينبغي له أن يجيب أمه؛ لأن إجابة الوالد في مثل هذا الحال فرض، فقال: أي ربي، أمي وصلاتي. فلم يجب أمه، وانصرف إلى صلاته، فتركته أمه، وأتته من غد ـ كما سمعتم ـ، فنادته، لم يجب، ثم أتته ثالثة، فلم يجب، فدعت عليه أمه بقولها: «**اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ**»، وفي هذا عبرتان:

الأولى: أن دعاء الوالد على ولده وأن دعاء الوالدة على ولدها يخشى منه، فقد جاء في الحديث؛ أن ثلاثة يجابون في دعائهم: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**»(١)، فإن دعوة الوالد، إن دعوة الأم على ولدها، إذا تركها، وعق فيها، ولم يجب دعوتها، ولم يصلها، ولم يبر بها، إن دعوتها مجابة؛ يعني: على رجاء الإجابة إذا دعت.

فانظروا إلى دعوة الأم على هذا العبد الصالح بأن يريه الله وجوه

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وأحمد (١٤/ ٢٤٣)، والطيالسي (٤/ ٢٥١)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٩)، وابن حبان (٦/ ٤١٦)، والطبراني في الدعاء (ص٣٩٢، ٣٩٤)، وفي الأوسط (١/ ١٢)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٢١٤، ٩/ ٥٣٢، ١٠/ ٢٩٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٠٥).

الـمومسات، قـالـت: «**اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ**». وأجاب الله دعوتها، وابتلي ذلك الرجل الصالح بأعظم ما يكرهه، وأبلغ ما يبغضه، ألا وهو رؤية وجوه المومسات، الذين تتفطر قلوب أهل الإيمان إذا رآهن؛ لأجل ما هن عليه من الخنا والفجور ومن معصية الله، ومن مبارزته بكبيرة من الكبائر، فأتته المومسة، ورؤية المومسات تأباها الفطرة السليمة، تأباها القلوب المؤمنة؛ لأن المومسة يعلم صاحب الإيمان أنها صاحبة كبيرة، يعلم صاحب الإيمان أنها صاحبة جرم، وصاحبة إشاعة للفاحشة في الذين آمنوا، وكيف يحب؟ وكيف يثني؟ بل كيف ينظر ويسر برؤية من يقوم بكبيرة ومن يفعلها؟! بل ومن ينشر في الناس أنه يفعل ذلك ويعظم؟! كما فعل بنو إسرائيل؛ حيث كانت المومسات لها شأن عندهم، وقد قال ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[1] كانت في النساء، انتشر فيهم المومسات، وانتشر فيهم النساء ذوات الخنا وذوات الفجور، حتى بث ذلك في بني إسرائيل، فجزاهم الله ﷻ بأن فرقهم، وجعلهم شذر مذر؛ كما هو معلوم من قصص كثيرة في الكتاب.

دعت الأم على ولدها بهذه الدعوة، التي لو علم بها جريج، لو علم أنها ستدعو بذلك، لمشى حافيًا مسافات طويلة؛ كراهة أن تتحقق هذه الدعوة، فينظر إلى وجوه أبغض الخلق إلى أهل الإيمان، ألا وهن الفاجرات المومسات.

قال ﷺ: «**تَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ. وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا. فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ. قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ**

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

إِلَيْها»[1]، وفي هذا عبرة وعظة أن الأناس الذين فيهم الفساد لا يرضون بأن يكون ثم أناس صالحين فيهم، بل يهوون أن يكون الجميع على مشرب واحد، فيهم الفساد، وفيهم الخنا؛ حتى لا يرفع الصالح رأسه، وينكر المنكر على أولئك الفجرة.

وهذا الأمر سُنَّة، أخذه الخالف عن السالف، فأهل الفجور لا يهدؤون إلا إذا أفسدوا الناس، وأفسدوا أهل الإيمان والصلاح بخاصة، فتارة يتعرضون لهم بصريح التعرض، وتارة ببث الدعايات وبث الشائعات، التي تنقص من قدرهم، أو يرمى فيها أهل الصلاح بأنواع ما يرمون فيه؛ لأجل أن لا يتأثر الناس بعبادتهم، لأجل أن لا يتأثر الناس بصلاحهم، لأجل أن لا يقتدي الناس بأولئك الصالحين، بل يقول الناس: كل فيه حقه من الفساد، وفيه حقه من الرغبة في كذا وكذا، فينعدم التأثر أو يقل، فيضعف نشر الحق والصلاح بين الناس.

ذهبت المرأة المومس إلى جريج، فتعرضت له ـ وكما سمعتم ـ، كانت امرأة يشار إليها في حسنها، فتعرضت لجريج، فأبى، ولم يلتفت إليها؛ لما عمر الله به قلبه من حب الله ﷻ، ومن حب الصلاة، ومن حب مناجاة الله ﷻ، والمحب منشغل بحبيبه عن كل ما سواه، مؤثر لمراضيه عن كل ملذات الدنيا. فلما تعرضت له، وأبى، نزلت، ولم ترض أن ترجع إلى قومها الفاجرة خائبة، فحملت الراعي على نفسها بعد أن تعرضت له، فواقعها، فحملت منه، فلما حملت منه، فولدت، قالوا: ممن هذا؟ وكان هذا شائعًا عن المومسات في الجاهلية، إذا حملت، فإنها تكف عن البغاء، حتى يوضعن ويلحق بأبيه، فلما ولدت، قالوا: ممن هذا؟ قَالَتْ: أبوه جُرَيْج. فانطلقوا فرحين إلى جريج العابد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٣)، ومسلم (٢٥٥٠).

الصالح، فأنزلوه من صومعته، وأخذوا يهدمونها، ويضربونه، فقال لهم: ما شأنكم؟ هو لا يدري بالمكيدة، لا يدري بما أعد له أعداء الله وأعداء رسله وأعداء أهل الإيمان. قال لهم: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت، وأتى لك ولد. فقال: أين الغلام؟ فَلما أَتَوْا به، لم يستعجل في سؤاله أو في محاورته، بل هو ولي من أولياء الله، اتجه إلى ربه ﷻ بصلاته، فكان مخرجه الصلاة، وكان مخرجه الدعاء، وكان مخرجه والمنقذ له تذلله بين يدي الله ﷻ، من كان مع الله ﷻ، كان الله معه، من كان مع الله ﷻ في السراء، كان الله معه في الضراء، فلما صلى ودعا، توجه إلى الغلام، فطعن في بطنه بإصبعه ـ يعني: أشار بإصبعه على بطنه ـ، وقال: يا غُلام، مَنْ أَبُوكَ؟ وهل الغلام الصغير الذي ولد لساعته، هل ينطق ويتكلم؟! ولكنه رجا أن ينقذه الله ﷻ، وليس أمامه إلا مثل هذه الوسيلة، فنطق الغلام بإنطاق الله ﷻ له، بإنطاق الكريم الذي يتولى الصالحين، نطق الغلام، فقال: أبي فلان الرَّاعِي. فأقبل بنو إسرائيل على جريج يقبلونه؛ اعتذارًا، ويتمسحون به؛ لأنه كان عندهم جواز التمسح بالصالحين، بخلاف ما جاء في شريعة محمد ﷺ؛ فإنه لا يجوز التمسح بالصحابة، ولا بالصالحين ولا بالأولياء، وإنما ذلك للمصطفى ﷺ حيًّا ﷺ، أقبلوا عليه، فقالوا له: نبني لك صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؛ يعني: يريدون الاعتذار بالدنيا، وأنهم يعظمون جزاءه واعتذراهم عما فعلوا بتقديم الدنيا، وهل الدنيا تقع شيئًا في قلب المؤمن حينما يبتلى؟! وهل الدنيا تقع شيئًا في قلب المستأنس بالله، المستأنس بمراضيه، المستأنس بتوحيده، هل تقع شيئًا؟! فقَالَ لهم: لا، إنما أعيدوا بناء صومعتي مِنْ طِينٍ. لأن في قلبه إيثار الآخرة ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

أيها المؤمنون، إن هذه القصة فيها عظات وعبر ـ كما سمعتم ـ بالغة، ومن ذلك:

أن العبد المؤمن يكره أهل الفساد والخنا ـ كما ذكرنا ـ، ولا يسر بهم، وهذا نقوله تذكيرًا، تذكيرًا لأهل الإيمان، وخشية أن يتساهلوا في هذا الزمن برؤية أهل الخنا والفجور والفساد؛ فإن رؤية الفاجرات يغرم لها القلب.

ولما صلى ﷺ صلاة الكسوف، خطب بها خطبة، وكان في خطبته ﷺ أن قال: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ**»(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي ذكر هذا الذنب بخصوصه في خطبة الكسوف سر بديع، قد نبهنا عليه في باب غض البصر، وأنه يورث نورًا في القلب، ولهذا جمع الله تَعَالَىٰ بين الأمر به، وبين ذكر آية النور، فجمع الله تَعَالَىٰ بين نور القلب بغض البصر وبين نوره الذي مثله بالمشكاة؛ لتعلق أحدهما بالآخر، فجمع النبي ﷺ بين ظلمة القلب بالزنا وبين ظلمة الوجود بكسوف الشمس، وذكر أحدهما مع الآخر، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ**»(٢))(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٧)، ومسلم (٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٤، ٤٦٣٧، ٥٢٢٠، ٧٤٠٣)، ومسلم (٢٧٦٠).

(٣) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٢٩٥)، والجواب الكافي (ص٦٦).

وهذا أمر مشاهد ملاحظ؛ فلأجل هذا ينبغي علينا جميعًا أن نحذر من التساهل والسرور برؤية وجوه الفاجرات والفاجرين، وأن لا نستأنس لذلك؛ فإن ذلكم مخالف للفطرة، فذلكم العبد الصالح دعي عليه بأن ينظر إلى وجوه المومسات، وهل هذه الدعوة لو دعيت على أحد ممن لا يرفع بها رأسه، هل تساوي شيئًا؟ إنها لعظيمة في قلوب أهل الإيمان.

ثم إن من فوائد هذه القصة أن العبد الصالح يجعل له بتقواه من كل ضيق فرجًا، ومن كل بلاء عافية، ومن كل همٍّ فرجًا، ويجعل الله ﷻ كل ما كادته الناس أو كادته الأرض يجعل الله له من بينهما مخرجًا.

فأسأل الله الكريم الجواد المان على أوليائه بالثبات أن يجعلني وإياكم ممن عمرت قلوبهم بالإيمان، وصفت قلوبهم للواحد الديان، اللَّهُمَّ، اجعلنا من أوليائك المخلصين، الذين أنسوا لك، وأنسوا بذكرك، وعظموك، وأبغضوا الخلق فيك، وأحبوا فيك، فقد جاء في الحديث عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ في اللهِ، وَأَبْغَضَ في اللهِ، وَوَالى في اللهِ، وَعَادَى في اللهِ، فَإِنَّمَا تُنالُ وَلايةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُه وَصَوْمُهُ حَتَّى يكونَ كَذَلِكَ. وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مؤاخاةِ النَّاسِ عَلَى أمرِ الدُّنْيا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شيئًا**»[(١)].

أسأل الله لي ولكم الحسن في العمل، والحسن في القول، والحسن في الاعتقاد.

---

(١) أخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٣٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (٥/ ٩٣٥، ٩٣٦) موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال لي النبي ﷺ: «**أَحَبَّ في اللهِ، وَأَبْغَضَ في اللهِ...**» الحديث.

اللَّهُمَّ، اجعل أعمالنا وقلوبنا صالحة؛ إنك جواد كريم، وبالإجابة جدير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ١ ـ ٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

هذا، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة على

نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض - اللَّهُمَّ - عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك - يا أرحم الراحمين -، وعن سائر الصحب والآل ومن تبعهم بإحسان، وأنت أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم - اللَّهُمَّ - على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، وأنت أكرم الأكرمين، وأنت مجيب السائلين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تكف عنا كيد الأشرار، اللَّهُمَّ، من كادنا، فكده، ومن أراد بنا شرًا في دينًا أو في دنيانا أو في أهلينا اللَّهُمَّ، فاشغله في نفسه، ورد كيده في نحره؛ فإنك أنت القوي العزيز.

اللَّهُمَّ، ارفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وادفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن هذه البلاد بخاصة، وعن سائر بلادنا بعامة، وأنت أكرم الأكرمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم، يذكركم، واشكروه على النعم بألسنتكم وأعمالكم، يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: طريق ولاية الله

الخطبة الأولى:

الحمد لله، خلق الخلق لحكمة عظيمة، وابتلاهم ابتلاءً عظيمًا بمحمد ﷺ ـ هل يتبعون أو لا يتبعون؟ ـ، فله الحمد على ما أنعم، وله الحمد على كل حال، هو المحمود في السراء والضراء، وهو المحمود بكل لسان وبكل جنان، له الحمد كله على ما به تمت النعم الصالحات، وله الحمد كله على كل حال، فهو المحمود في كل حال وكل أوان، له الثناء الحسن، وعليه أثنى العباد الصالحون. وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد كلما صلى عليه المصلون، وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، بأن نخاف من الجليل ﷻ، فنبتعد عن كل ما لا يرضاه، وأن نخاف من الجليل، وأن نرجوه، فنأتي كل ما يحبه ﷻ ويرضى، فإن حقيقة التقوى ـ **أيها**

المؤمن ـ كما قال طَلْقُ بن حبيب[١] ﷺ: «**التَّقْوَى: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللهِ، وَالتَّقْوَى تَرْكُ الْمَعَاصِي عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ مَخَافَةَ عِقَابِ اللهِ** ﷻ»[٢].

أيها المؤمنون بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، لا شك أن المؤمن لم يؤمن إلا لأمور، منها: محبة الله ﷻ؛ لما رأى من آثار نعمه، وأنه ﷻ هو المتوحد بالربوبية، الذي له الخلق والأمر سبحانه وتبارك وتعالى ربنا، وأيضًا منها ـ أي: من أسباب إيمان العبد ـ: ما جعل الله ﷻ من الدلائل البينة الظاهرة أن محمدًا ﷺ صادق في رسالته، أيده الله بالبراهين والآيات، التي دلت الناس على أنه صادق في تبليغ رسالة ربه، فحاربه الناس، فنصره الله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

أيها المؤمنون، إن المؤمن إذا آمن، فلا يسوغ له أن يقنع بحاله في الإيمان؛ لأن الله ﷻ قسم أهل الإسلام إلى ثلاثة أقسام، فقال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

---

(١) هو: طلق بن حبيب العنزي، البصري، زاهد كبير من العلماء العاملين، حدَّث عن ابن عباس، وابن الزبير، وجندب بن سفيان، وجابر بن عبد الله، والأحنف بن قيس، وأنس، وعدة، وروى عنه منصور، والأعمش، وسليمان التيمي، وعوف الأعرابي، ومصعب بن شيبة، وجماعة، قال ابن الأعرابي: (كان يقال: فقه الحسن، وورع ابن سيرين، وحلم مسلم بن يسار، وعبادة طلق)، انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢٧)، وصفة الصفوة (٣/ ٢٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٦٤)، وهناد في الزهد (١/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٤)، والبيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٣٥١).

ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، فجعل الله أهل الإسلام ثلاث طبقات:

طبقة الظالمين لأنفسهم: وهم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا.

وطبقة المقتصدين: وهم الذين أتوا بالواجبات، وابتعدوا عن الكبائر، وأتوا ببعض النوافل والمستحبات.

وطبقة عالية: وهي طبقة السابقين بالخيرات، المقربون الذين سبقوا، فلا يأتيهم ميدان من ميادين الخير، إلا وسعوا فيه، وأقبلوا عليه.

أيها المؤمن، إن كل واحد منا يعلم نفسه، يعلم سريرته، ويعلم علانيته، يعلم حاله، فمن أي الطبقات هذه يكون وضعنا لأنفسنا؟ لا شك أن منا من هو ظالم لنفسه، يعلم أنه صاحب طاعة، ولكن يعلم أنه صاحب معصية، وإذا كان كذلك، فمن جناية المرء على نفسه أن يقنع بحاله؛ لأن المرء إذا قنع بحاله في الإيمان، فإنه لا يزال ينقص. إذا قال المسلم: أنا بخير، ولا شيء علي. ولم يخف ذنوبه، ولم تَسُؤْه سيئاته، فإنه في الحقيقة ليس بمؤمن؛ لأن علامة الإيمان أن تسر العبد حسنته، وأن تسوءه سيئته، فمن سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو المؤمن.

أيضًا من كان ممتثلًا للطاعة، مبتعدًا عن المحرم، ولكن ليس بذي سبق في الخير، فلا يقنع بحاله؛ لأنه إذا قنع، فلا بد أن يأتيه النقص؛ لأن المؤمن لا يثبت في الإيمان على حال؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، الإيمان يزيد في كل لحظة بعمل صالح، وينقص بعمل السوء، فلا يثبت في إنسان على حال، فإن خطرات القلب بما يحاسب عليه العبد من أعمال القلوب، إنها تزيده إيمانًا إذا كانت طاعة، وتنقص إيمانه إذا كانت معصية، فكيف بالأعمال والأقوال؟!.

أيها المؤمنون، إذًا الأصل العظيم الذي ينبغي أن تصطحبه في

حياتك ألا تقنع بمنزلتك في الإيمان، ألا تقنع بمنزلتك عند الله ﷻ، بل لا بد أن تسعى سعيًا جادًا حثيثًا في أن يعظم مقامك عند الله ﷻ، فإذا سعيت في تحصيل الإيمان والتقوى وفي تتميمهما، رجوت أن تكون من أولياء الله ﷻ، الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

أيها المؤمنون، لا شك أن كل واحد منا يرجو أن يكون حبيبًا لله ﷻ، لا شك أن كل واحد منا يرجو أن يكون الله ﷻ ناصرًا له على أعدائه، لا شك أن كل واحد منا يرغب أن يكون الله ﷻ يتولاه، ويسدده، ويهديه، ويوفقه، وينصره، ويكون معه على أعدائه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، قال أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة: كل مؤمن متقٍ هو الولي؛ لأن الله ﷻ عرَّف الولي بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، ومعلوم أن كل مؤمن عنده إيمان وعنده تقوى بحسب ذلك؛ ولذلك فكل مسلم عنده نصيب، أو له نصيب من ولاية الله ﷻ، ومن محبته، ومن نصرته لعبده، ولكن كلما زاد الإيمان وزادت التقوى، زادت ولاية الله لعبده؛ يعني: صار العبد أكثر ولاية ومحبة لله، وصار الله ﷻ له أكثر محبة وأكثر نصرة؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه؛ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ**

وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ»(١).

إذًا - **أيها المؤمنون** - كل واحد يرجو أن يكون الله ﷻ يحبه، وينصره، ويعزه على أعدائه، وأن يكون له العاقبة الحسنة، كل واحد منا يرجو محبة الله ﷻ له، ويرجو معية الله ﷻ - المعية الخاصة لعبده - في أن يوفقه، ويسدده، ويلهمه، وأن يكون ناصرًا له ﷻ، إذا كان ذلك مطلبًا عظيمًا، فكيف يحصل ذلك؟ بأن تسعى في أن تكون وليًّا لله ﷻ، الولاية عند أهل السُّنَّة والجماعة ليست هبة يهبها الله ﷻ لمن شاء من عباده دون أسباب من العبد، بل هي توفيق من الله إذا أتى العبد بسبب ذلك، وهو الإيمان، وهو التقوى، فإذا اجتمع الإيمان والتقوى في العبد، حصَّل ولاية الله ﷻ، فكانت له البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤].

أيها المؤمنون، كل قلب مؤمن يخشى إذا تذكر أنه إذا آمن واتقى، فإن الملك العظيم ﷻ يحبه، ويذكره في الملأ الأعلى، فقد جاء في الحديث؛ أن الله ﷻ قال: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ...**»(٢)، فإن الله ﷻ يحب عبده إذا أحب العبد ربه، واتبع المصطفى ﷺ. إن الله ﷻ ينصر عبده في وقت الحاجة، إذا العبد تعرَّف على الله في الرخاء؛ كما جاء في الحديث: عن أبي العبّاس عبدِ الله بنِ عبَّاس ﵄ قال: «كُنْتُ خَلفَ النّبيِّ ﷺ يومًا، فقال: **يا غُلامُ؛ إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ**

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا استعَنْتَ فاسْتَعِن بالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجُفَّتِ الصُحُفُ»، رواه الترمذي(١).

وفي روايةِ غير الترمذي: «**احْفَظِ الله تَجِدْهُ أَمامَكَ، تَعَرَّفْ إِلى الله فِي الرخَاء يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ، واعْلَم أَنّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**»(٢).

فلذلك ـ **أيها المؤمنون** ـ ولاية الله لعبده وأن تكون وليًا لله ليست مطلبًا عسيرًا، بل هي مطلب يسير لمن صلح قلبه، وسعى في أسباب ذلك، بأن كمل الإيمان، وسعى في زيادته، وكمل التقوى، وسعى في زيادتها بحسب قدرته، وكما قدر الله ﷻ له؛ ولهذا كل منا إذا قنع بحاله في الإيمان، فإنه على خطر؛ لأن العبد بين زيادة في اليقين والإيمان، وبين نقصان في ذلك.

فعلينا ـ **أيها المؤمنون** ـ أولًا: أن لا نقنع بحالنا، بل لا نزال نتهم أنفسنا في مقامنا بين يدي الله، بل لا نزال نتهم أنفسنا في إيماننا، وفي صلاحنا، وفي طاعتنا، ومن العجب العجيب أن الذين يسابقون في الخيرات ـ وهم أعلى المراتب وأعلى الطبقات ـ، تجد هؤلاء يخافون الله، ويرجون ثوابه، وهم على وجل دائم، لا يدرون أيقبل منهم

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٠٧)، وهناد في الزهد (١/ ٣٠٤)، وعبد بن حميد في مسنده (ص٢١٤)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (٤/ ٦١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧).

أم لا؟ يبكون خشية الكتاب السابق، ويبكون خشية الخاتمة السيئة، يتذكرون قول النبي ﷺ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»**(١).

لهذا - **أيها المؤمنون** - المؤمن المسدد يخاف، ومن العجب أن ترى العاصي لا يخاف، أن ترى العاصي الظالم لنفسه فيما يعلم لا يخاف معصيته، ولا يخاف ذنبه، المؤمن المطيع تراه خائفًا وجلًا: هل يتقبل الله منه، أم لا يتقبل؟ هل رضي عنه، أم لم يرض؟ هل كتب أنه من السعداء، أم لا؟ وأما العاصي، فتجده آمنًا، تجده لا يخاف، تجده يعظم الحسنة، حتى تكون عنده مثل الجبل، تراه يستهين بالسيئة، حتى تكون كذباب مر على أنفه، فقال فيه هكذا؛ كما وصف ذلك ابن مسعود رضي الله عنه(٢).

إذًا القلب الصالح يخاف دائمًا. إذا كان العبد منا ظالمًا لنفسه، فليتذكر سيئاته، ليتذكر ما بارز الله ﷻ به من المعصية: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٣٠٨): عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: **«إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ»**، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»**.

شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦١، ٦٢].

أيها المؤمنون الصالحون الذين استقاموا، خافوا على الإيمان في قلوبكم، وخافوا خطوات الشيطان؛ فإن الله حذرنا من خطوات الشيطان، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ [النور: ٢١]، فحذر من خطوات الشيطان، وأنت تعلم حالك، وتعلم نفسك، وتعلم الشيطان وخطواته، فاحذر أن يتقلب القلب؛ فإنما سمي القلب قلبًا لتقلبه، ويا أيها الظالم لنفسه، احذر أن تزيد في ظلمك لنفسك، وأن تقل الطاعة، حتى تفوت الفرائض، وترتكب الكبائر، وعند ذلك فأنت على خطر عظيم؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، المؤمن على خطر في كل حال؛ فواجب علينا أن نتيقن، وواجب علينا أن نقي أنفسنا الغفلة، فقد ابتلينا في هذا الزمان ـ وكل منا يعرف نفسه ـ، ابتلينا بقسوة القلوب، ابتلينا بالغفلة، ابتلينا بضعف محبة الله ﷻ ومحبة رسوله، واعتبر نفسك، وزن نفسك بما إذا تعارض ما فيه محبة الله ﷻ ومحبة رسوله ﷺ وما فيه شهوة من شهوات الدنيا، ما الذي تؤثر؟ فإن آثرت محبة الله ومحبة رسوله، فذلك دليل على عظم الإيمان وعظم المحبة وغلبة المحبة على محبة الشهوة، وإن آثرت الأخرى، فذلك دليل على ضعف محبة الله ﷻ ومحبة رسوله ﷺ.

أسأل الله الكريم أن ينور قلوبنا بالإيمان، وأن يجعلنا دائمًا في ازدياد من الإيمان، اللَّهُمَّ، زد الإيمان في قلوبنا، وأصلح لنا قلوبنا، ألسنتنا وأعمالنا؛ إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ، من كان منا ظالمًا لنفسه، فمُنَّ عليه بالتوبة، ومُنَّ عليه بالاستقامة، وأعذه من الغفوة ومن قسوة القلب. ومن كان منا مقتصدًا أو سابقًا بالخيرات، اللَّهُمَّ، اختم له بخاتمة السعادة، وثبته على الإيمان؛ حتى يلقاك، وأنت راض عنه، واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا جميعًا، اللَّهُمَّ، اغفر لنا جميعًا، اللَّهُمَّ، اغفر لنا جميعًا، سرنا وعلننا، وجدنا وهزنا، وما ظهر وما بطن منا؛ إنك أنت ولي الصالحين، وأنت أجود الأجودين وأرحم الراحمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، هو الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، عليكم

بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله في كل حال، وفي كل أوان، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، تقوى الله بها رفعة الدرجات؛ ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولاية الله لعبده، ومحبته له، ونصرته له، وتأييد الله لعبده، وتوفيقه، وتسديده هذا إنما يكون بسبب منك، فأتِ ذلك السبب بأن تكون من المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ومن المتقين الذين يخافون لقاء الله: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت: ٥].

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل الاستعداد للقائه، وأن يعيذنا من الغفلة، وأن يوقظ قلوبنا من الرقدة؛ إنه ﷻ جواد كريم.

هذا، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة على نبيه ﷺ، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللَّهُمَّ، انصر عبادك الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون كلمة الذين كفروا هي السفلى، يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم ـ اللَّهُمَّ ـ على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، واجعلنا وإياهم من الأبرار، ومن المتعاونين على البر والتقوى، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، ارفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وارفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، مُنَّ علينا بتوبة نصوح، اللَّهُمَّ، مُنَّ علينا بتوبة نصوح، اللَّهُمَّ، مُنَّ علينا بتوبة نصوح، اللَّهُمَّ، تقبل منا الصالحات، واغفر لنا الزلات، وأنت أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، وأكرم الأكرمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: عنوان السعادة

الخطبة الأولى:

الحمد لله، خلق الخلق لعبادته، وأراد منهم شكره والصبر على بلائه، له الحمد على ما أعطى، وله الحمد على ما به ابتلى، وله الحمد في الأولى والأخرى، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد ما تتابع الليل والنهار، اللَّهُمَّ، صل على النبي الكريم كلما صلى عليه المصلون، وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وسلم ـ اللَّهُمَّ ـ تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:

فيا أيها الإخوة المؤمنون، أوصيكم ونفسي بحق الوصية، ألا وهي تقوى الله ﷻ؛ فإن التقوى بها تفرج الكربات، وإن بالتقوى رفعة المنزلات، وإن بالتقوى تحصيل الخيرات، وإن بالتقوى إدراك السعادة في الدنيا والآخرة. اللَّهُمَّ، اجعلنا من المتقين الذين يعملون ما تحب، ويتركون ما تسخط وتأبى، يا أكرم الأكرمين.

أيها المؤمنون بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا رسولًا، أيها المؤمنون، لا شك أن كل واحد منا يسعى لكي يكون سعيدًا في هذه

الحياة، وسعادة المرء في هذه الحياة وفي الدار الأخرى مطلب عظيم، بل هو المطلب الأعظم، فإن المرء لا يهدأ باله، ولا يقر قراره، إلا إذا سعى في أسباب السعادة، ورجا من الله ﷻ الكريم أن يجعله سعيدًا، كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﵁ يَخْطُبُ بِالْكُوفَةِ، فَيَقُولُ: «**الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**»(١)؛ يعني: من كتبت له السعادة، فهو السعيد، ومن كتبت عليه الشقاوة، فهو الشقي، ومع ذلك فإن النبي ﷺ سُئل: فيم العمل؟ فقال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(٢)، فالواجب على العبد المؤمن أن يتحرى ما به سعادته، أن يتحرى ما به مصلحته في هذه الدنيا وفي الآخرة.

ولا شك أن المصلحة كل المصلحة وأن السعادة كل السعادة إنما هي في تحقيق عبودية المرء لربه ﷻ؛ لأن الله ﷻ تكفل للمؤمن الذي عمل الصالحات أن يجعل حياته طيبة، وأن يغفر له ذنبه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

أيها المؤمنون، إن أصول السعادة أن يجمع المرء في حياته ثلاثة أشياء يحققها جميعًا، ويجاهد نفسه في تحقيقها، أما هذه الثلاثة، فهي:

- أن الله ﷻ أعطانا، وأوجب علينا الشكر.
- وابتلانا، وأوجب علينا الصبر تجاه البلوى.
- وحصل منا ذنوب وخطايا، وأوجب علينا الاستغفار.

فهذه الثلاثة عنوان السعادة وسبيل السعادة في الدنيا والأخرى،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ١٠٧).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

فمَنْ إذا أُعْطِيَ شَكَرَ، ومَنْ إذا ابْتُلِيَ صَبَرَ، ومَنْ إذا أَذْنَبَ استَغْفَرَ، فمَنْ وُفِّقَ لهذه الثلاثة، فقد أُوتِيَ حظًّا عظيمًا.

أيها المؤمنون، نعم الله ﷻ علينا كثرى، نصبح في نعمة الله، ونمسي في نعمة الله، وكل واحد منا لو تأمل في نفسه، لو تأمل في بدنه، لو تأمل فيما حوله، لو تأمل في أهله وولده، لو تأمل في مجتمعه، لو تأمل في هذه الأحوال والأشياء، لوجد نفسه مقرًا معظمًا أن نعمة الله ﷻ لا تحصى؛ كما أخبر ﷻ بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال أيضًا: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].

فشكر النعمة واجب أمر الله ﷻ به، وتأذن ﷻ بالزيادة لمن شكر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]، وأمر بها ﷻ في مواضع كثيرة: ﴿وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فالشكر على النعم واجب، كل نعمة تستحق أن نشكر الله ﷻ عليها بألسنتنا وبقلوبنا وبأعمالنا، قال العلماء: (دلت النصوص من الكتاب والسُّنَّة أن شكر النعم يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالجوارح عملًا).

• **أما شكر النعم بالقلب**: فأن يعلم المؤمن، وأن يقر بلا ريب ولا تردد أن كل نعمة هو فيها فالله ﷻ هو مسديها، وهو مولاها ﷻ، فيقر بأنه ليس منه شيء، وليس إليه شيء، وإنما النعم من أسداها، فهو الله ﷻ، الذي أنعم بها هو الكريم ﷻ؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وهذا نص صريح في العموم؛ يعني: تنصيص على العموم بأنه ما من نعمة إلا وهي من الله ﷻ، فإقرار القلب

وإذعانه بأن هذه النعم إنما هي من الله ﷻ هذا نوع من الشكر لله ﷻ، وهو شكر واجب، والعباد إذا بذلوا شيئًا من النعم، فإنما هم أسباب، سخرهم الله ﷻ لذلك، ويشكر من كان سببًا في الخير؛ كما أمر الله ﷻ بشكر الوالدين: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

أيها المؤمنون، شكر الله ﷻ يكون أيضًا باللسان، بأن نتحدث بنعمة الله، وأن لا نكتم نعمة الحق ﷻ علينا؛ كما أمرنا ﷻ بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١]. فالمؤمن المسدد لا ينفك لسانه عن التحدث بنعمة الله، وعن حمد الله على آلائه، على نعمة الهداية، على نعمة الإسلام، على نعمة التوحيد والسُّنَّة، على نعمة اتباع المصطفى ﷺ، على نعمة الأمن والأمان، على نعمة الائتلاف، على هذه النعم التي نصبح ونمسي فيها، ويتحدث بذلك؛ فإن النعم مع الشكر تدوم، ومع الكفر تزول.

● وإن الشكر أيضًا يكون بالعمل الصالح؛ لأن العمل به يكون الشكر؛ كما قال ﷻ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، فالشكر يكون بالعمل، وأعظم الحسنات التي بها شكر الله ﷻ من جهة العمل حسنة التوحيد، وترك الشرك، والبراءة منه، ومن أهله، عافانا الله وإخواننا من ذلك.

أيها المؤمنون، إن نعمة الله ﷻ شكرها بالعمل أن تطبق الشريعة على نفسك، أن تؤدي الصلوات في أوقاتها حيث ينادى بها، حيث ينادى بهن مع الجماعات في المساجد.

إن شكر نعمة المال أن تؤدي زكاة مالك، وأن تتصدق بفضل المال الذي آتاه الله إياك، الذي أعطاك الله إياه من النعم العظيمة، فشكره يكون ببذل ما هو من جنسه.

أيها المؤمنون، المعاملات بأنواعها إذا امتثلت فيها الشرع في بيعك وشرائك، فإن ذلك شكر للنعمة، ومن لم يطبق الشريعة، من لم يمتثل الأمر والنهي في معاملاته، فينقص من شكره بقدر ذلك، وله نصيب من كفر النعمة، والله ﷻ تأذن بالزيادة لمن شكر، وبالعذاب لمن كفر، والعياذ بالله.

أنواع التعامل من المرء في عمله وأدائه للأمانة، وأن يكون راعيًا لحق الله ﷻ وما اؤتمن عليه، إن ذلكم ـ ولا شك ـ من شكر النعمة بالعمل: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾.

إذًا ـ **أيها المؤمنون** ـ الشكر بالعمل ميدانه واسع، ففتش في نفسك: هل أنت من الشاكرين حقا، أم فيك من النقص من الشكر ما فيك؟ فلذلك فأسرع، وعالج نفسك، وتدبر؛ عسى أن تكون من الشاكرين.

ترك المرء للمحرمات شكر لله على نعمه، المحرمات المتعلقة بالمال تركها شكر لله على عموم نعمه، المحرمات المتعلقة بالمآكل والمشارب شكر الله على نعمه يكون بتركها، المحرمات المتعلقة بالبصر شكر الله على نعمة البصر وعلى نعمة الهداية يكون بتركها، النعم المتعلقة بالسمع والعقل والإدراك شكر الله ﷻ أن يكون بترك ما حرم الله ﷻ الاشتغال به.

إذًا ـ **أيها المؤمنون** ـ نسأل الله ﷻ أن يجعلنا جميعًا ممن إذا أعطي شكر ـ شكر بلسانه، وشكر بعمله، وشكر بقلبه ـ؛ إقرارًا واعترافًا للملك الحق القيوم ﷻ.

الأمر الثاني مما به تكون به سعادته في الدنيا والأخرى أنه إذا عرض لك البلاء فاصبر، والبلاء نوعان:

- ابتلاء بالخير.
- وابتلاء بالشر.

كما قال ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فالله ﷻ فتن بعض العباد بالخيرات، وفتن بعض العباد بالمضرات، بأنواع الضر والبلاء، فمنا من ابتلي بالمرض، منا من ابتلي بفقد حبيبه، منا من ابتلي بنقص ماله، منا من ابتلي في نفسه أو فيمن حوله، وهذا ابتلاء العبد بالضراء، وواجب أن نصبر على ذلك؛ كما أمرنا ربنا ﷻ بالصبر في أكثر من ثلاثين آية من كتابه الكريم ﷻ، فكل ابتلاء يحتاج منك إلى صبر، الصبر: أن يأبى قلبك أن تسخط تلك المصيبة، وألا تظن إنك لا تستحقها، أو أن غيرك أولى منك بهذه المصيبة، فإن من الناس من إذا أصابته المصيبة، قال: لست مستحقًا لها، لا أستأهل هذا، غيري أولى به، فكيف تصيبني تلك المصيبة؟ وهذا ـ والعياذ بالله ـ من الظن السوء بالله ﷻ، ويدخل في عموم قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]، والله ﷻ يجب علينا أن نظن به الخير، فالشر ليس إليه ﷻ، وله حكم عظيمة فيما يبتلي به العباد. فيجب أن لا يسخط القلب تلك المصيبة.

ثم ثانيًا: أن لا تشكو الخالق إلى الخلق، وإذا احتجت، فأخبر الخلق بما بك دون شكوى، فالشكوى إلى الله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

ثم ثالثًا: أن لا تتصرف تصرفات تنافي الصبر، فإذا ابتلى الله العبد بأنواع من البلوى المضرة، فعليه أن يصبر قلبه، وعليه أن يصبر لسانه، وأن يصبر جوارحه، فلا يقل هجرًا، ولا يظن سوءًا، ثم بعد ذلك لا يعمل عملًا ينافي الصبر: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا

تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۭ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أما الخيرات، فإن الله فتن بعض العباد بازدياد المال، فتن بعض العباد بازدياد الصحة، فتن بعض العباد، وابتلاهم بالمسرات، وقد قال عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ: «**ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ**»(١).

وإن البلوى بالمال، إن الفتنة بالمال، وبالصحة، وبرغد العيش، وبالأمن والطمأنينة، إنها لمسرات متوالية، ولكنها فتنة وبلوى، فمن ذا الذي يصبر عليها؟ كيف يكون الصبر؟ أن تصبر أن لا تستغل تلك الأشياء في معصية الخالق ﷻ، ألا تظنن أنك مستحق لها، وأنها مجدك ورثته من آبائك وأجدادك، لا، بل هي فضل الله ﷻ الذي من به على العباد: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًۭا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] سبحانه وتعالى.

فالنعم إذًا من الله، والخيرات والمسرات من الله، ابتلى بها العباد.

فأسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الشاكرين على نعمه، ومن الصابرين على هذه الخيرات؛ فإنها تحتاج إلى صبر في اللسان، وصبر في القلب بأن لا تنسبها إلى غير الله، أن تستعمل المال فيما أباح الله، لا فيما حرم، هذا صبرهُ؛ لأن الشيطان يأتي؛ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧]، فإن مع الغنى الطغيان، والمؤمن المسدد يسأل الله ﷻ أن يجعله صابرًا على نوعي البلاء: على البلاء بالخير،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٤/ ٣٤١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٠)، وأبو داود في الزهد (ص١١٣)، والزهد لابن أبي الدنيا (ص٣٥٢).

وعلى البلاء بالشر: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

أيها المؤمنون، الأمر الثالث مما به سعادتنا في الدنيا والأخرى أننا إذا أذنبنا، استغفرنا، اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن إذا أَذْنَبَ، استَغْفَرَ، وممن إذا ابْتُلِيَ، صَبَرَ، وممن إذا أُعْطِيَ، شَكَرَ، اللَّهُمَّ، إنك أنت الكريم، فأجب ـ اللَّهُمَّ ـ واغفر ذنوبنا.

لا شك أن كل منا يعرف حاله، ويعرف سريرته، والله ﷻ هو المطلع على الخفايا، هو المطلع على الإسرار، هو المطلع على ما تخفي الصدور، كل منا لا بد وأن له ذنوبًا فيما بينه وبين الله، فما الواجب تجاهها؟ الواجب إذا أردنا أن نكون سعداء في الدنيا والآخرة أن نسارع بالاستغفار، أن نسارع بالتوبة؛ لأن الله ﷻ أمرنا بالاستغفار: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩]، الاستغفار من الذنب يمحو الذنب في نفسه، ويمحو أثره؛ فإن كل ذنب له أثره في الدنيا وفي الآخرة. إن الذنب إذا واقعه العبد، ولم يكفر عنه بحسنات ماحية يُخشى أن يأتيه جزاء ذلك الذنب في دنياه قبل آخرته.

وإن من جزاء الذنوب في الدنيا أن يخزي الله العبد، وهذا مما يتباعد منه أهل القلوب الحية؛ فإن الخزي في الدنيا استعاذ منه نبينا ﷺ والصالحون.

نعوذ بك ـ اللَّهُمَّ ـ من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة. فالخزي نوع عقوبة، فإن الله قد يفضح بعض المجاهرين، قد يفضح بعض الذين لا يأبهون للذنوب.

ثم ثانيًا: قد يُحَرِّم الله ﷻ على العبد بعض الأمور الكونية، فيحرمه منها ـ من بعض الصحة، أو من بعض الولد، أو من بعض المال ـ؛ جزاء سوئه، وجزاء ذنوبه؛ لهذا أحوج ما يكون لاستمرار

الحياة الرغيدة أن نستغفر الله صباحًا ومساء، أن نستغفر الله مقرين بذنوبنا، طالبين أن يمحو الله عنا السيئات؛ فإن ذلكم من أعظم القربات إلى الرب ﷻ، وبه تُكفر السيئات، وبه يصلح العمل؛ فإن في استغفار الله ﷻ من الذنوب سمة أهل الإيمان، هذا نبيكم محمد ﷺ صح عنه أنه كان يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من مائة مرة، وثبت عنه في الصحيح؛ أنه قال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(١)، هذا وهو الذي أنزل عليه قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢]، فكيف إذًا هي حالنا، وكل منا على معصية، كل منا على ترك واجب، كل منا على لهو وغفلة.

نسأل الله أن يمُنَّ علينا بالمغفرة والسداد في القول والعمل، وأن يجعلنا من المستغفرين الذين غُفرت لهم الذنوب، وسددت لهم الأعمال، وسترت عليهم العيوب؛ إنه ﷻ هو ولي الصالحين.

أيها المؤمنون، هذه خلاصة لما به سعادتنا، فهلا سعينا في ذلك شكرًا على النعمة، وصبرًا على البلاء بالخير والمضرة، ثم استغفارًا على كل الذنوب، والتوبة إلى البارئ ﷻ وتقدست أسماؤه؟

اللَّهُمَّ، اجعلنا من المنيبين لك حقًا.

هذا، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ١، ٢]؛ يعني: جنس الإنسان في خسارة، إلا ما استثنى الله ﷻ، وهم أربعة أصناف، يؤولون إلى صنف واحد: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له؛ تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللَّهُمَّ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى، عليكم بلزوم تقوى الله ﷻ في كل حال؛ فإن بالتقوى السعادة في الدنيا والأخرى، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

هذا، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة على نبيه، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور

والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر اللَّهُمَّ عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، انصر الذين يجاهدون لتكون كلمة التوحيد هي العليا، اللَّهُمَّ، أيدهم بتأييدك، وانصرهم بنصرك، وامددهم بمدد من عندك، واجعل العاقبة الحسنة لهم، والعاقبة السوء على أعدائهم، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، ربنا، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تؤمننا في أوطاننا، وأن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن؛ إنك أنت ولي الإحسان، وأنت أكرم الأكرمين وأجود الأجودين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تجعلنا ممن إذا أعطي، شكر، وإذا ابتلي، صبر، وإذا أذنب، استغفر.

اللَّهُمَّ، أصلح قلوبنا جميعًا، اللَّهُمَّ، أصلح قلوبنا جميعًا، اللَّهُمَّ، إنك أنت الله لا إلـٰه أنت الغني، ونحن الفقراء، نسألك أن تغيثنا بغيث مبارك، اللَّهُمَّ، أغثنا بغيث مبارك عام غير خاص، نافع غير ضار، يا أكرم الأكرمين. اللَّهُمَّ، اجعله سقيا رحمة، لا سقيا عذاب، ولا بلاء ولا غرق، اللَّهُمَّ، اسق به البلاد والعباد، وانشر رحمتك على العباد، وأنت أجود الأجودين وأرحم الراحمين، نستغفرك ـ اللَّهُمَّ ـ من ذنوبنا؛

إنك كنت غفارًا، فأرسل ـ اللَّهُمَّ ـ السماء علينا مدرارًا، وأنت بيدك خزائن كل شيء، نستغفرك من ذنوبنا، فأغثنا، اللَّهُمَّ، أغثنا، اللَّهُمَّ، أغثنا.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

خطبة: مصدر عزة المسلم

الخطبة الأولى:

الحمد لله على آلائه ونعمه، وله الحمد على الإسلام والقرآن والإيمان، وله الحمد على اتباع محمد ﷺ، أحمده ﷻ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أشهد أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، لا خير إلا دلنا عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، فطوبى لمن اتبع نبينا محمدًا ﷺ، وخسرى لمن تنكب عن طريقه، ولم يهتد بهديه، ولم ينصر سُنَّته ﷺ.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ؛ فإن التقوى بها التوفيق في الدنيا، وبها سعة الأرزاق، وبها الخلوص من المضايق، وبها كل أنواع الخير ومجامع الفضل والإنعام، فاتقوا الله حق تقاته؛ لتكون لكم السعادة في هذه الدنيا، ولتكون لكم العاقبة الحسنة في الآخرة. اللَّهُمَّ، اجعلنا من المتقين.

عباد الله، إن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ حين بعثه في أمة فيها أنواع من الشرور وأنواع من الموبقات، فيها عبادة الأصنام والأوثان والآلهة والملائكة، فيها عبادة غير الله، وفيها التحاكم إلى ما تمليه عليه

عقولهم، وفيها الشر في أنواع العلاقات الاجتماعية ـ من الظلم، ومن أخذ المال بغير الحق ومن غير وجهه ـ، وفيها بلاء كثير من أنواع الموبقات اللسانية من الكذب وغير ذلك، بعث النبي ﷺ في أقوام فيهم أنواع من الشرور الكثيرة، ولكن أيضًا فيهم أنواع من أنواع الخير والآداب، فيهم صدق الحديث عند بعضهم، وفيهم نصرة المظلوم، وفيهم محبة لإرث إبراهيم الخليل عليه السلام.

لما بعث نبيه ﷺ بعثه بالرسالة، وأمره بالإنذار، جمع النبي ﷺ الناس؛ كما في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: **يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ** ـ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ ـ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ**؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: **فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المسد: ١، ٢]»[1]، وصار يحذر الناس من اتِّباع النبي ﷺ، وكذا كانت امرأته، وكذا كان كثيرون من قريش، بقي ﷺ في نفر قليل من أصحابه رضي الله عنهم، والناس معارضون له، والله عز وجل يأمره بالصبر الجميل: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج: ٥]، أمره الله عز وجل بالاستمساك بالوحي، وإنه على الحق: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

أمره مع قلة من معه أن يقوموا الليل طويلًا، وأن يتبتلوا إلى الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ١ ـ ٤]، وقال ﷻ له: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ٦]، ثم قال له ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ﴾ [المزمل: ٢٠]، إلى آخر الآيات.

كانت تربية أهل الإيمان على التوحيد الخالص، وعلى شدة معاناة طاعة الله ﷻ بقيام الليل طويلًا، وبأداء الصلاة، وبالصبر على أذى المشركين مهما بلغ، وهذا نبينا ﷺ يلقى في مكة من أذى المشركين ما يلقى في أول البعثة، وفي أوسط عهد مكة، وفي أواخره، كل ذلك وهو صابر الصبر الجميل، وهو صابر محتسب ممتثلًا قول الله ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم: ٦٠]، فصبر ﷺ، وصبر الصحابة ﵃ معه.

ثم أذن الله ﷻ لنبيه ﷺ بالهجرة، ثم كانت أول المواقع ـ أعني: بدرًا ـ، فكان المؤمنون قليلين، وكان المشركون كثيرين: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ﴾ [الأنفال: ٤٤]، لما كان يوم بدر يوم الفرقان، اليوم الذي نصر فيه الله أهل الإسلام، أهل الإيمان، أتباع محمد ﷺ، اليوم الذي نصر فيه الله جنده كانوا قليلين جدًا، ولكن الله ﷻ أنزل عليهم النصر لما فعلوا وسعهم، لم يقصروا في أمر الدين، ولم يقصروا في أمر العدة، وأطاعوا الله، وأطاعوا رسوله ﷺ، ولم يخونوا أمانتهم.

ثم مضت بعثة محمد ﷺ، ومضى الناس معه، حتى صرنا إلى يوم حنين، يوم كان الناس مع رسول الله ﷺ كثيرين، فلما اجتمعوا، قال

بعض الناس لبعض: «**لَا نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ**»(١). أعجبتهم كثرتهم، فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

أيها المؤمنون، صورتان بين بدر وبين حنين:

الأولى: قلة في عدد، وضعف في العدد، ولكنهم كانوا خاضعين لله، مخبتين لله، يخافون أن يغضب الله ﷻ عليهم. لما كانت وقعة بدر، أخذ النبي ﷺ ـ وهو الموعود بالنصر ـ أخذ يدعو الله دعاء طويلًا، يتضرع فيه، يتضرع فيه إلى بارئه الذي توكل عليه، وهو يقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**. فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ»(٢). هَمُّهُ عبادة الله ﷻ وحده، والمؤمنون معه يرجون ما عند الله ﷻ، يرجون الجنة، ويرجون الآخرة.

ثم إذا كان يوم حنين، كان يوم الإعجاب بالكثرة.

---

(١) أخرجه أبو عوانة (٤/٢٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

ثم لما كانت غزوة تبوك، ورحل النبي ﷺ، واستعد لغزو الروم لما بلغه أنهم سيغزونه في المدينة، قال ﷺ ما معناه: سنذهب إليهم، وسنغزوهم؛ فإنه ما غُزِي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا. فأمر النبي ﷺ بالذهاب والتجهز في ذلك اليوم، في أيامِ الحر فيها شديد، وكان السير شديدًا، ولما رحل ﷺ، ذهب أبو خيثمة رضي الله عنه إلى بستانه: «ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهُمَا فِي حَائِطِهِ، قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً، وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا. فَلَمَّا دَخَلَ، قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ، فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الضِّحِّ وَالرِّيحِ وَالْحَرِّ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلٍّ بَارِدٍ، وَطَعَامٍ مُهَيَّأٍ، وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ، فِي مَالِهِ مُقِيمٌ، مَا هَذَا بِالنَّصَفِ! ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهَيِّئَا، لِي زَادًا، فَفَعَلَتَا. ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ. وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيَّ فِي الطَّرِيقِ، يَطْلُبُ رَسُولَ الله ﷺ، فترفقا، حَتَّى إِذَا دَنَوَا مِنْ تَبُوكَ. قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ: إِنَّ لِي ذَنْبًا، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَفَعَلَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ، قَالَ النَّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ لَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ**، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ وَاللهِ أَبُو خَيْثَمَةَ. فَلَمَّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ**. ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ»(١).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥٢١ ـ ٥٢٢)، والروض الأنف (٧/ ٣٨٩)، والسيرة النبوية لابن كثير (٤/ ١٤).

المؤمنون لما كانوا قليلين، كانوا مؤمنين حقًّا؛ كما قال ﷺ مخبرًا عما سيكون في أمر هذه الأمة: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ**. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»(١).

أيها المؤمنون، إن الناظر في سيرة المصطفى ﷺ وفي سيرة أصحابه رضي الله عنهم لينظر إلى أشياء:

الأول منها: أن تربية النبي ﷺ وتأديبه لأصحابه رضي الله عنهم كانت على إخلاص القلب لله، وعلى الخضوع لله، وعلى مكابدة المشاق في رضا الله عز وجل، لم يكن إيمانهم تمنيًا، ولا تحليًا، ولكن كان واقرًا في قلوبهم، وصدقته أعمالهم، كابدوا الليل بقيامه، وكابدوا الأعداء بإيذائهم في المال، وإيذائهم في الطعام، وإيذائهم في أشياء كثيرة، ومع ذلك نُصِروا، وكانوا قليلين في بدر، ولما أعجبتهم كثرتهم يوم حنين، وكانوا صحابة، لكن لما أعجبتهم كثرتهم، خُذِلوا، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وولوا مدبرين؛ ليبين الله عز وجل لنا أن الأمر في نصره وفي تأييده لهذه الأمة إنما هو بتوحيد الله، والإخلاص له، والاجتماع على العقيدة الصحيحة، وعلى التبتل إليه، وعلى تربية القلوب على محبة الله عز وجل، وعلى معالجة النفس في طاعة الله بأنواع المعالجة، أولئك كانوا يقومون الليل إلا قليلًا منه: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ [المزمل: ٢، ٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٢٩٧)، وأحمد (٣٧/ ٨٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٤٤)، والبيهقي في الشعب (١٣/ ١٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٣).

واليوم يدَّعي كثيرون ما يدَّعون، وهم في أمر الإيمان أمرهم إلى الله المشتكى منه، يدَّعون اتباع السُّنَّة، وهم لا يعون حقيقة طاعة الله ﷻ، وإنابة القلب إليه، وإخبات القلب إلى المولى، والبكاء من خشية الله ﷻ، يدعي كثيرون نصرة الإسلام، ونصرة قضاياه، وهم لا يمتثلون أمر الإسلام في أنفسهم، ليسوا على طاعة لله ﷻ، وربما رأيت عندهم من المحرمات القولية والعملية ما رأيت، وربما لو حركت ما في قلوبهم، لوجدت أشياء كثيرة من المحرمات.

أيها المؤمنون، لا شك أنه ليس بيننا وبين الله ﷻ نسب ولا صلة إلا صلة الإيمان، إلا صلة التوحيد، توحيد الله ﷻ، وتحقيق كلمة التوحيد لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله، أعلنها الصحابة، ووالوا فيها، وعادوا، وأقاموا الحق بها، فنزل عليهم نصر الله ﷻ؛ لهذا نشكو من هذا الواقع الذي ذكر بعضه في الكلمات السالفة، نشكو من الاغترار بالكثرة في أحوال المنتسبين للإسلام بعامة كأمة، وفي أحوال الذين يرون أنهم يدعون إلى الإسلام، فالكثرة لا تُغني شيئًا، إنما العبرة بما في القلوب من جبال الإيمان، ومن التذلل لله، والإخبات له ﷻ، العبرة ليست بالكثرة؛ فإن الكثرة لم تغن شيئًا، وإنما الذي أغنى هو الإيمان، لما صاحب أهل الإيمان والصحابة، لما صاحب الصحابة في بدر، وكانوا في ذلك على خوف من الله ﷻ، لم يغتروا بالكثرة، ولم ينظروا لعددهم، مع أن الله ﷻ قلل المشركين في أعينهم، لكن كانوا خائفين. ولما كانت الصورة الثانية، أعجبتهم كثرتهم.

أيها المؤمنون، إذًا فالأمور التي ينبغي لنا أن نأخذها من بعض ما ذكر من سيرة النبي ﷺ:

أولًا: أن نعالج أنفسنا، سواء أكان العلاج لمجتمعات المسلمين

بأنواعها، أم كان العلاج لمجموعات المسلمين؛ يعني: للذين يأتلفون ويدعون، أم كان العلاج للفرد في نفسه؛ فالأمر أمر عظيم، والحساب شديد، والله ﷻ لن ينصر هذه الأمة إلا إذا نصر الدين: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فنصرة الله معناها: أن تنصر دينه في نفسك أولًا، وأن تنصر توحيده في قلبك، وفي إخلاص الدين له.

كيف نعمل إذًا في هذا الواقع الذي هجم على النفوس بأنواع الشهوات: شهوات المال المحرم، وشهوات المال المباح، الذي ألهى عن الواجبات، وكذلك الشهوات من جهة المتع الزائلة، ومن جهة النساء، ومن جهة المناظر، إلى غير ذلك، فصدت الناس، وكأن أمر الله ﷻ عند كثيرين من هذه الأمة ليس بالأمر الذي ينصر، وكأن الأمر وأنهم ليس لهم شأن في ذلك؟!

إذًا فنصرة دين الله واجبة، أن تنصر الله في نفسك، وفي مجتمعك، أن تنصر الله بما أمر الله ﷻ به، لقد ظن أناس أنهم ينصرون الله، فتجاوزوا ما أُذن به شرعًا إلى أمور منكرة، فمع أننا اليوم نشكو من الجفاء ومن ضعف الإيمان، ومن قلة المبالاة بأمر الدين، فمع ذلك نشكو أيضًا من الغلو في أنواع، والمؤمن يجب عليه أن ينصر الله وسطًا بين طرف الغالين الذين يفعلون ما لا يؤمرون، ويفعلون ما لا دليل لهم عليه، وبين طرف الجافين الذين اتبعوا الشهوات.

نسأل الله ﷻ أن يمُنَّ علينا جميعًا بعفوه وكرمه.

أيها المؤمنون، المسألة اليوم في الناظر لهذه الأمة يرى حديث المصطفى ﷺ ماثلًا أمامه؛ حيث قال ﷺ: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ**

صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١). لم تُربَّ الأمة على توحيد الله، لم تربَّ الأمة على الموالاة في الله، لم تربَّ الأمة على العزة بالله ﷻ وبرسوله، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]؛ يعني: إنما ناصركم الله ورسوله والذين آمنوا، ما صفتهم؟ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ثم قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦].

إذًا عماد الدين، وعماد نصرة الله لعبادة ولهذه الأمة ـ سواء أكان ذلك في مجموعات قليلة، أم في الأمة بأجمعها ـ أن نكون موالين لله ﷻ، ناصرين للإخلاص له، ولدينه، ولتوحيده، ولتحكيم شريعته، ثم أن نكون موالين محبين ناصرين للذين آمنوا، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

فإذًا تتساقط عند ذلك دعاوى العصبية بأنواعها ـ العصبية العربية أو الإقليمية ـ، كلها تتساقط إذا أردنا حقًّا أن ننصر دين الله، وأن نخذل أعداء الله، وأن تكون العزة لنا، ويبقى الولاء لله ولرسوله ﷺ وللذين آمنوا.

نعم، قامت شعارات كثيرة، رُفِعت فيها في أزمنة مضت، رفعت فيها شعارات التعصب للقومية، والتعصب لإقليم، والتعصب للغة، والتعصب لغير دين الله، وكلها مع الزمن باءت بالفشل، ولنعلم أن

---

(١) سبق تخريجه (ص٥١٥).

الأعداء لن يرضوا أن يجتمع المؤمنون على دين الله، ولكن الواجب علينا أن نسعى للاجتماع على دين الله، وأن نحكم السُّنَّة على أنفسنا قولًا وعملًا، وإن لم نكن كذلك، فإن عملنا سيذهب أدراج الرياح.

نسأل الله ﷻ أن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يعز أولياءه، وأن يجعلنا من المجاهدين في سبيله على ما يحب ويرضى.

اللَّهُمَّ، ارفع لهذه الأمة منارها، اللَّهُمَّ، أعزها على أعدائها، اللَّهُمَّ، أعزنا على أعدائنا بالقول وبالعمل، وأظهرنا عليهم، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، نسألك أن تجنبنا الإعجاب، وأن تجنبنا الشيطان ووسائله، وأن تجعلنا من المتبتلين إليك تبتيلًا، اللَّهُمَّ، اجعلنا من المتبتلين إليك، والمنقطعين عن سواك إليك وحدك، يا رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦]، أسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن أعزهم، وأعلى ذكرهم، اللَّهُمَّ، آمين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها الإخوة المؤمنون، إن إحداث العزة في قلب المؤمن، وربطه بسيرة المصطفى ﷺ وسيرة صحابته ﵃ أمر مطلوب شرعًا؛ لأن المؤمن إذا لم يكن في قلبه العزة والغيرة على دين الله ﷻ، وأن يكون منضبطًا في ذلك بالضابط الشرعي، الذي جاءت به الأدلة في الكتاب والسُّنَّة، إن العزة والانضباط فيها هذا أمر مطلوب شرعًا، والناس - كما ذكرنا - بين مُفْرِط ومُفَرط، والتربية الصحيحة للأفراد وللمجتمعات أن يكون المؤمنون بعامة يتواصون بالحق، وأن يكونوا متواصين بالصبر؛ فإن الصبر في محله حكمة وحزم، وإن الدعوة والتواصي بالحق في محله إنه سُنَّة، وأمر مطلوب، وواجب شرعًا.

لهذا - ***أيها المؤمنون*** - كل منا عليه واجب أن لا يخضع لغير الله ﷻ؛ يعني: أن لا يكون في قلبه ميل وإعزاز لغير الله ﷻ ورسوله والذين آمنوا، فإن نصرة المؤمن إنما هي نصرته لله ولرسوله وللذين آمنوا.

القلوب التي فيها محبة بعض الكفرة واجب شرعًا أن يحلوا محلها بغض الكفرة، وحب أهل الإيمان، وأن يكونوا قائمين قولًا وعملًا بما يجب من أمر الله ﷻ، إن التعامل ما بين المؤمن وما بين الكافر التعامل الظاهري فيما فيه عزة الإسلام، ونصرة الإسلام أو كسبه أمر مطلوب شرعًا أو مباح شرعًا، ليس في ذلك بأس، وإنما الشأن أن يؤول التعامل إلى محبة للكافر، أن يؤول التعامل إلى ضعف في العزة، وإلى تذلل للكفرة، فإن ذلك معناه: أن القلب تقلب ـ والعياذ بالله ـ؛ لهذا واجب أن يربي المرء نفسه على أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ﷻ.

واجب أن تكون تربيتنا لأنفسنا ولمن حولنا وأن تكون دعوتنا أن يكون في القلوب موالاة لله، ونصرة لدين الله، ومجاهدة النفس في طاعة الله ﷻ، وإن الذين يشار إليهم بالبنان، ويُرجى منهم أن يكونوا دعاة إلى الله وناشرين للعلم يجب عليهم، ويتأكد عليهم ما لا يتأكد على غيرهم؛ لأنهم هم القدوة، ولأنهم الذين ينظر إليهم من أهل العلم الراسخين ومن غيرهم ممن اقتفوا سبيلهم.

فواجب إذًا على الجميع أن يرعوا أمر الله ﷻ؛ فإن الأمر شديد، إن الأمر في الأمانة وفي المسؤولية أمر شديد.

واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله أمرنا بالصلاة على نبيه ﷺ، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم ـ اللَّهُمَّ ـ على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل والكفر والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحًا في قلوبنا وفي بلادنا، اللَّهُمَّ، أصلحنا، وأصلح بنا، اللَّهُمَّ، أصلحنا، وأصلح بنا، وأنت أرحم الراحمين وأجود الأجودين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: شرح حديث من جوامع الكلم

الخطبة الأولى:

الحمد لله، بعث محمدًا بالحق بشيرًا ونذيرًا، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وأقامنا على بيضاء نقية، لا يزيغ بعده عنها ﷺ إلا هالك، الحمد لله الذي شرفنا باتباع محمد ﷺ، ومنَّ علينا بهذه الرسالة العظيمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

فالحمد لله أولًا وآخرًا على نعمة الإسلام، وعلى نعمة التوحيد والسُّنَّة، وعلى نعمة الصحة والأمن، وعلى عموم نعم الله ﷻ، له الحمد عليها سرًا وجهرًا، له الحمد عليها لطفًا وإعلانًا وخفاء، له الحمد كله، وله الفضل كله؛ كما هو لذلك أهل، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ بالعمل بالطاعة، وبالبعد عن المعصية، وبالشكر على النعم، وبالاستغفار من الذنوب؛ فإن المغفرة تجب الذنب، والتوبة تجب ما قبلها، فاتقوا الله

بالاستغفار، واتقوا الله بالإنابة، واتقوا الله بالتوبة؛ فإن الله يحب المتطهرين، ويحب التوابين.

أيها المؤمنون، بُعث نبينا ﷺ بالهدى ودين الحق، بُعث وأُوتي جوامع الكلم؛ لهذا يرى الناظر في حديث المصطفى ﷺ أن في حديثه جوامع الكلم وجوامع المعاني، فهو ﷺ يوجز المعاني الكثيرة للمتأمل في الألفاظ القليلة؛ وذلك لأنه رسول الله ﷺ، فأرشد إرشادات عامة بجوامع كلمه ﷺ في كل المناحي والمجالات التي تحتاجها الأمة، ويحتاجها المكلف في عبوديته لربه ﷻ، فقد أُوتي ﷺ البلاغة بحذافيرها، وجمع من لغة العرب ما لم يجمعه أحد سواه ﷺ؛ فقد أنزل عليه القرآن على سبعة أحرف، جمع مناحي كلام العرب ولهجتها بما أنزل في القرآن على سبعة أحرف؛ لهذا كان ﷺ يرشدنا بكلمات وجيزة في إرشادات تحتاج منا إلى تأمل، وكلما مرَّ عليك حديث للنبي ﷺ، فأرعه سمعك، وتأمله، ولا تعجل عليه؛ فإن فيه من المنطوق والمفهوم ما يفتح لك أبواب الإيمان ومصاريع الخير.

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من المتفقهين في كلامه وكلام رسوله ﷺ.

روى مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الصحيح»؛ أن النبي ﷺ قال: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمَانِ، والْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَملآنِ - أَوْ: تَمْلأُ - ما بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من طريق زيد عن أبي سلام عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

هذا الحديث الجليل العظيم الذي احتوى على جوامع كلم من كلامه ﷺ، هذا الحديث يحتاج منا إلى تأمل وشرح وتدبر؛ ففيه بيان أنواع الإيمان، فيه بيان الذكر وفضله، وفيه بيان فضل الطهارة بأنواعها، وفيه بيان حق القرآن، وفيه بيان منزلته، وفيه بيان خطر المعصية، وخطر الذنب، وفيه بيان فضل الطاعة بأنواعها، فجمع هذا الحديث بأمثلته الشريعة كلها بما فيه صلاح العبد في تعامله ومعاملاته بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق، حتى يصح أن تقول: إن هذا الحديث فيه كل ما تحتاجه في أمر دينك فيما بينك وبين ربك، وفيما بينك وبين العباد، تأمل قوله ﷺ: **«الطُّهورُ شَطْرُ الإِيمَانِ»**.

الشطر في اللغة: هو النصف، والعرب تقول للشيء إذا كان ينقسم إلى قسمين: هذا نصف، وهذا نصف، ولو لم يكن النصفان متساويين. فهذا نصف وهذا نصف يعني: إن هذا قسم، وهذا قسم[(١)]؛ كما قال ﷺ: **«قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**[(٢)]، والصلاة مشتملة على دعاء من العبد لحاجاته، ومشتملة على أنواع من الذكر والتمجيد لله ﷻ.

فالطهور شطر الإيمان، نظر أهل العلم في كون الطهور شطر الإيمان، فقال أكثر أهل العلم: إن الإيمان هنا هو الصلاة، والطهور شطر الصلاة؛ يعني: إنه نصف الصلاة؛ يعني: إنه أحد قسمي صحة الصلاة. فإن الصلاة تشترط لها شروط قبلها، وأعظمها الوضوء والطهارة، وتشترط لها شروط فيها؛ يعني: إنها الأركان والواجبات،

---

(١) انظر: العين (٦/ ٢٣٣)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢١٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥).

لا تصح إلا بها، قالوا: والإيمان هنا هو الصلاة؛[1] كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ يعني: صلاتكم[2].

قال ﷺ: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمَانِ**»؛ يعني: أن الوضوء لمن أحسنه، ولمن كمله، فإنه شطر الصلاة، فإن الصلاة في نفسها ناهية عن الفحشاء والمنكر، والصلاة في نفسها مكفرة لما سبقها من الذنوب ما اجتُنبت الكبائر، لكن ذلك بشرط أن يكون الوضوء صحيحًا، أن يكون الوضوء صالحًا على السُّنَّة، أن يكون العبد توضأ على ما أمر الله ﷻ به؛ كما ثبت في «الصحيح»؛ أنه ﷺ قال: «**مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، فَالصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ**»[3].

قال أهل العلم: الصلاة إلى الصلاة مكفرات بشرط تمام خشوعها وركوعها وسجودها، وبشرط أن يسبقها وضوء توضأه صاحبه كما أمر الله؛ يعني: أسبغ الوضوء، ولم يفرط في شيء منه.

قال آخرون من أهل العلم في قوله: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمَانِ**»: إن الإيمان ينقسم إلى قسمين، ينقسم إلى أوامر تأتي بها وإلى نواهٍ، فمن ترك المنهيات، وفعل الأوامر، فقد حصل على شطر الإيمان، وهو التطهر من الذنوب وأجناس الذنوب، من الذنوب التي تغلق القلب، والتي تصد عن الحق.

---

(١) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٤/ ١٥٥)، وشرح النووي على مسلم (٣/ ١٠٠)، وشرح الأربعين النووية (ص٨٤)، وجامع العلوم والحكم (٢/ ٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٧)، وزاد المسير (١/ ١٥٥)، وتفسير البغوي (١/ ١٢٤)، وتفسير القرطبي (٢/ ١٥٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٩٣)، والدر المنثور (١/ ٣٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٣١)، واللفظ لمسلم.

فالإيمان إذًا نصفان: عمل يعمله العبد يرفعه، ويتقرب إلى الله. وعمل إذا عمله، فإنه يطهر نفسه، ويطهر بدنه، ويطهر روحه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. .

فإذًا الأعمال الصالحة التي يأتي بها العبد، والأعمال التي ينتهي عنها من المحرمات، في فعله الأمر، واجتنابه للمنهي؛ طهارة له في روحه، وفي بدنه، وفي جسده، وفي جوارحه، وفي قلبه، والطهارة إذًا شطر الإيمان؛ فإن القلب الذي لم يتطهر، لم يتقرب إلى الله بشيء. فهذا بعض ما في قوله ﷺ: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمَانِ**».

ثم قال ﷺ: «**والْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ**»، (الحمد لله) يوم القيامة تمثل جسمًا، فيوضع في الميزان، فتملأ (الحمد لله) الميزان، وترجح بالكفة الأخرى لمن قال: الحمد لله، يعقل معناها، ويعلم سعة معانيها؛ فإن إثبات المحامد لله يقتضي أن الله واحد في ربوبيته، وواحد في إلٰهيته، وواحد لا سمي له، ولا مثل في أسمائه وصفاته، وأنه سبحانه له الكمال المطلق في شرعه وأمره، وله الكمال المطلق في أنواع حكمه القدري، الذي يصرف به هذا الملكوت، فمن قال: الحمد لله. مقرًا بهذه الأنواع الخمسة ـ في: ربوبية الله، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وشرعه وأمره، وفي أوامره الكونية ـ، موافقًا للحكمة، معترفًا بها، فقد أتى بكل أنواع عبودية القلب[1].

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في نونيته:

وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمدٍ وَاقِعٌ ... أو كَانَ مَفرُوضًا مَدَى الأزمَانِ
مَلأَ الوُجُودَ جَمِيعَهُ وَنَظِيرَهُ ... مِن غَيرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسبَانِ
هُوَ أهلُهُ سُبحَانَهُ وَبِحَمدِهِ ... كُلُّ المَحَامِدِ وَصفُ ذِي الإحسَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢١٥).

«وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ»؛ لما اشتملت عليه من إثبات أنواع الكمالات لربنا ﷻ.

ثم قال ﷺ: «وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَملآنِ ـ أَوْ: تَمْلأُ ـ ما بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ»؛ لأن من في السماء وما في السماء يسبح بحمد الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فكل شيء امتلأ بتسبيح الله وتحميده يقول بلسانه ولغته: سبحان الله وبحمده، أو يقول: سبحان الله، والحمد لله. وهذان اللفظان يجمعان الكمال؛ فإن التسبيح معناه: نفي النقائص بأنواعها عن الرب ﷻ، فإذا قلت في الصلاة أو في خارج الصلاة: سبحان الله؛ معناه: إنك تنادي ربك بقولك: تنزيهًا لك يا رب عن كل أنواع النقص، وإثباتًا لأنواع الكمالات التي تستحقها يا ربي. وهذا يدل على أن التسبيح والحمد إذا اقترنا، جمعا نفي النقائص عن الله، وإثبات أنواع الكمالات لله ﷻ؛ لهذا قال: «وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَملآنِ ـ أَوْ: تَمْلأُ ـ ما بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ».

ثم قال ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»، النور والبرهان والضياء كلها مشتركة في أنها أنوار، يبصر بها من فعلها الطريق، ويكون معه نور في الدنيا، ويكون معه نور في الآخرة، فالصلاة نور في الدنيا ونور في الآخرة: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(١)، وقال ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٩٤)، والترمذي (١٨٥٥)، وأحمد (٣١٤/١٣)، وابن ماجه (١٣٣٤)، والدارمي (١٥٠١)، والبيهقي في الكبرى (٧٠٦/٢).

عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»(١)، فالصلاة نور في قلوب أصحابها في الدنيا، ونور في قلوب أصحابها وفيما بين أيديهم يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

ثم قال ﷺ: «**وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ**»، **والبرهان في اللغة**: هو أول ما يخرج به شعاع الشمس، يتميز به طلوع الصبح الذي فيه شمس؛ ولهذا سميت الحجة القاطعة برهانًا؛ لأنها في الوضوح كوضوح برهان الشمس ونوره، إذا خرجت الشمس ليس فيها التباس(٢)، قال ﷺ: «**وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ**»، وخاصة إذا كانت الصدقة خفية، لا يعلم بها إلا الرب ﷻ؛ لهذا قال ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...**»، وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(٣).

«**وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ**»؛ يعني: إنها نور في قلب العبد؛ لتخلصه من الشح، وتخلصه من حب المال، وأيضًا هي دليل وحجة على أن هذا المتصدق بالمال محب لله، مؤثر مرضاة الله ﷻ، مؤثر الآخرة على المال والدنيا، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ثم قال ﷺ: «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»، الصبر ضياء، والضياء: هو نور الشمس الذي فيه حرارة، وناسب أن يكون الضياء للصبر؛ لأن الصبر فيه

---

(١) أخرجه أحمد (٣٠/٢٨٨)، والدارمي (٢٧٦٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/٢٠٧)، وابن حبان (٤/٣٢٩)، والطبراني في الأوسط (٢/٢١٣)، وفي مسند الشاميين (١/١٥٢)، والبيهقي في الشعب (٤/٣١٢).

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

شدة؛ كما أن ضياء الشمس فيه شدة إذا احترت الشمس، قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، فالنور ليس معه حرارة، وأما الضياء، معه حرارة، وهكذا الصبر للصابر معه حرارة، فلن يصبر الصابر إلا بشيء يصبر عليه؛ لهذا تنوع الصبر بأنواعه: صبر على الطاعة، وتنوع إلى صبر عن المعصية، وإلى صبر على المصائب، وكلها تحتاج إلى معالجة، وكلها لها ألم، ولها في مزاولتها، أو الابتعاد عن المحرمات، أو الرضا بقضاء الله والصبر عليه لها حرارة وألم في النفس، لكن العبد المؤمن إذا صبر، فإن الصبر يكون له أيضًا نورًا يوم القيامة، يكون له نور عظيم، فالناس يجتازون على الصراط على قدر أعمالهم، ويجتازون بأنوار على قدر أعمالهم؛ ولهذا قال تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ومن أجر الصابرين أن تؤتى لهم الأنوار يوم القيامة، فمنهم من يكون له في الظلمات كالنور العظيم؛ لقاء ما عمل، وتقرب، وصبر، ومنهم ما دون ذلك، كل يُعطى نورًا بحسب عمله الصالح، وبحسب تقربه إلى الله ﷻ.

ثم قال لنا ﷺ: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»، القرآن اشتمل على عقيدة، يجب عليك أن تصدق بها، الخبر الذي في القرآن في أمور الاعتقاد في كل أمر غيبي حجة عليك إن لم تصدق، وحجة لك إن صدقت بها: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأمر والنهي، فالقرآن حجة لك إن صدقت بأخباره، وحجة عليك إن ترددت أو ارتبت فيما جاء فيه، وكذلك حجة عليك في الأوامر والنواهي، في أمور العبادة، وفي أمور المعاملات، وفي كل أنواع علاقاتك بالناس، فالقرآن يمشي بيننا، وهو حجة لنا أو حجة علينا.

وختم ﷺ هذه الكلمات العظيمة بقوله: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَائِعٌ**

نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا»، كل الناس يغدو؛ يعني: صباحًا، يغدو صباحًا، يخرج من بيته، وهم على قسمين:

منهم من يغدو، فيبيع نفسه، فيعتقها، يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله، يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، يبيع نفسه لقاء رضوان الله ﷻ؛ يعني: إنه يذهب من بيته، فلا يعمل إلا بالطاعة، فيتقرب إلى الله، ويخشى عقاب الله، ويرجو ثواب الله، ويسارع في الخيرات، ويتذكر يوم الحساب. فلتسع إذًا في فكاك رقبتك من عذاب الله ومن النار.

«**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو**»؛ يعني: يذهب صباحًا، فبائع نفسه في طاعة الله، «**فَمُعْتِقُهَا**» من عذاب الله «**أَوْ مُوبِقُهَا**»؛ يعني: في العذاب إن ذهب وخرج صباحًا، ثم عاد، وقد حمل بالأوزار والآثام التي توبقه في العذاب.

نسأل الله ﷻ أن يجنبنا عذابه، وأن يجنبنا سخطه، وأن يمُنَّ علينا بالهدى والاهتداء والتوفيق؛ إنه سبحانه جواد كريم.

لهذا - **أيها المؤمنون** - أعود بما ابتدأت به من الوصية بسُنَّة النبي ﷺ والفقه فيها، وتأمل حديث المصطفى ﷺ، وما قاله العلماء في بيانه، فقد بلغ ﷺ، وأقام علينا الحجة، ونصح، وبيَّن، وأرشد، فلا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذرنا منه ﷺ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾**﴾ [التوبة: ١٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وأوصيكم ونفسي مرة أخرى بتقوى الله ﷻ، بأن نخشى الله، ونخشى لقاءه، وأن نعظم الله في نفوسنا، وأن نراقب الله ﷻ في كل أحوالنا، فإن غفلنا، فلنسارع بالتوبة والاستغفار والإنابة؛ فإن الله سبحانه يحب منا أن نتوب، يحب منا أن نستغفر، يحب منا أن نتذلل بين يديه منيبين، مستغفرين، تائبين، وجلين، خائفين، والله سبحانه يحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب الصابرين، ويحب المتطهرين، ويحب من أطاعه، ويكره ربنا ﷻ من عصاه. أسأله ﷻ أن يعينني وإياكم على الطاعة.

هذا، واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة على نبيه، فقال ﷻ قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون ـ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ، وعن سائر الصحب والآل والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللَّهُمَّ، وانصر عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ، كن معنا، ولا تكن علينا.

اللَّهُمَّ، نعوذ بك من الفتن كلها، صغيرها وكبيرها.

اللَّهُمَّ، احمنا من كل سوء، واصرف عنا كل بلاء، واجعلنا من المتقين الراشدين.

اللَّهُمَّ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم ـ اللَّهُمَّ ـ على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، اللَّهُمَّ، وفقهم بتوفيقك، اللَّهُمَّ، ومن عليهم بالختام الصالح، اللَّهُمَّ، من عليهم بكل عمل تحبه وترضاه؛ فإنك على كل شيء قدير.

نعوذ بك ـ اللَّهُمَّ ـ أن نَضل أو نُضل، أو نَزل أو نُزل، أو نَجهل أو يُجهل علينا، أو نَظلم أو نُظلم.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن هذه البلاد بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك صلاحا في قلوبنا لا يغادر منا أحدًا.

اللَّهُمَّ، من كان منا مطيعًا، ترضى قوله وعمله، فثبته، واختم له بخاتمة السعادة، ومن كان منا مقصرًا ـ اللَّهُمَّ ـ، فدله على ما تحب وترضى، ووفقه، وأعنه على الخير والهدى، اللَّهُمَّ، من كان منا عاصيًا، فمن عليه بالتوبة، وأيقظ قلبه من الغفلة؛ فإنك على كل شيء قدير.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ

وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على عموم النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: ثمرات العبادات

الخطبة الأولى:

الحمد لله عمر قلوب أوليائه بمحبته، فاستنارت بالإيمان، فنورت طريقه من ولادته إلى الممات، الحمد لله الذي مَنَّ على عباده بالقرآن، ومَنَّ عليهم بالتوحيد، ومَنَّ عليهم بالصلاة، ومَنَّ عليهم بأنواع العبادات، الحمد لله الذي أسبغ على عباده نعمه ظاهرة وباطنة، نثني على الله ﷻ الخير كله، فما بنا من نعمة إلا من الله، وما دُفِعَ عنا من نقمة إلا من الله، فهو النافع، وهو دافع النقم، وهو مفيض الخيرات: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢]، أُثني على الله ﷻ الخير كله، أثني عليه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى وأفعال الحكمة والعدل والفضل والإحسان، فله الثناء كله، وله الحمد كله، فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه كفاء ما أرشد وعلَّم وهدى من الضلالة.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله ﷻ جعل العبادات المتنوعة، التي فرضها في الإسلام، والتي جعلها مسنونة مشروعة في الدين، جعلها تثمر ثمرات عظيمة في قلوب أهل الإيمان، في قلوب الذين أقاموا تلك العبادات على الوجه الذي يحبه الله ﷻ ويرضى، فتلكم العبادات ـ التي منها: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وسائر أنواع العبادات ـ، تلكم العبادات ـ ولا شك ـ تثمر في قلوب المؤمنين الإيمان بالله ﷻ حق الإيمان، وتثمر تذكر حق الله ﷻ، وتثمر إتيان كل معروف يحبه الله ﷻ، وتثمر البعد عن كل منكر يبغضه الله ﷻ ورسوله ﷺ.

فهذه الصلاة قال الله ﷻ فيها: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فبيَّن ﷻ أن الصلاة تنهى إذا أقامها العبد ـ يعني: أقامها بأركانها، وواجباتها، وشروطها، وأتى ما استطاع من سننها ـ، فإن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ثم قال ﷻ بعدها: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ قال العلماء: يعني: ولما في الصلاة من ذكر الله، وتذكر الله، وخشية الله، وعمر القلب، وإعمار الفؤاد بذكر الله، لهو أكبر مما تحدثه الصلاة من النهي عن الفحشاء والمنكر، فإذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا أقيمت، فإن ما فيها من ذكر الله ﷻ أكبر وأكبر وأعظم؛ لأن تذكر الله ﷻ، ولأن ذكره وعدم نسيان المولى ﷻ، إن هذا هو الذي يفيض في القلب أنوار الإيمان، ويفيض في القلب أنوار الطاعات، فيجعل العبد دائمًا مع ربه ﷻ، قال ﷻ في آية (طه) أيضًا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، قال أهل العلم في أحد وجهي التفسير: يعني: أقم الصلاة لتكون عاقبة ذلك أن تذكر الله ﷻ(١).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٢)، وزاد المسير (٣/ ١٥٤)، وابن كثير (٥/ ٢٧٧).

فالصلاة محدثة لتقوى الله ﷻ، ففسر العلماء التقوى بأن تذكر الله، فلا تنساه، وذكر الله ﷻ لا شك أنه مطلوب، بل هو المطلوب الأعظم من أنواع العبادات؛ لأنه إذا تذكر العبد ربه، فلم يغب عن باله لحظة، لم يغب عن باله في أي عمل كانت أعماله موافقة للشريعة، كانت أعماله مطابقة للقرآن والسُّنَّة، كانت أعماله ترى فيها خشية الله ﷻ، ترى فيها أنه يزدلف إلى الجنة، ويتباعد من النار، ذلكم إذا كان متذكرًا لله ﷻ.

فالصلاة هي ذكر لله، ومحدثة لذكر الله ﷻ، إذا أقامها العبد بخشوعها، وأركانها، وواجباتها، متبتلًا إلى ربه، منقطعًا عن الدنيا، مقبلًا إلى الله.

وهذه الزكاة - **أيها المؤمنون** - زكاة المال إذا أداها العبد لمستحقيها، فإنه يتذكر بذلك أنواع فضل الله، ويتذكر أسماء الله ﷻ وصفاته، التي من آثارها أن أنعم عليه بهذا المال، وحرم الله المال آخرين من الناس، فيرى نفسه، وهو يتصدق، ويزكي ماله، يرى أن الله اختصه بهذا الفضل على غيره من الناس، فيحدث في قلبه تذكر الله ﷻ وما له عليه من الحق، وما يجب عليه في هذا المال من أنواع الحقوق، وما يجب عليه من شكر نعمة المال، فإن المال نعمة، قليل من العباد من شكرها.

يتذكر العبد في صيامه حين يصوم الفرض، وحين يصوم النفل، يتذكر - ولا شك - أنه ما صام إلا لله، يطلب رضا الله، فتنكسر نفسه لطلب رضاه، تنكسر نفسه؛ لأنه يعلم أنه إنما تقرب بذلك إلى ربه ﷻ وحده، لا إلى من سواه، فإنه لا يشعر أحد بصومه، لا يشعر أحد بمراقبته ربه، وإنما أمره مع ربه، فيجعله ذلك متذكرًا لله، مقيمًا لذكر الله ﷻ في أحواله كلها.

وكذلكم حج بيت الله الحرام لمن حج البيت، واعتمر، وتطوف، ورمى الجمرات، وأقام هنالك بالمشاعر، ولمن لم يحج بمن سمع خبر الحجيج، فإن الحج لإقامة ذكر الله، قالت عائشة ـ رضي الله عنها، وعن أبيها، وأرضاهما ـ، قالت: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيِ الْجِمَارِ، لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ**»(١)، والله عز وجل يقول للحجاج: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، أرأيتم الرجل هل ينسى أباه؟ أرأيتم الذين يفتخرون بآبائهم وبصنائع آبائهم، ولا ينسون آباءهم ذكرًا في القلب، أو ذكرًا في اللسان؟ يجب على الذين أدوا مناسكهم أن يذكروا الله تذكرًا بالقلب، وذكرًا باللسان كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا. فالحج من مقاصده أن يعلم المرء ذكر الله عز وجل، إذا تأمل العبد حجه، وتأمل طوافه وسعيه، ورميه للجمرات، ووقوفه بعرفة، ثم مبيته بمزدلفة، ثم مبيته بمنى ليالي منى، ونحره الهدي، وغير ذلك من أنواع العبادات، التي تسكب في القلب قطرات الإيمان، إن من تأمل ذلك بعلمه ـ لا شك ـ قاده لأن يذكر الله؛ فإنه ما حداه للسفر ولتكبد مصاعب السفر ـ كل بحسب حاله ـ، إلا طلب ما عند الله عز وجل، فلم إذًا لا يتذكر ربه في كل حال وأوان؟ إذا كان قد قام بذلك الذكر العملي، فإنه مطلوب منه أن يذكر الله على كل حال.

إن عبادات الإسلام من ثمراتها الكثيرة أنها تثمر في القلب ذكر الله عز وجل وتذكر المولى، فلا يغيبن عن مؤمن أن ذكر الله عز وجل ينبغي أن يكون في النفوس دائمًا، في النفوس في المساجد، وفي النفوس في

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٨٨)، والترمذي (٩٠٢)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٦٤، ٧٥، ١٣٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٢٢، ٢٧٩، ٣١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها. قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

الطرقات، وفي النفوس في البيوت، والله ﷻ في القلوب دائمًا وأبدًا لمن كان مؤمنًا حق الإيمان، ومن كان ناقص الإيمان، أتت تلك العبادات دائمًا تزيد إيمانه، تزيد صلته بربه، تزيد تذكره بربه، تزيد تذكره لربه ولحق ربه عليه في أعمال البدن، وأعمال المال، في أنواع ما يقوم به في الحضر، وأنواع ما يقوم به في السفر، إنها أنواع من الأعمال تستغرق حياتنا، هي أنواعٌ تحدث ذكر الله في النفوس، فهلا ذكرنا الله كذكرنا آباءنا أو أشد ذكرًا؛ إن فضل الله ﷻ أعظم من فضل الآباء، أعظم من فضل أي أحد في هذه الدنيا، فهلا ذكرناه، ووفيناه حقه، وعمرنا قلوبنا بذكره، وبمحبته قولًا وعملًا واعتقادًا؛ إنه ﷻ يحب الشاكرين، يحب الذاكرين، إنه ﷻ نهى وحذر من الغفلة، نهى وحذر من الغفلة بأنواعها، والغفلة داء عضال يخيم على القلوب، فيجعلها لا تبصر الأنوار والإيمان.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المراقبين لله حقًا، المتابعين لشرعه صدقًا، أسأله ﷻ أن يجعل جميع ما نعمل من عبادات مثمرة كما شرع وكما أحب؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

** **

الخطبة الثانية:

الحمد لله شرح القلوب للإيمان، ونور القلوب بطاعته، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له؛ تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، دعا، وبشَّر، وأنذر، فجزاه الله ﷻ عن هذه الأمة خير ما جزى به نبيًّا عن أمته، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى الآل والصحب، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله؛ فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم في هذه الدنيا وفي الدار الأخرى.

واعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن فرائض الله ﷻ وحقوقه على عباده كثيرة، علينا أن نأتي منها ما استطعنا، فما أمر الله ﷻ به، وجب علينا أن نمتثله، إذا لم نستطع، فإن الله ﷻ وسع علينا، قال ﷺ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُم عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»(١).

فالمحرمات محرمات لا يحل لأحد أن يغشاها، ولا أن يتقرب منها؛ إنها محرمات لا يباح لأحد أن يأتيها، أما الواجبات، أما الفرائض، فبحسب الاستطاعة، فاتقوا الله ما استطعتم، فهذه الصلاة أمر الله ﷻ أن

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

تؤدى مع الناس؛ حيث يؤدونها، وكذلك أمر رسوله ﷺ أن تؤدى في المساجد جماعة، فمن لم يستطع لمرض أو لأمر لا يستطيع معه أن يحضر إلى المسجد، فإن الله ﷻ رخص في ذلك، وبيَّن ذلك رسوله ﷺ لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]، فإن الله يحب من العباد أن يمتثلوا أمره، أن يتقربوا إليه بإتيان الفرائض، فجنس إتيان الفرائض معظم عند الله ﷻ؛ لأنه يدل على أن العبد عبد لله، عبد بالاختيار لله، لا يؤثر هوى نفسه على مراد ربه ﷻ.

هذا، واعلموا أيضًا أنه لا عذر لأحد من الناس أن يسوغ لنفسه أن يغشى محرمًا من المحرمات كائنًا ما كان ذلك المحرم، والناس توسعوا ـ والعياذ بالله ـ في أنواع المحرمات، حتى صار عندهم ذلك سجية، لا ترى ولا تسمع منهم وفيما بينهم منكرًا للمنكرات والمحرمات، والواجب علينا أن ننكر المنكر حيثما وجدناه، على المراتب التي أمر الله ﷻ بها على لسان رسوله ﷺ، باليد لمن كان من أهل اليد، أو باللسان للمؤمنين بعامة، أو بالقلب لمن كان إيمانه ضعيفًا، يخشى على نفسه.

إن الإنكار للمنكرات ـ **أيها المؤمنون** ـ، والدعوة لامتثال الفرائض، إنه عنوان هذه الأمة، فمن العجب أن لا نتناهى عن منكر فيما بيننا، سمعنا عن مجالس تغشى فيها المنكرات بأنواع من المنكرات، ثم لا نجد قلوبًا فيها الخشية من الله حين ترى وتغشى المنكر، لا نرى من يتناهى عن منكر فعله طائفة منا، وهذا ـ ولا شك ـ دليل خسارٍ، إن استمررنا عليه، فإنه مؤذن بعقوبة ـ والعياذ بالله ـ، ففي الحديث: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا**»[1]، وهذا أمر مفيد للوجوب،

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي بنحوه (٣٠٤٧).

فلا يسوغ لمؤمن أن يتخلف عن ذلك، إلا إذا لم يستطع، فالإنكار للمنكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنوان هذه الأمة، فمروا بالمعروف فيما بينكم ـ في بيوتكم، وفي طرقاتكم ـ؛ فإن الشر إذا كثر، ولم ينهَ عنه، فإن مصيبته تصيب الجميع، ولا تخص فاعله، وأما إذا نُهي عن المنكر، فإن مصيبة المنكر وفعل المنكر إنما تقع على من فعله، وهذا كتاب الله بين أظهركم، نعى على اليهود الذين ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩]، نعى على أولئك الذين يرون المعروف ولا يقبلون عليه، ولا ينهون عن المنكر فيما بينهم.

فخذوا بخصال هذه الأمة ـ رحمني الله وإياكم ـ، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، واعلموا أن شر الأمور محدثاتها بأنواع المحدثات.

واعلموا أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ، صل، وسلم، وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض ـ اللَّهُمَّ ـ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وأذل المبتدعة والبدعة والمبتدعين، اللَّهُمَّ، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وأذل البدعة والمبتدعين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، اللَّهُمَّ، ومُنّ عليهم بالمستشارين الصالحين المؤتمنين، الذين يذكرونهم إذا نسوا، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابه وسائر المحرمات، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تباعد بيننا وبين الفتن ما ظهر منها وما بطن، كبيرها وصغيرها، جليلها وحقيرها، خفيها وظاهرها، يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ، أصلحنا جميعًا، نسألك صلاحًا في قلوبنا لا يغادر منا أحدًا، اللَّهُمَّ، وفقنا إلى توبة صالحة قبل الممات، نموت وأنت في مماتنا وعلى مماتنا راضٍ عنا، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، إنا نسألك، اللَّهُمَّ، إنا نسألك أن تبعث في قلوبنا نورًا، اللَّهُمَّ، اجعل في قلوبنا نورًا، اللَّهُمَّ، اجعل في قلوبنا نورًا، به نبصر الحق، وبه نبصر الباطل، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ، مُنّ علينا باتباع الحق، وبالبعد عن الباطل، يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله بألسنتكم وأعمالكم وقلوبكم، يذكركم، واشكروه على النعم، يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

مراجع التحقيق

- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**، عبيد الله محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي، دار الراية للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- **الآحاد والمثاني**، لابن أبي عاصم، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- **أحكام القرآن**، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي، عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تاريخ الطبع، ١٤٠٥هـ.
- **الإحكام في أصول الأحكام**، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: د. سيد الجميلي. دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- **الإحكام في أصول الأحكام**، لعلي بن محمد الآمدي، المكتب الإسلامي، طبعة، ١٤٠٢هـ، تعليق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي.
- **الآداب الشرعية**، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- **الاستذكار**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء ٩.

- **الاستقامة**، شيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم. مكتبة السُّنَّة، القاهرة ط٢، ١٤٠٩هـ.
- **أضواء البيان**، محمد الأمين الشنقيطي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.
- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السُّنَّة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ.
- **أنوار البروق في أنواء الفروق**، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور. دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **البدء والتاريخ**، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- **بدائع الفوائد**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، هشام عطا وعادل العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- **البداية والنهاية**، لعماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- **تاريخ الإسلام**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.
- **تاريخ الطبري**، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.
- **التبصير في الدين للإسفراييني**، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المؤلف: طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.

• **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.
• **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، لمحمد عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري، الطبعة الحجرية، دار الكتاب العربي، بيروت.
• **تخريج الأحاديث والآثار**، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمٰن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
• **تذكرة الحفّاظ**، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدّمشقي، تصحيح: تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٧٤هـ.
• **التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
• **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
• **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
• **تفسير البغوي**، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، وعثمان صميرية، وسليمان الحرش. دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.
• **تفسير البغوي**، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، وعثمان صميرية، وسليمان الحرش. دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.
• **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر، للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢٦، مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.
• **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ.
• **تفسير القرطبي**، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
• **تفسير عبد الرزاق الصنعاني**، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- **تقريب التهذيب**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **تلخيص الحبير**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة، طبعة، ١٣٨٤هـ.
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ.
- **تهذيب التهذيب**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **تهذيب الكمال**، يوسف أبو الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية، مصر.
- **التوسل والوسيلة**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٣٩٠هـ.
- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم**، للإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- **جامع بيان العلم وفضله**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.
- **حلية الأولياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- **الدر المنثور**، عبد الرحمٰن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.

- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية** (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.
- **الدعاء للطبراني**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، عدد الأجزاء: ٧.
- **الرد على الزنادقة والجهمية**، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة ١٣٩٣هـ.
- **الرد على المنطقيين**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).
- **الروح**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٥هـ.
- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- **الروض المربع شرح زاد المستقنع**، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، الناشر: دار المؤيد، مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: ١.
- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

- **زاد المسير**، أبو الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ.
- **الزهد**، اسم المؤلف: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر، دار النشر: دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد.
- **الزهد**، اسم المؤلف: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي.
- **الزهد**، المؤلف: أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس الرؤاسي (المتوفى: ١٩٧هـ)، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره: عبد الرحمٰن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ١.
- **الزهد**، للإمام أحمد بن حنبل الشّيباني، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- **الزهد الكبير**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عمر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
- **الزهد**، لأبي داود السجستاني، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١.
- **الزهد**، هناد بن سري الكوفي، تحقيق: عبد الرحمٰن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **سبل الهدى والرشاد**، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١٢.

- **السلسلة الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
- **السُّنَّة**، لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- **السُّنَّة**، للخلال، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- **السُّنَّة**، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- **سنن البيهقي الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
- **سنن الدارقطني**، تحقيق: السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.
- **سنن الدارمي**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **السنن الصغرى**، للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- **السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- **السنن الكبرى للبيهقي**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤هـ.
- **السنن الكبرى للنسائي**، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.
- **السيرة النبوية**، ابن هشام، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦هـ.
- **السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٦م.

- **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي**، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
- **شرح السُّنَّة**، محيي السُّنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٥.
- **شرح الطحاوية**، لصالح آل الشيخ، دار الحجاز، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٤هـ.
- **شرح العقيدة الأصفهانية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **شرح القصيدة النونية**، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
- **شرح النووي على صحيح مسلم**، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠.
- **شرح مشكل الآثار**، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٤٩٤م.
- **شرح معاني الآثار**، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، حققه وقدم له: (محمد زهدي النجار ـ محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د. يوسف عبد الرحمٰن المرعشلي، الباحث بمركز خدمة السُّنَّة بالمدينة النبوية، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- **الشريعة**، أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى، مطابع الأشراف، لاهور.
- **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٣٩٠هـ.
- **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- **صفة الصفوة**، أبو الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي، دار المعرفة بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.
- **الصفدية**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- **الضعفاء الكبير**، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- **الضعفاء والمتروكين**، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال، بيروت، عدد الأجزاء: ١.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- **الطبقات الكبري**، لابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- **العزلة**، أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

- **العظمة**، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **العقيدة الأصفهانية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **عمل اليوم والليلة**، لأبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- **عمل اليوم والليلة**، لابن السني، المحقق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت.
- **العين**، لأبي عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- **غريب الحديث**، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، طبعة ١٤٠٢هـ.
- **غريب الحديث**، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- **الفتاوى الكبرى**، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي، قدَّم له وعرَّف به: حسين محمد مخلوف، دارالمعرفة، بيروت، لبنان.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر، بيروت.
- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- **الفردوس بمأثور الخطاب**، المؤلف: شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٥.

- **الفروع**، لشمس الدِّين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، مراجعة عبد السَّتَّار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.
- **الفروق**، لشهاب الدين أبو العباس أحمد القرافي، بهامشه (إدرار الشروق) لابن الشّاط، و(تهذيب الفروق) لمحمد علي، وضع فهارسه رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
- **فضائل الصحابة**، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- **فوات الوفيات والذيل عليها**، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، عدد الأجزاء: ٦.
- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. ط الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء. الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
- **الكامل في التاريخ**، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- **الكامل في ضعفاء الرجال**، لعبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار النشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، الطبعة الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف)، لابن المنير الإسكندري (ت٦٨٣هـ)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى.
- **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن، الرياض، عدد الأجزاء: ٤.
- **الكفاية في علم الرواية**، الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

- **لسان العرب،** للإمام العلامة ابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- **مجموع الفتاوى،** لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
- **مختار الصحاح،** محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
- **مدارج السّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين،** للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقِّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
- **المدخل إلى السنن الكبرى،** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، طبعة ١٤٠٤هـ.
- **المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري،** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام،** المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.
- **مسند أبي داود الطيالسي،** لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- **مسند أبي عوانة،** لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، دار المعرفة، بيروت.
- **مسند أبي يعلى،** تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- **مسند إسحاق بن راهويه،** تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
- **مسند البزار،** تحقيق: محفوظ الرحمٰن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **مسند الشافعي،** دار الكتب العلمية، بيروت.

- **مسند الشافعي**، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **مسند الشاميين**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **مسند الشهاب**، لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- **مسند عبد بن حميد**، تحقيق: صبحي البدري ومحمود محمد خليل، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي**، طبعة دار الرسالة، بيروت.
- **المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي المقّري الرّافعي الفيُّومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **مصنف عبد الرزاق الصنعاني**، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **معجم ابن الأعرابي**، المؤلف: أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠هـ)، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٣.
- **المعجم الأوسط**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.
- **المعجم الصغير**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **المعجم الكبير**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٤٢٢هـ.

- **معرفة السنن والآثار**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي ـ باكستان)، دار قتيبة (دمشق ـ بيروت)، دار الوعي (حلب ـ دمشق)، دار الوفاء (المنصورة ـ القاهرة)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥.
- **معرفة الصحابة لأبي نعيم**، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **المقصد الأسنى**، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ١.
- **المنتظم**، لأبي الفرج بن الجوزي، دار صادر، بيروت.
- **منهاج السُّنَّة النبوية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **موطأ الإمام مالك**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.
- **النبوات**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة ١٣٨٦هـ.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، الناشر المكتبة العلمية، سنة النشر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، بيروت، عدد الأجزاء ٥.
- **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة، رقم الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.
- **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد.
- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.
- **الوفيات**، لابن رافع السلامي.

فَهْرَس المَوْضُوعَات

الموضوع	الصفحة
* مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ	٥
خطبة: أثر تحقيق التوحيد	٩
خطبة: أحكام الرقية	٢٢
خطبة: الإيمان بالقدر	٣٥
خطبة: احرص على ما ينفعك	٤٧
خطبة: أشراط الساعة	٥٥
خطبة: إصلاح المجتمع مسؤولية الجميع	٦٨
خطبة: الاستجابة لله وللرسول	٨١
خطبة: الإنابة والرجوع إلى الله	٩١
خطبة: الرؤى والمنامات	١٠٢
خطبة: الطيب والخبيث	١١٤
خطبة: اليوم الآخر	١٢٣
خطبة: تحقيق الأمن في دار الإسلام (انفجار الخبر)	١٣٤
خطبة: حفظ اللسان والجوارح	١٤٧
خطبة: العين حق	١٦١
خطبة: غيبة العلماء	١٧٣
خطبة: عداوة أهل الشرك	١٨٤
خطبة: أسباب السعادة الزوجية	١٩٥
خطبة: أنواع الظلم	٢٠٨
خطبة: الأمراض	٢١٧
خطبة: الاستعمار الثقافي	٢٢٦
خطبة: العلم النافع	٢٣٧
خطبة: حال أعداء الإسلام	٢٤٨

الموضوع	الصفحة
خطبة: حقوق العمال	٢٥٩
خطبة: حقوق وواجبات الزوجين	٢٦٩
خطبة: خطر اللسان	٢٨٠
خطبة: مسؤولية الكلمة في الإسلام	٢٨٩
خطبة: صلاح القلب	٢٩٩
خطبة: حقيقة الابتلاء	٣١٠
خطبة: حقوق المسلم في الإسلام	٣١٩
خطبة: قصة أصحاب الجنة	٣٣٤
خطبة: لا عدوى ولاطيرة	٣٤٥
خطبة: لا يستوي الطيب والخبيث	٣٥٣
خطبة: هداية القرآن للتي هي أقوم	٣٦٤
خطبة: وصايا أبي الدرداء رضي الله عنه	٣٧٣
خطبة: ولاية المؤمن	٣٨٦
خطبة: يا قوم اتبعوا المرسلين	٣٩٦
خطبة: آداب القرض والمقترض	٤٠٨
خطبة: التواضع	٤٢٠
خطبة: المصالح المرسلة	٤٣١
خطبة: الملل المذموم	٤٤١
خطبة: الولاء والبراء	٤٥٢
خطبة: تأملات في سورة الأخلاص	٤٦٣
خطبة: دروس وعبر من قصة جريج العابد	٤٧٧
خطبة: طريق ولاية الله	٤٨٧
خطبة: عنوان السعادة	٤٩٨
خطبة: مصدر عزة المسلم	٥١٠
خطبة: شرح حديث من جوامع الكلم	٥٢٣
خطبة: ثمرات العبادات	٥٣٥
مراجع التحقيق	٥٤٥
*** فهرس الموضوعات**	٥٥٩

تم بحمد الله